

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
المعهد العالي للدعوة الإسلامية  
قسم الإعلام



”التعبئة الإعلامية في الحروب الصليبية“

رسالة مقدمة من الطالب

أحمد الدسوقي اسماعيل ســـــــــــــــــرور

”للحصول على درجة الماجستير في الإعلام الإسلامي“

١٤٠٢/١٤٠٣ هـ

إشراف: د . عبد الحلیم عویس



## المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، ومن دعا بدعوتهم ، وجاهد جهادهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعد :

فلقد تعارف الناس على مر العصور على أن الحروب الصليبية لم تكن سوى معارك حربية ضارية ، ولم تعرف إلا الطعن والنزال ، ولم تكن تعنى سوى التعبئة العسكرية ، وحشد العدة والعتاد .

وهي وإن كانت لم تعدم ذلك في أية مرحلة من مراحلها ، إلا أنها قد عرفت تعبئة أخرى كانت في الواقع أهم وأخطر من التعبئة العسكرية ، وأعنى بها " التعبئة الاعلامية " الكاملة التي زخرت بالحشد الهائل من الدعوة والدعاية والإعلام ، واستخدمت في ذلك كل الوسائل المتاحة آنذاك لاستقطاب الرأي العام في كل من الجانبين على حد سواء ، الجانب الإسلامي ، والجانب الأوربي النصراني ، وترجع أهمية هذه التعبئة الإعلامية وخطورتها إلى كونها قد مهدت للتعبئة العسكرية ، وأشعلت نارها ونفخت فيها ، ومن ثم كان تأثيرها في الهزيمة والنصر .

لذلك لم تكن هذه التعبئة الإعلامية بالظاهرة العابرة المحدودة الأثر والنتائج ، وإنما هي ظاهرة كبرى وسابقة خطيرة يجب تدبيرها ، واستخلاص الدروس والعبر منها ، حتى نستفيد من أخطاء الماضي ونحاول ألا نقع فيها ، ونواجه أخطار الحاضر ونتغلب عليها ، ونتحاشى ما قد يعترض سبيلنا في المستقبل من عقبات وصعاب .

وإذا كان لا بد من تحديد فترة زمنية لأي دراسة علمية ، فإن عنوان هذا البحث " التعبئة الإعلامية في الحروب الصليبية " قد تكفل بذلك ووضع له تحديدا زمنيا دقيقا ، حيث أن التعبئة الإعلامية لم تحدث في تاريخ الحروب الصليبية التي امتدت نحو قرنين من الزمان سوى مرتين :

إحداهما : حدثت عند بداية الحروب الصليبية على الجانب النصراني حين اشتعلت أوروبا كلها ضد العالم الإسلامي مستخدمة كل وسائل الدعاية والاعلام ، مهددة بذلك للتعبئة العسكرية ، ولقد بلغ

الصليبيون بتعميشتهم الإعلامية آنذاك قمتها حين استولوا على القدس  
وأنشأوا بها مطكة بيت المقدس عام ( ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ) .

الثانية : حدثت على الجانب الإسلامي بد ٣ بعداد الدين زنكي ، ومرورا بنور الدين  
محمود في عهد البدايات ، وانتهاء بصلاح الدين الأيوبي التي بلفست  
في عهد التعميثة الإعلامية الإسلامية الكاملة قمتها باسترداد بيت المقدس  
المقدس من أيدي الصليبيين عام ( ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ) .

وبين القمتين كانت الفترة الزمنية لهذا البحث ، ولقد بيّنت ذلك بالتفصيل من  
من واقع النصوص ، ومجريات الأحداث التي شطت الأمة الإسلامية بعد صلاح الدين ،  
ولست أعني بانعدام التعميثة الإعلامية بعد صلاح الدين انعدام الوسائل الإعلامية  
في ذلك العهد ، لأن وجود الوسائل الإعلامية لا يعني أبدا وجود التعميثة  
الإعلامية أو الأثر الإعلامي لهذه الوسائل ، فقد توجد مثل هذه الوسائل بالفعل  
وجودا ماديا ، ولكن هذا الوجود المادي لا يعني بحال الوجود المعنوي  
ذا التأثير الإعلامي لهذه الوسائل .

وإذا سلمنا بأن هناك وسيلة إعلامية قد توفر لها الوجود المادي والمعنوي ،  
فان ذلك لا يعني بحال من الأحوال التعميثة الإعلامية كظاهرة مثل تلك التي حدثت  
في الحروب الصليبية مرتين .

ولنني وإن كنت قد تتبعت الأثر الإعلامي لكل وسيلة من الوسائل الإعلامية  
على حده ، فلم أكن أقصد بهذا التتبع غير إبراز الأثر الإعلامي الذي أحدثته هذه  
الوسيلة أو تلك في الرأي العام الإسلامي أو النصراني من خلال الهيكل العام  
للتعميثة الإعلامية الشاملة .

ولقد دفعني إلى البحث في هذا الموضوع أكثر من دافع :

الأول : المكانة الخطيرة التي يحتلها الإعلام في عصرنا الحاضر، والأثر الفعّال الذي يحدثه في الرأي العام العالمي سلما وحرما بما استحدثه من وسائل إعلامية متعددة بلغت درجة من التطور تجعل أي تقليد من شأنها كارثة.

الثاني : التأكيد الإعلامي المتواصل الدؤوب على أن هذه الأمة الإسلامية لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها، وذلك بالدعوة إلى الله على بصيرة لإعلاء كلمة الله في الأرض.

الثالث : ضراوة الصراع المتمثلة في التعبئة الإعلامية التي تشنها وسائل الإعلام الصهيونية والعليبية على الأمة الإسلامية بقصد تفتيت الرأي العام الإسلامي وتمزيقه حتى يسهل على هؤلاء تجريد المسلم من عقيدته، ومن ثم الإجهاز عليه.

الرابع : إحباط الشعارات الزائفة المرصدة التي أيقظتها أخيرا بعض وسائل الإعلام المعادية للإسلام والمسلمين مركزة على شعار " فصل الدين عن الدولة " حيث يقول موقظوه : " من أراد الإسلام فله المسجد ، ومن أراد الدولة فله المؤسسات السياسية " ، وكان أول من اعتبروه من السياسة " الجهاد " . ولقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن جهاد المسلمين في الحروب العليبية - وهو جهاد لا شك عقدي - ما قام إلا بالدعوة ، وما انتصر إلا بالآية الكريمة ، والحديث النبوي الشريف ، والقذوة الحسنة . كل ذلك في تعبئة إعلامية إسلامية كاملة بلغت قمتهما باسترداد بيت المقدس من أيدي غاصبيه .

وعندما وفقني الله لاختبار هذا البحث كنت أتوقع الكثير من الصعوبات، نظرا لأن علماء المسلمين من القدماء قد تناولوا العديد من جوانب الإسلام المختلفة

التي ملأوا بها بطون الكتب مثل : الجانب الديني ، والسياسي ، والاجتماعي ، والاقتصادي ، والإداري ، والعلمي ، والثقافي ، والحربي . إلى غير ذلك من الجوانب الإسلامية التي أشبهوها بحثا ودراسة واستيعابا .

بيد أن هؤلاء العلماء الأجلة لم يوجهوا مثل هذه العناية إلى جانب إسلامي يعتبر بحق - في نظر الإسلام - من أهم جوانبه ، وأغنى به جانب الإعلام في الإسلام أو الاتمال بالناس\* ومن المصوبات التي واجهتني كذلك تلك التي تختص بموضوع البحث ذاته نظرا لندرة المصادر العربية التي تشير إلى هذا الجانب الإعلامي ومدى تأثيره في الرأي العام الإسلامي أو الرأي العام النصراني أو هما معا ، حيث كان لهذا الجانب الإعلامي أكبر الأثر في نتائج تلك الحروب في الهزيمة والنصر ، وإذا أشارت تلك المصادر إلى بعض ملامح هذا الجانب ، فإنها تشير إليها إشارات عابرة لا تعنى من ورائها إلا مجرد السرد التاريخي الذي لا يعطى الباحث أو القارئ صورة واضحة المعالم عن ذلك الجانب الإعلامي في تلك الفترة المعيرة في حياة المسلمين . بالرغم من أن بعض تلك المصادر قد ذكرت عدة عبارات تؤكد أهمية هذا الجانب على لسان قائد هذه التمهئة الإعلامية صلاح الدين الأيوبي الذي ذكرت المصادر عنه أنه قال : " لا تظنوا أنني ملكست البلاد بسيوفكم ، بل بقلم القاضي الفاضل " ( ١ ) .

وعندما طلب بعض المقربين من صلاح الدين أخذ يأمع الصليبيين من أسواق ومناج قال لهم : " نحن نجربهم على ظاهر الأمان ، ونخربهم بذكر محاسن الإيمان<sup>(٢)</sup> وزاد هذا المعنى توضيحا فقال :

" نحن نجربهم على ظاهر الأمان ، ولا نتركهم يرمون أهل الإيمان بنكس

الإيمان ، بل يتحدثون بما أفضناه من الإحسان " ( ٣ ) .

( ١ ) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ٢٤ .

( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ١١٥ .

( ٣ ) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ١٣٥ .

ولقد قسّمت هذا البحث إلى ثلاثة أبواب وتمهيد تناولت فيه مبحثاً  
في " مصطلحات الدعوة والدعاية والاعلام والرأى العام " نظراً لأهمية هذه  
المصطلحات بالنسبة للبحث، ولكونه يدور حولها من حيث حقيقتها، وتكوينها،  
ومجالها، ووظيفتها، وبعض صور منها قد يما وحدتها، موضعاً أوجه الاختلاف  
والاتفاق بين هذه المصطلحات، مبينا وجهة النظر الإسلامية في هذا كله  
مستشهداً في كل ذلك بالآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة.

كما خصصت الباب الأول للحدث عن " التعبئة الإعلامية وأثرها في التصعيد  
للحروب العليبية " وقسمته إلى ثلاثة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن حقيقة  
الحروب العليبية والعليبين والدواع الحقيقية التي دفعتهم إلى شن هذه  
الحملات على العالم الإسلامي، ثم اختتمت هذا الفصل بتغطية تاريخية موجزة  
لهذه الحملات، مع التأكيد على الجوانب الإعلامية التي كان لها تأثير بارز في الرأى  
العام على كلا الجانبين.

وتحدثت في الفصل الثاني عن " الدعاية للحملة من قبل العليبيين " مبيناً  
الأثر الاعلامي الذي أحدثته الكنيسة الأوروبية بزعامة " البابا أوربان الثاني " فسحق  
الرأى العام النصراني حتى استجاب لهذه الدعاية وقام بحملته العسكرية الأولى  
على العالم الإسلامي.

كذلك تحدثت في هذا الفصل عن " حملات العامة التي تزعمها " بطرس الناسك "  
وغيره من أجل الدعاية لهذه الحملة، موضعاً الأثر الاعلامي الخطير لتلك الدعاية  
الشعبية التي أخذت تسرى في عروق الرأى العام النصراني، وتحوله إلى قوة  
إيجابية تنشد الغزو والتوسع والانتشار.

وتحدثت في الفصل الثالث عن " وسائل الدعاية التي استفلها العليبيون في

حربهم ضد المسلمين" موضحاً أثر هذه الوسائل في استكمال التعبئة الإعلامية الصليبية ضد العالم الإسلامي، كاتخاذهم "الصليب" رمزا إعلاميا لستر أطماعهم الحقيقية، ورفع الشعار الصليبي القائل بإنقاذ "بيت المقدس" من أيدي المسلمين بدعوى توفير الأمن للحجاج الصليبيين، وانتشار الشائعة التي تقول بظهور "المسيح" في بيت المقدس على رأس ألف من التاريخ الميلادي، وغير ذلك من الشائعات والشعارات الادعائية والرموز الإعلامية.

أما الباب الثاني فجعلته عن "التعبئة الإعلامية في الجبهة الإسلامية" وقسمته إلى ثلاثة فصول، تحدثت في الفصل الأول عن تعرق الرأي العام الإسلامي نتيجة لما ساد الأمة الإسلامية من خلافات، وبينت الأثر الإعلامي السلبي الذي أصاب الرأي العام الإسلامي من جراء ذلك، والذي كان له أكبر الأثر في تغليب الحطية الصليبية الأولى على القوى الإسلامية المتطاحنة، وركزت على المظاهر الصليبية التي ظهرت آنذاك في الرأي العام الإسلامي نتيجة لهذه الخلافات التي عميت قيادته، وذكرت بعض صور هذه الخلافات ذات الأثر السلبي على الرأي العام في ذلك الوقت.

وتحدثت في الفصل الثاني عن "الركائز الإسلامية التي اعتمد عليها المسلمون في تعبئتهم الإعلامية ضد الصليبيين" مبينا المرحلة التي سبقت الاعتماد على هذه الركائز الإسلامية، وهي مرحلة انعدام الرؤية التي تمثل عدم الوضوح في الاعتماد على تلك الركائز الثابتة، وكان من أبرز ظواهر هذه المرحلة ظاهرة التصوف والزهد هربا من المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين، حيث احترفت جماعة من الناس حياة الزهد والتصوف والانقطاع عن الناس رفضا للحياة وما فيها، ومع انتشار هذا المفهوم الخاطيء للدين الحنيف ازداد عدد هؤلاء المتصوفة المنقطعين عن حياة الجهاد وحرب الأعداء، أما الظاهرة الثانية فكانت ظاهرة ترك الجهاد



والاستعاضة عنه بالاعتكاف في المساجد للعبادة وتلاوة القرآن الكريم دفعا  
للخطر الخليبي واعتقاداً منهم بأن هذا يقربهم من الله زلفى ، ويغنيهم في نفس  
الوقت عن متاعب الكفاح ومشاق القتال .

ثم تدرجت من هذه المرحلة إلى المرحلة التالية ، وهي مرحلة " بداية وضوح  
الرؤية والانطلاق من الركائز الإسلامية في عهد " عماد الدين زنكى " و " نور الدين  
محمود بن زنكى " وبينت كيف أن فترة عماد الدين زنكى كانت فترة جهاد متواصل  
لكسر شوكة الخليبيين ، وزعزعة مكانتهم من نفوس المسلمين .

أما " نور الدين محمود " فقد تحقق في عهده المزيد من الانتصارات العسكرية  
المتتالية على الخليبيين . بعد أن تحقق على يديه ما هو أهم من ذلك وأخطر  
وأغنى به استداده من منابع الإسلام الأصيلة في القرآن والسنة الأرضية المناسبة  
التي يقف عليها المجاهد ، وتمكنه من أداء واجبه في أحسن الظروف وأكثرها قدرة  
على شحن طاقاته .

وأنهت هذا الفصل بالمرحلة النهائية من هذه المراحل وهي " مرحلة  
الوضوح الكامل للاعتماد على الركائز الإسلامية في التعبئة الإعلامية في عهد  
صلاح الدين " ، حيث تحدثت عن تلك الركائز التي بلغ الاعتماد عليها قمته في عهد  
صلاح الدين ، وكان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة على رأس هذه الركائز  
بطبيعة الحال ، ثم جاء بعد ذلك المسجد والعودة برسالته إلى ما كانت عليه  
في صدر الإسلام ، ثم تلاءم موسم الحج واستغلاله من قبل صلاح الدين في الدعوة  
إلى الجهاد ضد الخليبيين .

وتحدثت في الفصل الثالث عن " الوسائل الإعلامية التي استغلها المسلمون  
في تعبئتهم الإعلامية ضد الخليبيين " حيث تناولت في الجزء الأول منه " الوسائل  
الإعلامية في الجبهة الإسلامية قبيل صلاح الدين " ، وقد تركزت هذه الوسائل

في إنشاء المدارس، وتبادل الرسائل بين الزعماء والقادة، الأمر الذي ساهم بشكل فعال في الوقوف على أهم الأخبار وآخرها، ومعرفة أفضل الآراء التي تهتم المسلمون، وتعجل بنصرهم، وكان الشعر من الوسائل الإعلامية التي تصدرت التعبئة الإعلامية منذ بدايتها حيث شارك الأمة في هزائمها وانتصاراتها، وجاء سقوط بيت المقدس ليكون البداية التي حركت أوتار الشعراء، وأحرقت قلوبهم تعبيرا عما يجيش في صدور الأمة، وقد أوردت بعض القصائد التي تعبر عن ذلك في عدة مناسبات، أما الجزء الثاني، فقد تناولت فيه "الوسائل الإعلامية التي استغلها صلاح الدين في تعبئته الإعلامية الكاملة ضد الصليبيين" وقد ركزت في هذا الجزء على التوسع في إنشاء المدارس لنشر عقيدة الجهاد وبعثها بين المسلمين، وكذلك مشاركة العلماء والأئمة بأنفسهم في الممارك حتى يصبحوا قوة إعلامية كبرى بين المجاهدين، وتحدثت عن تأليف الكتب التي تحث المسلمين على الجهاد والغرورية، وبينت كيف تواءم الشعر في خصائصه وموضوعاته مع مرحلة التعبئة ضد الصليبيين، وكذلك مواصلة الرسائل القيام بوظيفتها في نقل الأخبار وتبادلها بين زعماء المسلمين وقادتهم.

وأما الباب الثالث فقد تناولت فيه "الرأي العام الإسلامي في مرحلة التعبئة الإعلامية الكاملة" وتحدثت في الفصل الأول عن "توحيد الرأي العام الإسلامي على يد صلاح الدين الأيوبي" حيث ركزت فيه على القدوة الحسنة، وكيف أنها تعتبر من أقوى الوسائل الإعلامية التي يحتاج إليها الدعوة، ثم تحدثت عن الإصلاح العقدي الذي قام به صلاح الدين الأيوبي، فقضى على الإلحاد ونسف قواعد الزندقة، كما قضى على غلاة الشيعة ودعاة الاسماعيلية، وطهر العقيدة من رجسهم، واستكمالا لذلك تحدثت عن إنشاء المكتبات والمدارس لتدريس الدين على مذهب أهل السنة والجماعة، أما الإصلاح الاجتماعي الذي أجراه صلاح الدين

فقد تحدث فيه عن القضاة على مظاهر الخلاعة والمجون في عهد الفاطميين وخاصة في المواسم والأعياد ، والقضاة على بدء المواسم كبدء يوم عاشوراء ، وأنهيت الحديث في ذلك عن القضاة على العديد من الفرائب التي فرضت ظلما وعدوانا على مصر والشام وحجاج بيت الله الحرام ، وتحدثت في الفصل الثاني عن " معركة حطين مفتاح القدس عسكريا وعلاميا " مبتدئا ذلك بتصوير عام للمعركة ، ثم بينت نتائجها العسكرية والاعلامية على كلا الجانبين ، وأثرها في استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين .

أما الفصل الثالث فقد تناولت فيه " مواقف صلاح الدين الإسلامية وأثرها الإعلامي في الرأي العام الأوربي " حيث تحدثت عن شفقة صلاح الدين ورحمته التي تجلت في استجابته الانسانية لما عانى منه المسنون الضعفاء من الصليبيين ، ورحمته بالنساء والأطفال منهم . وتحدثت عن عدل صلاح الدين واحسانه حين أذن لرجال الدين النصارى بحمل ماشاءوا من متاعهم وأموالهم ، وإعفائه من الغدبة لأعداد غفيرة من الصليبيين غير القادرين على دفعها ، ثم توجت ذلك كله بالحديث عن الآثار الإعلامية لمواقف صلاح الدين الإسلامية في الرأي العام الأوربي ، حيث استطاع أن يجنى ثمرة تعبته الإعلامية في مجال الدعوة الإسلامية عن طريق إيقاف الرأي العام النصراني على حقيقة الإسلام ، الأمر الذي دفع العديد منهم إلى اعتناق الدين الإسلامي عن اقتناع تام ، وبيّنت كيف أثر كل ذلك على أوروبا النصرانية بإحجامها عن المشاركة في الحملات الصليبية التي شنت على العالم الإسلامي بعد ذلك ، والتي لم يكن لها أن تتم لولا الإغراءات المادية والمعنوية العديدة التي وعدت بها الكنيسة كل مشترك في تلك الحملات.

. . . . .

لقد اعتدت في إعداد هذه الرسالة على العديد من المصادر والمراجع، وسوف أتناول أهم المصادر التي اعتدت عليها، وكذلك بعض المراجع.

ولقد جاء في مقدمة هذه المصادر كتاب "الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية" للمؤرخ شهاب الدين أبي محمد عبد الرحمن بن اسماعيل المعروف بأبي شامة (ت ٥٦٦هـ) نظراً لأن هذا المصدر يعتبر تأريخاً دقيقاً لتلك الفترة من تاريخ الحروب الصليبية وخاصة في ذكر التواريخ والأحداث، مع شيء من الإسهاب المفيد الذي يعطى للباحث حرية أكبر في الاختيار، وتظهر بوضوح أهمية هذا المصدر في إبراز الكثير من القواعد الشعرية التي قيلت في تلك الفترة وكذلك العديد من الرسائل الكاطبة التي أنشأها أمراء البيهان في ذلك العصر وجعلوا منها سجلاً دقيقاً لأحداث عصرهم.

وبأتى بعد هذا الكتاب في الأهمية كتاب "الفتح القسي في الفتح القدسي" للمصنف الكاتب الأصفهاني، وقد اهتم هذا المصدر القيم بالفترة الزمنية التي صاحبت استرداد بيت المقدس من الصليبيين، وما أعقب ذلك من انتصارات على يدي صلاح الدين، كذلك اهتم بالوصف الدقيق لتلك الأحداث، وقام بحشد أعداد هائلة من الرسائل التي تناولت بالتفصيل كل ما يتعلق بهذه الأحداث المصيرية بالنسبة للأمة الإسلامية، وإن كان أسلوب السجع الذي اعتده المؤلف من أول الكتاب إلى آخره قد أوجد بعض الصعوبات في استخلاص الحقائق التاريخية، إلا أن ذلك لا يقلل من أهميته التاريخية، ولقد اعتدت أيضاً على العديد من كتب التاريخ لكني أستخلص منها الجوانب الإعلامية التي شاركت في تكوين التعبئة الإعلامية على كل من الجانبين الإسلامي والنصراني.

ومن هذه الكتب : "الكامل في التاريخ" لابن الأثير (ت ٥٦٣٠هـ) ، و"البدایة  
والنهاية" لابن كثير (ت ٥٧٧٤هـ) ، و"النجوم الزاهرة" لابن تغرى بـردى  
(ت ٥٨٧٤هـ) .

وقد اعتدت كثيرا على كتب التراجم عند البحث عن ترجمة شخصية هامة حتى  
أثبتت من خلال هذه الترجمة موقفه من التعبئة الإعلامية الإسلامية الكاملة، ومن هذه  
الكتب أيضا كتاب "شذرات الذهب في أخبار من ذهب" لأبي الفلاح عبد الحق بن  
العماد (ت ١٠٨٩هـ) ، وكتاب "وفيات الأعيان" لمؤلفه شمس الدين أحمد بن  
خلكان (ت ٥٦٨١هـ) .

أما المراجع التي رجعت إليها فقد كان في مقدمتها كتاب "الحركة المليبية"  
للدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور، حيث اعتدت عليه في استخلاص بعض  
الآراء التي ترجمها المؤلف عن الكتاب النصارى، مما ساعدني على مناقشة هذه  
الآراء والرد عليها، ومن المراجع التي اعتدت عليها أيضا في التعبئة الإعلامية  
المليبية، ووسائل الدعاية عند المليبيين كتاب "الحرب المليبية الأولى" وكتاب  
"أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس" وكلاهما للدكتور حسن حبشي .

وأضافة الى المراجع التي تناولتها بالتعريف، فقد استفدت كثيرا من كتب  
الإعلام الإسلامي والدولي من حيث التعرف على أهم المصطلحات الإعلامية التي  
وردت في هذه الرسالة .

هذا ويسرني أن أسجل في هذه المقدمة جزيل شكري، وعظيم امتناني إلى  
الدكتور عبد الحلیم عویس الذی أشرف علی هذه الرسالة بكل أمانة العلماء ووفائهم،  
وبكل إخلاص الدعاة وصدقهم، والذي لم يدخر وسعا في النصح والإرشاد والتقويم،  
فجزاه الله عنى خير الجزاء وأثابه في الدنيا والآخرة أحسن الثواب.

كذلك لا يغوتنى أن أقدم خالص شكرى للقائمين على إدارة المعهد العالى  
للدعوة الإسلامية والمشرفين عليه الذين أتاحوا لى ولزملائى فرصة الدراسة  
والبحث ، وسهّلوا أماننا كل صعب .  
والله أسأل أن يوفقنا لما فيه خير ديننا ودينائنا ، وأن يجعل هذا العمل  
خالصا لوجهه تعالى ، إنه سميع مجيب .



قال تعالى :

" أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله  
ورضوان خير أم من أسس بنيانه  
على شفا جرف هار فانهار به في نار  
جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين "

( التوبة : ١٠٩ )



تمهيد

" بحث في مصطلحات الدعوة والدعاية والإعلام والرأى العام "

أولا : الدعوة :

- ١ - حقيقة الدعوة
- ٢ - مجال الدعوة
- ٣ - بعض صور الدعوة قديما وحديثا

ثانيا : الدعاية :

- ١ - حقيقة الدعاية
- ٢ - مجال الدعاية

ثالثا : الاعلام :

- ١ - حقيقة الإعلام
- ٢ - بعض صور الإعلام فى المجتمع الإسلامى قديما

رابعا : الرأى العام :

- ١ - تعريف الرأى العام
- ٢ - تكوين الرأى العام
- ٣ - وظيفة الرأى العام
- ٤ - أنواع الرأى العام من النواحي التالية :

- أ - النطاق
- ب - الاستمرار الزمنى
- ج - الظهور والعلانية

## أولا : الدعوة

### ١ - حقيقة الدعوة :

الدعوة فى الواقع هى وظيفة رسل الله جميعا ، حيث بعثهم الله سبحانه وتعالى لتبليغ رسالاته ، " رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما " ( ١ ) ، ومن ثم يتحقق قوله تعالى فى كتابه العزيز :

" من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزد وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا " ( ٢ ) .

تلك هى مهمة الرسل التى تكاد تنحصر أساسا فى إبلاغ الرسالة وحمل أمثاتها ، قال تعالى :

" يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا " ( ٣ ) .

وقال تعالى :

" فهل على الرسل إلا البلاغ المبين " ( ٤ ) .

وقال تعالى :

" وما على الرسول إلا البلاغ المبين " ( ٥ ) .

---

( ١ ) النساء : آية ١٦٥ .

( ٢ ) الإسراء : ١٥ .

( ٣ ) الأحزاب : ٤٥ .

( ٤ ) النحل : ٣٥ .

( ٥ ) النور : ٥٤ .

ومن أجل تحقيق تلك المهمة - وهي مهمة الإبلاغ - بعث الله رسوله إلى الناس ليدعوهم إلى الإيمان بالله وإفراده بالعبادة .

ويقصد بالدعوة ، هنا من حيث الموضوع دين الإسلام فهو الأصل الأول من حيث عقائده وشرائعه وسننه ، ثم هناك وسائل التبليغ وطرق الاتصال بالناس وأساليب مخاطبتهم ، وهي تتعدد تعددا كبيرا نظراً لأن الإسلام غير مقصور على العرب وحدهم (١) ، قال تعالى : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (٢) .

والدعوة تقتضى من الداعي نشاطاً فعلياً وقولياً ، وأهل العلم من المسلمين مطالبون بالدعوة إلى دين الله ، وإرشاد الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدنيا والآخرة .

والدعوة رسالة أو نداء . وهذه الرسالة أو هذا النداء لابد لها من مدعو محدد الذات والمكان حتى تتم الصفة الموجهة للدعوة ومعرفة المدعو ضرورة من أجل نجاح الرسالة والوصول بها إلى الغاية التي يسعى صاحب الدعوة إلى تحقيقها على الوجه الأكمل والأتمثل . والدعوة إذا تمت بهيئة شخص وآخر أو بين عدد قليل من الناس وجها لوجه فهي اتصال شخصي طبعي مباشر .

وقد تتم الدعوة بشكل جمعي ، كالخطابة في المسجد مثلاً أو في مكان عام ، وهي صورة للدعوة بطريقة مباشرة (٣) .

والدعوة ملزمة للداعي أي أنها تضع على طائفة التزاما تجاه من يقسمون بتوجيه الدعوة إليهم وهذا يحتم عليه أن يكون واثقا من مضمون دعوته التي يجب أن تكون راسخة في عقله ثابتة في فكره لتنزل منه منزلة العقيدة . وعندما تصل الدعوة من الداعي إلى هذه المنزلة فإنها بلاشك سوف تفيض منه إلى غيره صادرة عن عقيدة لا تتزحزح، وقلب لا يميل .

(١) د . ابراهيم إمام : الإعلام الإسلامي (المرحلة الشفهية) ص ٢٩ - مكتبة الأنجلو

المصرية - القاهرة (١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م) .

(٢) سبأ : آية ٢٨ .

(٣) د . ابراهيم إمام : المرجع السابق ص ٢٩ - ٣٠٤ .

وهذا الالتزام من صاحب الدعوة تجاه دعوته ومن يدعوههم إليها يستدعي أن تطابق أفعاله أقواله بحيث يصبح قدوة حسنة لمن يدعوههم في القول والفعل ، لأن الدعوة من شأنها أن يستجاب لها ، وهذه الاستجابة من جانبها هي التي تحدد خطوات الداعي الواجب عليه اتباعها في المستقبل وهو ما يطلق عليه الإعلاميون اصطلاح " رجوع العدى " والدعوة تقوم أساسا على الاتصال الذي يمكن تقسيمه إلى نوعين رئيسيين من أشكال الاتصال هما :

الاتصال الطبيعي المباشر ، والاتصال الصناعي غير المباشر ، ويمكن تقسيم الدعوة عن طريق الاتصال الطبيعي المباشر إلى ثلاثة أنواع هي :

الاتصال الذاتي ، والاتصال الشخصي ، والاتصال الجمعي .

أما الاتصال الذاتي ، فالدعوة عن طريقه تكون خاصة بالإنسان ذاته صاحب الدعوة فهو الداعي والمدعو في ذات الوقت . ومعنى ذلك أن الرسالة أو الدعوة في هذه الحالة تصبح منه وإليه ، فهو المرسل والمرسل إليه في آن واحد .

واتصال الانسان مع نفسه بقصد دعوتها إلى اتباع الخير واجتناب الشر هو ذاته ما أسماه الحق سبحانه بالنفس اللوامة في قوله تعالى :

" لا أقسم بيوم القيامة ، ولا أقسم بالنفس اللوامة " ( ١ ) .

وهنا يقع الصراع مريراً بين تلك النفس اللوامة وبين النفس الأمارة بالسوء ، ويقدر ما يكون الإنسان راسخ العقيدة صادق الإيمان بدعوتيه بقدر ما يكون انتصار النفس اللوامة على النفس الأمارة بالسوء .

والصراع أزلى بين الخير والشر ، وهو بذلك يصبح المجال الخصب للوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس مرغبا في جانب الشر محببا جانب الأمر بالسوء .

لهذا بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين ، وكلما تسك الإنسان

---

( ١ ) القيامة : آية ١ ، ٢ .

بعبادته وفرائض دينه كانت الغلبة فيه للنفس اللوامة على النفس  
الأمارة بالسوء في داخله .

وعلى ذلك يصبح من الأهمية بمكان أن يقف الداعية على معالم  
النفس البشرية والقوى الموجهة للإنسان ، وأن يعرف شيئاً من كيفية  
الوقوف على مكونات هذه النفس والسيطرة عليها ، ومن ثم تغيير سارها ،  
وهنا تكمن خطورة الإعلام والثقافة على توجيه الناس .

أما الدعوة عن طريق الاتصال ، فإنها تقتضى - فى الواقع - قدرة  
على ممارسة هذا النوع من الاتصال ، وهذه القدرة تعتبر شرطاً لنجاح  
الدعوة واستقطاب المؤمنين بها .

والمهم فى هذا النوع من أنواع الاتصال هو مدى ثقة المدعوين  
فى مصدر الدعوة ، لأن هذه الثقة هى الأساس التى يبنى عليه المدعوون  
تصديقهم للدعوة أو عدم تصديقهم لها .

## ٢ - مجال الدعوة :

يعتبر الاتصال الشخصى المباشر أول خطوة من خطوات العمل  
فى مجال الدعوة التى يجب ألا تفرق بين طبقة من الناس وأخرى ، ومما  
يؤكد ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان فى نشر الدعوة لا يفرق  
بين الأثنياء والفقراء ، ولا بين السادة والعبيد ، وقد حدث ذات مرة  
أن اجتمع النبى صلى الله عليه وسلم ببعض السادة يفرهم بالدخول فى  
الإسلام ويشرح لهم مزايا الدين الجديد ، ثم حدث فى تلك اللحظة  
التي كان فيها النبى صلى الله عليه وسلم مشغولاً بهذه المهمة العزيزة  
عنده أن دخل عليه رجل أعمى من عامة الناس هو ( عبد الله بن أم مكتوم )  
يستزده من أمور الدعوة ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم آثر  
الاستمرار فى دعوة هؤلاء السادة الكافرين على ( ابن أم مكتوم ) المؤمن  
الموثوق فى دينه حتى يفرغ من دعوة هؤلاء القوم ، وفى هذا الموقف من  
مواقف الرسول صلى الله عليه وسلم نزلت سورة من سور القرآن الكريم يعاتب  
الله فيها رسوله عتاباً كبيراً على إبطائه الكافرين على هذا الأعمى نظراً للهدف

على دعوة أولئك السادة الكفار ، وفي ذلك يقول الله تعالى في كتابه العزيز :

" حسبي وتولي . أن جاءه الأعمى . وما يدريك لعله يزكى . أو يذكر فتنعه الذكرى . أما من استغنى . فأنت له تصدى . وما عليك ألا يزكى . وأما من جاءك يسعى . وهو يخشى . فأنت عنه تلهي " ( ١ ) .

والاتصال الشخصي يبدأ بين فرد وآخر ، وبين هذين الفردين قد تنشأ الدعوة ، ومن ثم تبدأ بذورها في النماء والانتشار .

وهذا النوع من أنواع الاتصال يتحقق عادة في الجماعات الأولية التي تتمثل في الأسرة ، وجماعات العمل الصغيرة التي يجري فيها الاتصال على نمط أساسه المواجهة والاحتكاك المباشر وجها لوجه .

وتعتبر الأسرة مجالاً خصياً من مجالات هذه الوسيلة من وسائل الاتصال المختلفة ، والدعوة في مجال الأسرة واجب إسلامي ومسئولية كبرى .

قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا " ( ٢ ) .

قال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه : يا رسول الله نقى أنفسنا ، فكيف لنا بأهلينا ، قال : تنهونهم عما نهاكم الله تعالى عنه وتأمرونهم بما أمركم الله به ، فتكون ذلك وقاية بينهم وبين النار (٣) .

وأما الدعوة عن طريق الاتصال الجمعي فتعتبر أهم ما تميز به الدين الإسلامي ، لأن الشورى بين الحاكم والرعية واجبة في الإسلام لقوله تعالى : " وشاورهم في الأمر " ( ٤ ) ، وتعتبر الشورى ملزمة للحاكم لكي تحدث المشاركة في الأمر بين الجمهور وأهل الشورى والإمام الحاكم

( ١ ) حس : آية من ١ : ١٠ .

( ٢ ) التحريم : آية ٦ .

( ٣ ) د . إبراهيم امام : الإعلام الإسلامي ( المرحلة الشفهية ) ص ٣٣ .

( ٤ ) آل عمران : آية ١٥٩ .

في المسئولية ، وهذه المشاركة تجعل الاتصال الجمعي أساساً من أسس الدعوة في الإسلام ( ١ ) وصلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بخمسة وعشرين جزءاً . . . جاء في صحيح مسلم :

" حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة الجماعة أفضل من صلاة أحدكم وحده بخمسة وعشرين جزءاً " ( ٢ ) .

وتعتبر خطبة الجمعة من أقوى وسائل الاتصال الجمعي ، وبأمر الدين بالاستماع إليها في خشوع وتندبها كاطمين . وأخيراً نأتى إلى التجمع الأضخم والمؤتمر الأعظم ، وأعني به يوم الحج الأكبر ، وفيه يلتقي المسلمون من مشارق الأرض ومغاربها مستجيبين لنداء الله مهاجرين بقلوبهم متجردين لعبادة الله ، وذلك بالطريقة التي حددها لهم لا يحيدون عنها قيد شعرة .

والحج يعتبر من أكبر وسائل الدعوة الإسلامية حيث أنه مقرون بكثير من المظاهر الإعلامية والأشكال الدعائية التي صحبت أداؤه هذه الفريضة من أولها إلى آخرها ( ٣ ) .

ومن الجهود الجبارة التي قام بها الدعاة المسلمون من أجل نشر الدعوة الإسلامية بين الناس عن طريق الاتصال الجمعي يقول ( سـ توماس و. أرنولد ) :

" ويرجع انتشار هذا الدين - يعني الدين الإسلامي - في تلك الرقعة الفسيحة من الأرض إلى أسباب شتى : إجتماعية وسياسية ودينية .

- 
- ( ١ ) د . ابراهيم إمام : الإعلام الإسلامي (المرحلة الشفهية ) ص ٣٥ .
  - ( ٢ ) الإمام مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ، المجلد الثالث ج ٥ ص ١٥١ ط ٢ ، ط ١٣٩٢ هـ ( دار الفكر - بيروت ) .
  - ( ٣ ) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ص ٨٧ ، ط ٢ عام ١٩٧٨ م ( دار الفكر العربي - القاهرة ) .

على أن هناك عاملاً من أقوى العوامل الفعالة التي أدت إلى هذه النتيجة العظيمة ، ذلك العامل هو الأعمال المطردة التي قام بها دعاة من المسلمين وقفوا حياتهم على الدعوة إلى الإسلام ، متخذين من هدى الرسول مثلاً أعلى وقدوة صالحة \* (١) .

وحيثما يتناول القرآن الكريم الدعوة في آياته فإنه يأمر بالدعوة والإقناع وينهى عن القهر والإكراه .

ويستطيع المتتبع لآيات الله الكريمة التي تناولت الأمر بالدعوة والإقناع ونهت عن القهر والإكراه أن يقف على بعض الصفات التي يجب أن يتحلى بها الداعي لتثمر دعوته وتبلغ غايتها .

وسا بلغت النظر في ذلك أن هذه التعاليم وتلك الصفات لا تقتصر على الآيات المكية حيث كان المسلمون لا يملكون أية قوة مادية تحميهم من المشركين وتدفع عنهم الأذى والاضطهاد ، لكن هذه الآيات شملت أيضاً الآيات المدنية التي نزلت على محمد صلى الله عليه وسلم وقد أصبح على رأس جيش كبير ودولة ذات سيادة وقيادة .

ومن الآيات المكية التي نزلت في ذلك قوله تعالى :

" ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن " (٢) ، معنى ذلك أن تكون الحكمة والموعظة الحسنة والأخذ بالرد والإقناع والاعتناع شرطاً من شروط الدعوة الى الله .

وهناك صفات أخرى يضيفها الحق سبحانه في كثير من الآيات الكريمة ، وعلى الداعية أن يتحلى بهذه الصفات التي منها : الثبات على العقيدة ، فلا يتبع أهواء المشركين والنافقين ومن في قلوبهم مرض .

---

(١) سر توماس . و . أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧ - ترجمة حسن إبراهيم حسن وغيره ، ( مكتبة النهضة المصرية ) ١٩٧٠م .  
(٢) النحل : آية ١٢٥ .



وعلى الداعية أيضا أن يتحلى بالشجاعة في الحق ، فيعلن إيمانه  
على الملأ ، وأن يحكم بين الناس بالعدل فلا يجور ولا يظلم .

قال تعالى :

" فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل  
الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم  
لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير" ( ١ ) .

وما نزل في ذلك على رسول الله والمسلمون بالمدينة في أوج قوتهم  
قوله تعالى :

" فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين  
أوتوا الكتاب والأمة من أسلمتم فإن أسلموا فقد اهتدوا وإن تولوا فإنما  
عليك البلاغ والله بصير بالعباد" ( ٢ ) .

وقال تعالى :

" ولتكن منكم أمة يدهون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن  
المنكر وأولئك هم المفلحون" ( ٣ )

" لكل أمة جعلنا منسكا هم ناسكوه فلا ينازكك في الأمر وادع إلى  
ربك إنك لعلى هدى مستقيم . وإن جادلوك فقل الله أعلم بما  
تعلمون" ( ٤ ) .

لذلك يقول ( سير توماس . و . أرنولد ) :

" وهكذا كان الاسلام منذ بدأ ظهوره دين دعوة ، من الناحية  
النظرية والناحية التطبيقية ، وقد كانت حياة محمد تمثل هذه التعاليم  
ذاتها ، وكان النبي نفسه يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعوة

- 
- ( ١ ) الشورى : آية ١٥ .  
( ٢ ) آل عمران : آية ٢٠ .  
( ٣ ) آل عمران : آية ١٠٤ .  
( ٤ ) الحج : آية ٦٧ ، ٦٨ .

المسلمين الذين وفقوا الى إيجاد سبيل إلى قلوب الكفار " (١) . ولقد جاء القرآن الكريم مشدداً في الحزم على هذه الطرق السلمية في أكثر من آية ، مؤكداً على ضرورة اتباع تلك التعاليم في حزم ، والتحلي بصفات الدعاة والمصلحين .

قال تعالى :

" واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً وذرني والمكذابين  
أولى النعمة ومهلهم قليلاً " (٢) .

وقال تعالى :

" فإن تولوا فإننا عليكم البلاغ المبين " (٣) .

وقال تعالى :

" ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا  
منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلينا وإلهم واحد ونحن له  
سلمون " (٤) .

وقال تعالى :

" ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكفر الناس  
حتى يكونوا مؤمنين " (٥) .

هذه الآيات التي نزلت لتضع للمسلمين أصول الدعوة ، وتحدد  
للداعية المبادئ والأسس التي تصل به إلى النجاح في دعوته لم تقتصر  
على السور المكية والسلمون مستضعفون فحسب ، وإنما نزلت أيضاً وبكثرة

---

(١) سير توماس . وأرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٢٨ .

(٢) الزمّل : آية ١٠ ، ١١ .

(٣) النحل : آية ٨٢ .

(٤) العنكبوت : آية ٨٦ .

(٥) يونس : آية ٩٩ .

في السور المدنية والمسلمون قادرون على حماية الدعوة من أعدائها  
المتربصين بها ، بل وعلى إنزال الهزيمة بهؤلاء جميعا من مشركين ومنافقين .  
ومن الآيات المدنية التي نزلت والمسلمون في أوج قوتهم بالمدينة قوله  
تعالى :

” لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي ” ( ١ ) .

وقوله تعالى :

” وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن توليتم فإننا على رسولنا البلاغ  
المبين ” ( ٢ ) .

وقوله تعالى :

” ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله  
يحب المحسنين ” ( ٣ ) .

ومن تلك الآيات التي ذكرنا يتبين لنا كيف تحقق هذا المثل الأعلى في  
تاريخ الدعوة ، وكيف كان أئمة المسلمين ودعاتهم يطبقون أصول الدعوة  
ومبادئها في حياتهم العملية على أنفسهم قبل أن يطلبوا تطبيقها على الآخرين .  
ولقد ظلت الدعوة تأخذ مسارها الطبيعي بعد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم ، وأثناء الخلفاء الراشدين بصفة طامة ، بحيث كانت الدعوة في تلك الفترة  
تشمل الدولة حكماً ومحكومين إلى أن انتقل الحكم بعد ذلك إلى بني أمية ،  
وهنا حدث تحول ظاهر في مسار الدعوة بالنسبة للحكام والمحكومين إلى الحد  
الذي أصبحت الدعوة فيه أقرب إلى الدعاية منها إلى الدعوة .

وهكذا تتضح لنا صورة الدعوة الإسلامية حين بلغت ذروتها ، واكتملت  
صورتها في إطار الحاكم والمحكوم ابتداءً من صاحب الدعوة محمد صلى الله عليه  
وسلم ، وانتهاءً بالخلفاء الراشدين ومن سار على نهجهم .

---

( ١ ) البقرة : آية ٢٥٦ .

( ٢ ) التغابن : آية ١٢ .

( ٣ ) الطائفة : آية ١٣ .

ولمزيد من إلقاء الضوء على ذلك أقول إن كل فرد صادق الإيمان من أفراد المسلمين كان يعتبر نفسه في تلك الفترة من تاريخ الدعوة داعياً بكل ما تلتزم به هذه الكلمة من مبادئ و صفات ، وتلك الفترة تعتبر - في حد ذاتها - مرحلة نادرة ولم تتكرر.

### ٣ - بعض صور الدعوة قد يماوحد بها :

بعد ذلك جاءت مرحلة الدعوات الإصلاحية على مستوى إمام يظهر داعياً إلى الله سبحانه وتعالى ، ولقد اخترت للتدليل على دعوات الأئمة المصلحين دعوتين هما :

- ١ - دعوة الإمام شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (١) .
- ٢ - دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٢) .

الدعوة الأولى : ظهرت في القرن السابع الهجري حين من الله سبحانه على هذه الأمة بشيخ الإسلام أحمد بن تيمية ، الذي أخذ على عاتقه هداية المسلمين إلى التوحيد الخالص ، والإيمان بصفات الله تعالى دون تأويل ولا تشبيه متبعاً في ذلك عقيدة السلف الصالح .

لقد رأى ابن تيمية أن معظم الأمة الإسلامية قد وقعت فريسة العقائد الباطلة ، وأعمال الشرك بضغط عوامل عديدة منها اختلاطهم بغير المسلمين ، وتأثير العجم ، وتهاون العلماء .

وقد أصبح الدين الخالص والتوحيد النقي وراء حجاب وحجاب ، ونشأ الغلو والإفراط في الاعتقاد في الأولياء والصالحين شأن اليهود والنصارى ، حتى بدأت عقيدة التوسط والتقرب بالأولياء ترسخ وينطبق

- 
- (١) ولد الشيخ أحمد بن تيمية بخران عام ٦٦١ هـ ، ونشأ منذ صغرة صواماً قواماً يقف عند حدود الله ويتبع أوامره .
  - (٢) واد الشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١١٥ هـ جاهد في سبيل ما اهتدى إليه من حقائق رأى فيها صلاح الأمة الإسلامية .

عليهم ما حكاه القرآن من قول مشركي العرب الأولين : " مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى " (١) ، واتخذت قبور الأنبياء والمالحين مساجد ، وتحقق الخطر الذي كان قد أذربه النبي صلى الله عليه وسلم وشدد النهي عنه (٢) .

وحين شغل الفكر الإسلامي بأفكار أثارها " المتصوفة " تتعلق بصلة الله سبحانه وتعالى بخلقه ، شنّ ابن تيمية على أصحاب هذه المذاهب حربا شعواء أقص بها مضاجعهم ، ونالوا منه عند السلطان والناس ، ونال منهم عند الناس ، ولقد ناقش أقوالهم مناقشة العارف لها الفاحص لدقائقها ، العارف لأسرارها (٣) .

وقد رأى " ابن تيمية " أن الرأي العام الإسلامي قد انشغل بهذه المذاهب دون أن يدرك معناها ، أو أن يقف على الغاية الخبيثة التي تسعى إلى تحقيقها بين المسلمين ، فأراد أن يصل إلى الرأي العام ، ويؤثر فيه بشتى الطرق والوسائل ، فلم يكتف بإبطال تلك المذاهب الضالة بما يقوم به من تأثير من طريق الدعوة بين الناس ، بل أخذ يفتح تلك المذاهب في نظر العامة الذين غزت هذه الأفكار نفوسهم وإن لم يفهموا معناها بما ينقله عن العلماء الذين لهم منازل خاصة عند العامة في مصر والشام ، والذين قالوا بهطلان تلك المذاهب وفسادها (٤) .

(١) الزمر : آية ٣ .

(٢) أبو الحسن علي الحسنى الندوى : الحافظ احمد بن تيمية ، ص ١٣ ، تعريب : سعيد الأعظمى الندوى - دار القلم ، الكويت ١٣٩٥ هـ / ١٩٧٥ م .

(٣) وكان الكتاب قد سبق تأليفه باللغة الأردية سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٧٦ م : محمود مهدي الاستانبولى : ابن تيمية " بطل الإصلاح الدينى " ص ٥٧ ط ٢ طام ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م - مكتبة دار المعرفة بدمشق .

(٤) المرجع السابق : ص ٦٣ .

وعد ما جاء ٣٠ التتار " بجموعهم إلى الشام عام ٧٠٢ هـ وساوروا دمشق وأرجف المرجفون ، وخرجت القلوب من جنوبها ، واستعدت الجيوش المصرية والشامية لملاقاتها ، وقد أخذ دعاة التردد والمهزيمة ينشرون الفزع في قلوب الناس ، تعاهد العلماء والقضاة والأمراء وتحالفوا على أن يلاقوا العدو ولا يفروا من دمشق ، وابن تيمية يعدهم بالنصر متأولاً قوله تعالى مؤنّاه : " ذلك ومن عاقب بحثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصره الله إن الله لعفو غفور " (١) . حتى أنه ليقول حالفاً بالله " إنكم لمنصورون " فيقول له بعض الأمراء قل إن شاء الله ، فيقول : أقولها تحقيقاً لاتعليقا (٢) .

وفي اليوم الثاني من رمضان اصطف الجيشان في ساحة " شقحب " (٣) ، وأفتى ابن تيمية بالفطرمدة قتالهم ، وأفطر هو أيضا ، وكان يدور على الأجناد والأمراء فيأكل من شئ معه ليعلمهم أن إفطارهم ليتقوا على القتال أفضل ، وكان يروى لهم قوله صلى الله عليه وسلم للمصاحبة في غزوة الفتح : " إنكم ملاقوا العدو والفطر أقوى لكم " ، ولقد أنزل الله أمره على المسلمين واستظفروا على التتار ، فلما جاء الليل لجأ التتار إلى اقتحام التلجول والجبال والآكام ، فأحاط بهم المسلمون ، وفي يوم الاثنين رابع رمضان عام ٧٠٢ هـ دخل ابن تيمية دمشق ففرح به الناس ، ودعوا له وهنئوه بما يسر الله على يديه من الخير (٤) .

وأما الدعوة الثانية : فقد ظهرت في القرن الثاني عشر الهجري حين ظهر إمام مصلح من كرام المصلحين هو الإمام الشيخ محمد بن هدا الوهاب الذي أنار الله بصيرته ، وهداه سبيله وألهمه التقوى ، فدعا أمته للرجوع إلى الله ، والعمل بكتابه وسنة رسوله ، بعد أن أطال النظر

- 
- (١) الحج : آية ٦٠ .
  - (٢) محمود مهدي الاستانبولي : ابن تيمية " بطل الاصلاح الديني " ، ص ٤٠ .
  - (٣) موقع بالقرب من دمشق ، عرفت به هذه الموقعة في التاريخ .
  - (٤) أبو الحسن علي الحسنى القدوى : الحافظ احمد بن تيمية : ص ٦١ .

في حالة مجتمعه وأمته ، فوجد أكثر الناس قد نبذوا أحكام دينهم ،  
وعبدوا الطاغوت ، وعظموا شأن القبور ، ولجأوا إلى الأولياء بسألونهم ،  
ويستعينون بهم دون الله تعالى .

جاهد الشيخ أول ما جاهد بالقلم والبيان ، فدرس وعلم ،  
وخطب ووعظ وكتب وحرر ، وألف الكتب وأملى الرسائل ، ونشرها  
في طول البلاد وعرضها ، داعياً إلى الله وإلى توحيده ، وإلى نيل  
الشرك ، ونبذ عبادة القبور ، وإلى طلب العلم ، متخذاً القول المأثور  
عن الإمام مالك : " لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها " شعاراً ،  
أى بالتمسك بالدين والاهتداء بهديه ، والاستفادة بنوره ، فهو  
الذي يسهل أمورها ، ويفتح لها مغلقات الأبواب (١) .

" ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تزيد عن كونها دعوة إلى  
الإسلام الصحيح الذي جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة فهي  
بهذا الإطار ليست بدءاً في كل حركات الإصلاح ، بل هي تلميذة  
ومتبعة لحركات الإصلاح السابقة ، كحركة الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-  
٢٤١ هـ) ، وحركة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١-٧٢٨ هـ) ،  
ومحمد بن قيس الجوزية (٦٩١-٧٥١ هـ) " (٢) .

وكما جاهد شيخ الإسلام أحمد بن تيمية " أهل العقل " من مفكري  
المسلمين وأنكر منهجهم من أساسه ، ونال منه ، وردّه على مبتدعيه ،  
وأبطل تأثيره بالأدلة النقلية والعقلية ، وانتهى إلى أنه لا سبيل إلى  
معرفة العقيدة والأحكام وكل ما يتصل بهما إجمالاً وتفصيلاً واعتقاداً ،

- 
- (١) أمين سعيد : سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مطابع نجد  
التجارية بالرياض ١٣٩٥ هـ .  
(٢) د . عبد الحليم عويس : أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر  
الإسلامي الإصلاحى بالجزائر ، ( مجلة كلية العلوم الاجتماعية ) ،  
العدد الخامس ١٤٠١ هـ .

واستدللا إلا من القرآن الكريم والسنة الصحيحة له والسير في سارها ،  
فما يقرره القرآن وما تشرحه السنة مقبول لا يصح رده ، وإنكاره خروج  
على الدين ، وليس للعقل سلطان في تأويل القرآن وتفسيره أو تخريبه  
إلا بالقدر الذي تؤدي إليه العبارات وما تضافرت عليه الأخبار ( ١ ) .

وطى هذا الأساس نفسه قام الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
يدعو المسلمين إلى أن يردوا كل ما يتعلق بالعقيدة إلى طبيعتها الأولى  
حسبما كانت عليه في أيام الصحابة والتابعين فلا يأخذونها إلا من  
معينها الأصلي ومنابعها الأولى أى من الكتاب والسنة .

وتتلخص الدعوة الإصلاحية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في نقطتين  
أساسيتين :

الأولى : تتركز في التوحيد الخالص من كل شائبة ، والثانية تتركز في  
مخاربة البدع التي تفتت في المسلمين آنذاك .

فأما التوحيد فيرى الشيخ أن الشريعة والحلال والحرام كل أولئك  
يؤخذ من منبع واحد هو كتاب الله وليس هناك مصدر آخر بعد ذلك  
إلا سنة الرسول الكريم ، وأما كلام المتكلمين والفقهاء في التحليل والتحريم  
فليس بحجة ما لم يكن مصدره كتاب الله وسنة رسوله .

ويرى الشيخ محمد بن عبد الوهاب في زيارة قبور الأولياء نوعا من  
الإشراك بالله ، وذهب إلى أن التوسل بهم مفسد لجوهر عقيدة التوحيد .  
ولم يقتصر الأمر على الأولياء بل امتد الخطر إلى الاعتقاد في  
الجماد أيضا .

ولقد اعتبر الشيخ كل ذلك نوعا من الشرك ولونامن ألوان الوثنية ،  
فدعا إلى عدم زيارة القبور إلا للمعظة والاعتبار لا للشفاة والخوسل .

---

( ١ ) د . مصطفى الشكعة : اسلام بلا مذاهب ص ٥٦١ ( دار النهضة العربية -  
بيروت ) ، ط ١٩٧٣ م .



وأما البدع فقد أطن الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليها حريبالا تعرف  
المهادنة ، ذلك لأنها انتشرت بين العامة والخاصة مثل التجمع فسي  
الموالد وخروج النساء وراء الجنائز ومهرجان المحمل وإقامة الأذكار  
التي يتغنى فيها من يدعون " الصوفية " ويرقصون على نغمات  
الأناشيد والمزامير .

وكما كان لدعوة الشيخ خصوم وقفوا في طريقها واستلوا حسامهم  
للقضاء عليها ، فقد جذبت لها أنصارا وتابعين خارج الجزيرة العربية  
نفسها حيث وقف كثير من حجاج الأقطار الإسلامية على طبيعة الدعوة  
واقطنعوا بها فعادوا إلى بلادهم داعين لها ومبشرين .

ويضيف الدكتور عبد الحلیم عويس إلى الإصلاح الذي تحقق على  
يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مجال العقيدة ومعاربة البدع ،  
المجالات الإصلاحية التالية :

- ١ - رفض الانحرافات التي أقعمت على الإسلام بتأثير جماعة (الصوفية)  
التي كانت من أقوى أسباب تخلف العالم الإسلامي .
- ٢ - إنكار زيارة القبور والبناء عليها أو اللجوء إلى الموتى - مهما كان  
قدرهم - في تحقيق أمر . . لأن هذا وثنية تدخل في باب الشرك  
بالله . أما زيارة القبور دون شد الرحال إلى مقبرة خاصة . .  
بهدف التذكر والاعتبار والدعاء للميت والترحم عليه فلا شيء فيه .
- ٣ - فتح باب الاجتهاد عند توافر وسائله - وعدم التعصب لمذهب  
معين ، وضرورة أن يعود المسلمون إلى الاتصال المباشر بالكتاب  
والسنة .
- ٤ - ضرورة إحياء فريضة (الحسبة) أي : الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر ، وإحياء فريضة الجهاد التي خمدت في نفوس المسلمين (١).

---

(١) د. عبد الحلیم عويس : أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الفكر  
الإسلامي الاصلاحى بالجزائر ، ( مجلة كلية العلوم الاجتماعية ) ،  
العدد الخامس ١٤٠١ هـ .

## ثانياً : الدعاية

### ١ - حقيقة الدعاية :

تعتبر كلمة " دعاية " من أقدم المصطلحات التي صاحبت الدعوة الإسلامية منذ انبثاق فجرها ، فلقد وردت في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم التي بعث بها إلى كسرى ملك الفرس يدعو فيه إلى الإسلام ، كذلك وردت في رسالته إلى المقوقس عظيم القبط حيث جاء فيها :

" من محمد بن عبد الله ورسوله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك ( بدعاية ) الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فإن توليت ، فعليك إثم القبط ، يا أهل الكتاب : تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون " .

وبالرجوع إلى عدد من معاجم اللغة العربية وجدت أن بعض هذه المعاجم لم يأت بلفظ " دعاية " مصدرًا للفعل " دعا " ، واكتفى بذكر لفظ " دعوة " مصدرًا لهذا الفعل (١) .

وبعض هذه المعاجم ذكر أن لفظ " دعاية " من الألفاظ المولدة التي استعملها الناس قديماً بعد عصر الرواية (٢) .

وبعضها الآخر ذكر أن هناك رواية أخرى للفظ " دعاية " في رسائل الرسول صلى الله عليه وسلم وهي : " أدعوك " " بداعية " الإسلام ، وهو

- 
- (١) محمد بن أبي بكر الرازي : مختار الصحاح - تحقيق لجنة من طابع العربية ( دار المعارف بمصر ) ١٩٧٦ م . مادة ( دعا ) .  
(٢) إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات ، وغيرهما : المعجم الوسيط - مجمع اللغة العربية ( القاهرة ) ط ٢ . مادة ( دعا ) .

صدر بمعنى الدعوة كالعافية والعاقبة " (١) ، والملاحظ أن لفظ  
"دعاية" لم يرد في القرآن الكريم صراحة أو ضمنا ، ولست أذهب إلى  
ما ذهب إليه أستاذنا الدكتور إبراهيم إمام حيث قال :

" ولعل كلمة الدعاية من أقدم هذه المصطلحات جميعا ، وقد  
عرفناها في تراثنا الإسلامي منذ نزول القرآن الكريم (٢) ، حيث قال  
تعالى : " يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا . وداعيا  
إلى الله بإذنه وسراجا منيرا " (٣) .

معنى ذلك أن الدكتور قد اشتق لفظ "دعاية" من لفظ "داعيا"  
الذي جاء في الآية الكريمة في حين أن "داعيا" اسم فاعل مشتق من  
الفعل دعا يدعو دعوة فهو داع ، ويجمع على دعاة .

أما لفظ "دعوة" فقد ورد صراحة في أربع آيات من القرآن  
الكريم ، قال تعالى :

" له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم  
بشيء " إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو بباله وما دعا  
الكافرين إلا في ضلال " (٤) .

وقال تعالى :

" إذا سألك عبادي عني فإني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان  
فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون " (٥) .

---

(١) ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٧ مادة ( دعا ) ، الدار المصرية  
للتأليف والترجمة ( بدون تاريخ ) ، وقد جاء فيه ما يلي : ( وفي رواية  
أخرى : أدعوك " بداعية " الإسلام ، وهو مصدر بمعنى الدعوة كالعافية  
والعاقبة ) .

(٢) د . إبراهيم إمام : الإعلام الإسلامي " المرحلة الشفهية " ص ٢٤ .

(٣) الأحزاب : آية ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) الرعد : آية ١٤ .

(٥) البقرة : آية ١٨٦ .

وقال تعالى :

" ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ثم إذا دعاكم دعوة من الأرض إذا أنتم تخرجون " (١) .

وقال تعالى :

" لا جرم أنما تدعونني إليه ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن السرفين هم أصحاب النار " (٢) .

فما معنى ذلك ؟ معناه - فيما أعتقد والله أعلم - هو أن ذلك من إعجاز القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأن هذا الإعجاز القرآني لا يرتبط بزمان ولا بمكان ولا يقف عند حد ، وأن الله سبحانه وتعالى وهو العليم الخبير منزل القرآن قد سبق في طمحه أن كلمة " دعاية " سوف ينتهي بها الأمر إلى ما أنتهت إليه اليوم ، وأنها سوف يطرأ عليها معنى الخسداء والغش والاستغلال . وإن لم تكن كذلك حين استعمالها رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي " لا ينطق عن الهوى " ، ولكن الله سبحانه وتعالى هو وحده الذي يعلم غيب السموات والأرض ، ولا شريك له في طمحه .

أما الدعوة فقد ظلت نقية صافية منذ بعث الله الرسل إلى عباده مهشرين ومنذرين . بقيت الكلمة توحى بالحق والصدق والفوز في الدنيا والآخرة ، فلم تشوهه بكذب أو خداع أو إثارة أو تخليل . وذلك على العكس تماما مما توحى به كلمة " دعاية " التي طرأ عليها كثير من معاني الزيف والغش والتشويه وأساليب السياسة .

ولست أذهب أيضا إلى ما ذهب إليه الدكتور عبد اللطيف حمزة حيث يقول :

" ونحن لانسى " إلى الدين إذا قلنا أن العمل الذي قام به

(١) السورم : آية ٢٥ .

(٢) غافر : آية ٤٣ .

الرسول الكريم من أجل هذا الدين هو دعاية طيبة له ما دامت الدعاية في ذاتها لها معنيان على الأقل : الدعاية الطيبة أو البيضاء والدعاية الخبيثة أو السوداء\* (١) .

ذلك لأن الدعوة هي الدعوة بعدقها وأمانتها ، ونقاها وصفاء غايتها ، وما تحمله للناس من سعادة الدنيا والآخرة .

والدعاية طراً عليها ما حملته من معاول الهدم والتدمير قاصدة من ورائها توسيع هوة الصراع وإشاعة الفرقة والشقاق بين الأمم والشعوب ، ونشر الأكاذيب والتهميل في الأخبار ، هذل الوعود الكاذبة والأحلام التي يستحيل تحقيقها .

كل ذلك يدل بوضوح تام على أن الدعاية أصبحت الآن كل ذلك لافرق بين طيبة وخبيثة أو بيضاء وسوداء ، فإن أردنا الدعاية الطيبة والبيضاء دون الخبيثة والسوداء فلماذا لا تكون الدعوة . . . ؟ .

وإذا أردنا الخبيثة والسوداء دون الطيبة والبيضاء فلماذا لا تكون للدعاية . . . ؟ .

ولماذا لا يكون الإعلام جامعاً لهما . . . ؟ .

وهنا يمكن أن يتشعب الإعلام إلى شعبتين :

الأولى : شعبة الإعلام الصادق والأمين والبعيد عن الإثارة والخداع والغش ، الإعلام الذي يحمل على نشر الدعوة بما يبذله رجاله من جهود صادقة في هذا المضمار ، ولا يخشون في الحق لومة لائم والذين يعرفون تماما غاياتهم العظيمة وأهدافهم السامية ومقاصدهم النبيلة ، الإعلام الذي يبني ولا يهدم ويسمو ولا يهبط ، وليكن ذلك هو الإعلام الإسلامي الذي نسعى جميعاً لأن نضع أبنه في بناءه العظيم والشامخ - إن شاء الله .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ، ص ١٠٤ .

الثانية : شعبة الإعلام المخادع والمتلون والقائم على إثارة العواطف تارة ومخاطبة العقل تارة أخرى ، الإعلام الذى لا يضع ضمن أهدافه الرئيسية خدمة الدعوة والسهر على تنوير الرأى العام بصدق وأمانة ، الإعلام الذى يقف متأرجحا بين الدعوة والدعاية ولا يميل بوضوح إلى إحداهما .

وأعتقد أن هذه الشعبة من الإعلام لا تكاد تبتمد عن الإعلام الغربى بصفة عامة والإعلام السوفيتى ، ومايجرى فى فلكهما من نظريات إعلامية أخرى فى مختلف أنحاء العالم .

أما كلمة ( دعوة ) التى يحلو لبعض المؤرخين والإعلاميين إطلاقها على كثير من أنماط الدعاية الدولية أو المحلية ، فلا يتعدى ذلك أن يكون أسلوبا من أساليب التأثير فى الرأى العام ، وأعنى به أسلوب ( تحويل الأنظار ) .

إن كلمة ( دعاية ) تشير الشكوك والريب فى نفوس الرأى العام ، فإذا استبعدنا كلمة ( دعاية ) ، وأخذنا بكلمة " دعوة " كان ذلك مدعاة لتحويل أنظار الرأى العام عما توحى به كلمة " دعاية " من معانى الشك والريبة ، وأساليب الكذب والخداع .

## ٢ - مجال الدعاية :

لقد وجدت أن أفضل الوسائل للوقوف على مجال الدعاية تكمن فى تتبع ودراسة مختلف التعاريف التى خرج بها علينا رجال الإعلام المتخصصون .

وإذا تتبعنا غالبية آراء هــسـثـولا\* الإعلاميين فى (الدعاية) استطعنا أن نقف على المجال الخصب الذى تجد فيه الدعاية مرتعها ، وأن نخرج بهذا الانطباع الذى خرجت به منذ قليل عن كلمة دعاية ، وما أصبحت تحمله من معان سيئة وظاهيات فاسدة ، وأهداف غير نبيلة .

يقول الدكتور عبداللطيف حمزة :

" والذي لا شك فيه أن الدعاية قوة سياسية كبيرة في وسعها أن تقم دولة وأن تهدم أخرى ، وفي وسعها أن تنشر مذهبها وأن تقتل آخر ، ومن ثم كانت الدعاية هي الدعاة التي قامت عليهم جميع الدول الإسلامية فمنذ انتهى العهد بدولة الخلفاء الراشدين ، وكان من أقوى العوامل التي جعلت للدعاية كل هذه القوة والأهمية انقسام المسلمين إلى فرق دينية وحرص كل واحدة منها على أن تظهر على جميع الفرق الأخرى " . ( ١ ) .

ويقول الدكتور ابراهيم إمام :

" وتستخدم الدعاية كل الأدوات المتاحة وتتوغل في جميع مظاهر الحياة ، وتغزو كل مظاهر الفكر والعمل ، وتنسج حول الأفسراد والشعوب شباكا من الضغط النفسي والاجتماعي بأشكالها المختلفة ، فإذا هم ضحايا أو فرائس دون وعي أو إدراك لكيفية الوقوع في الفخ " . ( ٢ ) .

ويقول في موضع آخر :

" وتستخدم الدعاية التجارية للترويج للسلع والمنتجات ورفع المبيعات ، وتؤثر هذه الدعاية بالإعلان متوجهة إلى الفرائز والانفعالات وخاصة الغريزة الجنسية فتربط السلع بصور النساء العاريات حتى ولو كانت السلع لا تتصل بذلك " . ( ٣ ) .

ويقول الدكتور محي الدين عبدالحميد :

" الدعاية فن يستند إلى إثارة العواطف وخلق حالة من حالات التوتر الفكرى التي تؤدي إلى تشويه التتابع المنطقي للذات الفردية ، وبالتالي للوصول إلى موقف ما كان من الممكن أن يصل إليه الفرد

- 
- ( ١ ) د . عبداللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ، ص ١٠٧ .  
( ٢ ) د . ابراهيم إمام : الإعلام الإسلامي " المرحلة الشفهية " ، ص ٢٧ .  
( ٣ ) المرجع السابق : ص ٢٦ .

بنطقة العادي\* (١) .

ويقول ( والتر ليبان ) :

\* الدعاية هي محاولة التأثير في عقول الجماهير ونفوسهم والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها ، وذلك في مجتمع معين وزمان معين\* (٢) .

الدعاية إذن من واقع التعاريف المختلفة لرجال الإعلام هي - الآن - احتيال وغش وضغوط نفسية واجتماعية وإثارة للفرائس الجنسية وتشويه للتتابع المنطقي وخلق حالة من حالات التوتر الفكري . وتتجسد بوضوح كل هذه الأوصاف والنوعت قديما عند استعادتنا للدعاية الصليبية التي قام بها البابا أوربان الثاني ضد العالم الاسلامي وتولى نشرها بين الجماهير المخدوعة « بطرس الناسك » و« والتر العفيس » وغيرهما .

ثم تتجسد حديثا عند استعادتنا للدعاية النازية أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية ومانتج منهما من خراب ودمار لمعظم بلدان العالم آنذاك .

ثم تأتي الدعاية الصهيونية لا لثرت النازية فحسب ، بل ولتتفوق عليها أيضا من حيث التفنن في قتل الأبرياء وتشريد الشعوب والحرق والتدمير والسلب والنهب ثم خداع العالم بعد ذلك كله بدعايتها التي ورثتها أيضا عن النازية فإذا هي أمام العالم مغلوطة على أمرها معاطة من كل جانب بأعدائها .

ولا يختلف الحال بالنسبة للدعاية الشيوعية الماكرة والرأسمالية الغربية الفاسدة .

---

(١) ن . محي الدين عبد الحليم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية

ص ٢٥ ، ( منسوبة الأنجلو بصر ) عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، ص ٣٣ ( دار الفكر

العربي - القاهرة ) ١٩٦٥م .



من ذلك كله يتضح لنا أن الدعاية تختلف كل الاختلاف عن الدعوة ، فالدعوة حق وصدق ، وهي تعنى الإعلان عن العقيدة وتعمل على تحقيق السعادة للإنسان في الدنيا والآخرة ، وتقوم على تقديم الحقيقة للعقل ، كما تقوم على أساس من الصراحة ، وتستند على مبدأ المناقشة التي قد تؤدي إلى الاقتناع ، حيث تفرغ الحجة بحريسة كاملة دون خلق أي غشاوة في عناصر التجاوب المنطقي .

قال تعالى :

" قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون" (١) .

أما الدعاية فهي على العكس من ذلك تماما ، إنها تفرض نفسها فرضا لا عن طريق العقل والتفكير السليم ، بل عن طريق الكذب والتعويض أو المبالغة أو الاختلاق أو الشائعات المغرضة بعد أن تكون قد سمعت إلى مثل قوة التفكير في الجماهير ، وإيقاظ فرائضهم بالعبث بها عن طريق القصص الخرافية والصور العارية والأكاذيب المكررة" (٢) .

---

(١) آل عمران : آية ٦٤ .  
(٢) ن . محي الدين محمد الحليم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، ص ٨٠ .

### ثالثا : الإعلام

#### ١ - حقيقة الإعلام :

الإعلام قديم قدم الإنسان نفسه ، ضارب جذوره في أعماق الزمن ، دائم مادام هناك إنسان يلتقى بأخيه الإنسان أو يسمع عنه . والإعلام الذى بدأ مع الإنسان سوف لا ينتهى إلا معه ، ذلك لأن الإنسان هو مادة الإعلام ، وعليه فلا إعلام بدون إنسان ولا إنسان بدون إعلام .

لا يمكن لمجتمع مهما اختلف فى تقدمه أو تخافه أن يجهل الإعلام لأن الإنسان لا يكفيه أن يقف على أخبار نفسه فقط ، بل يتعدى ذلك إلى أخبار غيره لما بينهما من لقاآت وعلاقات .

وحتى لو لم توجد مثل هذه اللقاآت والعلاقات فإن فى داخل الإنسان دافعا فطريا هو حب الاستطلاع والرغبة فى معرفة كل ما هو جديد عليه ، والعمل على استكشافه ، ولولا هذا الدافع الفطرى فى الإنسان ما تحركت الحياة من مكانها خطوة واحدة نحو ما نلسمه الآن من ضروب التقدم والازدهار .

ولقد عرفت المجتمعات البدائية الإعلام بأساليبه البسيطة ، كالمناداة فى الطرق أو من أعلى الجبال والتلال أو إشعال النار فوق رؤوس الجبال ثم بأتى بعد المجتمعات البدائية المجتمعات المنزوية التى عـرف الإنسان فيها بفطرته مواطن الكلا ومطالع النجوم وأخبار القبايل المجاورة وبعضا من تقاليد عاداتها .

ولقد ظلت بعض هذه الوسائل والأساليب الإعلامية القديمة باقية فى عصرنا الحديث لأنها مازالت تؤدى وظيفتها بنجاح كبير كما هو الحال فى المساجد والحج والعهدين والبعثات المختلفة .

وأكبر دليل على ذلك الخطابة التي ظلت تستخدم بنجاح فسي في العصر الحديث ، وتعتبر وسيلة الاتصال الشخصي من أنجح الوسائل الإعلامية التي استخدمت في شتى العصور ، والتي ظلت إلى اليوم تؤدي نفس الدور الفعال التي كانت تؤديه .

ومن المسلم به أن لكل مجتمع من المجتمعات إعلامه الذي يناسب عقيدته ويمتشي مع عاداته وتقاليده ، وإلا كان ذلك الإعلام دخيلا عليه بعيدا عنه ، لم يثبت في أرضه ولم يزد هربين أفراده . وفي اعتقادي والحالة هكذا أنه لا بد من حدوث واحد من اثنين :

إما أن يذوب المجتمع ويمتلاشى من الوجود شأنه في ذلك شأن المجتمعات التي أبادها الله بذنوبها لأن الاتصال بين أفرادها كان اتصالا مدمرا لا يأمر بمعروف ولا ينهى عن منكر .

وإما أن يتغلب المجتمع على كل ما يعترضه من معوقات فيفسر إعلامه حتى يتلائم مع معتقداته ومبادئه ويصبح عضوا لا ينفصل عنه ، يتفاعل معه في أفرادها وأتراعه ، في انتصاراته وهزائمه ، في آمانيه وآماله ، في طموحاته وتطلعاته .

وإذا كان من المسلم به أن لكل مجتمع إعلامه الذي يناسبه ، فمن المسلم به أيضا أن الإعلام في المجتمع الواحد يختلف من وقت إلى آخر .

فالإعلام على سبيل المثال في المملكة العربية السعودية في وقتنا الحاضر يختلف اختلافا كبيرا عن الإعلام فيها منذ عشر سنوات ، والإعلام فيها منذ عشر سنوات كان يختلف اختلافا ملحوظا عما كان عليه منذ عشرين عاما .

وهكذا الحال بالنسبة لكل مجتمع من المجتمعات الأخرى في العالم .

وفي ذلك يقول الدكتور محي الدين عبد الحلیم :

" ولسنا هنا في موضع الحديث عن نظم الإعلام المختلفة ، ولكننا أردنا أن نؤكد أن الإعلام وإن اختلف باختلاف الزمان أو باختلاف المكان أو نظم الحكم المختلفة ، وظروف كل مجتمع — المجتمعات ، إلا أنه على أي حال لا يستطيع مجتمع إنساني أن يحيا بدونها كما لا يوجد عصر من العصور خلا من الإعلام " . ( ١ )

وفي العصر الحديث أصبح الإعلام جزءا من حياة الناس فسي شتى أنحاء العالم ، وترجع أهمية الإعلام إلى أن الحكومات تعلم تمام العلم أنها لكي تحظى بتأييد المحكومين يجب عليها أن تقوى الاتصال بينها وبينهم ، وأن تزودهم بالمعلومات والحقائق التي تشعرهم بأنهم يشتركون معها في الحكم ، وأن العلاقات بينها وبينهم تزداد قوة وتوثقا كلما زود الحكام الرأي العام بالمعلومات والحقائق التي تتصل بأموهم الداخلية وعلاقاتهم الخارجية بدول العالم .

والعكس صحيح وهو أن هذه القوة وهذا التوثق سرعان ما يتلاشى كلما حدث تعتمهم إعلامي بين الحكام والمحكومين ، وقد تنعدم الثقة تماما بين الطرفين إذا اكتشف الطرف المحكوم أن حكامه يضللونهم بالمعلومات التي يزودونه بها من وقت لآخر .

ولقد اختلف المفكرون في وضع تعريف دقيق لمفهوم العمل الإعلامي ، كما اختلفت الدول تبعاً لأنظمة الحكم القائمة بها في فهم الإعلام وتفسيره .

إلا أن هناك شبه اتفاق يكاد لا يختلف عليه أحد تقريبا فسي المبادئ والأسس التي يقوم عليها الإعلام وهي : ( ٢ )

١ - الحقائق التي تدعيها الأرقام والإحصائيات .

---

( ١ ) د . محي الدين عبد الحلیم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ١٠١  
( ٢ ) المرجع السابق : ص ٢١٠

- ٢ - التجرد من الذاتية والتعلق بالموضوعية في عرض الحقائق .
- ٣ - الصدق والأمانة في جمع المعلومات من مصادرها المختلفة .
- ٤ - التعبير الصادق عن الجمهور الذي يتوجه إليه الإعلام .

ومعنى ذلك أن الإعلام الذي يفقد عنصرا من هذه العناصر أو أكثر يصبح إعلاما مهتورا لا يؤدي مهمته على الوجه الأمثل ولا يحقق الهدف الذي يسعى إلى تحقيقه .

ويتلخص ذلك الهدف في التعريف الذي قدمه العلامة الألماني " أتوجروت " والذي عبر فيه تعبيرا مختصرا وشاملا عن معنى الإعلام وعن بعض أهدافه .

قال " أتوجروت " في تعريفه للإعلام :

"إنه التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير وروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت" . ( ١ )

وهذا التعريف وإن كان قد بين معنى الإعلام إلى حد كبير ، إلا أنه لم يبين بوضوح معظم الأهداف التي يسعى الإعلام إلى تحقيقها .

لذلك أضاف الدكتور محي الدين عبد الحلیم قائلا :

"إن الهدف من الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة والحقائق الثابتة التي تساعدهم على تكوين رأي صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات بحيث يعبر هذا الرأي تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير وميولهم واتجاهاتهم" ( ٢ ) .

ولا يمكن أن تتحقق أهداف الإعلام بصورة تامة إلا من خلال عملية إعلامية تشمل على العناصر الخمسة التالية :

- ١ - المرسل للرسالة الإعلامية .

---

( ١ ) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام له تاريخه ومذاهبه ، ص ٢٣ .  
( ٢ ) د . محي الدين عبد الحلیم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ص ٢٢ .

- ٢ - الرسالة الإعلامية .
- ٣ - الوسيلة التي تقوم بنقل هذه الرسالة .
- ٤ - المستقبل للرسالة الإعلامية .
- ٥ - الاستجابة للرسالة الإعلامية .

وقد لخص "هارولد لازويل" عملية الاتصال في عبارته التالية التي تحمل كل عناصر العملية الإعلامية الخمسة ، وهذه العبارة هي :

" من ؟ يقول ماذا ؟ بأى وسيلة ؟ إلى من ؟ وإلى أى تأثير ؟ " (١) .

ما تقدم يتبين لنا بوضوح الفروق الكبيرة بين كل من الدعاية والإعلام والتي يتلخص بعضها فيما يلي :

- ١ - المعلومات في الدعاية مصدرها يكون مجهولا ، بينما في الإعلام يجب أن يكون المصدر معروفا دائما .
- ٢ - تهدف الدعاية فيما تهدف إلى إضعاف روح المشاركة عند الجماهير وبالتالي تعمل على حرقة روح التعاون بين هذه الجماهير وبين حكماها ، كما تعمل على إشاعة روح اليأس والسلبية ، أما الإعلام فيهدف فيما يهدف إلى توسيع المشاركة الجماهيرية بقصد التوصل إلى إشراك الجمهور في وضع القرار .
- ٣ - أسلوب الدعاية لا يتفق مع الأخلاق والثل العليا ، كالكذب والتعويه أو المبالغة أو الاختلاق أو الشائعات المفترضة لكسى يسلك الرأي العام سلوكا معيناً ، أما أسلوب الإعلام الطمئطم فإنه يتحرى الأمانة ، وينهج نهجا أخلاقيا أو يجب أن يكون كذلك حتى لا ينحدر بمستواه إلى مستوى الدعاية .
- ٤ - تعمل الدعاية جاهدة على تحقيق مآرب معينة وأهداف محددة مع التضحية بكل شئ في سبيل تحقيق هذه المآرب والأهداف ، فهي لا تعنى بإيقاظ الجماهير كما هو الحال في الإعلام ، بسبل على العكس تعمل على تخديرهم وشل قوة التفكير فيهم ، وإيقاظ

غرائزهم في العبث بها عن طريق القصص الخرافية والصور  
المعارية والأكاذيب المكررة

تلك بعض الفروق الرئيسية التي أجمع عليها تقريبا علماء الإعلام  
من واقع التعاريف المختلفة لكل من "الإعلام" و"الدعاية"، ولا شك  
أنها فروق تضع النقاط على الحروف بالنسبة للإعلام والدعاية .

وأود قبل أن أسوق بعض الأمثلة من صور الإعلام في المجتمع  
الإسلامي قديما أن أنوه بما ذكره الدكتور عبداللطيف حمزة في هذا  
الصدر بقوله :

"إن الجهود التي بذلها النبي صلى الله عليه وسلم في ميدان  
الاتصال تسمى "الدعوة" وإن الجهود التي بذلها الخلفاء الراشدون  
في هذا الميدان يمكن أن تطبق على أثرها اسم "الإعلام" ذلك أن رسول  
الله صلى الله عليه وسلم كان قد أدى الأمانة وقام بالرسالة وفرغ من مرض  
الدين الخاتم على الناس ، أما الخلفاء الراشدون من بعده فكان عليهم  
واجب آخر لا يصح أن نسميه دعوة ، ولكن نطلق عليه اسما آخر هو  
(الإعلام) في سبيل نشر الدعوة" (١) .

٢ - بعض صور الإعلام في المجتمع الإسلامي قديما :

يكاد لا يفتقد المجتمع الإسلامي في كل عصر من عصوره الصور  
الإعلامية التي كان لها تأثيرها على مسار الدعوة الإسلامية ، وسوف أقتصر  
الأمثلة التي أود أن أسوقها من صور الإعلام في المجتمع الإسلامي قديما  
على صورتين :

الأولى : مستمدة من عصر الخلفاء الراشدين ، والثانية : مستمدة من  
عصر الحروب الصليبية في عهد صلاح الدين الأيوبي .

(١) د . عبداللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ، ص ٣٩ .

ولنبدأ بالصورة الإعلامية الإسلامية المستخدمة من عصر الخلفاء الراشدين ، والتي تمت على يدى أبى بكر الصديق أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى سقفة بنى ساعدة .

ولقد بدأ أبو بكر خلافته بما يشبه المؤتمر السياسى الكبير الذى كان الغرض منه اختيار خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والذى حضره كثير من زعماء المهاجرين والأنصار ، وام يكذ يتخلف زعيم منهم من الحضور ، حتى " سعد بن هادة " زعيم الخزرج - وكان مريضاً فى ذلك اليوم - فحمله قومه إلى مكان المؤتمر ليعطى كلمته فيه - والذى يعنىنا من هذا المؤتمر ليس جانبه التاريخى ، فهذا الجانب قد تناولته بالبحث كتب التاريخ على اختلافها ، وإنما الذى يعنىنا هو جانبه الإعلامى الذى غير الموقف رأساً على عقب ، والذى يدل الوضع المتأزم المشحون بالتناحر والتنافس على الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى وضع رضى قنوع يفهم محبة وأخوة وسلاماً .

تكلم زعيم الأنصار سعد بن هادة مبيناً حق الأنصار فى الخلافة دون المهاجرين معدداً مآثر الأنصار على الإسلام والمسلمين .

وبعد أن انتهى سعد بن هادة من كلمته وقف أبو بكر يخطب فى الناس موضحاً حق المهاجرين فى الخلافة ، وأن الله سبحانه وتعالى قدم المهاجرين على الأنصار فى كتابه العزيز مستشهداً بقوله تعالى :

" والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين اتبعوه ————— بإحسان " ( ١ ) .

ولم يكتف أبو بكر فى هذا الموقف العصيب بمخاطبة العاطفة وحدها عند الأنصار ، بل راح يخاطب عقولهم أيضاً حين قال :

" إن هذا الأمر إن تولته الأوس نافسته عليهم الخزرج ، وإن تولته الخزرج نافسته عليهم الأوس ، وإن العرب لاتدين إلا لهذا الحى من قريش ، هم أوسط العرب نسباً وداراً " ( ٢ ) .

( ١ ) التوبة : آية ١٠٠ .

( ٢ ) ابن هشام : سيرة النبى صلى الله عليه وسلم ج ٤ ، ص ٣٣٩ - تحقيق : محمد محى الدين عبد الحميد ( دار الفكر ) .



ثم تلاه أبو عبيدة وهو أحد زعماء المهاجرين أيضا فقال :  
" كنتم أول من نصر وآزر فلا تكونوا أول من بدّل وغير " .  
بعد ذلك وشب عمر بن الخطاب فأخذ بيد أبي بكر وبايعه ، فوثب  
الجميع من طيبة الصحابة يتسابقون إلى البيعة .

ثم بايعه زعيم الأوس " بشير بن سعد " وهو يقول :

" كرهت أن أنازع قوما في حق جعله الله لهم " .

ورأى الحاضرون من الخزرج هذه الحركة فلم يبق لهم عزم وراء  
ذلك فتزاحموا على البيعة حتى أوشكوا أن يطأوا زعيمهم العريض " سعد بن  
هبادة " .

وماتت الفتنة في مهدها وكفى الله المؤمنين القتال .

كل ذلك كان نتيجة طبيعية للحركة الإعلامية الإسلامية الكبيرة  
التي قام بها أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في الساعات المناسبة ، وهذا ما يسميه  
الإعلاميون المحدثون " حسن التوقيت " .

ولو قدر لهؤلاء الثلاثة أن يتأخروا حينما سمعوا باجتماع الأوس  
والخزرج للتشاور لغابت منهم الفرصة واندلعت نيران الفتنة ، ولا يعلم  
إلا الله ماذا تكون عواقبها .

ثم يأتي دور " القدوة الحسنة " في هذا الموقف العصيب حين ظهر  
قادة المهاجرين أمام الناس بالمظهر الملائم ، فلا تنافس بينهم طسبي  
الخلافة ، ولا تهافت منهم على الإمارة ، ولا جفاء منهم لأحد من الأنصار ،  
ولا تنكر منهم لما لهؤلاء من فضل على الإسلام ( ١ ) .

والصور الإعلامية الإسلامية في حياة أبي بكر لا تنتهي ، والتي من  
أبرزها أيضا موقفه من حركة الردة .

---

( ١ ) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ، ص ٢١٠ .

تلك الحركة التي تعتبر من أخطر الحركات الذي تعرض لها الإسلام والمسلمون والتي خشي عمر بن الخطاب على أبي بكر منها فنصحه بقوله :

"إلزم بيتك ومسجدك ، فإنه لا طاقة لك بمقتال العرب".

فما كان من أبي بكر بحاسته الإعلامية وغيرته الإسلامية إلا أن صاح في عمر قائلاً :

"والله لو منعتموني عقلاً كنتم تؤذونه لرسول الله لقاتلتكم دونه".

وما قاله أبو بكر في هذا الشأن أيضاً :

"والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة".

وبذلك يكون الخليفة الأول قد أعطى للمسلمين كلهم أعظم درس تعلموه في حياتهم بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أن الدين كل لا يتجزأ ، وأن من تهاون في جانب منه فلا بد له من أن يتهاون فيها جميعاً ، وأن القوة الحقيقية هي دائماً مع الحق ومع المتسككين بعقيدتهم ، والذين لا يتهاونون في شيء منها أو يتساهلون في أداء فريضة من فرائضها مهما تعرضوا في سبيل ذلك للمخاطر والأهوال .

ولنتقل بعد ذلك إلى الصورة الإعلامية الإسلامية الأخرى التي تمت طي يدي القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي محرر القدس — أيدى الصليبيين .

وليس هناك في الواقع أبرز من الصورة الإعلامية الإسلامية التي تجسدت عند دخوله القدس منتصراً بحد سيفه ، محطاً صليبهم منكساً أعلامهم رافعاً راية لا إله إلا الله محمد رسول الله .

دخل صلاح الدين القدس وصورة الأسر القريب لا تفارقه عندما دخلها الصليبيون وحولوا بيت المقدس إلى مخاضة من دماء سبعين ألفاً من المسلمين ومع ذلك لم يشأ صلاح الدين القائد المسلم وهو نفسى أوج

انتصاره أن ينتقم ، لأنه مسلم ولأن الإسلام لا يعرف الانتقام ضد الانتصار ، إنما يعرف العفو عند المقدرة .

فعل صلاح الدين ذلك لأنه يريد أن يقدم لأعداء الإسلام قبل غيرهم مبدأ من مبادئ الدعوة الإسلامية وهو مبدأ "القدوة الحسنة" .

وأى قدوة حسنة فى العالم أجمع تستطيع أن تفعل ما فعله صلاح الدين الأيوبي القائد المسلم المنتصر بأسرى الصليبيين ومهاجرينهم ؟ .  
بقى عدد الأسرى الصليبيين كبيراً ، إذ لم يشأ قاداتهم أن يجمعوا من الفدية إلا بالقدر الذى يكفى لتحرير سبعة آلاف من الفقراء فقط .

ولو شاءت الكنيسة أن تفتدى جميع الأسرى لما عجزت عن ذلك ، بل كان فى استطاعتها تأمين الفدية لألوف عديدة من فقراء النصارى لو أن أثرياءها كانوا أكثر وفاء لأبناء دينهم .

لكن صلاح الدين الأيوبي القائد والداى المسلم بأبى إلا أن يقوم بحركة إعلامية إسلامية كان لها ما بعدها عند أعدائه ، وتتلخص هذه الحركة الإعلامية البارزة فى الإعلان عن أنه سوف يطلق سراح كل شيخ وكل امرأة عجوز .

ولما أقبل نساء الفرنج اللاتي افتدين أنفسهن ، وقد امتلأت صيونهن بالدموع ، فسألن صلاح الدين : أين يكون مصيرهن بعد أن لقي أزواجهن أو آباؤهن مصرعهم أو وقعوا فى الأسر ؟ أجاب بأنه قد وعد بإطلاق سراح كل من فى الأسر من أزواجهن أو آباؤهن ، وبذل للأرامل واليتامى من خزائن العطايا كل بحسب حالته . فكانت رحمته وعطفه على نقيض أفعال الفرنج (١) .

تلك صورة عظيمة من صور الإعلام فى المجتمع الإسلامى تمت على يدى القائد المسلم صلاح الدين الأيوبي ، ومن حق أى منصف أن يتساءل : أى صورة إعلامية تستطيع أن تؤدى رسالتها على الوجه الأكمل أكثر من تلك الصورة ؟ .

وأى رسالة إعلامية تستطيع أن تتلقى تأثيرها الفوري أو أن يسمع رجع صدأها أسرع من تلك الرسالة ؟

(١) بسام العسلى : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٧١ ط ٢ (دار النفايس - بيروت) ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

## رابعاً : الرأى العام

### ١ - تعريف الرأى العام :

اختلف الفقهاء والعلماء ورجال الإعلام فى تعريف الرأى العام تعريفاً يتفق ووجهة نظر هؤلاء جميعاً بالرغم من اتفاقهم على أهمية الرأى العام .

وأغلب الظن أن هذا الاختلاف فى تعريف الرأى العام يرجع إلى اختلاف النظرة إلى الرأى العام نفسه تبعاً لاختلاف طبيعة التخصص العلمى لرجال الفكر أو السياسة أو الاجتماع أو الاقتصاد أو علم النفس . ومن هنا أصبح من الصعب تعريف الرأى العام تعريفاً جامعاً مانعاً ، وذلك للأسباب التى سبق ذكرها علاوة على أنغموض الرأى العام فى حد ذاته ، واحتمال وجود تعريفات كثيرة له تتعدد بتعدد الآراء ، وتباين بتباين النظرة إلى الرأى العام . ومن أهم التعريفات التى ظهرت للرأى العام :

١ - " إنه ميول الناس نحو قضية ما ، لو كان هؤلاء الناس من فئة واحدة " ، وهذا هو رأى العلامة " دوب " .

ولكن كلمة ميول لها أكثر من معنى ، كما أن الرأى العام ليس مجموع الآراء الفردية ، ولكنه نتيجة النقاش بين الأفراد ( ١ ) .

٢ - ويقول " جيمس . ت . بونج " فى تعريف الرأى العام :

" الرأى العام هو الحكم الاجتماعى لجماعة ذات وعى ذاتى على موضوع ذى أهمية عامة بعد مناقشة عامة مقبولة " .

وهذا التعريف يرتبط بالنظرة الاجتماعية للرأى العام ، ولا يعطى مفهوماً واضحاً للرأى العام . كما أن عبارات هذا

---

( ١ ) د . محمد عبدالقادر حاتم : الإعلام والدعاية " نظريات وتجارب " ص ١٢٣ ( مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة ) ١٩٧٢ م .

التعريف ينتقصها التحديد . فمثلا عبارة ( جماعة ذات وعى ذاتى ) هل يقصد بها جماهير الشعب أم جماعة محدودة ؟ وأيضا عبارة ( بعد مناقشة عامة مقبولة ) لم يحدد لنا مدى هذا القبول ومعناه ، ومتى تصبح هذه المناقشة العامة متكاملة وصالحة لأن ينتج عنها رأى عام ( ١ ) .

ونلاحظ أيضا أن عبارة ( موضوع ذاتى أهمية ) لاتعطى التحديد المطالب تعريف على محدد ، فمثلا هذه الأهمية من الذى يحددها ؟ هل هو الحاكم وحده . . . أو أصحاب العزل والعقد فى الأمة . . . أو هما معا . . . ؟

ثم هذه الأهمية لمن تكون . . . ؟ قد تكون هذه الأهمية للحاكم دون المحكومين على أساس أنه القائم على الأمر والمتحكم فيه ، وهنالك تتدخل وسائل الإعلام المختلفة بما لها من هيمنة وتأثير على الناس فتزيف الحقائق أو تقلبها ، ومن ثم تؤثر فى الرأى العام كليا أو جزئيا فلا يكون هناك - والحالة هذه - رأى عام ، بل رأى خاص هو رأى الحاكم يظن برأى اجتماعى عام حتى ينال القبول والرضى العام .

٣ - ويقول " مينار " :

" الرأى العام هو مجموعة الاتجاهات والمشاعر التى يكونها قطاع كبير من الناس فى مسألة هامة وفى فترة معينة تحت تأثير الدعاية " ( ٢ ) .

ونلاحظ أن عبارة " مجموعة الاتجاهات والمشاعر " هى عبارة شاعرية أكثر من أن تكون عبارة واقعية تتصل بالأرض والناس .

- 
- ( ١ ) د . سعيد سراج : الرأى العام ( مقوماته وأثره فى النظام السياسي المعاصرة ) ص ٤ ( الهيئة المصرية العامة للكتاب ) ١٩٧٨ م .  
( ٢ ) د . احمد بدر : الرأى العام ( طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة العامة ) ، ص ٤٨ ( مكتبة غريب - القاهرة ) بدون تاريخ .

فالاتجاهات تختلف وتتبدل ما بين لحظة وأخرى ذاتيا أو خارجيا . كذلك كلمة المشاعر فهي مبهمه تتأثر بالأهواء والغايات أكثر من تأثرها بالحقيقة المجردة .

فالموت حق علينا جميعا ، والإنسان ودیمة الله طــــى الأرض يستردّها في أى وقت يشاء ، تلك حقيقة لا ريب فيها ، لكن معظم المشاعر الإنسانية قد تنسى تلك الحقيقة فتسرف فسى المهلج والجزع لدرجة قد تفقد معها تلك النفوس صوابها . مثالنا على ذلك ما حدث لدى بعض الشعوب حينما مات أحد الزعماء فيها فخرجت ملايين من البشر لتشيعه في مواكب فاقدّة الوعى مجنونة الهتافات ، وكأن العالم قد فقد وجوده بموته ، وكأن الزمان قد توقف .

فهل يعتبر هذا الذى حدث وقد استند إلى العواطف والمشاعر رأيا عاما مستنيرا يعتد به ويدعو إلى الثقة والاطمئنان . . . ؟  
ويأتى قول " مينار " فى التعريف " تحت تأثير الدعاية " وذلك من وجهة نظرى هو أخطر مأخذ على هذا التعريف .

فالدعاية لا تترك للرأى العام حرية فى اختيار القرارات الستى تهمه بحيادية تامة بحيث تتم بعيدا عن التزین أو التزيف أو الترجيح خاصة ونحن نعلم كيف اتخذ فى بعض الدول وتحت تأثير الدعاية المزيفة الكثير من القرارات التى تخالف أحكام الشرع ، وتناقض العقائد ، وكيف استطاعت الدعاية أن تابس تلك القرارات شوب الشرعية بعد أن زيفت ذلك للرأى العام وضللته .

٤ - ويرى العلامة " فلويد ألبرت " :

" أن الرأى العام ، تعبیر جمع كبير من الأفراد عن آرائهم فسى موقف معين يهيم غالبية لها تأثير فى الموقف " .

وهذا التعريف يختلف عن رأى " د وب " الذى يلتفت إلى ميول

الناس بينما " البورت " يتحدث عن التعبير العلى لميول  
الناس سوا" كان هذا التعبير رأيا أو سلوكا صريحا واضحا (١).  
ولكنى أقول بأن الاختلاف بين تعريف " دوب " وتعريف  
" البورت " ليس بذى شأن كبير ، لأن الميول هى المرحلة  
الأولى للتعبير عن تلك الميول ، فهى إذن الأصل فى عملية  
التعبير .

وحتى إذا بقيت الميول ميولا فقط دون تعبير على عنها  
فهى تصبح بذلك جانبا سلبيا للرأى العام لا يؤثر فى شىء على  
مجريات أموره مالم يخرج إلى حيز التعبير العلى .

وإذا كانت الميول هى المرحلة الأولى للتعبير ، فإنها بذلك  
تكون هى الأصل فى عملية التعبير ابتداءً من الميول ، وطى  
ذلك فإن التعبير يمثل المرحلة الثانية فى تلك العملية .

وهناك بعد ذلك مرحلة ثالثة هى مرحلة التأثير الفعلى  
الذى سوف تنعكس نتائجه على سار الرأى العام ومجريات الأمور  
فيه .

ويقدر ما يكون الميل مندفعاً يكون التعبير جارفاً ، ويقدر  
ما يكون التعبير جارفاً يكون التأثير .

والقرآن الكريم جاء معبرا عن ذلك أصدق تعبير حينما قال  
سبحانه :

" والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات  
أن تعملوا ميلا عظيما " (٢) .

فإن الذين يتبعون الشهوات لا يريدون من المؤمنين مجرد  
الميل إلى الشهوات ، إنما يريدون منهم أن ينتقلوا من مرحلة  
التعبير العلى عن ذلك وهو الانغماس فى تلك الشهوات

(١) د . محمد عبدالقادر حاتم : الإعلام والداوية " نظريات وتجارب " ، ص ١٢٤ .

(٢) النساء : آية ٢٧ .

ثم تنتهي الجماعة المؤمنة بعد ذلك إلى المرحلة الأهم والتي يهدف إليها الذين يتبعون الشهوات وهي مرحلة التأثير، وهذه المرحلة هي مرحلة الدمار والنهاية للمجتمع المسلم.

يقول الشهيد سيد قطب رحمه الله ، في ذلك :

"وأما ما يريد الذين يتبعون الشهوات فهو أن يطلقوا الفرائض من كل عقل : ديني أو أخلاقي أو اجتماعي . . يريدون أن ينطلق السعار الجنسي المحموم بلا حاجز ولا كبح ، من أي لون كان . . السعار المحموم الذي لا يقر معه قلب ، ولا يسكن معه عصب ، ولا يطمئن معه بيت ، ولا يسلم معه عرض ، ولا تقوم معه أسرة . يريدون أن يعود الآدميون قطعانا من البهائم ، ينزوا فيها الذكران على الإناث بلا ضابط إلا ضابط القوة أو الحياة أو مطلق الوسيلة . كل هذا الدمار ، وكل هذا الفساد ، وكل هذا الشر باسم الحرية - وهي في هذا الوضع - ليست سوى اسم آخر للشهوة والنزوة . وهذا هو الميل العظيم الذي يحذر الله المؤمنين إياه ، وهو يحذرهم ما يريد لهم الذين يتبعون الشهوات . وقد كانوا يبدلون جهدهم لرد المجتمع المسلم إلى الجاهلية في هذا المجال الأخلاقي ، الذي تفوقوا فيه وتفردوا بفعل المنهج الإلهي القويم النظيف . وهؤلاء ما تريد اليوم الأقلام الهابطة والأجهزة الموجهة لتحطيم ما بقي من الحواجز في المجتمع دون الانطلاق البهيمي ، الذي لا عاصم منه ، إلا منهج الله ، حين تفرغ العصبة المؤمنة في الأرض - إن شاء الله " (١) .

٥ - ويقول الدكتور عبد القادر حاتم في تعريفه للرأي العام :

"الرأي العام هو الحكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما"

ويشترط لتحقيق ذلك شروط من أهمها :

- أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية .

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن - ط دار الشروق، المجلد الثاني ج ٥ ، ص ٦٣١ ، ٦٣٢ .



- أن تكون القضية مثارة بكل حقائقها ، عن طريق القيادة أو أجهزة الإعلام والدعاية ، أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة .

- أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية متفقا تماما مع المعتقدات العامة للناس مثل العقيدة الدينية أو الوطنية أو القومية أو غيرها من العقائد التي يعتنقها الشعب ( ١ ) .

وهذا التعريف للرأى العام لا يختلف كثيرا عن التعريفات التي سبقته من حيث الغموض وعدم التحديد والدقة فى مدلول بعض الكلمات التى وردت فى التعريف . فمثلا قوله : " الرأى العام هو الحكم الذى تصل إليه الجماعة " .

هذا الحكم الذى صدر باسم الجماعة يبدل على وجود قضية مطروحة ، وما دامت هناك قضية فلا بد من وجود طرفين أو أكثر فى هذه القضية .

والأسئلة التى تفرض نفسها أمام ذلك تتلخص فيما يلى :

من ذا الذى أوجد هذه القضية ومن ذا الذى طرحها ؟ .  
من ذا الذى ناقش هذه القضية ومن ذا الذى حكم فيها ؟ .  
على أى أساس صدر مثل هذا الحكم ، ومن ذا الذى يضمن عدله ونزاهته وحرية ؟ .

إن الذين أوجدوا هذه القضية وقاموا بطرحها بشر ، والذين ناقشوها وأصدروا الحكم فيها بشر .

وما دامت القضية بشرية دما ولحما من البداية كان لابد لها فى النهاية من أن تخضع لمعايير البشر من حيث الظلم والانحراف واتساع الهوى .

قال تعالى :

" أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون " (٢) .

( ١ ) د . محمد عبد القادر حاتم : الاعلام والدعاية " نظريات وتجارب " ، ص ١٢٤ .  
( ٢ ) المائدة : آية . ٥٠ .

وقال تعالى :

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون " ( ١ ) .

وقال تعالى :

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون " ( ٢ ) .

وقال تعالى :

" ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون " ( ٣ ) .

إن الأمثلة على ظلم البشر وانحرافهم واتباعهم الهوى كثيرة  
مهما ادعى بعض هؤلاء العدل والنزاهة والحرية .

أمريكا وهي - كما يزعمون - زهية العالم الحر ، ورائدة  
الديمقراطية الغربية ، والمفروض أن يكون الرأي العام فيها - وهو  
عند المؤلف الحكم الذي تصل إليه الجماعة - حراً لا تدخل فيه ،  
صادقاً لا زيف فيه ، نزيهاً لا شك فيه .

أمريكا هذه حدث فيها ما يدهض ذلك كله ويثبت عكسه ، وأقصد  
به ما عرف في حينه بفضيحة " ووترجيت " على سبيل المثال .

إن الغش والخداع والتجسس على مقر الحزب المعارض لا يترك  
مجالاً للشك في أن الديمقراطية الغربية التي يتشدقون بها ما هي إلا  
خداع للنفس ، وأن الحكم الذي صدر في حينه باسم الرأي العام  
ما هو إلا حكم مزيف قد بنى على الغش والخداع ، وأن الذين أصدروه  
ما هم إلا حفنة من المزيفين والغشاشين .

وللأسف الشديد عندما يقرأ القارىء قول الدكتور حاتم : " ونحن  
نرى من وجهة نظرنا أن " الرأي العام هو الحكم الذي تصل إليه الجماعة  
في قضية ما ذات اعتبار ما " يعتقد هذا القارىء بما لا يدع مجالاً  
للشك أن هذا التعريف للرأي العام هو محض اجتهاد منه .

---

( ١ ) القاعدة : آية ٤٤ .

( ٢ ) القاعدة : آية ٤٥ .

( ٣ ) القاعدة : آية ٤٧ .

ولكن عندما يقرأ نفس القارىء تعريف "جيمس يانج" للرأى العام لا بد أن يعدم لتطابق التعريفين تطابقاً تاماً .

يقول "جيمس يانج" :

"الرأى العام هو الحكم الاجتماعى الذى يعبر عن مجتمع واع بذاته ، وذلك بالنسبة لسألة عامة لها أهميتها . . على أن يتم الوصول إلى هذا الحكم الاجتماعى من طريق مناقشة عامة " (١) .

إن تلك الشروط التى وضعها "جيمس يانج" لكى يصدر هذا الحكم الاجتماعى هى نفس الشروط التى فرّعها الدكتور حاتم للحكم نفسى تعريفه ، والتى سبق ذكرها فى موضع سابق .

ولقد توج الإسلام الرأى العام بالمعانى والقيم السامية فى وقت كانت الدول الغربية غارقة فى بحار من ظلمات الجهل ، والتأمل لرسالة محمد صلى الله عليه وسلم يجد اهتمام الدعوة الإسلامية بالرأى العام ، فقال تعالى مخاطباً نبيه :

"ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك " (٢) .

ويتمثل اهتمام رسالة محمد صلى الله عليه وسلم بالرأى العام فى القرآن الكريم الذى يبدو واضحاً فى قوله تعالى :

"فأخف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر " (٣) .

وقد نهج الخلفاء الراشدون هذا المسلك فى أسلوب حكمهم ، وليس أدل على ذلك من قول أبى بكر أول الخلفاء الراشدين فى أول خطبة له :

"إنى قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فإن رأيتمنى على حق فأصوننى ، وإن رأيتمنى على باطل فقومونى " ، وأكد عمر بن

---

(١) د . أحمد بدر: الرأى العام " طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة

العامة " ، ص ٤٨ ، ص ٤٩ .

(٢) آل عمران : آية ١٥٩ .

(٣) آل عمران : آية ١٥٩ .

الخطاب ثانياً الخلفاء الراشدين هذا العهد حين أعلن أمام جميع المسلمين : " أصابت امرأة وأخطأ عمر " (١) .

إن ذلك هو موقف الإسلام من الرأي العام ، ذلك الموقف الذى يتضمن :

- ١ - الرفق بالمحكومين وعدم ترفع الحاكم عليهم بحال من الأحوال .
- ٢ - مشاورتهم فى الأمر والعفو عن أساءتهم .
- ٣ - المساواة الكاملة فى الحقوق والواجبات بين الحاكم والرمية .
- ٤ - الرجوع إلى الحق واجب على كل مسلم لافرق فى ذلك بين الحاكم والمحكوم .
- ٥ - مراجعة الحاكم إذا أخطأ واجب على الجماعة المسلمة .
- ٦ - معارضة الأمة بالحقائق واجب على الحاكم المسلم لتفريط فيه .

## ٢ - تكوين الرأي العام :

يتكون الرأي العام نتيجة لعناصر كثيرة هى فى الأصل مقومات تكوين الرأي الفردى ومن العسير أن يحدد المرء على وجه الدقة كيفية تكوين الرأي العام ، ومعظم الإنتاج الفكرى فى هذا المجال ما زال إنتاجاً نظرياً ، ولم تصل نتائج الدراسة فيه بعد إلى حقائق ثابتة تعتمد على التجارب العلمية الدقيقة .

وإذا كان الرأي العام يتكون فى الأصل نتيجة لتكوين رأى الفردى ، والإنسان الفرد يتكون رأيه بعد انصهار العناصر التى تصنع أفكاره وعواطفه ، فقد وصل علماء الإعلام إلى أن هذا الرأى يتكون كما يلى (٢) :

### ١ - نتيجة النشأة والبيئة .

- (١) د . محى الدين عبد الحليم : الاعلام الاسلامى وتطبيقاته العملية ، ص ١٠٠ ، ٩٩ ، هذا ويتشكك بعض المؤرخين فى هذه القصة ، وإن كان العقاد قد اعتمدها فى كتابه ( عبقرية عمر ) .
- (٢) د . محمد عبد القادر حاتم : الاعلام والدعاية " نظريات وتجارب " ، ص ١٢٨ .

- ٢ - نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمى إليها الفرد .
  - ٣ - نوعية الثقافة .
  - ٤ - تأثير وسائل الاتصال .
  - ٥ - أهمية تأثير الدين والتقاليد الموروثة .
  - ٦ - أهمية المدرسة والبيت .
  - ٧ - أهمية التجارب الإنسانية الماضية .
  - ٨ - الظروف التي يعيشها ويفكر فيها للمستقبل .
- ولقد حاول العديد من العلماء تحديد أثر البيئة في حياة الإنسان فنجد الباحث " هيج " مثلاً يحدد مظاهر أثر البيئة في حياة الإنسان فيما يلي :

- ١ - أثر البيئة في صفات الإنسان وخصائصه الجسدية .
  - ٢ - أثرها في سكنه وطبسه وفضائه .
  - ٣ - أثرها في حرفته .
  - ٤ - أثرها في مختلف نواحي النشاط الاقتصادي .
  - ٥ - أثرها في مدى تقدم الحضارة .
- ما تقدم نرى مدى تغلغل البيئة الطبيعية في حياة الإنسان وتصرفاته وسائر نشاطه في كافة النواحي ، ليس هذا فقط بل تؤثر البيئة في ازدهار الحضارات أو تخلفها (١) .
- وللمناخ أثر كبير في تكوين الرأي العام ، ففي البلاد المشمسة ذات السماء الصافية يتقارع الناس الحجج في الأسواق والعراء ، بينما في البلاد الباردة المعتمة الطيبة بالضباب البارد ينحصر نشاط الرأي العام في أماكن مغلقة كما هو مشاهد في بلاد الشمال .

---

(١) د. سعيد سراج : الرأي العام " مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة "

ويصعب في الجو البارد القارس جمع المواطنين في مكان واحد ،  
ويشكل المناخ طابع كل أمة على حدة - كما أن مناخ كل إقليم أو منطقة  
مثل حوض البحر الأبيض المتوسط - مثلا - تعطي للشعوب التي تحيا  
فيها أو حولها طبعا خاصة ، وأخلاقيات محددة تؤثر تأثيرا كبيرا  
على اتجاهات الرأي العام وطرائق تكوينه ، ووسائل التأثير فيه .  
وبذلك نجد المناخ يؤثر في شخصية الأمة وكذلك في حركتها  
السياسية (١) .

وليس المناخ فقط هو صاحب التأثير على الشعوب والرأي العام  
في مجال البيئة الطبيعية - بل نجد الإقليم له أيضا تأثير كبير في  
تكوين الرأي العام . فطبيعة الإقليم وموقعه الجغرافي يؤثران على  
التنشئة الاجتماعية للأفراد ، ويحددان حياة الأفراد سواء بالنسبة  
للحرف التي يمارسونها أو لمصالحهم الاجتماعية داخل المجتمع .

إن الإقليم الصحراوي يؤثر على حياة أفراده تأثيرا واضحا ،  
أما الإقليم الزراعي فيكون تأثيره على حياة أفراده عكس الإقليم الصحراوي ،  
وكذلك الحال بالنسبة للإقليم الصناعي .

لا شك أن كلا من المناخ والإقليم له تأثيره الفعال في تكوين الرأي  
العام ، ولكن هناك عوامل أخرى لا تقل أهمية عن المناخ والإقليم في  
تكوين الرأي العام . عوامل ظاهرة وأخرى خفية ، عوامل مادية وأخرى  
معنوية ، لذلك حين يتحدث العلماء ورجال الإعلام عن الرأي العام ،  
فكأنهم يتحدثون عن شبح ذي سلطة وقوة سيطرة ولكنها معنوية . . قوة  
لا يجد المواطنون والعلماء وأصحاب السلطة إلا أن يتجاهلوا معها  
ويطمئونها .

كثيرا ما نسمع أو نقول العبارات التالية : " الرأي العام يتوقع " ،  
" الرأي العام يطالب " ، " الرأي العام يكتسح كل معارضة " ، ونحن

---

(١) المرجع السابق : ص ٦٤ .

حين نسمع ذلك أو نقوله إنما نعنى أن هناك قرارات هامة سوف تتخذ بواسطة الجمهور عن طريق رجال الدولة أو القيادات التي توجد على رأس السلطة .

والقائد الحكيم لا يستطيع تجاهل الرأى العام فيما يتعلق بالرجال الذين سوف يسكون بدفة الأمور تحاشيا لحدوث أخطاء ترتكب باسم الرأى العام ، أو سوف تكون هذه الأخطاء نادرة إذا حدثت .

وكل هذه العوامل التي تعمل على تكوين الرأى العام لا تعمل منفردة ، بل تعمل مجتمعة مع وجود بعض التفاوت فى التأثير تبعاً لتفاوت المجتمعات وتباينها .

ولا تكاد تعرف ظاهرة اجتماعية تتأثر بها حولها من الأشياء كما تتأثر ظاهرة الرأى العام . ذلك أنه العروة التي تنعكس عليها صورة المجتمع بكل ما فيه من عقائد وتقاليد وعادات وأفكار وآراء وأخبار تأسى من هنا وهناك ( ١ ) .

وإذا كنا قد ذكرنا بعض العوامل التي يتكون منها الرأى العام ، والتي يمكن أن توضع تحت قائمة العوامل المادية الخارجية ، وأقصد بها عوامل البيئة كالمناخ والإقليم ، فإن هناك عوامل أخرى - من وجهة نظرى - هى العوامل المعنوية الداخلية ، وهى العوامل التي تتفاعل من داخل المجتمع ذاته ، والتي يمكن ذكر أهمها فيما يلى :

١ - الهمس والشائعات :

والهمس والشائعات من أدوات الدعاية لا الإعلام فى أغلب الأوقات ، إلا إذا تهامس الناس فى الأمور الصحيحة التي لا يستطيعون أن يصرحوا بها فى وسائل الإعلام المختلفة ، والهمس والشائعات تؤثران تأثيراً قوياً فى مسار الرأى العام عن طريق التأثير فى الخاصة والعامة من الناس ، وخاصة فى أثناء الأزمات

( ١ ) د . عبداللطيف حمزة : الاعلام والدعاية ، ص ٣٨ ( دار الفكر العربى ، القاهرة ) ط ٢ ، ١٩٧٨ م .

السياسية أو الاقتصادية ، أو في أوقات الحروب . والناس فيهم الكثير من يميل إلى تصديق الشائعات دون محاولة منهم للوقوف على الحقيقة ، وقد لا يكتفى أحدهم بتصديق الشائعات حسنتي يضيف إليها من عنده ، ويأتي بعده من يضيف إليها شيئا آخر وهكذا .

وهنا يكمن الخطر كل الخطر من الشائعات مهما كانت بسيطة في أول أمرها ( ١ ) .

ووجود الشائعات قد يرجع إلى إيجاد خبر لا أساس له من الصحة ، أو إلى تلفيق خبر لا نصيب له من الصدق ، أو إلى مخالفة مقصودة وتزويد واضح في نقل خبر له وجود أصلا .

٢ - الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون :

وهؤلاء قسمان :

الأول : يعمل على سيطرة الأمة والعمل على تحقيق أهدافها الموجودة أصلا لدى الرأي العام للأمة دون أن يحاول هذا النوع من القادة أن يفرض عليها تجديدا أو تغييرا قد يصطدم بالرأي العام للأمة ، وهؤلاء القادة هم أسرع نجاحا وأقوى تأثيرا في اتجاه الرأي العام خاصة في المجال السياسي .

الثاني : يعمل على إيجاد تغيير واضح ومؤثر في اتجاه الرأي العام للأمة ، وهؤلاء القادة هم الدعاة المصلحون الذين يعملون على إصلاح المجتمع عقديا ومعاربة الخرافات والبدع التي كثيرا ما تؤثر في الأمة تأثيرا مدمرا .، وهؤلاء الدعاة يكونون عادة أبطأ نجاحا لكنهم أعمق تأثيرا في ضمير الأمة .

---

( ١ ) المرجع السابق .



٣ - التراث الحضارى :

والمقصود بالتراث الحضارى كل ما يحيط بالأمة من تجارب  
وخبيرات قديمة وتاريخ سياسى وثقافى واجتماعى وأدبى وفنى .  
وتعتبر المعتقدات الدينية أولا وأخيرا أهم هذه العوامل  
فى الحقيقة ، وسبب هذا التراث الحضارى للأمة يكون استمساكها  
بالمعقيدة أو برأى من الآراء ، أو بفكرة أو بعرف من الأعراف .  
ويعتبر عامل التراث الحضارى عاملا من أخطر العوامل فى  
تكوين الرأى العام الثابت للأمة ، ولما كان الدين الإسلامى هو  
أهم عناصر هذا التراث الحضارى للأمة العربية فإن الشيوعية قد  
عجزت عن غزو العالم العربى غزوا مذهبيا على نحو ما فعلته فى بعض  
البلاد الأوربية والآسيوية ، ذلك أن الدين الإسلامى يقف عقبة  
كأداة ضد الشيوعية ، وسيبقى الحال هكذا مادامت الأمة  
الإسلامية متمسكة بدينها الحنيف ضد هذه المذاهب الهداية .  
لذلك اهتمت رسالة الإسلام بجماهير الرأى العام وحفظ  
القرآن الكرم فى كثير من آياته بهذه الجماهير كما حدد أساليب  
مخاطبتهم ، ويؤكد الإسلام على ضرورة الرجوع إلى الرأى العام  
للاستعانة به فى مختلف الأمور ، فقال تعالى :

" وأمرهم شورى بينهم " (١) .

وجعل حكم الرأى العام على المؤمن رقيبها على أعمال السؤولين

ومحاسبتهم ، بعد الله ورسوله (٢) .

---

(١) الشورى : آية ٣٨ .

(٢) د . محى الدين عبد الحلیم : الإعلام الإسلامى وتطبيقاته العملية ، ص ١٧٢  
( إلا أننى أعترض على ما جاء فى عبارة الدكتور ) ، حيث قال :  
" وجعل حكم الرأى العام على المؤمن شريكا لحكم الله ورسوله فى تقييم  
أعمال السؤولين ومحاسبتهم " ، واعتراض على العبارة السابقة يستند إلى قوله  
تعالى من سورة الكهف ، آية ٢٦ " ما لهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه  
أحدا " .

فقال تعالى : " وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله  
والمؤمنون " (١) .

من هنا نشطت الدعوة الإسلامية لكسب الرأي العام فسي  
أنحاء الأرض المختلفة إلى جانب الدين الإسلامي دون تهديد  
أو إكراه ، قال تعالى :

" لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي " (٢) .

ويقول عز من قائل :

" ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا أفأنت تكفره  
الناس حتى يكونوا مؤمنين " (٣) .

وبذلك يكون الإسلام قد أكد من أول وهلة على حرية الرأي ،  
وحرية العقيدة ، ودعا الناس للتعبير في حرية تامة عن آرائهم  
دون الانسياق خلف آراء الآخرين .

وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم فيما رواه الترمذى :

" حدثنا أبو هاشم الرفاعي محمد بن يزيد ، حدثنا محمد بن  
فضيل عن الوليد بن عبد الله بن جميع ، عن أبي الطفيل عن حذيفة  
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تكونوا إمعة  
تقولون إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم  
إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساءوا فلا تظلموا " (٤) .

قال أبو عيسى : هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه .

---

(١) آل عمران : آية ٦٤ .

(٢) البقرة : آية ٢٥٦ .

(٣) يونس : آية ٩٩ .

(٤) الترمذى : الجامع الصحيح سنن الترمذى - تحقيق : إبراهيم عطوه

عوض ، ( كتاب البر والصلة باب ما جاء في الإحسان والعفو ) ج ٤ ،

ص ٣٦٤ ، ط ( دار إحياء التراث العربى - بيروت ) ط ١٣٨١ هـ /

١٩٦٢ م .

وقال الألباني في "مشكاة المصابيح" : الإسناد ضعيف وقد صح عن ابن سمعود موقوفاً ( ١ ) .

وما اجتمع السقيفة ، وما دار فيه من حوار بين المهاجرين والأنصار لا اختيار خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم إثر وفاته ، واختيار أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، أول خليفة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، الإعلامة قوية على اهتمام الإسلام برأي الناس وهدأ الشورى في أخطر أمر من أمور دينهم وديناهم ، ألا وهو أمر الخلافة .

في الوقت نفسه نجد المساجد قد جاءت مع الإسلام كمنابر لتوجيه الرأي العام ، وتضامن المسلمين وتآلفهم ، ولكن يتدارسوا فيه شئون دينهم وديناهم ( ٢ ) .

لذلك نرى الإسلام قد اهتم بالإنسان وحياته وتصرفاته وحرياته وآرائه إلى الحد الذي لا يتعدى فيه حدود الله في كل زمان ومكان .

"فإنسان القرآن هو إنسان القرن العشرين وما قبله وما بعده" ( ٣ ) .

ذلك لأن القرآن الكريم صالح لكل زمان ومكان ، وهو آخر الكتب السماوية المنزلة من عند الله سبحانه وتعالى ، وضع للبشرية قواعد العدل والمساواة والتكامل الاجتماعي ، ليس للمسلمين فحسب وإنما للبشرية جمعاء ( ٤ ) .

- 
- ( ١ ) محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي : مشكاة المصابيح - تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ( كتاب الآداب - باب الظلم ) ج ٣ حديث رقم ٥١٢٩ ط ٢ ( المكتب الإسلامي - بيروت ) ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م .
- ( ٢ ) د . سعيد سراج : الرأي العام ( مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة ) ، ص ١٠٣ .
- ( ٣ ) عباس محمود العقاد : الإنسان في القرآن الكريم ، ص ٦ ( دار السلام - القاهرة ) .
- ( ٤ ) د . سعيد سراج : الرأي العام ( مقوماته وأثره في النظم السياسية المعاصرة ) ، ص ١٠٤ .

٣ - وظيفة الرأي العام :

إن الفكرة العامة عن اتجاه الرأي العام ووظيفته في نظام سياسي معين ، تعتمد على المعتقدات السائدة التي يعتنقها الناس في المجتمع .  
ومادامت وظيفة الرأي العام تتحدد بالنظام السياسي . . فما هي هذه النظم السياسية ، وما هي وظيفة الرأي العام في كل منها . . ؟

الواقع أن كثيرا من الباحثين يرون أن هذه النظم السياسية تميل إلى الاستقطاب في شكلين أساسيين هما في الشكل الديمقراطي - الدستوري ، والشكل التسلطي .

وعلى الرغم من هذا الاستقطاب في النظم السياسية ووظيفة الرأي العام في كل منها ، فهناك درجات واسعة من الاختلاف والاتفاق بين هذه النظم والنظريات .

١ - النظام الديمقراطي " الدستوري " :

يفترض هذا النظام أن السلطة السياسية تتكون من مجموعة من الهيئات التمثيلية التي تتركز على حكم الأغلبية وعلى رضا المحكومين وعلى حق المعارضة السياسية .

كما يسمح هذا النظام السياسي بالتجمع الاختياري للأفراد ، في أي شكل من أشكال التنظيم بما يتفق مع التحقيق الجماعي للأهداف التي لا يستطيع تحقيقها الأفراد بأنفسهم (١) .

وعلاوة على ذلك فإن هذا النظام يوضع في اعتباره احترام بعض الحقوق والواجبات الأساسية للمواطن .

والنظام الديمقراطي يعتبر الرأي العام مصدراً للدساتير والقوانين ، وهو الذي يصدق عليها ويؤيدها ويحافظ على تطبيقها لأنها ترعى مصالحه وحاجاته ولأنها نابعة منه .

---

(١) د . أحمد بدر : الرأي العام " طبيعته وقياسه ودوره في السياسة العامة " ، ص ٨٤ ، ٨٥ .

فإذا رأى الرأى العام أن هذه القوانين لم تعد تسير تطوره  
أو أنها تقف فى وجه مصالحه واحتياجاته سارع بتعديل هذه  
القوانين أو تعطيلها أو إلغائها .

وأخيرا يمكن القول بأن الرأى العام فى النظام الديمقراطى  
" الدستورى " يعتبر سندا للهيئات والمؤسسات الاجتماعية .  
ذلك لأنه يسهل على هذه الهيئات تأدية رسالتها الحضارية  
والثقافية ، والمؤسسة أو الهيئة الاجتماعية التى لا يسندها  
الرأى العام لا تستطيع أن تحصل على ما تريده من الدعم العالى ،  
والاعتمادات السنوية من الميزانية ، بل قد تخطر مثل هذه  
المؤسسات التى لا تحظى باحترام الرأى العام وتأييده إلى تصفية  
أعمالها وإلغائها ( ١ ) .

## ٢ - النظام التسلطى :

يشور هنا تساؤل : هل يوجد رأى عام فى النظام التسلطى ؟  
ولن نجد فما دوره فى العمل السياسى ؟ وما مدى إيجابيته ؟  
فى النظام التسلطية المبنية على وضع قيود على الحريات ،  
ومنع الرأى المعارض من الظهور ، يسود الرأى العام الذى يتكسب  
بعد أن تستقطبه السلطة الحاكمة بالعديد من الأفكار والاتجاهات  
التي تبشها هذه السلطة لتقنع الرأى العام بالنظام القائم .

ولم يستطع النظام الماركسى أن يستميل الرأى العام داخل  
الاتحاد السوفيتى ، إلا بعد أن أقام " ستالين " ستاره الحديدى  
حتى لا تتسرب آراء وأفكار ومبادئ العالم الخارجى إلى الشعب  
السوفيتى قبل أن يتمكن الحزب وأجهزة دعاته من الانتهاك من  
عملية " غسيل المخ " التى يضطلع بها ، وغرس المبادئ الماركسية  
فى الأذهان ( ٢ ) .

( ١ ) المرجع السابق : ص ٦٨ .

( ٢ ) شاكر ابراهيم : الإعلام ووسائله ودوره فى التنمية الاقتصادية والاجتماعية ،  
ص ٤١ ، ( مؤسسة آدم للنشر والتوزيع ) ١٩٧٥ م .

وتتمثل هذه المبادئ في أن الساطة السياسية تنبع من مصدر معين فوق الشعب ، ولا يسمح بتشكيل تنظيمات عنابة الرأى أو النشاطات السياسية فى عطيات تكوين السياسة التى سيحكم بها الأفراد ، إلا فى حالات ترضى بها السلطة وتحت التحكم المباشر للحاكم الشرعى أو الجماعة الحاكمة .

وعلى ذلك يمكن القول بأنه إذا كان الرأى العام يعتبر مصدر القوانين فى النظام الديمقراطى " الدستورى " ، فالنظام التسلطى يفرض على الرأى العام القوانين التى يراها هو ملائمة له ، والتى تضمن لهذه الساطة التسلطية البقاء فى الحكم .

ولذا كان العرض السابق لوظيفة الرأى العام قد ركز على الجوانب التى تتجدد داخل إطار نظام سياسى معين ، فهناك بعض الوظائف التى تنسحب على جميع المجتمعات على اختلاف نظمها السياسية ، وأهم تلك الوظائف ما يلى : ( ١ )

١ - الرأى العام يعنى المثل الإنسانية والقيم الاجتماعية والمعايير والمبادئ الأخلاقية السائدة فى مجتمع معين ، مؤكداً بذلك النسيج الحضارى لأمة من الأمم .

٢ - الرأى العام يحفظ الروح المعنوية ويملؤها حيوية . . وخصوصاً عندما تتعرض الدولة لخطر غزو خارجى .

وهاتان الوظيفتان السابقتان توضحان تأثير الرأى العام على حياة الجماعة ككل لا يتجزأ .

أما تأثير الرأى العام على الأفراد كأفراد وكأعضاء فى هذه الجماعة فيتركز فيما يلى :

١ - تعود الأفراد على الطاعة الاجتماعية ، وانصياعهم لما هو سائد فى المجتمع من القيم والتزام الفرد بسلوك اجتماعى يرضى عنه المجتمع .

---

( ١ ) د . احمد بدر : الرأى العام ( طبيعته وقياسه ودوره فى السياسة العامة )

٢ - تهذيب أنانية الفرد وضبطها ، وذلك لأن الرأي العام يساعد المؤسسات العقابية أو العلاجية على إتمام رسالتها في تهذيب أنانية الفرد ومنعه من الخروج عن الجماعة ونظمها .

والرأي العام هو المجال الذي يعمل في نطاقه أى عمل إعلامى وقد اهتم الإسلام بجماهير الرأي العام اهتماما كبيرا ، وحفل القرآن الكريم فى كثير من آياته بهذه الجماهير فى حياتهم العامة والخاصة .

لم يترك القرآن الكريم صغيرة أو كبيرة إلا جعلها للبشرية منهاجا فى الحياة الدنيا ، وطريقا للنجاة فى الحياة الآخرة .

ففى السلم حيث تمر الحياة اليومية بالحركة ، وتتشابك العلاقة بين الإنسان وأخيه الإنسان ، لا يترك الإسلام الناس سدى ، يتصرفون فى حياتهم كيفما شاؤوا ، بل يحدد لهم منهاج العمل الذى يجب أن يلتزموا به جميعا دون استثناء أو تمييز .

فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر مناط الخير فى الأمة الإسلامية ولولاه لما أصبحت خيرا أمة أخرجت للناس .

قال تعالى :

" كنتم خيرا أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر " (١) .

ولن يتأتى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر الا حينما يأخذ كسب سلم طين عاتقه أداء المهمة الإعلامية التى كلفه بها ربه ، والتى تتمثل فى الدعوة إلى الله حيث ميز القائمين بها وقربهم إليه عن سواهم .

قال تعالى :

" ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إننى من المسلمين " (٢) .

---

(١) آل عمران : آية ١١٠ .

(٢) فصلت : آية ٣٣ .

وفى السلم أيضا يستمر العطاء الربانى دون انقطاع حتى تبقى  
الأمة الإسلامية خير أمة أخرجت للناس .

ومادام المؤمن هو القدوة الحسنة أصبح لزاما عليه أن يأمر نفسه  
أولا بالبر والخير والمعروف ، ويلتزم بذلك فى سلوكه الخاص والعام ، ثم  
بأمر بعد ذلك غيره حتى يطاع أمره ويستجاب نهييه .

قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون كبر مقتا عند الله  
أن تقولوا مالا تفعلون " ( ١ ) .

قال تعالى :

" أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم " ( ٢ ) .

وفى مجال التعامل البشرى حيث توجد الحسنة والسيئة يقول  
تعالى فى كتابه العزيز :

" ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هى أحسن فإن  
الذى بينك وبينه حداوة كأنه ولى حميم " ( ٣ ) .

إن الحسنة لا يستوى أثرها - كما لا تستوى قيمتها - مع السيئة  
والصبر والتسامح ، والاستعلاء على رغبة النفس فى مقابلة الشر بالشر ،  
يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة ، فتقلب من الخصومة إلى الولاء ،  
ومن الجراح إلى المين ( ٤ ) .

هذا هو الرأى العام الذى يريد الإسلام ، الرأى الذى يأمر  
بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويلتزم بما يقول ، ويقابل السيئة بالحسنة  
ويتعاون على البر والتقوى ولا يتعاون على الإثم والعدوان .

---

( ١ ) الصف : آية ٣ .

( ٢ ) التوبة : آية ٣٤ .

( ٣ ) فصلت : آية ٣٤ .

( ٤ ) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مجلد ٥ ، ج ٢٤ ، ص ٣١٢١ .



إن النفاق آفة من أخطر الآفات التي تصيب الرأى العام فتشعل  
فعاليتها وتقتل إيجابيتها ، وتصيبه بالضعف والانحطاط .  
لذلك حفل القرآن الكريم بالآيات التي تكشف المنافقين وتفضحهم ،  
وتبين للمؤمنين أساليبهم وتسخر منهم .  
قال تعالى :

" ولذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم  
قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون . الله يستهزى بهم ويدهم فسى  
طغيانهم يعمهون " ( ١ ) .

ويحدد القرآن الكريم موقع المنافقين من الآخرة ، وأى نوع من  
العذاب ينتظرهم .  
قال تعالى :

" إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم  
نصيرا " ( ٢ ) .

فى الدرك الأسفل من النار . . إنه مصير يتفوق مع شقطة الأرض التي  
تلحقهم بالتراب ، فلا ينطلقون ولا يرتفعون . شقطة المطامع  
والرفائب ، والحرص والحذر ، والضعف والخور ، الشقطة التي تهبط بهم  
إلى موالاة الكافرين ومداراة المؤمنين . والوقوف فى الحياة ذلك الموقف  
المهين : " مذهبين بين ذلك . لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء " . فهم  
كانوا فى الحياة الدنيا يزاولون تهيئة أنفسهم وإعدادها لذلك المصير  
" فى الدرك الأسفل من النار " بلا أعوان هنالك ولا أنصار . . وهم كانوا يوالون  
الكفار فى الدنيا ، فأنى ينصرهم الكفار ؟ ( ٣ ) .

( ١ ) البقرة : آية ١٤ ، ١٥ .

( ٢ ) النساء : آية ١٤٥ .

( ٣ ) سيد قطب : فى ظلال القرآن ، مجلد ٢ ج ٥ ، ص ٢٨٥ .

إن ذلك قليل من كثير لمفهوم الإسلام المرأى العام وما يجب أن يكون عليه في السلم حيث يتعامل الجميع فيما بينهم .

أما مفهوم الإسلام للرأى العام أثناء الجهاد فهو نفس المفهوم له أثناء السلم ، فالفتوحات الإسلامية لم يكن هدفها العدوان والاستيلاء على أراضى الغير ، ولكنه التطلع النفسى الذى يثيرة حق الدعوة فسى نفوس أصحابها ، فقد خرجت الجماعة الإسلامية داعية إلى الله يطلوها هذا الإحساس الذى يحوج فى صدور الدعاة ويتدفق فى أعماقهم .

لذلك أمر القرآن الكريم الجماعة المسلمة بالإعداد للحرب حتى ترهب أعداء الله وأعداءها ، قال تعالى :

" وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم " ( ١ ) .

ولكن أى الفئات يجب على الجماعة المسلمة قتالها .. ؟ يقول تعالى فى الفئة الأولى :

" قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " ( ٢ )

ويقول تعالى فى الفئة الثانية :

" الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا " ( ٣ ) .

ويقول تعالى فى الفئة الثالثة :

" وإن كنتم أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " ( ٤ ) .

---

( ١ ) الأنفال : آية ٦٠ .

( ٢ ) التوبة : آية ٢٩ .

( ٣ ) النساء : آية ٧٦ .

( ٤ ) التوبة : آية ١٢ .

ويقول تعالى في الفئة الرابعة :

" وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين " (١) .

وللجهاد في الإسلام أسباب ودوافع حددها الشارع سبحانه وتعالى وأوجبها على الجماعة المسلمة فلا تتجاوزها .  
قال تعالى :

" وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين " (٢) .

وقال تعالى :

" قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين " (٣) .

وقال تعالى :

" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير " (٤) .  
وهكذا يتضح أن الجهاد في الإسلام هو في حد ذاته وسيلة ضرورية لنشر الدعوة الإسلامية والحفاظ عليها في كل وقت .

كذلك يظهر بما لا يدع مجالاً للشك أن الجهاد في الإسلام تحكمه أخلاقيات هذا الدين ، فكانت وصايا الرسول صلى الله عليه وسلم وأبى بكر وعمر من بعده لقادة الجيوش بعدم قتل النساء والأطفال والشيوخ وعدم هدم المنازل وقطع الأشجار وارتكاب المعاصي وأن يحسنوا معاملة الأسرى وعدم الغدر بهم .

---

(١) البقرة : آية ١٩٠ .

(٢) البقرة : آية ١٩٣ .

(٣) التوبة : آية ١٤ .

(٤) الحج : آية ٣٩ .

٤ - أنواع الرأي العام من النواحي التالية :

أ - النطاق :

ينقسم الرأي العام من ناحية النطاق إلى :

- رأى عام محلى أو وطنى ، وهو الرأى الذى يسود غالبية الشعب الواحد حول قضية عامة يدور حولها النقاش والجدل ، وتحتاج إلى قرار يتخذ بشأنها ، لأنها تمس المصلحة العامة .

والرأى العام المحلى أو الوطنى يتنوع تبعاً لنوعية الأفراد المطلوب معرفة آرائهم حول هذه المشاكل والقضايا التى تخصهم ، ومثل هذا الرأى العام هو ما يسميه البعض بالرأى العام النوعى (١) ومنه على سبيل المثال :

- الرأى العام الزراعى :

وهو الرأى السائد بين الفلاحين والمهتمين بشئون الزراعة ورغبة منهم فى إيجاد الحلول المناسبة لقضاياهم واحتياجاتهم ، والتعبير عن وجهة نظرهم تجاه أفضل السبل التى تؤدى إلى تطوير وسائل الزراعة من أجل انتاج أفضل .

- الرأى العام الصناعى :

وهو الرأى الذى يسود أفراد المجتمعات الصناعية بحثاً عن حل للمشاكل التى قد تنشأ فى المناطق الصناعية ورغبة فى تطوير إنتاجها وتحسينه بصفة مستمرة والعمل على حماية الصناعة الوطنية من المنافسة الأجنبية .

- الرأى العام التجارى :

وهو الرأى السائد بين المشتغلين والمهتمين بالتجارة الداخلية والخارجية ، والعمل على تنمية هذه التجارة ، وفتح الأسواق الجديدة أمامها سواء فى الداخل أو الخارج .

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام والدعاية ، ص ٣٣ .

رأى عام إقليمي :

وهو الرأي الذي يسود عدة شعوب متجاورة جغرافيا وترتبطها أهداف ومصالح مشتركة ، ومن أمثلته البارزة : الرأي العام العربي الذي سرعان ما يتوحد أمام القضايا المصيرية التي يرى أنها سوف تؤثر عليه في المدى القريب أو البعيد سواء في المجال الداخلي أو الخارجي .

ومن أمثلته أيضا : الرأي العام الأوروبي الذي كثيرا ما نسمع عن تأثيره في مسار الأحداث الدولية الهامة .

ولا شك أن الرأي العام الإقليمي له تأثيره الفعال في مجريات الأمور داخل الإقليم وخارجه خاصة إذا توحد أمام القضايا السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وغير ذلك من القضايا التي قد تمس أمن الإقليم واستقراره .

رأى عام دولي أو عالمي :

ويعتبر الرأي العام الدولي أو العالمي ظاهرة واضحة — من مظاهر المجتمع الدولي المعاصر ، وطاملا مؤثرا في توجيه السياسة الدولية ، ولقد تبلورت ظاهرة الرأي العام الدولي في أعقاب الحرب العالمية الأولى حيث اتحدت شعوب العالم من أجل وضع حد لسفك الدماء ، ومحاولة حل المشاكل الدولية بالطرق السلمية ، لذلك أنشئت عصبة الأمم عام ١٩١٨م .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية بدمارها الذي شمل معظم أنحاء العالم فازدادت الرغبة في التعاون المتبادل بين الشعوب فقامت هيئة الأمم المتحدة لتحل محل عصبة الأمم .

وللرأي العام الدولي تأثير كبير في كبح جماح الدول المعتدية والتي ترغب في التوسع والسيطرة على باقي الشعوب ، وهو بذلك يعتبر أحد الضوابط التي تحد من السلوك السياسي للدولة .

ب - الاستمرار الزمني :

ينقسم الرأي العام من حيث مدى دوامه واستمراره إلى عدة

أنواع : ( ١ )

- رأى عام دائم أو رأى عام كلي :

وهو الرأى الذى يركز على قاعدة تاريخية وثقافية ودينية ويشترك فيه كل أفراد الجماعة ، ويمتاز بالاستقرار والثبات جيلا بعد جيل .

كالرأى العام العربى وكراهيته للصهيونية والاستعمار ، والرأى العام الصهيونى وتعصبه لإسرائيل . مثل هذا النوع من الرأى العام يتصف بصفة الدوام والاستمرار .

ومثل هذا النوع من الرأى العام هو الذى ساد العالم الإسلامى أثناء الحروب الصليبية حتى بلغ ذروته فى عهد صلاح الدين ما ساعد على هزيمة الصليبيين واسترداد بيت المقدس منهم .

- رأى عام مؤقت :

وهو الرأى الذى ينشأ نتيجة حادث عارض ، وينتهى دوام هذا الرأى بمجرد إيجاد الحل المقبول لهذه المشكلة أو هذا الحادث ، وتمثله الأحزاب السياسية والهيئات ذات الأهداف والبرامج المحددة ، ومتى انتهت هذه الأحزاب أو الهيئات انتهى هذا النوع من الرأى العام .

وهذا النوع من الرأى العام لا يصلح - بصفة عامة - لأن تقوم عليه دراسات على عكس الرأى العام الدائم الذى تقوم عليه الدراسات العميقة من جانب المشتغلين بمجالات قياس ودراسة الرأى العام ( ٢ ) .

---

( ١ ) فلان دياب : الرأى العام وطرق قياسه ، ص ٩ ( مطابع الدار القومية )

١٩٦٢م

( ٢ ) د . سعيد سراج : ( الرأى العام مقوماته وأثره فى النظام السياسية المعاصرة ) ص ١٤ .

- رأى عام يومى :

ويمثل الفكرة اليومية التي يعتنقها معظم أفراد الجماعة نتيجة  
احداث مفاجئ ، أو كارثة حلت بالجماعة أو حدث سياسى خطير ،  
وهذا النوع من الرأى العام متقلب من يوم إلى آخر ( ( ١ ) .  
والرأى العام اليومى يمثل باستمرار الحركة الدائرية  
والمتجددة للرأى العام لدى الشعوب ، وتحركه وسائل الإعلام  
والشائعات والمصالح المباشرة للشعوب .

ج - الظهور والعلانية :

ينقسم الرأى العام من ناحية الظهور والعلانية إلى نوعين : ( ٢ )

- رأى عام ظاهر :

وهو الرأى العام الذى يتم التعبير عنه صراحة بأى أسلوب  
ممكن ، وهو يتم فى الدول التى تتمتع شعوبها بالحرية والديمقراطية  
وممارسة حرية الرأى وحرية التعبير وحرية الفكر دون قيود .

كذلك حين يتمكن الشعب من التعبير عن رأيه بوسائل الإسلام  
المختلفة فى موضوع معين فرأيه بذلك يعتبر رأيا ظاهرا أو صريحا .

- رأى عام غير ظاهر أو ( كامن ) :

وهو أن يقف الشعب من قضية ما موقفا سلبيا أو يتخذ منها  
موقفا معينا ويحدث ذلك عادة - فى الدول التسايطية التى  
تحرم شعوبها من الحقوق والحريات ، وخاصة حرية الرأى وحرية  
الفكر وحرية التعبير .

ويظل الرأى العام كامنا وغير ظاهر حتى تتاح له فرصة للظهور  
والعلانية .

---

( ١ ) د . احمد بدر : الرأى العام ( طبيعته وتكوينه وقياسه ودوره فى السياسة  
العامية ) ص ٦١ .

( ٢ ) د . محمد أبو زيد : سيكولوجية الرأى العام ورسائله ، ص ٣٥ هامش ( عالم  
الكتب )

والرأى العام في الإسلام لا يعرف غير الظهور والعلانية ، لا يعرف الغموض أو السلبية أو عدم الاكتراث ، كل فرد في الجماعة المسلمة له دوره الإيجابي الذي يجب عليه أن يؤديه ، كتمان الحق منه في الإسلام .

قال تعالى :

" ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون " ( ١ ) .  
وإذا كان الله سبحانه وتعالى يعلم ما يبدى المرء وما يكتُم ، فكيف للمؤمن أن يكتُم في نفسه ما ينفَع به الجماعة المسلمة أو يدفع به شراً عنها . . . ؟

قال تعالى :

" ما على الرسول إلا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون " ( ٢ ) .  
بعد ذلك يبين الله سبحانه وتعالى أن العقاب الذي يتناسب وحجم كتمان ما أنزل الله من البينات والهدى هو الطرد من رحمته سبحانه .

قال تعالى :

" ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه  
في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون " ( ٣ ) .

أما في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فقد جاء في الجامع الصحيح للإمام مسلم ( باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان ،

- 
- ( ١ ) البقرة : آية ٤٢ .  
( ٢ ) المائدة : آية ٩٩ .  
( ٣ ) البقرة : آية ١٥٩ .



وأن الإيمان يزيد وينقص ، وأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبان .

\* حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان ، وحدثنا محمد بن الثني ، حدثنا محمد بن جعفر ، حدثنا شعبة كلاهما عن قيس بن سمام عن طارق بن شهاب ، وهذا حديث أبي بكر قال : أول من بدأ بالخطبة قبل الصلاة مروان فقام إليه رجل فقال : الصلاة قبل الخطبة ، فقال قد ترك ما هنالك ، فقال أبو سعيد : أما هذا فقد قضى ما عليه ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من رأى منكم منكراً فليغيره بيده ، فإن لم يستطع فبلسانه ، فإن لم يستطع فبقلبه ، وذلك أضعف الإيمان \* ( ١ ) . وإذا كان أضعف الإيمان هو تغيير المنكر بالقلب ، فمعنى ذلك أن تغيير المنكر باللسان ، لكن إيمانه أقل من تغيير المنكر باللسان ، وتغيير المنكر باللسان أقل إيماناً من تغيير المنكر باليد .

من ذلك يتضح أن الرأي العام الاسلامي رأى إيجابياً لاسلبية فيه ، صريح لا التواء فيه ، ظاهر لا غموض فيه ، ثابت لا تغيير فيه لأنه إذا أحب فهو يحب في الله ، وإذا كره فهو يكره في الله ، يحكمه كتاب الله وسنة نبيه عليه الصلاة والسلام .

---

( ١ ) الإمام مسلم : الجامع الصحيح ( المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ) المجلد الأول ج ١ ، ص ٥٠٥ .

الباب الأول

---

التعبئة الإعلامية الأوروبية وأثرها في التمهيد  
للحروب الصليبية

---

## الفصل الأول

---

“ تصور عام للحروب الصليبية التي شنّها نصارى أوروبا على الأمة الإسلامية ”

---

- ١ - حقيقة الحروب الصليبية . .
- ٢ - من هم الصليبيون . . . . . ؟
- ٣ - دوافع الحروب الصليبية . .
- ٤ - الحملات الصليبية التي تنالّت على العالم الإسلامى . .

١ - حقيقة الحروب الصليبية :

الحروب الصليبية هي تلك الحملات العسكرية التي شنها نصارى الغرب الأوروبى على العالم الإسلامى ، وقد بدأت عام (١٠٩٦هـ/ ١٠٩٨م) بالحملة الصليبية الأولى ، حيث بلغ الصليبيون قمة تفوقهم العسكرى والإعلامى باحتلالهم بيت المقدس عام (٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م) فى حين بلغ المسلمون بقيادة صلاح الدين قمة انتصارهم العسكرى والإعلامى باستردادهم بيت المقدس عام (٥٨٣هـ/ ١١٨٧م) .

وبين القمتين كان للتعبيث الإعلامية أثرها فى الهزيمة والنصر ، وهذا ما سوف يغطيه هذا البحث على كل من الجانبين .

٢ - من هم الصليبيون ؟

الصليبيون هم أولئك النصارى الذين اتخذوا من أطاعهم السياسية ستارا لغزو المسلمين تحت أردية زينة بصورة الصليب الذى أطلق عليه "البابا أوربان الثانى" "صليب الصليبيات" أو "صليب الخلاص" .

كما أنهم لقبوا الحرب التى خاضوها ضد المسلمين "حرب الصليب المقدس" ، ومن هنا عرفوا بالصليبيين .

والصليبيون أيضا هم أولئك النصارى الذين ستروا أطاعهم ، الدنيوية تحت فيض من الحماسة الدينية الكاذبة التى انطلقت من أفواههم وتردد صداها فى جنات أوروبا :

"إنهبوا وقتلوا أعداء الله ، بالعار المسيحيين ، إن أعداءهم لم يزالوا من عهد بعيد ناصبين سرادقات نفوذهم على سوريا وأرمينيا ، بل ارتكبوا ما هو أدهى من ذلك وأمر ، إذ أنهم اختلسوا قبر المسيح ذلك العهد العجيب لإيماننا" (١) ، ولكى يزيدوا من حماسة الجماهير

---

(١) محمد رضا بك : الخمية الأدبية للسياسة الغربية فى الشرق ( الحروب الصليبية " حقائق هامة لم تنشر" ) ص ٦٦ ، ط ٢ - دار بوسلامة للطباعة والنشر - ترجمة محمد بورقيبة ، محمد الزمرلى ، ٢١٩٧٧ .

واندفاعها لإشعال هذه الحرب اختلقوا شائعة إعلامية مؤداها أن ميسى عليه السلام سوف يظهر في بيت المقدس على رأس ألف من التاريخ الصلياني ، الأمر الذي كان من نتائجه ازدياد عدد الحجاج النصارى إلى بيت المقدس زيارة غير مألوفة ، ولقد تزعم هذه الدعوة وأشعل نارها الراهب " بطرس " الملقب " ببطرس الناسك " ، وكان أكبر معضد لها " البابا أوربان الثاني " الذي وعد كل من يشترك في الحملة بإنقاذ بيت المقدس بدخول الجنة وأذاع أن الساهدة في هذه الحرب تكفير عن كل الذنوب والآثام التي أرتكبها الإنسان في حياته .

وهكذا التهبّت المواقف الدينية لنصارى أوروبا فخرجوا إلى الشرق الإسلامي رجالا ونساء وأطفالا مدفوعين برغبتهم في دخول الجنة وتكفير ذنوبهم السالفة كما وعدهم " البابا " .

وبالرغم من تكتمهم في بداية الأمر لنواياهم الشريرة إلا أن ذلك لم يدم طويلا حيث كشفت تلك النوايا ، وظهر ما كانوا يخفونه تحت الرصاص وأصبح الكثير منهم ممن تحمسوا للدين مهيدا للشهوات والأطماع . فارتكبوا أبشع الجرائم ما أثار طيهم النصارى الذين مروا بهلاكهم وهم في طريقهم إلى بيت المقدس . وسرعان ما دبّ الخلاف بين الزعماء الصليبيين ، فظهرت بينهم العداوة والبغضاء ، فاقتتلوا فيما بينهم اقتتالا شديدا . وفي ذلك يقول بعض المؤرخين أن الصليبيين قتلوا فقدوا أكثر من سبعين ألف مقاتل منهم قبل أن يتمكنوا من الاستيلاء على موقع إسلامي واحد .

### ٣ - دوافع الحروب الصليبية :

لقد أنزلق كثير من المؤرخين للحروب الصليبية في المبالغة عن سوء أحوال النصارى الموجودين في البلاد الإسلامية في العصور الوسطى ، وما تعرضوا له من اضطهاد ووحشية ، وكيف أن كنائسهم خربت ، وأديرتهم أغلقت ، وطقوسهم عطلت ، فضلا عما لاقاه حجاج

بيت المقدس النصارى من عقبات ، وما تعرضوا له من معاملة سيئة  
من حكام البلاد الإسلامية التي مروا بها كما يدعون .

ومن الواضح أن هذا المدخل للحروب الصليبية مدخل مغلل  
بعيد عن الحقيقة والتاريخ ، ليس فقط بسبب ما يشتمل عليه من مبالغات  
معظمها لا أساس له من الصحة ، بل أيضا لأن الدخول إلى تاريخ  
الحركة الصليبية من هذا الباب الوهمي كفيلا بأن يصرف الباحث عن  
المدخل الحقيقي للموضوع ( ١ ) .

والواقع أن للحروب الصليبية دوافع كثيرة أبعد ما تكون عن  
الاضطهاد المزعوم الذي قيل بأن النصارى قد عانوا منه على أيدي  
المسلمين .

وهذا الواقع هو الذي يسوقنا إلى أن نتطرق باختصار شديد إلى  
الدوافع الحقيقية التي كانت وراء تلك الحملات الصليبية التي شنّها الغرب  
النصراني على العالم الإسلامي .

#### الدافع الديني :

ليس المقصود بهذا الدافع أبداً هو ذلك الشعور الديني الصادق  
الذي يجعل من دعاة هذه الحملات الصليبية نصارى مخلصين جرفهم  
شعور التقوى والورع إلى هجرة الأوطان والأهل في سبيل تحقيق رسالة  
دينية سامية تتلخص في أنهم أعرضوا عن الدنيا ومتاعها من أجل غرض واحد  
هو خدمة الصليب والاستشهاد في سبيله .

إنما المقصود بهذا الدافع الديني هو ذلك الادعاء الديني الكاذب  
الذي حركه رجال الدين جميعاً ، سواء أكانوا الباهوت الذين لقبوا  
بخلفاء المسيح أو هؤلاء الذين خرجوا مدفوعين للاشتراك في حرب لقبوها  
بحرب الصليب المقدس . فالباهوتية بلغت في القرن الخامس الهجري -

---

( ١ ) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ - ص ٢٩ ، ط ٣  
( مكتبة الأنجلو المصرية ) ١٩٧٨ م .

الحادى عشر الميلادى درجة خطيرة من القوة واتساع النفوذ بحيث فكرت فى أن تجعل نفوذها عالميا من حيث الهيمنة والنفوذ وبسط السلطان .

" وأخيرا جاء استنجاد الأباطرة البيزنطيين بالغرب الأوروبى ضد السلاجقة فى القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى لىتميح فرصة ذهبية للبابا للظهور فى صورة الزعيم الأوحد للشعوب المسيحى كافة فى صراعه ضد المسلمين" (١) .

هذا عن البابوية ، أما عن جمهرة المسيحيين الذين خرجوا واستجابوا لنداء البابا من أجل محاربة المسلمين فلم يكن الدافع الدينى الصادق هو الهدف الرئيسى للغالبية العظمى من الصليبيين .

وقد اعترف كثير من الغربيين بأن أكثر الذين خرجوا فى الحروب الصليبية قد تركوا بلادهم إما بدافع الفضول ، وإما للخلاص من حياة الفقر التى كانوا يحيونها فى بلادهم ، وإما للتهرب من ديونهم الثقيلة ، وإما للفرار من العقوبات المفروضة على المذنبين منهم ، وإما لتحقيق مكاسب سياسية واقتصادية ، ومن ثم رغب بعض أمراء أوروبا فى الحصول على أرض جديدة فى الشرق أكثر خصوبة وأحسن استقرارا (٢) .

وهكذا يبدو أنه إذا أردنا أن نقف على الدوافع الحقيقية لتلك الحملات الصليبية ، فعلينا بالبحث فى الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى غرب أوروبا فى القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى .

---

(١) المرجع السابق : ج ١ ، ص ٣٣ .  
(٢) د . فايد حماد محمد هاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ، ص ٨١ ( مؤسسة الرسالة - بيروت ) ط ١ عام ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .

### الدافع الاقتصادى :

تشير جميع الوثائق المعاصرة إلى سوء الأحوال الاقتصادية فى غرب أوروبا فى أواخر القرن الخامس الهجرى - الحادى عشر الميلادى . فالمؤرخ المعاصر ( جيورج نوجنت ) يؤكد أن فرنسا بالذات كانت تعاني من مجاعة شاملة قبيل الدعوة للحملة الصليبية الأولى وأن هذه المجاعة جعلت من النادر وجود الفلال وارتفعت أسعارها ارتفاعا فاحشا ما ترتب عليه حدوث أزمة فى الخبز ( ١ ) ، وهكذا لم يكن عجبا أن أصبحت الحملة الصليبية الأولى جموعا غفيرة من المعدمين ، والفقراء والساكين وطريدى القانون ، وجميعهم كانوا يفكرون بوحى من بطونهم لا بوحى من دينهم .

هذا عن فرنسا ، وما سادها آنذاك من وضع اقتصادى غاية فى السوء . أما عن إيطاليا فكانت مشاركة الصليبيين فيها بدافع من مصالحهم التجارية فى نقل المؤن والأسلحة وكافة الإمدادات إلى الصليبيين بالشام نظرا لطبيعة إيطاليا التجارية وأسطولها البحرى الكبير وطيه فليس فرينا أن تعطى الحركة الصليبية من أول أمرها بصيغة اقتصادية مادية استغلاليه واضحة .

### الدافع السياسى :

ظهر واضحا أن الدافع الاقتصادى كان ضمن الدوافع التى أسهمت فى مشاركة الغالبية العظمى من نصارى الغرب فى الحروب الصليبية . وإذا كان ذلك شأن الغالبية العظمى منهم فما بال أولئك الذين خرجوا من ملوك أوروبا وأمرائها وفرسانها للمشاركة فى تلك الحروب ؟ . أما عن الملوك فقد شاركوا فى الحروب الصليبية لأنهم كما يقول التاريخ لم يخرجوا من بلادهم لحرب المسلمين إلا تحت ضغط البابوية

( ١ ) د . سعيد عبدالفتاح حاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ٣٤ .



والحاحها ، بل وتهديدها في كثير من الأحيان . ومن أبرز الأمثلة على ذلك هو ما حدث للإمبراطور " فردريك الثاني " الذي أخذ البابوات واحدا بعد آخر يلحون عليه في الخروج على رأس حملة صليبية الى الشرق ضد المسلمين ، لكن الامبراطور أخذ يماطل مرة بعد أخرى لأنه لا يرى دافعا يدفعه إلى القيام بمثل ذلك ، وهنا أخذت البابوية تتوعد وتهدد حتى أصدرت ضده قرارا الحرمان والطرده ( ١ ) .

وعندئذ لم يجد الامبراطور بداً من الخروج وهو مكروه على رأس فئة قليلة من رجاله قاصدا الشام .

وأما عن الأمراء الذين أسهموا في الحروب الصليبية فقد خرجوا جريا وراء أطماعهم السياسية التي لم يتمكنوا من تحقيقها في بلادهم . ذلك لأن الوضع السياسي المرموق لم يكن يتأتى إلا بالقدر الذي كان يملكه الأمير من الأرض .

ويرجع ذلك إلى أن الإقطاع بأكمله لم يكن ينتقل بعد موت صاحبه إلا إلى أكبر الأبناء ، مما يحرم باقي الأبناء من الارث .

وكانت أن ظهرت الحركة الصليبية لتفتح باباً جديداً أمام هؤلاء الأمراء المحرومين من الأرض ، ومن الجاه والسلطان .

وهذا يفسر لنا الكثير من الخلافات والحروب التي كثيرا ما كانت تقع بين الأمراء على السلطة والمراكز الهامة أثناء الحملات الصليبية .

---

( ١ ) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٥٧ .

## الحملات الصليبية التي تنالت على العالم الإسلامي

### الحملة الصليبية الأولى :

وصلت حملة صليبية على رأسها "بطرس الناسك" إلى مدينة "نيقية" سنة ٤٨٩ هـ - ١٠٩٦ م وكانت تحت حكم ملج أرسلان الذي استطاع أن ينزل بهذه الحملة هزيمة فادحة إذ لم ينج من الصليبيين سوى ثلاثة آلاف من خمسة وعشرين ألف مقاتل (١). وما أن علمت أوروبا بذلك حتى أرسلت ثلاثة جيوش قوية تمكنت من الاستيلاء على مدينة "قونية" عام ٤٩٠ هـ - ١٠٩٧ م بعد أن دافع المسلمون عنها دفاعاً مستميتاً ، ولقد أغرت هذه الانتصارات جموع الصليبيين ، فتوجه جزء منها إلى شطوط الفرات واستولى على "الرها" وأقام بها أول إمارة صليبية سنة ٤٩١ هـ - ١٠٩٨ م.

أما الجزء الآخر فقد اخترق سوريا واستولى على كثير من المدن صلحاً ، حتى وصل إلى أنطاكية عام (٤٩١ هـ - ١٠٩٨ م) ثم استولى عليها بعد جهد جهيد ، وأقام بها الإمارة الثانية .

ولما تم النصر للصليبيين ساروا قاصدين بيت المقدس مارين بحماسة وحمص وغيرها ، وكان أهالي هذه المدن يقابلونهم بالترحاب خوفاً من شرهم وغدرهم. ثم تغابلت بعد ذلك جيوش الصليبيين وساروا إلى فلسطين مارين بعكس ، واتجهوا إلى بيت المقدس وحاصروه ثم استولوا عليه بعد حصار دام "نهفـاً وأربعين يوماً" (٢) ، وكان ذلك في شعبان ٤٩٢ هـ - ١٥ يوليو ١٠٩٩ م ، وأقاموا مملكة صليبية بالقدس .

وقد أقترف الصليبيون أبشع الجرائم في بيت المقدس ، حيث قتلوا آلاف الأبرياء من المسلمين بغير ذنب ، ذلك أن الصليبيين لم يتركوا مسلماً فسى

(١) المرجع السابق : ج ١ ، ص ١٣٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ - المجلد الثامن - حوادث ٤٩٢ هـ -

ص ١٨٩ ( دار الفكر - بيروت ) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .



الطرق أو البيوت أو المساجد إلا قتلوه واستباحوا دمه ، ولم يرع الصليبيون حرمة المسجد الأقصى فأجهزوا على كل من احتسب به من الساميين وعدد هم أكثر من سبعين ألفاً منهم جماعة من أئمة المسلمين ومجاهد هم وزهادهم ومن فارقوا الأوطان وجاوروا ذلك الموضع الشريف ( ١ ) .

ولم ينكر المؤرخون الصليبيون أنفسهم هذه المذبحة الرهيبة ، فقد ذكر مؤرخ صليبي حضر تلك الأحداث أنه عندما زار الحرم الشريف غداة المذبحة الرهيبة التي أحدثها الصليبيون ، لم يستطيع أن يشق طريقه وسط أشلاء المسلمين إلا في صعوبة بالغة ، وأن دماً القتل بلغت ركبته ( ٢ ) .

وقصاصاً من هذه المذبحة الرهيبة لم يهدأ للمسلمين بال ، ولم ترقأ لهم عين ، فبدأوا الجهاد من ساعتهم . وهذا ما يحدض أذهان بعض الكتاب الغربيين التي تقول بأن المسلمين لم يحققوا انتصاراتهم على الصليبيين إلا بعد أن انشق الصليبيون على أنفسهم ، ودب فيهم الوهن والترهل .

وهذا الادعاء مردود على مدعيه بدليل أن المسلمين هم الذين اكتشفوا طريق النصر وسلكوه منذ الوهلة الأولى فتحقق لهم النصر في الوقت الذي كان فيه الصليبيون في أوج قوتهم ونشوتهم باستيلائهم على بيت المقدس عام ٥٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م .

- ففي عام ٥٤٩٤ هـ - ١١٠٠ م أي بعد استيلاء الصليبيين على بيت المقدس بحامين استطاع المسلمون الأتراك أن ينصبوا كميناً لبوهيمند أمير أنطاكية وأن يوقعوه في الأسر ، ولم يستطع بارونين بقواته أن يفك من أسره الذي أوقعه فيه الملك غازي كمشتكين ، ولم تهدأ حروب الملك غازي ضد الصليبيين حتى استطاع أن يحتل "ملطية" وأن بأسر صاحبها سنة ٥٤٩٤ هـ - ١١٠١ م .

- وفي عام ٥٤٩٥ هـ - ١١٠٢ م جهز الوزير الأفضل جيشاً قوامه العرب ، والسودان بقيادة شرف المعالي ابن الوزير الأفضل ، واتجهت الحملة إلى "سدقلان" وتمركزت فيها ، ثم اتجهت إلى مهاجمة "اللد" و"الرملة" و"هازر" ، لتهدد "بافا" وبيت المقدس كذلك .

( ١ ) المصدر السابق : المجلد الثامن - حوادث ٥٤٩٢ هـ ، ص ١٨٩ .

( ٢ ) د . سعيد محمد الفتح طاشور : الحركة الصليبية ج ١ ص ٢٣٨ نقل عن :

( ريموند دواجيليه ) .

وخرج إليهم "بلدوين الأول" واستطاعت جيوش الفاطميين أن تهزم "بلدوين" وتقتل منهم مقتلة عظيمة، ثم ذهبت جيوش المسلمين إلى الرملة وفسر "بلدوين" واستعاد المسلمون الرملة من الصليبيين بعد أن قتلوا منهم مئات وأسروا مئات .

- وفي عام ٤٩٨ هـ - ١١٠٥ م جهز الوزير الأفضل جيشا كبيرا جممل قيادته لابنه سناء الملك بعد أن أعد الأفضل أسطولا بحريا لمساندة الجيش من البحر .

ومع أن هذا الجيش لم ينتصر على الصليبيين إلا أنه أستطاع أن يقمض مضاجعهم ويشعرهم بعدم الاستقرار في بلاد المسلمين .

- وفي عام ٤٩٩ هـ - ١١٠٥ م أغار "طفتكين" أمير دمشق على الجليل وأصابته جهوشه قائداه "هيو" بجرح خطر أودى بحياته .

- وفي عام ٥٠٤ هـ - ١١١٠ م استطاع الفاطميون أن يصلوا إلى أسوار بيت المقدس ذاتها (١) .

- وفي عام ٥٠٦ هـ - ١١١٣ م شن مودود أمير الموصل هجوما على الصليبيين في "طبرية" قتلوا فيه وغنوا كثيرا منهم .

- وفي عام ٥١٣ هـ - ١١١٩ م قاد أياغازى جيشا إسلاميا واتجه نحو الصليبيين لانقاذ حلب من الأمير الصليبي "روجر" الأنطاكي .

ودارت بين الجيشين معركة انتهت بتدمير الجيش الصليبي كله، وقتل "روجر" في المعركة .

- وفي عام ٥١٨ هـ - ١١٢٣ م استطاع بلك الأرتقى أن يأسر "بلدوين الثاني" عند أورشليم وقد كان "بلدوين" في طريقه لفتح أسر "جوسلين" أمير الرها فذهب إليه أسيرا وظل بلك قابضا على ملكي الرها وبيت المقدس .

---

(١) المرجع السابق: ج ١ ص ٢٩٧ نقل عن : (رنسيان) .

- وفي عام ٥٢٩هـ - ١١٣٥م بدأ زنكى يوجه هجماته ضد الصليبيين ويستولى على كثير من البلاد التي استولى عليها الصليبيون ويعيد إليها أهلها .

- وفي عام ٥٣٠هـ - ١١٣٦م أغار نائب زنكى "سوار" على الصليبيين فسـى إمارة أنطاكية حتى وصل إلى اللاذقية .

وتقول المراجع إنه أغار على مائة قرية صليبية وعاد معه "مايزيد على سبعة آلاف أسير ما بين رجل وامرأة وصبي ومائة ألف رأس من الدواب ما بين فرس وحمار وبقر وغنم، وأما ما سوى ذلك من الأقمشة والعين والحلى فيخربك عن الحد" (١) .

- وفي عام ٥٣١هـ - ١١٣٧م أغار المسلمون بقيادة "تراوثر" قائد العسكر فى دمشق على إمارة طرابلس فقتلوا أميرها "بونز" وأسروا عددا كبيرا من أتباعه فضلا عن الغنائم الوفيرة التي حصل عليها المسلمون (٢) .

- وفي عام ٥٣٩هـ - ١١٤٤م حاصر عماد الدين زنكى الرها وأستطاع أن يستعيدها من الصليبيين، وقد لقي المسيحيون من حسن المعاملة الإسلامية ما أشعرهم بسماحة الإسلام وعدالة زنكى .

- وفي عام ٥٤٢هـ - ١١٤٦م استطاع نور الدين محمود أن يستعيد الرها بعد أن استولى عليها الصليبيون عقب موت عماد الدين زنكى .

ولقد حاصرها نور الدين محمود حصارا مبرها ودارت المعارك بين الطرفين فقتل عدد كثير من الصليبيين، وكان من بين القتلى "بلدوين" نفسه . ومن هنا لم يستطع الصليبيون الصبر طويلا على هذه الهزائم المتكررة فأرسلوا فى طلب النجدة وكانت الحملة الصليبية الثانية .

---

(١) ابن الأثير: الكامل فى التاريخ، المجلد الثامن - حوادث ٥٣٠هـ -  
ص ٣٥٣ .

(٢) البصدر السابق: المجلد الثامن، حوادث سنة ٥٣١هـ، ص ٣٥٧ .

## الحملة الصليبية الثانية :

بدأت هذه الحملة عام ٥٤٣ هـ - ١١٤٧م بقيادة أكبر دولتين في أوروبا آنذاك وهما فرنسا وألمانيا . وكان على رأس الحملة ماكا الدواتين لويس السابع ملك فرنسا ، وكتراد الثالث ملك ألمانيا .

وكان للحملة هدفان :

الأول : الوقوف في وجه نور الدين محمود واسترداد مدينة الرها منه .

الثاني : تأمين الإمارات الصليبية التي تأسست في الشام كله .

لكن الحملة انصرفت عن هدفها السابقين إلى مهاجمة دمشق وإقامة

إمارة صليبية جديدة ، بيد أن الصليبيين ارتدوا عنها مدحورين .

لذلك أطلق المؤرخون على هذه الحملة لقب الفشل والخيبة .

ولقد أدى فشل هذه الحملة إلى زعزعة الثقة في الصليبيين ، وضياع هيبتهم ، بينما ازداد المسلمون ثقة بأنفسهم وارتفعت روحهم المعنوية ، وأغراهم النصر بمزيد من النصر ، وازداد إيمانهم بأن وحدة المسلمين هي الطريق الوحيد الذي سوف يؤدي بهم إلى بيت المقدس ، ثم طرد الصليبيين من بلاد المسلمين كافة .

ولقد أكد بعض المؤرخين أن فشل هذه الحملة كان النقطة التي تحول عندها نصر الصليبيين إلى بداية الهزيمة والزوال عن العالم الإسلامي كله .

- ففي عام ٥٤٤ هـ - ١١٤٨م سار نور الدين إلى حصن "حارم" وهو الإفرنج فخر به ونهب سواده ، ثم سار إلى حصن "آنب" وقاتل الصليبيين قتالا شديدا وهزمهم وقتل منهم خلقا كثيرا منهم "رايموند" صاحب أنطاكية .

" ووقعة آنب" هذه كانت عظيمة وقد أكثر الشعراء القول فيها" (١) .

---

(١) أبو شامة : الروضتين في أخبار الدواتين ج ١ ص ٥٨ ( دار الجيل - بيروت ) بدون تاريخ .

- وفي عام ٥٤٦هـ - ١١٥٠م وقع "جوسلين الثاني" أسيرا في قبضة المسلمين وسلموه لنور الدين وظال معتقلا تسع سنوات، وقد فرح المسلمون بأسره فرحا عظيما لأنه سبب لهم متاعب كثيرة، وكان صعب المراسر كثير الغدر والخيانة شديد الوطأة على الساميين. وقد تغنى الشعراء بأسر "جوسلين" كثيرا ونظموا في ذلك القمائد الطوال (١).

- وفي عام ٥٥٠هـ - ١١٥٥م استطاع نور الدين أن يضم إلى أملاكه دمشق، وبذلك اتحدت الشام كلها تحت ملك نور الدين.

وامتد بصر نور الدين إلى تنسيق العمل مع مصر حتى يكون جبهة قوية ومنتجة ضد الصليبيين.

- وفي عام ٥٥١هـ - ١١٥٦م حاصر نور الدين قلعة "حارم" وهي من أضع قلاع الصليبيين واستولى عليها لكنه تخلى عنها بعد ذلك.

- وفي عام ٥٥٢هـ - ١١٥٧م دارت معارك حامية بين الساميين وأعدائهم كان النصر فيها حليف المسلمين.

- وفي عام ٥٥٣هـ - ١١٥٨م أرسل الطك الصالح طلائع بن رزيق إلى فلسطين حملة عسكرية في البر وأخرى في البحر، فخرج إليهم الصليبيون بقيادة "أموري" صاحب عسقلان، وقد استطاع المصريون أن يوقعوا بالصليبيين عند غزة هزيمة ساحقة، وأن يأسروا من الغنائم والجنود وأدوات القتال مالا يحصى. ورجع الجيش المصري ظافرا منصورا (٢).

- وفي عام ٥٥٨هـ - ١١٦٣م أجبر نور الدين "عموري الأول" ملك بيت المقدس على الانصراف عن مصر، وذلك بأن قام بعدد من الهجمات، فهاجم "حارم" وهاجم إمارة طرابلس، ولكي يفوت على الصليبيين أطاعهم في مصر قمام

(١) محمد سيد كيلاني: الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام ص ١٨ (مطبعة دار الكتاب العربي - مصر) ١٩٤٩ م.

(٢) المرجع السابق: ص ١٩.



بإرسال حملة بقيادة أسد الدين شيركوه الذى اصطحب معه ابن أخيه صلاح الدين الأيوبي لنجدة شاور الذى استقرت له الأمور بعد ذلك . لكنه غدر بوهوده لنور الدين وطالب شيركوه بالخروج من مصر واستنجد بالصليبيين لتحقيق ذلك الهدف .

- وفى عام ٥٥٩ هـ - ١١٦٤ م وأثناء انشغال عموري الأول بمهاجمة مصر قام نور الدين بمهاجمة " أنطاكية " و " حصن حارم " ، ودارت بينه وبين الصليبيين معركة حامية فى " أرتاح " هزم فيها الصليبيين هزيمة منكرة وأسر جميع أمراءهم الذين اشتركوا فى المعركة : " بوهيمند الثالث " ، أمير أنطاكية ، " ريموند الثالث " أمير طرابلس " جوسلين الثالث " ، " وهيو الثامن " ، وحاكم قيليقية ، ثم استولى على " حارم " وعلى " بانياس " فى هذه السنة .

- وفى عام ٥٦٥ هـ - ١١٧٠ م واجه صلاح الدين حملة صليبية فى مصر تحالف الصليبيون مع البيزنطيين وهاجموا " دمياط " فأرسل إليها صلاح الدين العساكر فى النيل وحشد فيها كل من عنده ، وأمدهم بالطال والسلاح والذخائر وتابع رسله إلى نور الدين يشكو ما هوفيه من المخاوف وأنه إن تخلف عن دمياط ملكها الفرنج " . ( ١ )

وأخيرا استطاع صلاح الدين بخبرته ومعونة نور الدين له ، وما قام به من هزيمة الصليبيين فى الشام أن يوقع الهزيمة بالصليبيين ويجبرهم على أن يعودوا بالخزى والغشيل من حيث أتوا ، وذلك عزز مكانة صلاح الدين فى مصر .

- وفى عام ٥٧٠ هـ - ١١٧٤ م سار صلاح الدين إلى دمشق لتوحيد صفوف المسلمين بعد أن استنجد به المسلمون فى دمشق ووعده بتسليمها له . وبذلك استطاع صلاح الدين أن يوحد بين مصر والشام ليكتب الله له النصر على أعداء الإسلام والمسلمين .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٨٠ - حوادث سنة ٥٦٥ هـ .

- وفي عام ٥٧٥هـ - ١١٧٩م أصبحت جيوش المسلمين خطرا على الصليبيين  
بهدد كيانهم ووجودهم في بلاد المسلمين .

الأمر الذي جعل "بلدوين" يخرج لعضلة صلاح الدين والاعتماد به  
دفعاً للخطر المتوقع منه قبل وقوعه .

والتقى الجيشان عند "تل القاضي" في سهل "مرج عيون" . فكان النصر  
لحليف صلاح الدين حيث قتل من الصليبيين الكثير وأسر الكثير ، ولم ينج — من  
الموت أو الأسر سوى "بلدوين" نفسه .

بعد ذلك اتجه صلاح الدين إلى الحصن الضخم الذي أقامه الصليبيون  
والذي كان يعرف "بحصن الأحران" وتمكن من تسويته بالأرض ، وأقام السلطان  
في منزلته حتى هدوا الحصن إلى الأساس ، وطم جب ماء معين كانوا حفروه في  
وسطه ورى فيه القتلى ، وكان عند السلطان رسول القمص معافى وهو يشاهد  
بلىة أهل ملقة . (١)

- وفي عام ٥٧٨هـ - ١١٨٢م أهد صلاح الدين جيشا كثيفا واتجه به إلى  
الأردن لتأديب "أرناط" الذي حدثته نفسه باحتلال المدينة المنورة واعتدى  
على قافلة للحجاج المسلمين ، واستولى على أموالها وأسر بعض رجالها . بعد  
أن نقل الصليبيون نشاطهم الهدام إلى الشاطئ المقابل للبحر الأحمر —  
أي شاطئ الحجاز —

فعظم البلاء وأفضل الداء ، وأشرف أهل المدينة النبوية منهم على خطر  
عظيم .

- وفي عام ٥٧٩هـ - ١١٨٣م تحركت جيوش صلاح الدين من دمشق فعبرت  
نهر الأردن ثم زحفت على "بيسان" واستولت عليها في سهوة ، ثم عسكر صلاح —  
الدين عند "عين جالوت" .

(١) المصدر السابق: ج ٢ ، ص ١١ حوادث سنة ٥٧٥هـ .

- وفي عام ٥٨٣ هـ - ١١٨٢ م أخذ صلاح الدين من دمشق يجمع جيوشه من مصر وحلب والجزيرة وديار بكر استعدادا لخوض المعركة الفاصلة بينه وبين الصليبيين ، ففي نفس العام اتجه صلاح الدين إلى مهاجمة "أرناط" فسار إلى الكرك والشوبك حيث حاصر "أرناط" حصارا شديدا .

وحدث اشتباك بين المسلمين والصليبيين قرب "مغورية" انتصر فيها المسلمون ، ثم أسرع صلاح الدين متجها إلى طبرية حيث استولى عليها دون قلعها ، وبعد ذلك عسكر صلاح الدين عند قرية حطين الوافية الماء والمراعي .

وهنا حرك الصليبيون جيوشهم ، واتجهوا إلى قرب حطين في هضبة تسمى "قرون حطين" وهم في أشد حالات العطش والإرهاق . هذا بالإضافة إلى أن المسلمين أشعوا النار في الأشجار والأشواك التي تكسو الهضبة .

" وكانت الريح على الفرنج فحطت حر النار والدخان إليهم ، فاجتمع إليهم العطش وحر الزمان وحر النار والدخان وحر القتال . . . " ( ١ )

والتقى الجيشان ، وما هي إلا كرة حتى استطاع المسلمون أن يأسروهم ومنهم الملك وأخوه "أرناط" صاحب الكرك .

" وكثر القتل والأسر فيهم فكان من يرى القتلى لا يظن أنهم أسسروا واحدا ، ومن يرى الأسرى لا يظن أنهم قتلوا واحدا ، وما أعيبت الفرنج منذ خرجوا إلى الساحل وهو سنة إحدى وتسعين وأربعمائة إلى الآن بمثل هذه الواقعة " ( ٢ )

وبرّ صلاح الدين بقسمه ، فقتل "أرناط" بعد أن رفض الإسلام ديناً له وقد قتله بيده جزاء تهجمه على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسلمين وجراته على التفكير في مهاجمة الحرمين الشريفين في مكة والمدينة . وتمكن المسلمون من الاستيلاء على "صليب الصلوات" .

( ١ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ص ١٧٨ حوادث ٥٨٣ هـ .

( ٢ ) المصدر السابق : ص ١٧٨ ، حوادث ٥٨٣ هـ .



" ولم يؤسر الملك حتى أخذ "صليب الصابوت" وأهلك دونه أهل الطاقوت وهو الذي إذا نصب وأقيم ورفع، سجد له كل نصراني وركع . وهم يزعمون أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم ، فهو معبودهم ومسجودهم " ( ١ )  
وهكذا كانت حطين من أعظم انتصارات صلاح الدين والمسلمين ، وكانت النهاية الحقيقية للوجود الصليبي في بلاد المسلمين .

### الحملة الصليبية الثالثة :

استطاع صلاح الدين أن يحقق ملام عظيما في السنوات القليلة الواقعة بين ٥٨٣هـ - ٥٨٦هـ - ١١٨٢م - ١١٩٠م .

ففي مستهل ٥٨٦هـ - ١١٩٠م لم يبق للصليبيين من مملكة بيت المقدس إلا مدينة " صور " ، ومن إمارة طرابلس سوى طاصمتها طرابلس وقلعة " أنطارطوس " ، وحصن الأكراد وحصن المراكز الأخرى الثانوية . ومن إمارة أنطاكية سوى طاصمتها وميناء السويدية وحصن المرقب ( ٢ ) .

• وهكذا بدأ البنيان الصليبي الكبير وكأنه أقيم على شفا جرف هار ، فانهيار به فجأة قبل أن ينقض على إقامته قرن واحد من الزمان ( ٣ ) .

لذلك كتب البابا " جريجوري الثامن " كتابا إلى ماوك انجلترا وفرنسا وألمانيا يحثهم على حرب المسلمين . وكان من أبرز أهداف هذه الحملة احتلال القدس من جديد . وقد اشترك في هذه الحملة كل من الإمبراطور " فردريك الأول " الألماني ، و " فيليب أغسطس " الفرنسي ، وريتشارد - قلب الأسد " الإنجليزي .

---

( ١ ) العماد الأعفهانى : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ٨٤ - تحقيق :

محمد محمود صبح (الدار القومية) بدون تاريخ .

( ٢ ) د . سعيد عبد الفتاح طاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٨٠٥ نقلا عن " جروسبه " .

( ٣ ) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٥٠٨ .

وإذا كان البابا " جريجورى الثامن " قد توفى فى ديسمبر عام ١١٨٧ م دون أن يرى ثمار دعوته ، فإن خليفته " كايمنت الثالث " أسرع إلى الاتصال بهؤلاء الملوك والأباطرة من أجل القيام بهذه الحملة الصليبية الثالثة .

وفى صيف سنة ٥٨٦هـ - ١١٩٠م أبحر ملكا فرنسا وانجلترا على رأس جيوشهما الصليبية ليقضى كل منهما فصل الشتاء فى جزيرة صقلية ، فى الوقت الذى كان صلاح الدين يمكن لنفسه فى البلاد التى انتزعتها من الصليبيين بالشام ( ١ ) .

أما امبراطور ألمانيا " فردريك بربروسا " فكان أسرع إلى العمل على الرغم من كبر سنه ، فتحرك سنة ٥٨٥هـ - ١١٨٩م على رأس جيش منظم كبير قدره بعض المؤرخين بمائة ألف محارب ، سالكا الطريق البرى إلى القسطنطينية عبر هنغاريا ( ٢ ) وقد استطاعت الحملة الألمانية الوصول إلى " بلاد ابن لاون " - أى أرمينيا الصغرى - رغم ما تعرض له الألمان من معائب عديدة .

وكان أن رعب " ليو الثانى " أمير أرمينيا بالألمان وقدم لهم كل ما احتاجوا إليه من مساعدات .

وأم يلمث أن أدى اقتراب ذلك الجيش الصليبي الكبير - تحت قيادة امبراطور الغرب - من الشام إلى إثارة جو من الرعب والفرع فى البلدان الإسلامية فبادر صلاح الدين بإعلان الدعوة للجهاد ، وطلب المعونة من أمراء المسلمين ، كما أرسل القاضى بهاء الدين ابن شداد إلى بغداد لطلب المعونة من الخليفة الناصر لدين الله العباسى ( ٣ ) .

على أنه لم يلمث أن حدث حادث مفاجئ قلب الموقف رأسا على عقب ورفع عن صلاح الدين كابوس الخطر . ذلك أن " فردريك بربروسا " فرق فجأة

---

( ١ ) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٨١٢ نقلا

عن : " رنسان " .

( ٢ ) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٨١٢ .

( ٣ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ١٥٠ ، ص ١٥١ .

أثناء عبوره نهرا صغيرا فى " قيايقيه " وعليه فقد أفلت زمام الجيش الألماني بموت قائده ، واختل نظامه .

لذلك لم يعد هناك خطر من أن تقع بلاد الشام الإسلامية بين فكى الكماشة نتيجة لضغط الصليبيين الألمان من ناحية الشمال والصليبيين الفرنسيين والانجليز من ناحية هنا .

وبالرغم من تمزق الجيش الألماني بعد موت قائده " فردريك " إلا أن ابنه الذى تولى قيادة الجيش بعده استطاع أن يتجه بجنوده إلى هنا فحاصرها مشاركا بذلك بطوائف الصليبيين فى حصارها ( ١ ) .

وكان على رأس هذه الطوائف " جاى لوزجنان " ملك بيت المقدس السذى أسره صلاح الدين فى حطين ، ثم وعد بإطلاق سراحه ، وكان أن أفرج عنه فعلا بعد أن تعهد " لوزجنان " ألا يشهر فى وجهه سيفا أبدا ويكون غلامه ومملوكه طليقا أبدا .

وكان لوصول " فيليب أوغسطس " ملك فرنسا إلى هنا أثر كبير فى نفوس الصليبيين الذين اهتمجوا لوصول هذا الجيش ، وأظهروا الفرح والسرور خاصة وأن وصول " فيليب أوغسطس " إلى الشام جاء فى الوقت الذى شهد ازدياد سوء موقف المسلمين أمام هنا ودخلها ( ٢ ) .

ولقد توحدت صفوف الصليبيين أمام هنا رغم الحزازات والضغائن القديمة بين ملكى فرنسا وانجلترا ، وبذلك استطاع الصليبيون الاستيلاء على هنا عام ٥٨٢هـ - ١١٩١م بعد أن استعصت عليهم زهاء عامين .

عاد بعد ذلك ملك فرنسا إلى بلاده فتولى زمامة الصليبيين ملك انجلترا " ريتشارد قلب الأسد " .

( ١ ) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٥٦ .

( ٢ ) د . سعيد عبد الفتاح طاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٨٣١ .

واستطاع "ريتشارد" أن يستولى على "حيفا" و"أرسوف" بعد معركة حامية مع المسلمين بقيادة صلاح الدين في "أرسوف".

وطمع "ريتشارد" بعد هذا النصر فزحف على بيت المقدس ، وطمع بأن صلاح الدين قد أحكم مداخل بيت المقدس ، فيشر من الاستيلاء عليها . وكانت ظروف إنجلترا قد اضطرت ، ووصلته أخبار سيئة تؤكد ثورة أخيه "حنا" ضده ، مما تطلب منه سرعة العودة إلى بلاده (١) . خاصة بعد أن تهدد أمل "ريتشارد" في الاستيلاء على بيت المقدس ، في نفس الوقت الذي داهمه المرض ، الأمر الذي اضطره إلى عقد صلح الرملة عام ٥٨٨هـ - ١١٩٢م ، وكان يوم الصلح يوما مشهودا .

وفي عام ٥٨٩هـ - ١١٩٣م توفي صلاح الدين ، فحزن المسلمون لموته حزنا شديدا ، وبكاه الشعراء والكتاب والمؤرخون . فقد توفي في يوم صيب لم يحب الإسلام والمسلمون بمثله منذ فقدوا الخلفاء الراشدين ، وغشى القلعة والبلد والدنيا من الوحشة ما يعلمه إلا الله تعالى .

حتى المؤرخون الأوروبيون أفرطوا في الترحم على صلاح الدين والإشادة بقوته وعدله وتسامحه ، واعترفوا أنه أعظم شخصية شهدها عصر الحروب الصليبية قاطبة (٢) .

### الحملة الصليبية الرابعة :

تعتبر هذه الحملة في نظر كثير من المؤرخين نتيجة مباشرة لوفاة صلاح الدين عام ٥٨٩هـ - ١١٩٣م ، ولقد تولى منصب البابوية سنة ٥٩٤ - ١١٩٨م رجل من أخطر الشخصيات التي وليت هذا المنصب في العصور الوسطى ، هو البابا "أنوسنت الثالث" الذي وضع لنفسه وللكنيسة وللبابوية برنامجا ضخما ،

(١) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٨٥٠ .

(٢) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٨٧٤ - نقلا عن "رنسيان" .



على رأسه مشروع محو آثار حروب صلاح الدين في الشرق ، واغتصاب بيوت المقدس مرة أخرى من الساميين (١) .

وام يكد يمر على تولية " أنوسنت الثالث " مهام منصبه أشهر قليلة حتى دعا للحملة الصليبية الرابعة .

وسرعان ما أخذت الاستعدادات للحملة الصليبية الرابعة تسير سيرا سريعا بفضل جهود جماعة من المتحمسين والدعاة ، لم يقلوا في حماستهم عن دعاة الحملة الصليبية الأولى (٢) .

وكانت الخطوة الأولى أمام الصليبيين هي تحديد وجهة الحملة ، وقد ظهر رأيان حول هذا الموضوع :

الرأى الأول : كان لصفار النبلاء وعاة الفرسان الذين رأوا أن تكون وجهتهم بلاد الشام ليشقوا طريقهم مباشرة إلى بيت المقدس .

الرأى الثانى : وكان لكبار الأمراء والقادة الذين رأوا أن تكون وجهتهم مصر أولا ثم الشام بعد ذلك ، لأن مصر هي مركز المقاومة الحقيقي ضد الصليبيين بالشام ، والمخزن الكبير الذى استمد منه الأيوون مواردهم البشرية والمالية في محاربة الصليبيين (٣) .

ولقد كانت الغلبة في ذلك لأصحاب الرأى الثانى ، وبذلك كانت مصر مقصد الحملة الصليبية الرابعة .

احتشد الصليبيون في البندقية في صيق ٥٩٨ هـ / ١٢٠٢ م ، وبينما يستعد الصليبيون للاتجاه نحو مصر ، إذا بثورة تنشب في القسطنطينية تطيح بالامبراطور " اسحق الثانى " ، فيفر ابنه " انكسيوس " إلى الغرب طالبا المساعدة من

(١) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : أوروبا في العصور الوسطى ، ج ١ ، ص ٥٢٢ ، ( مكتبة الأنجلو المصرية ) ١٩٧٨ م .

(٢) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٨٩١ . نقلنا عن : " ميهود " .

(٣) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٨٩٣ . نقلنا عن : " جروسيه " .

"البابا" ، ومن الصليبيين عارضا في مقابل ذلك إخضاع الكنيسة الشرقية للبابوية ،  
وساعدة الصليبيين ضد مصر .

وهكذا انخرقت الحملة الصليبية الرابعة عن هدفها الأساسي ورسالتها  
الدينية ، فاتجهت ضد القسطنطينية ، واستولى عليها الصليبيون عام ١٢٠٤م /  
١٢٠٤م ، وعندئذ نسي الصليبيون أنهم فتحوا بلدا مسيحيا ، وأنهم اقتحموا  
أكبر مركز ظل يحمل لواء المسيحية في الشرق طوال تسعة قرون ، فانساحوا  
في طرقات المدينة وشوارعها كالجراد المنتشر ، يقتلون من صادفهم من الرجال  
والنساء والأطفال ، بحيث لم يقع بصرهم على تحفة أو ثروة إلا نهبوها ولم  
يتركوا أثرا فنيا أو أدبيا إلا أفسدوه ودروه (١) .

هؤلاء هم الصليبيون الذين حملوا شارة الصليب الخدمة المسيحية ومعاربة  
المسلمين ، وقد تمنى شاهد عيان اسمه "نقنار خونياتر" أن لو كانت  
العاصمة البيزنطية سقطت في يد المسلمين بدلا من سقوطها في أيدي الصليبيين  
وذكر أن المسلمين عندما استولوا على بيت المقدس لم يفعلوا بالمسيحيين والبيوت  
المسيحية مثلما فعله الصليبيون بأهل القسطنطينية وكناسها (٢) .

وإذا كان هذا هو شأن الصليبيين مع الكنائس ، فإنه لم يكن غريبا أن  
يحرقوا الجامع الذي كان للمسلمين في القسطنطينية ، وهو الجامع القديم الذي  
بنى في عصر بني أمية والذي سمح الامبراطور البيزنطي بإقامة الخطبة فيه عام  
٥٨٥ هـ - ١١٨٩م عندما تحسنت العلاقة بينه وبين صلاح الدين .

وخلامة القول أن الحملة الصليبية الرابعة قد ارتكبت جرما بالغا لا يغفره  
التاريخ - في حق الحضارة الأوروبية وفي حق الفكرة الصليبية ذاتها . وأن -  
مأرتكبه رجال الحملة الصليبية الرابعة من حماقات لمثبت أن البيزنطيين كانوا

---

(١) د . سعيد عبدالفتاح طاشور : الحركة الصليبية ، ج ١ . ص ٨٩٦ .  
(٢) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٨٩٧ . نقل عن "فاسيليف" .

على حق عندما نثاروا منذ أول الأمر الى الحروب الصليبية على أنها غزوات  
بربرية همجية (١) .

ويلاحظ بعض المؤرخين أن الحماسة الصليبية قد فترت بعد الحملة  
الصليبية الرابعة وأنها زادت من البغضاء والعداء بين الكنيستين الشرقية  
والغربية ، وحرمت الصليبيين بالشام من مساعدة إخوانهم المسيحيين في  
القسطنطينية وقت الشدة ، وجعلت الطريق البرى إلى الشام أصعب منالا  
وأشد خطورة على الصليبيين من ذي قبل .

وهكذا أدت الحملة الصليبية الرابعة - بطريق مباشر أو غير مباشر -  
إلى إضعاف مركز الصليبيين بالشام ، وخراب ديارهم وإفقار بلادهم من المقاتلين  
وهي الحملة التي من المفروض فيها أن تنجد الصليبيين بالشام .

لذلك لا عجب إذا قرر أحد مؤرخى الحروب الصليبية \* أن الحملة  
الصليبية الرابعة جاءت نذيرا بفشل الحركة الصليبية بأكملها \* (٢) .

#### الحملة الصليبية الخامسة :

لم تستقر الأمور بين المسلمين والهابيين بعد فشل \* الحملة الصليبية  
الرابعة \* ، ذلك لأن الصليبيين أسرعوا إلى نقض عهدهم مع الساميين حينما  
آنسوا في أنفسهم القدرة على شن حملة صليبية جديدة على العالم الإسلامى ،  
وتلك كانت طبيعتهم . ففي سنة ٦٠٤ هـ - ١٢٠٧ م \* كثر الفرنج الذين  
بطرابلس ، وحصن الأكسراد ، وأكثروا الإغارة على بلدة حمص وولاياتها  
ونازلوا مدينة حمص ، وكان جمعهم كثيرا \* (٣) . وفي هذه السنة أيضا أخذ  
أهل قبرص الفرنج عدة قطع من أسطول مصر ، وأسروا من فيها ، فأرسل  
العادل إلى صاحب عكا فى رد ما أخذوا (٤) .

(١) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٠٠ .

(٢) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٠١ . نقلا عن " جروسية " .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٩٦ .

(٤) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٢٩٧ .

ولقد تم للسلطان العادل الأيوبي ما أراد .

وكان من نتيجة تلك الحروب التي خاضها العادل مع الصليبيين ونال فيها منهم أن أسرع "بوهيمند الرابع" صاحب طرابلس إلى طلب الصلح فأجابه العادل " ، ذلك .

كما طلب الملك " حنا دي برين " عقد معاهدة صلح مع العادل مدتها ست سنوات ، غير أن " حنا دي برين " أخذ يدبر مع الصليبيين حملة لغزو مصر فقب انتها الهدنة مباشرة .

وما أن انتهت الهدنة حتى كانت دعوته قد أشرت ، وبدأت الحملة الصليبية تشق طريقا نحو الشرق .

كما دعا البابا "أنوسنت الثالث" لحملة صليبية جديدة سنة ١٢١٣ م ، وأعلن أن هذه الحملة يجب أن تتجه نحو الشام مباشرة .

وصلت الحملة الصليبية إلى الشام سنة ٦١٥ هـ - ١٢١٧ م بقيادة "ليوبولد السادس" ملك النمسا ، و "أندريه الثاني" ملك هنغاريا ، ثم لحق بهما "بهايمهو" ملك قبرص واجتمعوا بعكا من ساحل الشام ، وكان الملك العادل أبو بكر بن أيوب بمصر ، فسار منها إلى الشام ، ووصل إلى "الرملة" ومنها إلى "اللد" للوقوف في وجه الصليبيين (١) .

ولم يلبث الفرنج أن قصدوا "قلعة الطور" وكادوا يملكونها ، إلا أن صمود المدافعين عنها حال دون ذلك .

وبعد أن انتهى الصليبيون من حصار "قلعة الطور" اتجهوا قاصدين غزو مصر ، فساروا في البحر إلى "دمياط" حتى نزلوا على الساحل بالقرب منها ، وبينما الحرب دائرة بين المدافعين عن "دمياط" والصليبيين إذ توفي السلطان العادل الأيوبي في جمادى الآخرة من سنة ٦١٥ هـ - ١٢١٨ م فضعفت نفوس الناس بموته .

---

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٢١٤ .

وقد خلفه ابنه الهكر الملك الكامل في حكم مصر ، وابنه الملك المعظم  
في حكم دمشق ، وكان على الكامل مهمة طرد الصليبيين من مصر ، في حين  
قام " المعظم " بحراسة جبهة الشام (١) .

وبالرغم من ذلك استطاع الصليبيون أن يحيطوا " دمياط " ، وأن -  
يقاتلونها برا وبحرا . فدام القتال ، واشتد الأمر على أهلها ، وأخيرا - وبعد  
حصار دام تسعة أشهر كاملة - لم تستطع " دمياط " الاستمرار في مقاومة  
حصار الصليبيين ، فاقتحمها الغزاة في ٢٧ شعبان سنة ٦١٦ هـ .

وبذلك يكون المسلمون قد وقعوا بين نارين : الحملات الصليبية المتعاقبة  
عليهم من الغرب ، وجموع التتار المتدفقة عليهم من الشرق ، والتي وصلت إلى  
نواحي العراق وأذربيجان ، وإيران وغيرها (٢) .

وهنا " بذل المسلمون لهم تسليم بيت المقدس وعسقلان ، وطبرية ، وصيدا ،  
وجبله ، واللاذقية وجميع ما فتحه صلاح الدين ما عدا الكرك ليسلموا دمياط ،  
فلم يرضوا ، فاضطر المسلمون إلى قتالهم " (٣) .

واستعد الصليبيون للزحف على القاهرة ، فتقدم الجيش الصليبي وسط  
مثلث تحيط به المياه من ثلاث جهات هي : بحيرة المنزلة شرقا ، وقرع دمياط  
غربا ، والبحر الصغير جنوبا (٤) .

ولم يلبث المسلمون أن قطعوا السدود ، فلم يشعر الصليبيون إلا وقد  
غرقت أكثر الأرض المحيطة بهم بحيث لم يبق لهم سوى ممر ضيق يستطيعون  
العودة عن طريقه إلى دمياط ، ولكن السلطان الكامل استطاع أن يقطع خط  
الرجعة على الصليبيين ، وبذلك تجمد موقفهم ، فلا هم يستطيعون العودة إلى  
دمياط ، ولا هم يستطيعون القتال في الوحل بعد أن بلغت المياه ركبهم .  
وأخيرا لم يبق أمام الصليبيين سوى الصاح بعد أن " طابنا الهلاك " (٥) .

(١) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ - ص ٩٢٩ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ - ص ٣١٧ .

(٣) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ٣١٨ .

(٤) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ - ص ٩٣٨ .

(٥) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٣٩ .

وبذلك اضطر الصليبيون إلى الجلاء دون مقابل ، وكما قال ابن الأثير :  
" وأعاد الله سبحانه وتعالى الحق إلى نصابه ورده إلى أربابهم ،  
وأعطى المسلمين ظفرا لم يكن في حسابهم ، فإنهم كانت غاية أمانهم أن  
يسلموا البلاد التي أخذت منهم ( أى من الصليبيين ) بالاشام ليعيدوا  
دمياط فزرقتهم الله إعادة دمياط ومقيت البلاد بأيديهم على حالها" ( ١ ) .

### الحطة الصليبية السادسة :

كان للارتباط الذى حدث بين أبناء السلطان العادل الثلاثة :  
الكامل والمعظم والأشرف ، أثره القوى فى تغلب المسلمين على الحطة  
الصليبية الخامسة .

ولكن هذا الارتباط لم يلبث أن انفرط عقده بين الأخوة سنة ٦٢٠هـ -  
١٢٢٣م نتيجة لأطماع المعظم عيسى وجشعه ، وانتصار بعض الأخوة إلى  
الآخر ، مما كان سببا فى وجود خلاف حاد أوشك على التحارب والتقاتل ،  
ولقد حدث بعض من هذا فعلا عندما قبض المعظم على أخيه الأشرف فى دمشق  
ولم يطلق سراحه إلا بعد أن تعهد له بمساعدته فى الاستيلاء على حمص  
وحماه ، ثم فى مهاجمة أخيها الثالث وهو الكامل فى مصر ( ٢ ) .

على أن وجه الخطورة فى هذا النزاع الذى نشب بين أبناء العادل ،  
هو أن الفريقين المتنازعين استعانوا بقوى خارجية ، فاستنجد الملك الكامل  
بالامبراطور " فردريك الثانى " واستنجد " المعظم " بالسلطان " جلال  
الدين منكبرتى " شاه خوارزم ، معاندة لأخيه الكامل ولأخيه الملك  
الأشرف ( ٣ ) .

- 
- ( ١ ) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٣١٨ .  
( ٢ ) د . سعيد عبدالفتاح هاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٩٥٤ .  
( ٣ ) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ٩٥٦ .

خرج " فردريك الثانى " من بلاده قاعدا الشرق معتمدا على فكرة واحدة ، هى الحصول على بيت المقدس من الملك الكامل مقابل ما يقدمه له من مساعدات ضد أخيه الملك المعظم صاحب دمشق ، ولكن " فردريك " أصيب بخيبة أمل شديدة عندما وصل إلى الشام فوجد أن الموقف تبدل بوفاة المعظم ، واتفاق أخوية الكامل والأشرف على اقتسام بلاده ، بل ان الكامل خرج فعلا من مصر على رأس جيشه واحتل بيت المقدس ونابلس سنة ٦٢٥ هـ - ١٢٢٨ م (١) .

وأصبح الوضع فى منتهى الحرج بين الملك الكامل و " فردريك الثانى " ، فالملك الكامل لم يعد فى حاجة إلى مساعدة " فردريك " بعد الاتفاق الذى تم بين أبناء الملك العادل الأيوبي ، ولكن العادل سبق له أن اتفق مع " فردريك " على تسليمه بيت المقدس فى مقابل حمايته من الخار الداخلى الكامن فى الخلاف بينه وبين إخوته ، والخطر الخارجى الكامن فى تربية الخوارزمية بملكه .

وأهذا حضر " فردريك " إلى الشرق لكى يدقق بوعده من الكامل ما عجزت عن تحقيقه العملات الصليبية السابقة وهو استرداد بيت المقدس . خاصة وأن " فردريك " خرج من بلاده محروما من الكنيسة مغضوبا عليه من " البابوية " بسبب رفضه الخروج على رأس حملة صليبية تحت رايتها ، وفضل بدلا من ذلك الحضور إلى الشرق بجهود الشخصية ووعود الكامل له .

ولو كان " فردريك " يعلم أن الكامل سينكث بوعده نتيجة للتفسيرات التى حدثت لما خرج أصلا إلى الشرق أو لاستعد استعدادا جديا ، لحرب المسلمين ، وجلب معه جيشا كبيرا للدفاع عن كيان الصليبيين (٢) . من ذلك يتضح لنا مدى الحرج الذى وقع فيه كل من الكامل و " فردريك " على حد سواء ، ووجود الرجلان أنه لا بد من حدوث اتفاق بينهما دفعهما لهذا الحرج ووفاء بالوعد المملنة سابقا بين الرجلين .

(١) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ٢٧٧ .

(٢) سعيدهم الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٩٦٤ .

وأمام هذا الوضع الخطر لم يجد " فردريك " غير الاستعطاف والتذلل للسلطان .

ولم تلبث تلك الاستعطافات أن آتت أكلها وأفاحت في التأثير على الكامل ، وهو السلطان الذي سبق أن عرض مراراً عليهم أخذ بيت المقدس مقابل الجلاء عن دمياط ، ويبدو واضحاً أن ما قام به " فردريك الثاني " من تحصين يافا ، جاء بمثابة مظاهرة عسكرية جعلت الكامل يخشى اتفاق الإمبراطور وبقية الجموع الصليبية بالشام المقيام بعمل حربي ضده ، وهو الشعور الذي فسره " المقریزی " بقوله إن الكامل " خاف من غائلته عجزاً عن مقاومته " ( ١ ) .

لهذه الأسباب مجتمعة استطاع الطرفان أن يبرما بينهما اتفاقية للصلح مدتها عشر سنوات . وتقضى بتسليم بيت المقدس إلى " فردريك " بالإضافة إلى " مواضع يسيرة من بلاده ، ويكون باقي البلاد مثل الخليل ونابلس والفسور وطبرية وغير ذلك بيد المسلمين ، ولا يسام إلى الفرنج إلا البيت المقدس والمواضع التي استقرت معه ، وتسأم الفرنج البيت المقدس واستعظم المسلمون ذلك وأكبروه ، ووجدوا له من الوهن والتألم مالا يمكن وصفه ، يسر الله فتحه ، وعوده إلى المسلمين بمنه وكرمه " ( ٢ ) .

ويغفل المقریزی مدى الأسى الذي حل بالمسلمين لسماح خبير تفریط الكامل في بيت المقدس فيقول :

" فاشتد البكاء وهظم الصراخ والعيويل ، وحضر الأئمة والمؤذنون من القدس إلى مخيم الكامل وأذنوا على بابه في غير وقت الأذان . . . فعظم على أهل الإسلام هذا البلاء ، وأشدت الإنكار على الطك الكامل ، وكثرت الشفقا عليه في سائر الأقطار " ( ٣ ) .

---

( ١ ) المرجع السابق : ج ٩ ، ص ٩٦٦ . نقل عن " المقریزی " السلوك ، ج ١

ص ٢٣ .

( ٢ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٣٧٨ .

( ٣ ) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ٩٦٨ . نقل عن

" المقریزی " : السلوك ، ج ١ ، ص ٢٣١ .



وبهذه النهاية المؤلمة انتهت الحملة الصليبية السادسة ورجع "فردريك الثاني" إلى بلاده بعد أن استطاع - مع ضعف إمكاناته - أن يحقق من المكاسب ما عجزت عنه جهود "ريتشارد قلب الأسد" بإمكاناته الضخمة، ملاحظة أن "فردريك" حصل على بيت المقدس بمجرد وعد دون أن يدخل معركة أو يخسر رجلاً واحداً .

### الحملة الصليبية السابعة :

منذ عقد الملك الكامل الصالح الذي أبرمه مع "فردريك الثاني" امبراطور ألمانيا ، وأمور البيت الأيوبي تزداد اضطراباً .

ثم توفي الملك الكامل سنة ٦٣٥ هـ - ١٢٣٨ م بعد قضاءه على مؤامرة إخوته التي استهدفت القضاء عليه ، وخلفه في حكم مصر ابنه الصالح أيوب ، وزاد الانقسام بين أبناء البيت الأيوبي وتصدعت مكانته ، مما أطمع الصليبيين في عمل مضاف جديد .

خاصة وأن الصالح اسماعيل صاحب دمشق ، والناصر دود صاحب الأردن ، والناصر ابراهيم ملك حمص ، قد عقدوا العزم على غزو مصر بمساعدة الصليبيين ، فجمعوا قواتهم عند غزة ، ومضى المنصور صاحب حمص بنفسه إلى عكا وطلبها فأجابوه ( ١ ) . وذلك لإغراء الصليبيين بالمشاركة في غزو مصر .

وهنا لم يجد الصالح أيوب بدا من الاستعانة بالخوارزمية سنة ٦٤٢ هـ - ١٢٤٤ م ضد هؤلاء الذين عزموا على غزو مصر بمساعدة الصليبيين .

ولم تكد دعوة الصالح أيوب تصل إلى الخوارزمية حتى اندفع عشرة آلاف منهم في فرحة كبرى نحو بلاد الشام الصليبية ، واقتحموا بيت المقدس في شهر صفر سنة ٦٤٢ هـ - يوليو ١٢٤٤ م ، واستولوا عليه ، وقضوا على كل معالم النصرانية فيه ، وطاردها منه الصليبيين إلى غير رجعة ، وبذلك عاد بيت المقدس نهائياً

---

( ١ ) أبو المحاسن بن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٢٢ ( المؤسسة المصرية العامة ) " بدون تاريخ " .



إلى المسلمين ، وأم يقدر الجيش نصراني أن يقترب منه بعد ذلك حتى الحرب العالمية الأولى (١) .

وهنا ثارت ثائرة الغرب ضد المسلمين لاستيلائهم على بيت المقدس من جديد ، ما ترتب عليه مجيء الحملة الصليبية السابعة بقيادة " لويس التاسع " ملك فرنسا إلى الشرق .

ولقد اتخذت الحملة الصليبية السابعة طابعا فرنسيا بحتا ، فقادها ملك فرنسا ، واشتركوا فيها غالبيتهم الساحقة فرنسيون ما جعلها بعيدة عن الصيغة الدولية (٢) .

وقد وصلت حملة " لويس التاسع " إلى قبرص سنة ٦٤٦ هـ - ١٢٤٨ م ومنها تحركت إلى دمياط سنة ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩ م ، فوصلتها في أوائل شهر يونية من نفس العام الميلادي ، وكان الملك الصالح أيوب قد حصّن دمياط أثناء وجود " لويس التاسع " في قبرص ، ودافعت دمياط دفاعا مستميتا إلى أن استولى الرعب على أهل دمياط ، فتركوا مدبنتهم بما فيها هاربين تاركين أبواب المدينة مفتوحة ، فدخلها الصليبيون دون قتال ، وهكذا صادفت الحملة الصليبية السابعة نجاحا كبيرا في الاستيلاء على دمياط ، والواقع أن سقوط دمياط بتلك السهولة كان مصيبة لم يجر مثلها (٣) .

بعد ذلك شرع الصليبيون في الزحف على القاهرة في ٢٠ نوفمبر ١٢٤٩ م ، ولقد اختاروا أن يسلكوا طريق الدلتا ، وهو طريق كثير الترع والقنوات .

وأم يكد الصليبيون بشرهون في الزحف على القاهرة حتى توفي السلطان الصالح أيوب في ٢٣ نوفمبر سنة ١٢٤٩ م ، ولقد أخفت زوجته خبر وفاته حتى

- 
- (١) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٩٩٨ .
  - (٢) المرجع السابق : ج ٢ ، ص ١٠٠٥ . نقل من : " ستيفنسون " .
  - (٣) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٣٠ .

لا يؤثر في نفوس الناس ، فيزداد الصليبيون أملا في النصر ، واستطاع جزء من الجيش الصليبي دخول المنصورة بقيادة أخى " لويس التاسع " وهدمى " روبرت دى أرتوا " ، إلا أن المسلمين تحت قيادة " بيبرس البندقدارى " ، استطاعوا تدمير مقدمة الجيش الصليبي بعد " أن حملوا على الفرنجة حملة زهزت وهدمت بنيانهم ، وأناخوا عليهم حربا دراكا وقتالا واهلاكا ، فكانت عدة القتلى منهم ألفا وخمسمائة ، وولوا منهزمين " ( ١ ) وكان على رأس القتلى " روبرت دى أروا " نفسه .

بعد ذلك ازداد موقف الصليبيين سوءا في سرعة واضحة ، حيث انتشرت بينهم الأمراض وقلت المؤن ، وفقدوا نسبة كبيرة من فرسانهم في معركة المنصورة ، وهنا حاول " لويس التاسع " المساومة لعاه يدرك شيئا يحفظ عليه ماء وجهه ، غير أن مساومته لم تجد أذنا عند المسلمين ، واضطر " لويس التاسع " إلى التراجع نحو دمياط ، في الوقت الذى " أهدق المسلمون بهم يتخطفونهم طول الليل قتلا وأسرا " ( ٢ ) .

وعندما وصل الجيش الصليبي إلى " فارسكور " الواقعة على الطريق بين المنصورة ودمياط شن المسلمون هجومهم الرئيسى على الصليبيين ، وأوقعوا بهم هزيمة ساحقة ، ووقع الجيش الصليبي بأجمعه تقريبا بين قتلى وأسرى ، وكان من جملة الأسرى " لويس التاسع " نفسه الذى سبق مكبلا بالأغلال إلى المنصورة حيث سجن فى دار " فخر الدين ابراهيم بن لقمان " ، ولقد تم الصلح بين الطرفين بشروط أملاها المسلمون وقبلها الجانب الصليبي دون مساومة ، ويقضى هذا الصلح بدفع مبلغ ضخم من المال مقابل فداء الجيش الفرنسى على أن يكون تسليم دمياط ثمنا لفداء الملك الفرنسى نفسه ، واتفق على أن تكون مدة هذه

---

( ١ ) د . سعيد هاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٢ . نقل عن :  
العيني ( بدر الدين محمود ) : عقد الجمان فى تاريخ أهل الزمان  
( مخطوط بدار الكتب المصرية ) حوادث سنة ٦٤٧ هـ .  
( ٢ ) أبو المحاسن : النجوم الزاهرة ، ج ٦ ، ص ٣٦٤ .

المعاهدة عشر سنوات ، وتسلم المسلمون دمياط في ٦ مايو سنة ١٢٥٠ م ،  
وفادرها " لويس التاسع " في ٨ مايو ١٢٥٠ م فوصل عكا في الثالث عشر من  
نفس الشهر ( ١ ) .

هكذا انتهت الحملة الصليبية السابعة دون أن تحقق شيئا مما كانت  
تطمع فيه ، وظهر في الأفق الإسلامي دولة قوية هي دولة المماليك .

وهكذا انتهت الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، تلك الحملات  
التي وضع لها المؤرخون حدودا من السنين والشهور والأيام .

واقدر رأينا من خلال سرد الوقائع الحربية التي تخللت تلك الحملات  
أن النصر كان دائما في ركاب المسلمين ما كانوا معتصمين بحبل الله ، رافعين  
راية الجهاد ، تاركين خلفاتهم وراء ظهورهم .

وهذا ما حدث للمسلمين في عهد " عماد الدين زنكي " وابنه " نور الدين  
محمود " ومن بعدهما " صلاح الدين الأيوبي " الذي بلغ بالنصر غايته حين  
استرد بيت المقدس من أيدي غاصبيه .

ورأينا من خلال سرد تلك الوقائع الحربية كيف استطاع أبناء السلطان  
العادل الأيوبي ، وهم : الكامل والمعظم والأشرف أن يتعاونوا فيما  
بينهم حتى تغلبوا على الصليبيين في الحملة الصليبية الخامسة ، وأن يردوهم  
على أعقابهم خاسرين .

ذلك لأن الرأي العام في هذه الحالة يكون الدرع القوي الذي يحمي  
قاداته المخلصين ، واليد القوية التي تقف وراء النصر ، والكف السخية التي  
تعطى بلا تقدير .

---

( ١ ) د . سعيد حاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ١٠٣٤ .

وهان النقيض من ذلك تماما ، رأينا بوضوح من خلال تلك الوقائع الحربية كيف انقلب النصر إلى هزيمة نتيجة لما ساد الرأي العام الإسلامي من تمزق وخلاف على أيدي قاداته ، لأن الرأي العام في مثل هذه الحالة سرعان ما ينقلب إلى قوة سلبية أمام الأحداث المصيرية نتيجة فقدان القوة الفعالة في داخله .

وهذا ما حدث عند بدء الحملات الصليبية التي بلغت غاية نصرها باستيلائها على بيت المقدس ، في الوقت الذي كان الخلاف فيه على أشده بين أمراء المسلمين في الشام ، والتفسخ ينخر في عظام الدولة الفاطمية والرأي العام في مصر .

ويبلغ أمر الخلاف والتمزق غايته حين انفرد عقد الارتباط بين أمراء السلطان العادل الأيوبي ، وأخذ كل واحد منهم يحارب الآخر ، وقال الأخطر من ذلك كله أن كل واحد منهم أخذ يستعين بقوة أجنبية طامعة ضد الآخرين ، ويبلغ الأمر بالملك الكامل بن العادل الأيوبي في مقابل ذلك أن يسام بيت المقدس إلى "فردريك الثاني" الصليبي ، إلى أن استطاع الخوارزمية المسلمون استرداده نهائيا من أيدي الصليبيين ، فوضعوا حدا لهذا التمزق ، على الأقل فيما يتعلق بالحفاظ على هذا المكان المقدس في أيدي المسلمين .

## الفصل الثاني

### "الدعاية للحملة من قبل الصليبيين"

- ١ - الهابا "أوربان الثاني" واطلان الحرب الصليبية.
- ٢ - حملات العامة التي تزومها "بطرس الناسك" وغيره من أجل الدعاية للحملة الصليبية.
- ٣ - الرؤى والتنبؤات وأثرهما في بث الحماسة الدينية عند الصليبيين.

١ - البابا " أوربان الثاني " وإعلان الحرب العليبية :

نادرا ما نجد دعوة من الدعوات ، أو دعاية من الدعايات سواء منها القديم أو الحديث ، قد لقيت من النجاح قسطا دون أن تتوافر لها من العوامل الزمنية والمكانية والاجتماعية ما يمكنها من إحراز مثل هذا القسط من النجاح .

وحتى تصبح هذه العوامل قادرة على تحقيق النصر ، كان لابد لها أن تصل إلى درجة معينة من النضوج والكمال لتكون ذات فاعلية في حينها ، والافات أو ان استثمارها وأصبحت لا تصلح لشيء .

وما ينطبق على الدعوة في هذا الشأن ينطبق على الدعاية سواء بسواء .

واكى أقدم الدليل على أن العوامل يجب توافرها قبل كل شيء لتتمكن أى دعوة أو دعاية من إحراز نصيب من النجاح ، اخترت مثالين من الدعوات الإصلاحية قديما وحديثا ، هما دعوة الإمام الشيخ ابن تيمية ودعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي بدأت في نجد من الجزيرة ، ثم ما لبثت أن نشرت لواءها خفاقا فوق الجزيرة كلها ، وبسبب وتردد صداها فيها وراء الحدود .

ولقد تناولت كلا من الدعوتين بشيء من التفصيل في التمهيد الذى بدأت به هذه الرسالة ، أما الدعاية ، فقد اخترت لها مثالين من تاريخنا الإسلامى أيضا :

الأول : الدعاية التى صاحبت قيام الدولة العباسية برايتها السوداء ، ورجالها المتحمسين الذين استثمروا أحسن استثمار كل العوامل الزمنية والمكانية والاجتماعية فى ذلك الوقت ، فأثمرت دعايتهم وآتت أكلها .



وكانت معركة "الزاب" سنة ١٣٢ هـ هي التي دقت السمسمار الأخير في نعش الخلافة الأموية، وأقامت صرح خلافة جديدة، هي خلافة بني العباس التي استمرت أكثر من خمسة قرون من الزمان. وكتب التاريخ ملوثة بتفصيل ذلك لمن أراد أن يستزيد أو يتحقق (١).

الثاني : الدعاية التي صاحبت الحملات الصليبية على العالم الإسلامي، والتي وجدت كل العوامل الداخلية والخارجية مواتية للقيام بها ضد المسلمين في حينها .

ولا شك أن تلك الدعوات الإصلاحية، أو الدعايات قد توفرت لها العوامل الزمنية والمكانية والاجتماعية المناسبة لإنجاحها .

والرأى عندي أن هذه العوامل تشبه إلى حد كبير الحقيقة الإعلامية في خصائصها . فكما أن الحقيقة الإعلامية يجب أن تأتي في إبانها لا تتأخر ولا تتقدم كذلك الحال بالنسبة لهذه العوامل الزمنية والمكانية والاجتماعية لأي دعوة أو دعاية مهما اختلفت الأهداف والغايات .

والدعاية إلى الحملات الصليبية وهي موضوع فعلنا هذا شأنها في ذلك شأن سائر الدعايات الأخرى من حيث توافر العوامل الزمنية والمكانية والاجتماعية المناسبة، تلك العوامل التي أكسبت الحملة الصليبية الأولى قسطاً من النجاح عند بدايتها .

فهناك حيث الجانب الصليبي كانت عوامله الزمنية والمكانية والاجتماعية عوامل إيجابية دافعة تبشر بالتقدم والفتنة .

وهنا حيث الجانب الإسلامي، كانت عوامله الزمنية والاجتماعية عوامل سلبية مشببة تنذر بالتقهقر والهزيمة مع الأسف الشديد .

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، ج ٧ ، ط ٣ تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ( دار المعارف بمصر ) " بدون تاريخ : عن ٤٣٢ ، وما بعده .

فالعوامل الزمنية على الجانب الاسلامى كانت فى حينها عوامل مقبلة لأعداء الإسلام مدبرة للمسلمين ، ففى ذلك الزمان تناحرت قوى المسلمين وتناشرت ، وتجمعت فيهم طوائف الشر وتكتلت ، وهبت كل طائفة تقاتل بعضها الآخر من أجل سلطة زائفة ، أو قطعة من طين ، كالحروب التى دارت بين المسلمين فى الشام حين أخذ يقاتل بعضهم البعض الآخر ، بينما الصليبيون فى بيت المقدس ( ١ ) ، وإذا كان الزمان كذلك ، فماذا عن المكان . . ؟

كان المكان ملائما غاية الملاءمة على كلا الجانبين ، فعلى الجانب الصائبي كان المكان ضيقا حرجيا لا يكد يستوعب من يعيش فيه أو يعطيهم بعضا من الأمن والعطاء ، كان مكانهم موحشا توشك أن تنعدم فيه ، الروح والحياة ، ولا جدال فى أن مثل ذلك المكان لا بد أن يدفع أهله العاجزين عن إصلاحه إلى البحث عن مكان آخر أكثر أمنا وعطاء ، وأمتع للروح وأشبع للحياة ، وهل هناك مكان هذه صفاته غير مكان المسلمين آنذاك . . ؟

كان ضم على تراه آثار الأنبياء ومهابط الوحي ، وتجمعت فيه مناسك العبادة ومواطن التوبة والمغفرة ، وفاخر لبنا وعسلا .

أما العوامل الاجتماعية على الجانب الإسلامى ، فقد لوحظ أنه فى الوقت الذى كان فيه المجتمع على الجانب الصائبي مجتمعا وحددت بين طبقاته المعائب ، وجمعت بين أفرادها الرغبة فى التخلص من الضنك والعسر ، وشدت بين هراء الآمال والغايات الواحدة طلبا لحياة أفضل ولو كانت عن طريق الغزو والاعتداء .

كان المجتمع الإسلامى فى غالبية مجتمعاته توافرت فيه عوامل التمزق ، والتفتت وهم فيه الاستهتار وعدم المبالاة بأى حدث . مجتمعا فقسد

---

( ١ ) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ - عن ١٩٣ ، عن ٢٠٦ ، ص ٢٠٧ ، عن ٢١٦ .

إحساسه بما حواه ومن حوله ، لا يكاد يشعر بالخطر المحدق ، إختناط عليه ما يجب أن يفعله وما يجب ألا يفعله ، مجتمعا استفحل شـسره وتضائل خيره .

وما لاشك فيه أن مجتمعا كهذا تصبح حياته كمناته ، ووجوده كعدمه ، إنه مجتمع حقت عليه لعنة الله والناس أجمعين .

قال تعالى :

" له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وإن أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال " (١) .

وقال تعالى :

" ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم " (٢) .

وقال تعالى :

" وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا . وكم أهلكتنا من القرون من بعد نوح وكفى بمرئك بذنوب عباده خبيرا بصيرا " (٣) .

وقال تعالى :

" أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند أنفسكم إن الله على كل شىء قدير " (٤) .

---

(١) الرعد : ١١ .

(٢) الأنفال : ٥٣ .

(٣) الاسراء : ١٦ ، ١٧ .

(٤) آل عمران : ١٦٥ .

كان ذلك على الجانب الإسلامي .

أما على الجانب الصليبي فقد توافر لديه الزمن المواتي لشحن مثل تلك الحملات العسكرية على العالم الإسلامي .

زمن توافرت فيه للكنيسة قوة روحية ومادية لم يسبق أن توافرت لها من قبل .

زمن اختلطت فيه الروح عند الكنيسة بالمادة اختلاطا أفقدها التوازن والعدل ، حيث كثر رجال الكنيسة عن أنيابهم النهممة ليهتلعوا كل ما عند المسلمين من روح ومادة . كان ذلك الزمان زمانهم . أما المكان فإيهكن في غالبته إلا جديها ، ومكان المسلمين فسي غالبته كان خصيبا . كان مكانهم غاية في البخل والتقتير ، عمت به المجاعات آنذاك ، فهلك منهم من هلك ، وبقي منهم من بقي ليهتعمل صدره حقدا وحسدا على الإسلام وأهله ( ١ ) .

وأما عن المجتمع الصليبي ، فبالرغم من تكتله ضد العالم الإسلامي ، وتأجيل خلافاته في سبيل اتفاهه العاجل على غزو العالم الإسلامي ، وذلك الغزو الذي ساعدت على نجاحه حالة المجتمع الصليبي نفسه آنذاك ، فقد كان مجتمعا نشأ على التفرقة والتعصب ، ونخر في عظامه سوس النظام الاقطاعي الذي كان يفرق فيه بين الإبن الأكبر وسائر الأبناء فسي الإرث ، إذ كان يورث أكبر الأبناء كل شيء ولا يعطى للآخرين شيئا منه ، فسي الوقت الذي كان فيه هذا المجتمع يقيس المجد والشرف بقدر ما يملك الفرد من مال وجهيد ، ومن هنا أخذ هؤلاء المحرمون يبحثون عن المال ، ويشتاقون إليه حتى وقع نظرهم عليه في العالم الإسلامي الذي يفيض لبنا وعسلا ( ٢ ) .

من ذلك كله يتضح لنا أن الحملات الصليبية جاءت في الزمن

( ١ ) د . فايد حماد عاشور : جهاد المسلمين في الحروب الصليبية ، ص ٨٢ .

( ٢ ) المرجع السابق : ص ١٨١ .

الموتى والمكان الملائم والحالة الاجتماعية المناسبة ، سواء على الجانب الإسلامي أو الجانب الصليبي .

ولو قدر لعامل من هذه العوامل أن يختل لما صادفت الحملة الصليبية الأولى ذلك النجاح الذي أحرزته على العالم الإسلامي وبلغ قمته باستيلائها على بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م .

يتبقى بعد ذلك العنصر الرئيسي والأهم وهـ والذي قام بقطف الثمرة واستغلال هذه العوامل وتنفيذها في الوقت المناسب تماما ، وأعني بذلك العنصر الكنسي الذي تمثل في رجال الكنيسة المهينين على الحياة بأسرها آنذاك في العالم الصليبي .

واقدم أنبرى من هؤلاء رجل يدعى البابا "أوربان الثاني" الذي تمثل فيه طغيان الكنيسة وجبروتها وتسلطها على الملوك والأمراء والفرسان ليسهموا بحملاتهم ضد الإسلام وأهله .

وفي الوقت نفسه طاف كثير من الادياعيين الشعبيين بالبلاد طولا وعرضا يؤلبون الناس على المستوى الجماهيري ، ويهثون فيهم الحماسة للمشاركة في هذه الحملات الصليبية على العالم الإسلامي .

وقام رجل من هؤلاء الادياعيين يدعى "بطرس الناسك" ببيت الأكاذيب وينشر الأباطيل ضد المسلمين ، حاملا على عاتقه النصيب الأوفى لإشعال الرغبة في نفوس الطبقات الدنيا بشتى الطرق والوسائل .

أما البابا "أوربان الثاني" فقد استطاع أن يستغل نزوح العوامل الزمنية والمكانية والاجتماعية على كلا الجانبين لتأليب الناس في بلادهم ، وحشد مختلف الطاقات لغزو العالم الإسلامي .

وكأني به ، وقد وقف تماما على مقدار درجة قياس الرأي العام النصراني لدعوته ، ما أظهر تأثير كلماته في الخطاب الذي ألقاه بمجمع "كلير مونت" بفرنسا عام ٤٨٨ هـ - ١٠٩٥ م ، حيث تجسد هذا التأثير في صحيفة

السامعين جميعا " هكذا أراد الله " ، هذه الصيغة التي اتخذوها شعارا لهم فيما بعد ، وكان من صدى كلماته أن هب (أديماردومونيل) أسقف "بوى" وركع عند قدمي هذا البابا حاملا صايبه ليعرف بعد ذلك بأنه أول من حمل الصايب ، مما حدا بالبابا أن يجعله قائد الحملة الروحية .

وكان ( لأديمار ) من التأثير على المساهمين في الحرب ما تفصح عنه كتابات المؤرخين ممن شاهدوا الحملة ، يستوى في هذا الأشسراف منهم والدهما على السواء ( ١ ) .

وحتى نقف على تلك النفوس الغفمة بالتعصب والكراهية ، وتفهم بالحد والطمع في العالم الإسلامى الذى كما يفواون يغير لنا وصلا ، لا بد لنا أن نقرأ معا ما قاله البابا "أوربان الثانى" من افتراءات وأكاذيب على العالم الإسلامى فى خطابه " بكيرمونت " :

" يا شعب الفرنجة . . شعب الله المحبوب المختار ، لقد جاءت من تخوم فلسطين ومن مدينة القسطنطينية أنباء محزنة تعلن أن جنسا لعينا أبعد ما يكون عن الله قد طغى ورفى فى تلك البلاد المسيحية ، وخربها بما نشره فيها من أعمال الساب والحرائق .

واقعد ساقوا بعض الأسرى إلى بلادهم ، وقتلوا بعضهم الآخر بعد أن هذبوهم أشنع تعذيب ، وهم يهدمون المذابح والكنائس بعد أن يدنسوها بوجسهم ، ولقد قطعوا أوعال مائة اليونان ، فانتزعوها منها أقاليم بلغ من سعتهما أن المسافر فيها لا يستطيع اجتيازها فى شهرين كاملين .

على من تقع تبعية الانتقام لهذه المظالم ، واستعادة تلك الأصواع ، إذا لم تقع عليكم أنتم - أنتم يامن حباكم الله أكثر من أى قوم

---

( ١ ) د . حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى . ط ، دار الفكر العربى بالقاهرة ، ص ٥١ - عام ١٩٥٨ م .

آخرين بالمجد في القتال وبالبسالة العظيمة ، وبالقدرة على إذلال رؤوس من يقفون في وجوهكم . . . ألا فليكن من أعمال أسلافكم ما يقوى قلوبكم . أمجاد " شارلمان " وعظمته ، وأمجاد غيره — من ملوكم وعظمتهم — فليثر همتمكم ضريح المسيح المقدس ربنا ومنقذنا (١) الضريح الذي تمتلكه الآن أم نجسة ، وغيره من الأماكن المقدسة التي لوثت ودنست .

لا تدعوا شيئا يقعد بكم من أملاككم أو من شئون أسركم . ذلك بأن هذه الأرض تسكنونها الآن ، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين ، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام ، ومن أجل هذا يذبح بعضكم بعضا ، وتتحاربون ويهلك الكثيرون منكم في الحروب الداخلية .

طهروا قلوبكم إذن من أدران الحقد ، واقضوا على ما بينكم من نزاع ، واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس ، وانتزعوها هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتطكوها أنتم "إن" أورشليم " أرض لا نظير لها في ثمارها ، هي فردوس المباهج ، إن المدينة العظمى القائمة في وسط العالم تستغيث بكم أن هبوا لإنقاذها ، فقوموا بهذه الرحلة راغبين متحسين تتخلصوا من ذنوبكم ، وشقوا أنكم ستنالون من أجل ذلك مجسدا لا يفنى في ملكوت السموات" (٢) .

---

(١) هذه هي عقيدة الكنيسة الكاثوليكية في السيد المسيح ، وحاشا لله من ذلك ، إذ أن عقيدتنا نحن المسلمين في السيد المسيح أنه عهد من عهد الله ، بشركامل البشرية وأحد أنبيائه .

(٢) د . محمد ماهر حمادة : وثائق الحروب الصليبية ، ص ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٠١ ( مؤسسة الرسالة - بيروت ) ط أولى ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م نقلها عن : ( لول ديورانت ) في قصة الحضارة .

حقا إن الكفر ملة واحدة ، لا فرق بين اليهودية والنصرانية في  
عدائهم للإسلام وأهله . فكما أن اليهود حرفوا من قبل وصاياهم  
العشر ، وفسروها تفسيرات تتفق ونفوسهم التي فطرت على الشر  
وجبلت على الحقد والانتقام ، كذلك الحال بالنسبة للنصارى فى  
سلوكهم تجاه الإسلام والمسلمين .

وحتى لا نبتعد فى ذلك عما نحن بصدده فسوف نمشى مع  
البابا "أوربان الثانى" فى خطبته " بكليير مونت " ، لنرى هل هذا  
الرجل الصليبي ومايد هو إليه يختلف فى شئ عن اليهود وما يدعون  
إليه . . . ؟

هل يختلف أولئك عن هؤلاء فى عدائهم للإسلام والمسلمين . . ؟  
وحتى أجيب عن تلك التساؤلات فى موضوعية تامة وجدت لزاما  
على أن أتقيد بما جاء فى خطاب " البابا أوربان الثانى " " بكليير  
مونت " لأناقشه بحياد وعدالة ، من جانبه الإعلامى ، إذ كان هذا  
الخطاب حدثا إعلاميا بالدرجة الأولى ، وكل حدث إعلامى لسه  
طريقته فى الإعلام منه .

كان خطاب البابا " أوربان الثانى " حدثا إعلاميا من حيث  
اتصاه بال جماهير والتأثير فيهم بكل ما أتيج له من وسائل إعلامية فى  
ذلك العصر .

وإذا دققنا النظر فى هذا الخطاب وجدنا من الزاوية الإعلامية  
أن الصليبيين قد وعوا إلى حد كبير بعضا من استراتيجيات الحروب  
والتي منها المبدأ المعروف " إعرف عدوك قبل أن تبدأ به " .

ويظهر لى أن المسلمين فى تلك الفترة المبكرة من الحروب  
الصليبية كانوا لا يبالون كثيرا بهذا المبدأ مع أنه مبدأ إسلامى ،  
والدليل تلك النتائج التي أسفرت عنها الحروب الصليبية فى بدايتها



والتي بلغت قمتها بالاستيلاء على بيت المقدس عام ٤٩٢ هـ - ١٠٩٩ م .  
وحيث أن وسائل الإعلام الحديثة لم يكن لها وجود في ذلك  
الوقت ، فقد عمل الصليبيون منذ اللحظة الأولى لغزوها على أن -  
يستحدثوا من الوسائل العنصرية في الإعلام ما يقوم بنفس الدور الذي تعمله  
وسائل الإعلام الحديثة ، جاهدة في تحقيقه ، وساعية بكل ما لديها  
من إمكانيات لتصل أهدافها إلى غايتها .

وكان من أبرز الأهداف التي عمل الصليبيون على تحقيقها عليها  
بوسائل اعلامية هدف التخريب المعنوي للمجتمع الإسلامي ، من ذلك  
أنهم عمدوا إلى أسلوب هذا التخريب المعنوي بإشاعة الفاحشة والاعتداء  
على الأعراض ، ونشر الأخبار المفضة عن القتل والتعذيب الجماعي  
الذي سيفعلونه بالمسلمين بحثا للربح في نفوسهم ، وذلك من  
طريق الاتصال بالجماهير ، وبث الأخبار المبالغ فيها بين صفوفها بهشتي  
الوسائل المتاحة في ذلك الوقت .

يقول الدكتور عبد اللطيف حمزة : " لقد عرف الناس في البيئات  
القديمة كلا من الإعلام والدعاية ، ولكن بالصور والوسائل التي تناسبها ،  
كما عرف الناس في تلك البيئات القديمة كلا من الإعلان والعلاقات العامة  
والتعليم بالصور والوسائل التي تتناسب معها وهكذا " (١) .

والمجتمعات القديمة كان يسهل فيها الاتصال بالجماهير لضيق  
رقعتها بالقياس إلى المجتمعات الحديثة ، ومن ثم يسهل في المجتمعات  
القديمة اتصال الأفراد بعضهم ببعض .

لذلك فعل خطاب البابا "أوربان الثاني" فعله السحري فسي  
الجماهير المتعطشة للغزو والدماء ، وانتشر فيهم انتشارا كان مسن

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الاعلام في صدر الاسلام ، ص ٢١ .

نتائج تلك الحروب الصليبية التي هزت العالم الإسلامي وغزت أرضه ،  
وأجبرت على أن يعيد تقويم نفسه من جديد .

ونظرا لخطورة هذا الخطاب على المستوى الإعلامي فسوف أتناوله  
بالنقد من جوانب ثلاثة :

الأول : الأكاذيب المطفقة التي ألصقها الخطاب بالمسلمين من حيث  
معاملتهم السيئة للحجاج الصليبيين على حد زعمهم ، ومحاولة  
الرد على تلك الأكاذيب من واقع ما كتبه بعض الكتاب النصارى  
الأكثر إنصافا .

الثاني : القتل والسلب والضعف والبغضاء وتحريم ذلك كله بالمسلمين  
الصليبيين وإباحته في نفس الوقت بين المسلمين .

الثالث : الأطماع الدنيوية التي ينضح بها الخطاب من أوله إلى آخره .

الجانب الأول :

وهو الجانب الخاص بالتهمة الباطلة التي ألصقها الخطاب  
بالمسلمين ، ولورد على هذه التهمة يكفي أن كثيرا من المؤرخين النصارى  
يجمعون على أن حجاج الأماكن المقدسة وكنيسة القيامة من أهل الشرق  
والغرب على السواء لم يهادفوا شيئا من العنت أو الإرهاب - أو  
الاضطهاد من جانب المسلمين الأوائل ، ويكفي أن أسوق هنا  
دليلا جاء من نصراني مثلهم ، وهو يتلخص في الخطاب الذي بعث به  
أسقف بيت المقدس نفسه في القرن التاسع الميلادي ، الثالث الهجري  
إلى بطرك القسطنطينية ، وكان قبل وقوع أية حملة صليبية في الشرق ،  
وفيه يشير بوضوح إلى حسن معاملة المسؤولين المسلمين للنصارى ،  
وأنهم لا يستعملون معهم أي نوع من أنواع العنف أو القسوة ( ٢ ) .

( ١ ) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام في صدر الإسلام ، ص ٢١ .

( ٢ ) د . حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ، ص ٢٥ - نقلا عن : "رسيهان" .

### الجانب الثاني :

القتل والسلب والصفينة والبغضاء وتحريم ذلك كله بين الصليبيين وإباحته في نفس الوقت بين المسلمين .

وقد جاء كل ذلك في خطاب البابا "أوربان الثاني" حيث قال :  
" طهروا قلوبكم إذن من الأدران ، واقفوا على ما بينكم من نزاع واتخذوا طريقكم إلى الضريح المقدس ، وانتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتلكوها أنتم ."

وقال أيضا : " لقد آن الزمان الذي تحولون فيه ضد الإسلام تلك الأسلحة التي اتخذها فريق منكم حتى الآن ضد فريق آخر ، لأخذ الثأر عن بعض إهانات . فالحرب المقدسة المعتمدة الآن ليست هي الأخذ الثأر من إهانات ضد البشر ، بل من الإهانات الصادرة ضد الله " (١) .

### الجانب الثالث :

الأطماع الدنيوية التي يندفع بها خطاب البابا "أوربان الثاني" من أوله إلى آخره بغير مواربة أو مداراة .

ولقد جاء كل ذلك في خطاب البابا حيث قال :

" انتزعوا هذه الأرض من ذلك الجنس الخبيث وتلكوها أنتم ، إن "أورشليم" أرض لا نظير لها في ثمارها ، هي فردوس السباح . . ."

وقال أيضا :

" إن هذه الأرض التي تسكنونها الآن ، والتي تحيط بها من جميع جوانبها البحار وقلل الجبال ضيقة لا تتسع لسكانها الكثيرين ، تكاد تعجز عن أن تجود بما يكفيكم من الطعام " . هؤلاء هم النصارى ومن قبلهم كان اليهود ، فهل هناك فرق بينهم في عداوتهم وحقدهم على الإسلام والمسلمين ؟

---

(١) د . علي محمد الحليم محمود : الفنزوالعربي والعالم الاسلامي ، ص ٢٦ ، ط : دار عكاظ (١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م) .

إن ما جاء في خطاب البابا "أوربان الثاني" يتم بوضوح وجلاء  
عن أخلاق الغزاة المعتدين الذين لا يهمهم سوى القتل والتشيل ، والحرق  
والتدمير .

أما الفاتحون والدعاة المصلحون فلا يهمهم سوى إعلاء كلمة الله  
في الأرض ، لا قتل ولا تشيل ، ولا سلب ولا نهب ، ولا حرق ولا  
تدمير ، بل عدل وساواة ، وهداية وإرشاد . إنه الفرق الكبير بين  
الفتح والغزو .

ونضى مع الأدلة لنبيين الفروق الشاسعة بين الغزو المعتدى  
والفتح المهتدى ، والدليل على الغزو المعتدى هو الغزو الصليبي نفسه  
وما جاء في خطاب البابا "أوربان الثاني" من أهداف هذا الغزو ومراميه .  
أما الدليل على الفتح المهتدى فنأخذ له دليلين من الإسلام :

الأول : جاء فيما أخرجه مسلم في صحيحه عن سليمان بن بريدة عن أبيه  
قال :

" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أمر أميرا على جيش  
أو سرية أو صاه في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيرا ، ثم  
قال اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغلوا  
ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتلوا وليدا ، وإذا لقيت عدوك من  
المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال ( أو خلال ) فأيتهن ما أجابوك  
فاقبل منهم ، وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى الإسلام فإن أجابوك فاقبل  
منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم إلى التحول عن دارهم إلى دار المهاجرين ،  
وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين ،  
فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين  
يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم فى  
الغنمة والغنيمة شئ " إلا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فإن هم أبوا  
فلسهم الجزية ، فإن هم أجابوك فاقبل منهم ، وكف عنهم ، فإن هم

أبوا فاستمعن بالله وقاتلهم — م (١) .

الثاني : جاء في كتب التاريخ وتناقلته كتب الأدب وهو في الوصية التي أوصى بها عمر بن الخطاب رضي الله عنه قائده المظفر سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين سيره بجيش المسلمين إلى العراق قال عمر رضي الله عنه :

" أما بعد فإنني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله على كل حال . . فإن تقوى الله أفضل العدة على العدو وأقوى المكيدة فسي الحرب ، وآمرك ومن معك أن تكون أشد احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم . فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم ، وإنما ينصرون المسلمون بمعصية عدوهم لله ولولا ذلك لم تكن لنا بهم قوة ، لأن عدونا ليس كعدوهم ، ولاعدتنا كعدوتهم ، فإن استوتينا في المعصية كان لهم الفضل علينا بالقوة ، وإلا ننصر عليهم بفضلنا لم نغلبهم بقوتنا .

فاعلموا أن عليكم في سيركم حفظة من الله يعلمون ما تفعلون فاستحيوا منهم . ولا تعملوا بمعاصي الله وأنتم في سبيل الله ولا تقولوا : إن عدونا شر منا فلن يسلط علينا . فرب قوم سلط عليهم من هو شر منهم كما سلط على بني إسرائيل لما عملوا بمساخط الله " .

ثم قال رضي الله عنه : " وأسألوا الله العون على أنفسكم كما تسألونه النصر على عدوكم " (٢) .

وكان هذا دأب عمر مع قواده وأمرائه . وادق در لقادة المسلمين اليوم أن يدرسوا هذه الوصية ويطبّقوها على أنفسهم بادي ذي بسدره لتغيير وجه التاريخ ، وتغيير صفاته ومعالمه ، واتصلت حلقاته وطارت كما كانت بلا فواصل أو حدود .

(١) الامام مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي المجلد ٦ ، ج ١٢ ، ص ٣٧ ، ٣٨ (باب تأمير الامام على البعوث) .

(٢) احمد بن محمد ربه : العقد الفرید ج ١ ، ص ٩٢ ، تحقيق : محمد سعيد العربيان ، " دار الفكر - بيروت " . بدون تاريخ .

ونواصل السير مع الخليفة الثاني للمسلمين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأرضاه حتى نصل معه الى النقطة الفاصلة بين الإسلام وغيره ، بين الفتح المهتدى والغزو المعتدى ، بين وصايا عمر بن الخطاب تلك الهادية المستنيرة ، وبين خطبة "أوربان الثاني" تلك الغاوية الشريرة .

إن هذه الأدلة التي أسوقها للمتفرقة بين الغزو والاعتداء من جهة ، وبين الفتح والهداية لإعلاء كلمة الله من جهة أخرى تشمل في نظري أحداثا اعلامية بجانب كونها أحداثا تاريخية .

ذلك لأن هذه الأحداث تُظهر بوضوح ما للاقدوة الحسنة من تأثير إعلامي خطير في الرأي العام المحلي والخارجي مما يسهل على الدعاة مهمتهم الشاقة ، ويفتح أمامهم قلوب الناس وعقولهم .

قال تعالى :

" لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ، ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين " . ( ١ )

تلك هي سمات الفتح لإعلاء كلمة نزل بها التشريع السماوي ، ونزل بها المسلمون إلى ميدان التطبيق العملي ، فقمعة ابن عمرو بن العاص مع المصري القبطي معروفة حين اعتدى ابن عمرو بن العاص إبان حكمه مصر على أحد المصريين الأقباط فهدده القبطي بشكايته لأmir المؤمنين عمر بن الخطاب ، فلم يأبه ابن عمرو بن العاص لذلك وقال : أنا ابن الأكرمين ، فلما كان موسم الحج وقد ذهب عمرو وابنه إلى مكة كان القبطي في اثرهما ، ودخل إلى الخليفة وهدده عمرو وولده ، فشكا إليه ما قد وقع عليه وأعاد على سمع أمير المؤمنين كلمة ابن الأكرمين ، فغضب عمر بن الخطاب غضبا شديدا ، ونظر إلى عمرو قائلا جملته الخالدة : " متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا " ؟

( ١ ) المتحنة : آية ٨ .

ثم ناول الشاكى سوطا وقال له اضرب ابن الأكرمين كما ضربك .  
سبحان الله ، ألا ينبغى لمن يعيش فى القرن الخامس عشر  
الهجرى أن يطوى القرون إلى الوراء ليرجع بخياله إلى بداية القرن  
الأول الهجرى ويتصور مدى الأثر الإعلامى الذى خلفه عدل عمر فى  
أقطاب مصر آنذاك حينما رجع ذلك القبطى وابنه وأعادوا كراما رأبوا من  
عمر رضى الله عنه على سماع أقطاب مصر .

لم تكن لديهم إزاحة سموة ولا مرثية ، ولا صحف ولا وكالات  
للأنباء كما لدينا الآن ، بل كان لديهم إخباريون يتناقلون الأخبار بين  
الناس ، وتلك كانت وسيلتهم الإعلامية الرئيسة .

ولا شك أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد باخ القعة فى استثمار  
هذه الوسيلة الإعلامية المباشرة آنذاك . إنه الفتح المبين لنشر عقيدة  
التوحيد بين الناس ، وليس الغزو المشين لنشر الكفر والفساد وإشاعة  
الظلم والطغيان بين البشر .

ولكن ما لنا نؤغل فى تاريخ الدعوة الإسلامية بعيدا ونحن نتوقع  
من قائل أن يقول :

إن ذلك كان فى صدر الإسلام وقد تم على أيدى الخلفاء الراشدين  
وباقي الصحابة والتابعين ، وأين نحن من هؤلاء ؟

حقا أين نحن من هؤلاء ، ولكن ما ذا عن صلاح الدين الأيوبي ؟  
إنه ليس من الصحابة ولا من التابعين ولا من تابعى التابعين ، لكنه  
تبعهم بإحسان بعد خمسة قرون أو تزيد .

ألا يصلح هذا الرجل لأن يكون مثلا حيا للفتح المسلم الذى  
أبته عقيدته الإسلامية أن يحدو حدو والغزاة العاصيين حينما فتحوا  
بيت المقدس فقتلوا الشيوخ والنساء والأطفال ومثلوا بجوشهم بلا ذنب  
ارتكبوه إلا أنهم مسلمون . . ؟

الأمر الذي لم يحاول المؤرخون الصليبيون أنفسهم إنكار حقيقته ،  
فذكر (وليم الصوري) أن بيت المقدس شهد عند دخول الصليبيين مذبحه  
رهيبه حتى أصبح البلد "مخافة واسعة من دماء المسلمين أشارت  
خوف الغزاة واشمئزازهم" (١)

واقعد باخ عدد الذين أجهز عليهم الصليبيون من المسلمين عند فتح  
بيت المقدس أكثر من سبعين ألفا حسب ما ذكره ابن الأثير (٢) .

ولم يذكر المؤرخون المسلمون هذا العدد من شهداء المسلمين  
فحسب ، بل ذكره أيضا المؤرخون النصارى الشرقيون مثل "ابن العبري  
الطلي" الذي ذكر بالحرف الواحد "ولبت الفرنج في البلد أسبوعا  
يقتلون فيه المسلمين ، وقتل بالمسجد الأقصى ما يزيد على سبعين ألفا"  
(٣)

كان ذلك بعض ما فعله الغزاة الصليبيون بالمسلمين عند فتحهم  
بيت المقدس . فماذا فعل الفاتح المسلم صلاح الدين الأيوبي عند  
استعادته بيت المقدس من الغزاة الصليبيين قتلة السبعين ألف مسلم ؟  
كانت بالقدس إحدى نساء الملوك من الروم وقد ترهبت وأقامت  
به ومعها من الحشم والعبيد والجواري خلق كثير ، ولها من الأموال  
والجواهر النفيسة شيء عظيم وكثير فطلبت الأمان لنفسها ومن معها ،  
فأمنها وسيرها ، وكذلك أيضا أطلق ملكة القدس التي كان زوجها أسير

- 
- (١) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ٢٣٧ .  
(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ، ص ١٨٩ .  
(٣) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ١٣٧ ، نقلا  
عن : "ابن العبري" في تاريخ مختصر الدول ص ١٩٧ .



صلاح الدين قد ملك الفرنج بسببها ، ونياية عنما كان يقوم  
بالملك ، وأطلق مالها وحشمها ، وأستأذنته في المسير إلى  
زوجها ، وكان حينئذ محبوسا بقاعة نابلس ، فأذن لها فأتته  
وأقامت عنده .

" وخرج " البطريك " الكبير الذي للفرنج ومعه من أموال  
البيع منها المخرة والأقصى والقيامة ما لا يعاونه إلا الله تعالى . وكان  
له من المال مثل ذلك ، فإم يعرض له صلاح الدين ، فقيل لــــه :  
ليأخذ ما معه يقوى به المسلمين ، فقال : لا أغدربه " ( ١ ) .  
لم يكتف صلاح الدين بذلك بل أعلن أنه سوف يطلق سراح  
كل شيخ وكل امرأة عجوز .

ولما أقبل نساء الفرنج اللائي افتدين أنفسهن ، وقد امتلأت  
عيونهن بالدموع ، فسألن صلاح الدين أين يكون مسيرهن بعد  
أن لقي أزواجهن أو آباؤهن مصرعهم أو وقعوا في الأسر ، أجاب  
بأنه وعد بإطلاق سراح كل من في الأسر من أزواجهن ، وبذل للأرامل  
واليتامى من خزائن العطايا كل بحسب حالته ، والواقع أن رحمته  
وعطفه كانا على نقيض أفعال الفزاة الصليبيين المعتدين في الحملة  
الصليبية الأولى .

---

( ١ ) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٨٤ .

( ٢ ) بسام العسلى : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ، ص ١٣٤ - ط ١  
( دار النفائس - بيروت ) ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .

٢ - حملات العامة التي تزعمها " بطرس الناسك " وغيره :

كان المجتمع الصليبي قبيل وابلان القيام بهذه الحملات العسكرية على العالم الإسلامى ينقسم إلى طبقات متفاوتة كل التفاوت ليس فقط من ناحية المال أو الجاه أو السلطان ، فهذا موجود بين بنى البشر جميعا فى كل زمان ومكان ، لكن هذا التفاوت كان على أشده — حيث الاستغلال والظلم ، استغلال الإنسان وظلمه لأخيه الإنسان .

والقرآن الكريم الذى نزل من أجل سعادة البشر جميعا قد أوضح هذا التفاوت فى المال أو الجاه أو السلطان وأقر ذلك ، لكنه فى نفس الوقت أنكر التفاوت فى الإنسانية وحرم الاستغلال والظلم ، استغلال الإنسان لأخيه الإنسان .

قال تعالى مقرا هذا التفاوت المادى بين بنى البشر كحقيقة لا تقبل الجدل :

" أهدم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضا سخريا ورحمة ربك خير مما يجمعون " (١) .

وقال تعالى فى ذلك أيضا :

" والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت أيماهم فهم فيه سواء أفبينعمة الله يجحدون " (٢) .

وقال تعالى ساويا بين البشر جميعا فى الإنسانية جاعلا مناط التفضيل بينهم التقوى وليس المال أو الجاه أو السلطان :

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " (٣) .

(١) الزخرف : ٣٢ .

(٢) النحل : ٧١ .

(٣) الحجرات : ١٣ .

كان هذا التفاوت في المجتمع النصراني على أشده من حيث  
السيادة والعبودية ، السيادة المطلقة التي لا تعرف من معنى السيادة  
إلا استعباد الإنسان ، والعبودية المطلقة التي لا تعرف من معنى  
السيادة إلا الخضوع للإنسان .

ومن هذا المنطلق انشطرت الدعوة للحروب الصليبية إلى  
شطرين :

الأول : بقيادة الكنيسة وقد انضوى تحت لوائها الملوك والأمراء والنبلاء  
والقادة والفرسان ، واستطاعت الكنيسة أن توجج النفوس  
وتحرك العواطف بدعوتها إلى إنقاذ الأراضي المقدسة ، لما فسى  
إنقاذها من روعة في أخيلة الفروسية الأوروبية .

والأدلة كثيرة على تلك الحالة العاطفية التي غمرت فروسية  
الأوروبيين وهي تتأهب لخوض هذه الحرب استجابة لنداء البابا  
" أوربان الثاني " الذي جعل محور خطابه في مجمع " كلير مونت"  
استعادة بيت المقدس والأراضي المقدسة .

والجدير بالذكر أن الكنيسة قد أضفت على طبقة الفرسان كثيرا  
من أسلوبيها الروحي وهي تستعد لشن هذه الحرب العدوانية على  
المسلمين ، لذلك ابتكرت شتى مظاهر القداسة التي أضفتها إعلامها  
على طبقة الفرسان ، من ذلك على سبيل المثال ضرورة اغتسال  
المتأهل للفروسية بما تباركه الكنيسة ، ثم يحيى ليله بالصلاة ، حتى  
إذا أقبل الصبح قصد الكنيسة حيث يعترف بذنوبه وخطاياها ، ثم  
يتناول العشاء الرباني ، ويتلو عليه القس واجبات طبقة أي أن الفارس  
يصبح علييا بمعنى الكلمة .

ولا عجب أن تكون للكنيسة هذه الساطة الامايا في تحريرك  
الحروب الصليبية لأن الكنيسة في تلك الفترة من الزمان ، فترة الحروب

الصليبية بلغت درجة من النفوذ في المعالم جعلت من البابا في نظر المسيحيين ملك الملوك وأمير الأمراء .

ومع التهديد بسلاح الحرمان والطراد من رحمة الكنيسة استطاع البابا أن يخضع الجميع عن طريق هذه الشعارات الإعلامية الرهيبة .

فأخذ البابا منذ ذلك الوقت يماثل ملوك أوروبا وأمراءها على أنهم أبناء الكنيسة وأنه هو أبوها ، وهذا أيضا يعتبر شعارا إعلاميا مؤثرا يجسد رغبة الكنيسة في الهيمنة والسيطرة ، وعلى ذلك فقد اعتبر البابا نفسه رأس العالم المسيحي أجمع ، فأخذ يمد أنفه إلى كل ركن من أركان البناء الاجتماعي والسياسي لفرب أوروبا ، زيادة على الهيئات الدينية .

واقدم كانت لهذه الشعارات الإعلامية التي أخذت الكنيسة تنشرها هنا وهناك وتدخلها في نطاق التطبيق العملي آثار بعيدة المدى في مضاعفة نفوذ الكنيسة ، الأمر الذي سهل أمامها الطريق لكي تقود الحروب الصليبية وأن تدعو إليها . وأن تعتبرها حربا من أجل الكنيسة ، وأن تسميها - بناء على هذا الاعتبار - الحرب المقدسة أو حرب الصليب أو حرب الخلاص .

الثاني: بقيادة الادعائين من العامة وانضوى تحت لوائه طبقات الشعب الدنيا التي وجدت في الحروب الصليبية متنفسا لها من الكبت والحرمان اللذين تعاني منهما ، ومنطلقا لها من الذل والهوان اللذين يحيطان بها من كل جانب .

ولقد وجدت الكنيسة ومن ورائها الملوك والأمراء والنهلاء والقادة أنه من العار عليهم أن يلتحقوا بهذه الحملة من العامة ، والعامة من جانبهم عرفوا مكانتهم فاستقلوا بحطتهم ، والكنيسة من جانبها هي الأخرى . باركت ذلك الوضع وشجعت رغبة منها في ألا يتخلف أحد عن الفئرو مهما كانت مكانته من المجتمع .

وأستطيع أن أقول بعد ذلك بأن دعوة الكنيسة في نظري كانت تمثل الإعلام الرسمي للدولة الذي يأمر فيطاع ، والذي يوجه فيمتنع ، والذي يملك من الإمكانيات والوسائل ما لا يقدر على امتلاكها إلا هي وحدها .

أما الادياعثيون من العامة فكانوا يمثلون في نظري الإعلام الشعبي المشارك لإعلام الدولة أو الإعلام الرسمي ، لأن هذا الإعلام الشعبي الجارف أو قدر له أن يتعارض أو يتقاطع مع إعلام الدولة لتفسير الوضع وانقلب الحال .

لقد سار الإعلامان أثناء تلك الفترة جنباً إلى جنب في خطين يلتقيان من أجل تحقيق هدف واحد هو القضاء على الإسلام في مقر داره ، وهذا الهدف هو نقطة الالتقاء بين الخطين المتماثلين ، وبذلك يصبح الإعلامان إعلاماً واحداً تلقائياً .

وهذا ما حدث تماماً عندما التقت الحطتان في القدس واستوليا عليه من أيدي المسلمين في الحرب الصليبية الأولى .

ولقد قام هؤلاء الادياعثيون من العامة بجهود كبيرة واسعة النطاق في البداية لمشروع الحرب المقدسة ، استخدموا في ذلك شتى الوسائل من اختلاق الأكاذيب وتضخيم الأخبار وتلفيق التهم من أجل كسب الرأي العام الأوروبي واشترائه عن بكرة أبيه في تلك الحرب العدوانية .

ويذكر التاريخ دائماً على رأس هؤلاء الادياعثيين اسم " بطرس الناسك " ، وهو رجل متقدم في السن حاول أن يقوم بالحج إلى بيت المقدس ، لكنه تعرض في الطريق لبعض المصاعب الشخصية فعاد إلى بلده دون أن يحقق أمنيته ، مما ترك أثراً في نفسه ، ويظهر أن حماسة " بطرس الناسك " وفصاحته وهيئته الفريية وثيابه المهلهلة وقدميه العاريتين وحمارة الأعرج جعلت كلها منه شخصية إعلامية ذات تأثير خطير على جماهير العامة والدهما في غرب أوروبا .

واقـد طفق " بطرس الناسك " يتجول بين بلدان أوروبا راكبا حماره الأعرج تارة أو بغلته الهزيلة تارة أخرى قابضا بيديه على رمزه الإعلامى وهو الصليب مناديا بالحرب المقدسة أو حرب الصليب فى الطرقات والأزقة والكنائس والأديرة شارحا ما يقاسيه نصارى الشرق من ألوان العذاب تحت حكم المسلمين ، مستغلا فى ذلك وسيلة إعلامية من أهم وسائله المؤثرة فى الجماهير وهى وسيلة الاتصال الشخصى المباشر .

يقول المؤرخون إن " بطرس الناسك " ادخر فى ذهنه من قوة التأثير ما كان يثير الرجال ويحرك مشاعرهم ، ولكى يكون تأثيره فى الناس أقوى واثارته لهم أشد ، قام بإحاطة نفسه بجو غريب من السلطنة والنفوذ .

وهروى " جيهرت نوجيننت " الذى يعرفه شخصا فيقول :

" مايردده " بطرس " أو يعقله ، يتراى على أنه من

صنع الله " ( ١ )

ولقد أدرك " بطرس الناسك " تلك الفكرة الشائعة عن نفسه بين الناس ، فذهب فى تصوير ما يعانى منه النصارى على أيدى المسلمين مذاهب أبعد ما تكون عن الحقيقة ، إن زعم أن المسلمين يعتدون على الحجاج النصارى ، ويستولون على أموالهم ويفتكون بهم ومن معهم لا يرحمون شيخا ولا طفلا ولا امرأة .

لهيكن " بطرس الناسك " من ذوى المكانة أو الخطر ، ولكن ليس من شك فى أنه كان قديرا على مخاطبة جمهور الرعاى من شعوب فرنسا ، وكان من دأبه السير حافى القدمين فى ثياب قدرة ، ولعلسه

---

( ١ ) د . على عبد الحليم محمود : الغزو الصليبي والعالم الإسلامى ، ص ٢٩  
نقلا عن : " ستيفن رنسيان " ، تاريخ الحروب الصليبية ، ج ١ ، ص ١٦٩ .

واحد من الذين كانوا يطلقون عليهم لفظ "المجذوبين" الذين كانت تحفل بهم العصور الوسطى ، وكانوا كلما ازدادوا قدارة ازداد إيمان العامة بهم ، وليس أدل على أنه كانت به "جذبة" من أنه كان يقتصر في طعامه على السمك فلم يعرف عنه أنه تناول اللحم أو الخبز ، وكانت هذه مدعاة للتعاف الجماهير حوله والإيمان بأن في أثواب هذا الرجل قديسا حتى ليصفه من التقى به أنه كان " نصف ملهم " .

لذلك استطاع " بطرس الناس " أن يجمع حوله خمسة عشر ألف صليبي على أقل الروايات ثم يسير بهم ليساهم في القضاء على الإسلام وأهله حسبما كانوا يأملون .

ولكن الدعاة المصلحين الذين باعوا أنفسهم لله وخرجوا ابتغاء مرضاته تعالى ليفوزوا بإحدى الحسنين ، الشهادة أو النصير لاتهمم الدنيا في شيء ، ولا يؤثر فيهم ما قد يصيبهم في سبيل الله من جوع أو ظمأ أو نصب .

قال تعالى :

" قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون . قل هل تترهبون بنا إلا إحدى الحسنين ونحن نترهبكم بأن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فترهبوا إنا معكم مترهبون " (١)

وقال تعالى :

" الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا " (٢) .  
أولئك هم الذين يقاتلون في سبيل الله ، أما أولئك الذين يقاتلون في سبيل الطاغوت والذين خرجوا ابتغاء عرض دنياي أو شرف قبيلاي

(١) التوبة : آية ٥١ ، ٥٢ .

(٢) النساء : آية ٧٦ .

فإنهم لا يصمدون أمام الشدائد وسرعان ما تنهار عزائمهم وتخور قواهم ويولون الدبر .

وهذا ما حدث لزعم حطة الرعاع " بطرس الناسك " نفسه عندما أصيب جيش الصليبيين بمجاعة فتاة أمام قلعة " أنطاكية " ولم تقف عند حد موت البعض بل تعدتها إلى أعمال أدت إلى إضعاف السروح المعنوية .

وفي تلك الظروف العرجة والأوضاع الصعبة ، أخذ بعض الصليبيين يفرون من المعركة ويتسللون خفية ، ولم تقتصر هذه الظاهرة على الجنود المغمورين ، بل ان ( بطرس الناسك ) نفسه و ( ولیم النجار ) أمير ( ميلون ) إختفيا فجأة ، فجد ( تنكريد ) في آثارهما حتى قبض عليهما ، وأعادهما إلى المعسكر الصليبي بعد أن وبخهما عنهما لهروبهما ، وأخذ عليهما تعهدا بعدم ترك الجيش الصليبي حتى يتم الاستيلاء على بيت المقدس " ( ١ ) .

" كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزيد فذهب جفاً ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال " ( ٢ ) .  
حقاً لقد كان " بطرس الناسك " وأمثاله زيدا فذهبوا جفاً .

---

( ١ ) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ١٨٨ ،  
د . حسن حبشي : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٥٥ .  
( ٢ ) الرعد : آية ١٧ .



٣ - الرؤى والتنبؤات وأثرهما في بث الحماسة الجماهيرية :

عندما تتأزم الأمور وتحتدم الأحداث وتختلط الحقيقة بالخيال  
تكثر الرؤى والتنبؤات وتنتشر الشائعات .

والملاحظ أن لكل أمر من الأمور رؤيا تناسبه ، ولكل حدث من  
الأحداث نبوءة توافقه ، فإذا كانت الأحداث تنبئ بالخطر وتنذر  
بالشر ظهرت النبوءات لتحاول أن تدفع هذا الخطر والخوف بعيدا  
عن الجماهير الذمومة ، وإذا كانت الأمور تسير نحو الهاوية جازفة  
معها روح الجماهير المعنوية فإن رؤيا مناسبة قد تسك بالزمام ، وترفع  
من روحه وتشد من عزائه وتقوى من أمله .

وما دام الرأي العام والهدف الرئيسي الذي يسعى إليه الإعلام  
في كل زمان ومكان ، ويعمل على احتوائه والتأثير فيه ، فإن كل ما يتصل  
بالرأي العام هو في نظري إعلام .

من أجل ذلك يحاول الإعلام جاهدا أن يصل إلى هدفه الرئيسي  
الذي يتركز في الرأي العام بهشتي الوسائل والأساليب وتذكر منها طس  
سبيل المثال :

التكرار والملاحقة : والحقيقة أن هذا الأسلوب في مخاطبة الرأي العام  
هو أحد الأساليب الشائعة التي تسلكها الدعاية في شتى  
المجالات ، وخاصة إذا اتجهت إلى مخاطبة الأحاسيس والمشاعر لتصبح  
في النهاية فكرا عند المخاطبين .

الإثارة العاطفية : وهذا الأسلوب في مخاطبة الرأي العام قد لا يلتزم بتوصيل

الحقائق إلى الرأي العام بادي ذي بد ، مما يستدعي  
إثارة العاطفة عن طريق الكذب والتضليل والخداع ، ولكي يضمن استمرار  
وضوله إلى أهدافه لا بد أن يعمل على توجيه الجماهير ، وهدم السماح  
بوصول آراء مخالفة أو دعاية مضادة .

تحويل انتباه الجماهير : ويأتى هذا الأسلوب فى مخاطبة الرأى العام حين يصعب فى أحيان كثيرة معارضته فى فكرة أو موضوع معين ، لأن معارضة الجماهير ، والوقوف أمام التيار الجارف لن يكون مجدياً حتى ولو كان الرأى العام على خطأ .

وفى مثل هذه الحالة لا يجد المسئولون عن طريق أجهزة الإعلام سوى تحويل انتباه الجماهير إلى موضوع آخر يكون مساوياً للموضوع المشار أو ربما كان أكثر أهمية منه .

والرؤى والتنبؤات تدخل من وجهة نظرى ضمن الأسلوب الثانى وهو أسلوب الإثارة العاطفية للرأى العام .

وتعتبر الرؤى والتنبؤات عنصراً هاماً من عناصر الحرب الباردة ، أو الحرب النفسية ، وهى الحرب التى يلجأ إليها الغزاة لتمهيد أو تثبيت الحرب الساخنة " الحرب العسكرية " ، وهذا الأسلوب فى مخاطبة الرأى العام يعتبر من الأساليب التى تعود أصولها التاريخية إلى الماضى السحيق ، ومن أبرز الأمثلة على هذا الأسلوب موضوعنا هذا ، أى ( الحروب الصليبية ) التى استخدمت الدين معانداً لها فى إثارة الرأى العام كمبرر لشن هذه الحرب العدوانية التوسعية .

ثم لجأت بعد ذلك إلى الرؤى والتنبؤات لتثبيت أركانها فى العالم الإسلامى عن طريق رفع الروح المعنوية للمقاتلين حين كانت تنزل بهم نازلة أو تحقيق بهم كارثة .

ففى " أنطاكية " طال حصار الصليبيين داخلها حتى شححت المؤنة والأقوات واشتد بهم الضنك ، وأجتهد قوام الدولة كريبوغا صاحب

الموصل في تشديد الحصار عليهم ، فساءة حالتهم " ولم يبق لهم ما يأكلونه ، وتقوت الأقوياء بدوابهم والضعفاء بالميتة وورق الشجر " ( ١ ) .  
واستمر الحال على ذلك حيث تتالت الضربات على الصليبيين ، وحلت بهم بقى منهم في أنطاكية ساعات رأوا فيها رؤيا العين ما ينتظرهم من مصير قاتم وهزيمة نكراء .

وهنا لم يجد الصليبيون بدا من اختلاق نبوءة أو رؤيا ترفع من روحهم المعنوية وتعهد إليهم بعضا من قواهم الخائرة وعزيمتهم المنهارة .

وكانت النبوءة التي انتشرت بين جيش الصليبيين من أنهم سيهتصرون على جيش كربوفا انتصارا ساحقا ، ولم يجدوا أحدا ينسبون إليه تلك النبوءة إلا أم كربوفا نفسه في حديث دار بينهما على حد قول مخلق النبوءة .

وجاء في أخبار تلك النبوءة المزعومة أن أم كربوفا جاءت من حلب وسألت ابنها وهو يحاصر أنطاكية قائلة : " أحقا يا بني ما سمعته .. ؟ " فسألها : " وماذا سمعت يا أماء .. ؟ " قالت : " علمت أنك ما ضلحاربة جيش الفرنجة " فأجابها : " لقد علمت الواقع " .

فألت له : " أستحلفك يا بني بجميع الأرباب ( ٢ ) وحسبك طبيعتك السمحة أن ترجع عن قتال الفرنجة ، وأتوسل إليك يا ولدي الحبيب أن تستمع إلى نصائحي وألا تحاول مطلقا التفكير في قتال الأمة المسيحية أو الشروع في منازلتها " .

فلما سمع كربوفا هذه النصائح من أمه أجابها خائفا : " ماذا تقولين يا أماء وما الذي تحكينه ؟ أترك مجنونة أو مستك لوثة ؟ إن

- ( ١ ) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ( أحداث سنة ٤٩١ هـ ) .
- ( ٢ ) هذه العبارة تظهر بجلاء أن هذه المعادثة كانت من وحي خيال كاتبها ابتداء ، والخطأ فيها لا يحتاج إلى دليل على جهل كاتبها المطبق وجهل أهل العصور الوسطى في الغرب بالإسلام وحقيقته وهي أن جوهره التوحيد الخالص لله سبحانه وتعالى .

معى كثيرا من الأبرار الذين لا يتوافر مثلهم للمسيحيين صفارا كانوا  
أم كبارا .

فأجابته أمه : " يا بني العزيز : إن النصارى لا يستطيعون الوقوف  
أمامك فى الحرب وأعرف أنهم عاجزون عن النهوض لقتالنا ، إلا أن  
ربهم يحارب دائما فى صفوفهم كما أنه يدافع عنهم ويحميهم ليلا ونهارا  
حماية الراعى لقطيعه ، ولا يرضى لأمة ما أن تسبهم بأذى سوء أو  
شقوة ، وأن إلههم ليؤذى كل متطلع لمقاومتهم ، والواقع أنك إذا  
بدأت بحربهم يؤت بالخسارة الفادحة والعار المقيم ، وستفقد كثيرا  
من فرسانك المخلصين وتخلف وراءك كل غنيمتك هاربا بينما يلاحقك  
الفرع الشديد .

أجل إنك لن تموت فى هذه المعركة بل فى بحر السنة ، ذلك  
لأن الرب فى غضبه لا يدين فوراً من أساء إليه بل يمهله ويؤجل حسابه  
إلى اللحظة التى يشاؤها ، هو ذاتة - فحينئذ منك أفضح انتقام .  
ولهذا السب أخشى أن يراك مستحقا العذاب الشديد ، لكننى أقول  
لك إنك ستفقد كل ما تملكه الآن يداك ."

وتتابع النبوة قائلة إن كربوفا تأثر غاية التأثر بما سمع وأجاب أمه  
على كلامها بقوله : " يا أمى الغالية : أتوسل إليك أن تذكرى لى من  
ذا الذى أنكأ بك هذا القول عن الشعب المسيحى . . . ؟ ومــــن  
أنكأ أن ربه يحبه إلى هذه الدرجة حتى ليمده بمثل هذه القوة فى  
القتال . . . ؟ ومن ذا الذى حمل إليك أن الغلبة ستكون لهؤلاء المسيحيين  
عابنا أمام أنطاكية وأنهم سيستولون على غنائمنا ويهضون فى آثارنا عقيب  
نصرهم المؤزر علينا ، ومن قال لك أن العنية سوف تخترمنى فجأة فى سنتى  
هذه . . . ؟

فأجابته : " لقد تبعتك - والأسى يرمضنى - من حلب ، تلك  
المدينة العظيمة التى استطعت فيها عن طريق التدقيق والبحوث الحاذقة

من مطالعة النجوم وساءلة الكواكب والبروج الإثنى عشر والتنبيؤات  
العدة ، فأنبأتني كل هذه الظواهر أن الشعب المسيحي سيقهرنا  
أنى كنا ، وأنى لأضطرب فزعا وحزنا مخافة أن أحرم منك .  
فأجابها كربوفا : " لن أكف عن قتالهم حتى ولو كان الأمر  
كما تزعمين " ( ١ ) .

من الواضح أن هذه الحادثة لا تحتاج إلى كبير عناء لتفنيدها ،  
ووصفها بأنها خرافية ومن وحي خيال المؤلف وأوهامه ، لأن كربوفا  
كان قائدا مسلما وأنه كانت امرأة مسلمة .

فهل يمكن لعقل ولو كان أقرب إلى الجنون أن يصدق ما جاء في  
هذه الحادثة الخرافية ؟ وهل يمكن لهذه الأم المسلمة أن تكون  
داعية للصليبية أكثر من الصليبيين أنفسهم وهي تقرأ قول الله في كتابه  
العزير ؟ :

" يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم  
أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم  
الظالمين " ( ٢ ) .

وهل يمكن لهذه الأم المسلمة أن تستشير النجوم وتساءل الكواكب  
والبروج ، وهي تقرأ قول الله في كتابه العزير ؟ :

" وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما فى البر والبحر  
وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس  
إلا فى كتاب مبين " ( ٣ ) .

---

( ١ ) د . حسن حبشى : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٧٦ ، ٧٧  
( دار الفكر العربى ) ١٩٥٨ م ( وهو مترجم عن كتاب " الجستا " كتبه  
شاهد بيان كان ضمن الحملة الصليبية الأولى وقد تناول الفرنج  
والحجاج النصارى الذين شاركوا فى تلك الحملة ) .

( ٢ ) المائدة : ٥١ .

( ٣ ) الأنعام : ٥٩ .

وهل يمكن لهذه الأم السلطنة أن تتنبأ بالموعد الذى سيموت فيه ابنها وهى تعلم علم اليقين أن لكل أجل كتاب وأن الأعمار بيد الله ، وأنه قال سبحانه فى كتابه العزيز ؟ :

" إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليهم خبير " ( ١ ) .

تتالت الضربات بعد ذلك على الصليبيين فى أنطاكية وهم محاصرون فيها ، ولقد أدركوا تمام الإدراك أنه إذا هانت عزائمهم وخارت قواهم أدى ذلك إلى فنائهم ، غير أن لكل نفس طاقة لا تستطيع أن تتحمل أكثر منها ، وتأكد الزعماء الصليبيون أن الروح المعنوية للجيش الصليبي فى انهيار مستمر ، وأيقنوا أن لا بد لهم من حدوث معجزة .

فكانت المعجزة هى " الحربة المقدسة " . . .

ذلك أن أحد زعماء الصليبيين واسم " بطرس بارتلميو " زعم أن القديس " اندراوس " تبنى له فى نومه فى الأشهر الخمسة الأخيرة خمس مرات ، أمره فى الأولى أن يمشى إلى " ريموند كونت صنجيل " ليخبره بأن الحربة التى طعن بها المسيح - حسب زعمهم - مدفونة فى كنيسة القديس بطرس بأنطاكية وزعم " بارتلميو " أكثر من ذلك أن القديس أخذته إلى حيث الحربة مطموره وأخرجها له ليقطع الشك عنده باليقين ثم أعادها إلى مكانها ، غير أن " بارتلميو " لم يصدق بأمر القديس " أندراوس " الذى ظهر له بعد شهرين مؤنبا إياه ، وأمره أن يمشى إلى المعسكر لينبئ المسئولين أن جميع القديسين سوف يحاربون إلى جانبهم ، غير أن مكانته المتواضعة من الأمراء والقادة جعلته يتردد فى الإفصاح برؤياه خوفا من أن يكذبوه ، وكانت المرة الخامسة والأخيرة حيث صاح الأمراء غدا هذا اليوم بالرؤيا .

ويقول "بارتلميو" إن "القديس أندراوس" جاءه وقال له : " لماذا لم ترفع الحرية من باطن الأرض كما أشرت عليك ؟ ألا فاعلم أنه لن يفلسب قط قوم يحملون هذه الحرية معهم في القتال ."

سبحان الله : إنه التوقيت الدقيق للافضاء بهذه الرؤيا ، لقد جاءت في وقتها تماما يوم ١٠ يونيو سنة ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ .

كان الخوف قد استولى على نفوس الصليبيين في ذلك اليوم ، وكانوا يتوقعون الموت بين لحظة وأخرى على يدي كربوفا ، الذي شدد عليهم الحصار حتى عمت المجاعة واشتد الهول ، فلم يجد بعض الصليبيين وعلى رأسهم ريموند كونت صنجيل" نفرا أمام وضعهم المتدهور — أن يصحبوا "بارتلميو" ويتوجهوا معه إلى كنيسة "القديس بطرس" ، وظلوا يحفرون طول يومهم على مشهد من الحجاج المتجمعين حتى عثروا على الحرية في النهاية ، وكان العثور عليها يوم ١٤ يونيو سنة ١٠٩٨ م / ٤٩١ هـ ، فهلل القوم لمرآها وتلقوها بفرح شديد وهيبة عظيمة ، وعمت المدينة بهجة شاملة وارتفعت روح الفزاة المعنوية .

وهذا هو بعينه ما كان مقصودا من اختلاق تلك الرؤيا في ذلك الوقت بالذات الذي كان الصليبيون ينتظرون فيه الموت أو الأسر .

ولقد أرجع الصليبيون بطبيعة الحال أسباب انتصارهم في أنطاكية إلى هذه الحرية التي كما ادعى صاحب الرؤيا المزعومة أن جيشا يحملها معه لا يمكن أن يهزم أبدا .

أما المؤرخون المسلمون فيقولون بشأن هذه الحرية : إن راهبا مطاعا من الفرنجة — وكان داهية من الرجال — قد دفن حرية في مكان ما بالكنيسة ، ثم أدخلهم الموضع ومعهم عاتهم والصناع وحفروا جميع الأماكن فوجدوها (١) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ١٨٧ .

تلك كانت حقيقة العربة الخرافية ، ولا شك أنها أدت دورها  
الإعلامي كاملا في حينه فرفعت من الروح المعنوية الضهارة للمسلمين .  
أما الأسباب الحقيقية التي كانت وراء انتصار المسلمين فسبب  
أنطاكية بعد أن أحبط بهم من كل جانب وبعد أن أوشكوا على  
الهلاك فلا يرجع الفضل فيها إلى الحرية المزعومة ، ولا إلى شجاعة  
المسلمين وسالتهم ، ولا إلى معارضة القديسين بجانبهم كما تزعم رؤسهم  
ولكنها تعود بالدرجة الأولى إلى الجانب الإسلامي ولما وقع فيه من  
خلاف وفرقة ، وما حل به من خلل وفساد .

وتتلخص هذه الأسباب في أن جيش المسلمين بقيادة كربوفا كان  
يعانى خلا واضحا في صفوفه ما طاد عليه بالخسارة ، وبخاصة وأن  
رضوان ملك حلب رفض المشاركة في الجيش الإسلامي الذي خرج لاسترداد  
أنطاكية من المسلمين ما خلق جوا من القلق والاستياء في صفوف  
المسلمين .

كذلك كان من هذه الأسباب تعنت كربوفا واستبداده برأيه وعدم  
الأخذ برأي الجماعة حين أشار عليه بعض الأمراء والمسلمين ألا يمكن  
المسلمين من الخروج متفرقين خمسة وستة ونحو ذلك ، ونصحوه بأن  
يقتل كل من يخرج منهم فإن أمرهم الآن وهم متفرقون سهل ، فقال :  
" لا تفعلوا أمهلوهم حتى يتكامل خروجهم فنقتلهم مجتمعين " .

وبذلك أضع كربوفا الفرصة ، إذ تكامل المسلمون وأنزلوا الهزيمة  
بالمسلمين " لما طلمهم كربوفا أولا من الاستهانة بهم والإعراض عنهم ،  
وهكذا حلت الهزيمة بجيش كربوفا ، فانفض عنه كثير من الأمراء ، وعند هذا  
لجأ كربوفا هو الآخر للفرار ، وذلك عنت الكارثة " (١) .

ومرة أخرى تعود الروى من جديد أمام " عرقه " حيث وقف " ريمون  
المنجيلي " عاجزا عن اقتحامها ، فعزَّطه ذلك ، وأدرك أن زعماء

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٨٧ ، أحداث سنة ٤٩١ هـ .



الصلبيين الآخرين يعارضونه ويلحون عليه في الزحف على بيت المقدس،  
وخشى أن يعمدوا إلى إثارة رجاله ضده وإن ذاك يوقع في يده وتفوت  
عليه فرصة القيادة الحربية .

حينذاك جاءت النجدة - ولعله كان قد رتبها - في شخصية  
صاحب رؤيا الحربة المزعومة " بطرس بارتلميو " الذي كانت تترى ( ١ )  
عليه الرؤى كلما حزب كبار الصليبيين أمر ، فعهد " بطرس " إلى حمل  
الحجاج النصارى على الوقوف إلى جانب صاحبه " ريموند الصنجيلسى "   
بوجوب الهجوم على عرقه مدعيا كعادته أن القديسين " أندراوس " و  
" بطرس " جاءه في نومه في صحبة السيد المسيح وطلبها منه سرعنة  
الهجوم على " عرقه " .

لكن المتشككين لم يستطيعوا كتمان شكهم في صدق " بطرس  
بارتلميو " وجهروا به ، فحاجبهم " بطرس " أن يمر بالنار فإن سلم كان  
بها وإلا فلا داعي للترهيب في طرابلس ، واضطر " بطرس " والحالة هكذا  
أن يمر بالنار ، لكنه لم يلبث أن مات بعد بضعة أيام متأثرا بجراحه .

ولقد أدى موته إلى إجماع الرأى على رفع الحصار عن عرقه دون أن  
يتمكنوا من اقتحامها ، ولم تنفعهم رؤيا " بطرس بارتلميو " ولا ادعاءه  
بزيارة القديسين " اندراوس " و " بطرس " بصحبة السيد المسيح .

وإذا كان " بطرس بارتلميو " قد هلك فهناك أكثر من " بطرس "  
سوف يظهر برؤياه المزعومة في كل زمان ومكان .

وإذا كان للرؤى دخل في موقف الصليبيين أمام أنطاكية من قبل ،  
فقد كان لها دخل في هذه المرة أيضا حول بيت المقدس عندما أخذ  
المسلمون من جانبهم مهاغتون العدو وبهجمات طارئة قصيرة المدى طسى  
غير توقع ، فكان ذلك أشد خطرا على الصليبيين من الحرب النظامية .

---

( ١ ) تترى : كلمة أصلها وتترى ، وهى اسم ، قلبت الواو تاء فصارت تترى ومعناها  
متابعة .

ولما كان المسلمون يدركون انعدام الماء عند المهاجمين وسفرهم سافة ستة أميال في طلبه فقد راحوا ينصبون لهم الكماثن في الطريق ، وآذوهم بذلك إيذاءً شديداً هلك من جرائه جمع فقير منهم ، ما سلا قلوب الصليبيين باليأس وأضعف روحهم المعنوية إلى حد كبير ، وهنا يبدو الصليبيون في أسس الحاجة إلى رؤيا مزعومة تعيد إليهم بعضاً من قوتهم الخائرة ، لكن " بطرس بارتلميو " قد هلك ولا بد من إيجساد " بطرس " جديد يقوم بهذه المهمة ، ووقع الاختيار على أحد القسيس واسمه " بطرس ديزيد بربوس " الذي ذكر أن أسقف بوي " الراحل تجلى له في النوم طالبا إليه أن يأمر الصليبيين بالكف عن أنايتهم ، وأن ينهذوا تلك الأثرة التي يأبون التخلي عنها وأن يصدقوا النية في أداء ما نهضوا من أجله ، وأنه يأمرهم بالخروج حفاة في موكب يسيرون به حول أسوار بيت المقدس متوجهين بقلوب صافية إلى الله حتى يواتيهم النصر المهيمن الذي يقدره بعد تسعة أيام من ذلك الموكب ، ولقى هذا الحليم تصديقا تاما بين جماعات المحاربين كبارهم وصغارهم فراحوا ينفذون ما أوصى به الأسقف للقسيس ذلك لأن تلك الرؤيا المزعومة جاءت في وقتها تماما لكي تشد من العزائم الواهنة وتؤلف بين القلوب المتنافرة وتبث الأمل في نفوس المحاربين الهائسة .

كل ذلك من أجل القضاء على الإسلام وأهله آنذاك حتى ولو تحول المسجد الأقصى إلى بركة من الدماء كما فعلوا بعد أن نكثوا بعهدهم كان " تنكريد " قد قطعه على نفسه لجماعة من المسلمين أنهم على حياتهم . فكانت تلك الواقعة لطخة في تاريخ الصليبيين كما يقول " جروسيه " ( ١ ) . كما أنها جعلت " الصليبيين لا يذكرونها إلا وتتشمر أهدانهم فزقا واشمشازا منها " على حد تعبير المؤرخ الصليبي " ولهم الصوري " ، فلم يرحموا شيخا لهبره ولا طالما لفضله ولا طفلا لضعفه ، ولا امرأة لعجزها .

وهكذا يفعل أهداء الإسلام والمسلمين في كل زمان ومكان بمعتصم المسلمون بحبل الله جميعا ، ويجاهدوا في سبيل الله حق جهاد .

( ١ ) د . حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ص ١٧٩ هـ نقلا عن : " جروسيه " .

### الفصل الثالث

---

"وسائل الدعاية التي استغلها الصليبيون في حربهم ضد المسلمين"

---

- ١ - اتخاذ الصليب رمزا اعلاميا لستر الأطماع الحقيقية للصليبيين .
- ٢ - رفع الشعار الإعلاني الصليبي القائل بإنقاذ بيت المقدس من المسلمين بدعوى توفير الأمن للحجاج الصليبيين .
- ٣ - انتشار الشائعة التي تقول بظهور المسيح في بيت المقدس طس رأس ألف من التاريخ الميلادى .

١ - اتخاذ الصليب وغيره من الرموز الإعلامية ستارا يخفى وراءه الصليبيون

أطماعهم الحقيقية :

ساد الرأي العام الأوروبي في العصور الوسطى الكثير من العوامل الفكرية التي أثرت فيه ودفعته إلى القيام بهذه الحروب التوسعية ضد العالم الإسلامي ، وكان من أبرز هذه العوامل في الظاهر العاطل الديني فقد داه إلى هذه الحروب رجال الدين بحماسة شديدة ، وأحاطسوه بمعانيهم وطمعهم ، وقدم إليه الهابوات كل عون وساعدة .

الأمر الذي طبع فكرة الحروب الصليبية بطابع الدين مظهرها ، والطابع التوسعي سلوكا ومخبرا ، حيث ارتبطت الحروب الصليبية بمبدأ محاربة المسلمين ودفع خطرهم أينما وجدوا .

وبالرغم من المثل الدينية التي سادت الرأي العام الأوروبي في تلك العصور ، وتحكمت فيه حتى سميت " عصور الايمان " إلا أن ظروف الحياة للغالبية العظمى من أهالي أوروبا اضطرتهم إلى أن يعيشوا حياة دنوية بعيدة عن " الديرية " وغيرها من طقوس الحياة الدينية ، وقد ظل هذا الفريق يشعر بفراغ ديني كبير حتى وجد خالته أخيرا فسي الحروب الصليبية ، وهي الحروب التي ستتيح له فرصة تقبيل الصخرة التي صلب عليها المسيح ( ١ ) ، والتي ستكنه من السجود أمام قبره ، وبال دخول الجنة نفسها . . . إلى غير ذلك من ضروب الإفراء الكفيلة بأن تحرك مشاعر كل مسيحي مخلص في تلك العصور ( ٢ ) .

وأمر طبيعي أن يعطبخ الرأي العام الأوروبي بهذه الصبغة الدينية التي سادت القرون الوسطى .

( ١ ) تلك هي عقيدة المسيحيين في نبي الله عيسى عليه السلام ، والتي تخالف عقيدتنا نحن المسلمين حيث يقول الله في كتابه العزيز

" وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم " .

( ٢ ) د . سعيد عبد الفتاح طاشور : أوروبا في العصور الوسطى ج ١

، ص ٤٢٨ نقلا عن : " رنسيان " .

والرموز الإعلامية في ذلك شأنها شأن أي جانب من جوانب الحياة التي تسر الرأي العام وتؤثر فيه، وبالتالي كان لزاما عليها أن تكون دينية الصبغة حتى تستطيع تأدية دورها كاملا من حيث تأثيرها في الرأي العام واستقطابه، وكل ذلك من أجل تحقيق هدف معين تسعى إليه السلطة الحاكمة أو المتحركة آنذاك وهي الكنيسة .

وهذه الرموز هي التي يطلق عليها بعض الإعلاميين كلمة " الأنماط " والأنماط ليست في حقيقة الأمر سوى رموز تستخدم على نطاق واسع في عملية تكوين الرأي العام، حيث تصبح الألوان إذا رمزت إلى شيء معين وكذلك الهيئة المميزة والأعلام، رموزا إعلامية .

وتتبع هذه الأنماط أو الرموز الإعلامية الشائعة من خاصتين نفسيتين أساسيتين هما :

خاصية تحويل المجردات إلى محسوسات، وخاصية التبسيط ، فاستخدام الأنماط في عملية التفكير ضرورة يلجأ إليها العقل لتبسيط العملية وتنظيمها، وتعتبر الأنماط عادة من مجموعة من الأفكار السابقة المكتسبة من الأحداث التاريخية للجماعة والتي جمدت مع الزمن .

ومن مزايا استخدام الأنماط أو الرموز الإعلامية سهولة التذكر وسهولة الترويج وسهولة الإثارة، وخاصة على النطاق الجماهيري الواسع وهذه المزايا نفسها هي التي تجعل منها سلاحا خطيرا ذا حدين (١) :

فالعباسيون مثلا حين قاموا بهداهيتهم ضد الدولة الأموية جعلوا من اللون الأسود رمزا إعلاميا لهم يشير شجونهم وهدفعهم إلى الأسى والحزن، وبذلك هم دائما بما حل بآل البيت من قتل وظلم على أيدي بعض الحكام الأمويين، ومن هنا لقب العباسيون بأصحاب الرايات السود .

ثم جاءت الحملات الصليبية على العالم الإسلامي مستغلة الرموز الإعلامية المتعددة في تحريك الرأي العام الأوروبي وإثارة مشاعره ودفعه

---

(١) د . مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ج ١ : ص ٨٢ ( دار المعارف بمصر ) ط ٣ ( ١٩٧٤م ) .

إلى أن يتذكر دائما أنه صليبي .

لذلك أخذ كل واحد من هؤلاء الغزاة الصليبيين يخييط على رداؤه الخارجى صليبا من القماش الأحمر القانى ، ومن ثم أطلق عليهم اسم " الصليبيين " ، كما أطلق على الحروب التى شاركوا فيها اسم " الحروب الصليبية " .

ويفتح ما جاء فى كتب التاريخ أن العديد من الصليبيين قد حرص قبل الحروب الصليبية بقرون على اقتناء مثل هذه الرموز التى أطلقوا عليها " الآثار المقدسة " ، ومن ثم كانت المحافظة عليها ، وتجميع الرأى العام النصرانى حولها عن طريق إشاعة الكثير من القصص والأساطير فيها والتحويل من قدرتها ، والتركيز على أن هذه الرموز أو الآثار المقدسة تطهر النفس من أدرانها ، وتكفر عنها الآثام والذنوب .

ولم تقتصر فكرة القداسة على بيت المقدس أو الآثار المقدسة وحدهما ، بل شملت كل مكان ظهر فيه قديسون شهداء ، ومباركون طسسى حد زعمهم .

من ذلك على سبيل المثال ما نطالع من أن الطلحة " هيلانة " - والدة قسطنطين - قد حجت إلى بيت المقدس فى القرن الخامس الميلادى حيث ثرت حسب زعمها على خشبة الصليب المقدس فى موضع كان من المواضع التى يحج إليها النصرانى فى المصور الوسطى .

كما نطالع أيضا أن الإمبراطورة " يودوكيا " هجرت حياة السبلاط الإمبراطورى واعتزلت فى بيت المقدس شفاءً لجراح نفسها ، وعملت على العناية بالآثار المقدسة ، فأخذت تجمع كل ما تصل إليه يداها ، وتبمسك به إلى القسطنطينية ( ١ ) .

ولقد ظلت الأجيال تتوارث هذه الآثار المقدسة كرموز إعلامية لها

---

( ١ ) د . حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ص ١٨ نقلا من :  
" بيورى " .

من التأثير القوي ما يجعلها تستقطب الرأي العام وتؤثر فيه . برز ذلك  
جلها في أثناء انعقاد مؤتمر "كثير مونت" بفرنسا حيث خطب البابا  
"أوربان الثاني" خطبته المعروفة ما ظهر أثرها في ركوع "أديماردي مونتيل"  
أسقف بوي تحت قدمي البابا حاملا عليه مقلا إياه ، وكان أول من حمل  
الصليب ، فجعله البابا قائد الحطة .

وحين بلغ الصليبيون من الانهيار المعنوي حدا بدأ معه أنهم  
موشكون على التسليم وهم محاصرون في "أنطاكيا" ، لم يجد الصليبيون  
بدأ من استغلال هذه الرموز الإعلامية في تغيير الوضع إلى صالحهم  
وكانت قصة "الحرية المقدسة" والتي سبق الحديث عنها في الفصل  
الأول عند الكلام عن "الرؤى والتنبؤات وأثرهما في بث الحماسة  
الجماعية" .

ولقد انطلت هذه الفرية على الصليبيين آنذاك فرفعت من روحهم  
المعنوية المنهارة حين أشيع بينهم أن هذه الحرية لن يهزم جيش  
يحملها .

ويبلغ الصليبيون قمة إيمانهم بهذه الرموز حول "طبرية" حسين  
أحاط بهم صلاح الدين الأيوبي من كل جانب ، ولم يجدوا سبيلا  
أمامهم إلى الفرار .

"ولما سمع الفرنج باجتماع كلمة الإسلام عليهم ، وسير ذلك الجيش  
إليهم ، علموا أن قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وأن الإيمان كله قد  
برز إلى الشرك كله ، فاجتمعوا واصطلحوا وحشدوا وجمعوا وانتخبوا  
ودخل القصر معهم بعد أن دخل عليه الملك ورى بنفسه عليه ، وصفوا  
راياتهم بصفورية ولوا الألوية ، وحشدوا الفارس والراجل والرامي والنابل  
ورفعوا صليب العليوت ، فاجتمع إليه عباد الطافوت وخلال الناسوت  
واللاهوت ، ونادوا في نوادي أهل أقاليم أهل الأقاليم ، وصلوا للصليب  
الأعظم بالتمعظيم ، وما عساهم من له صي " (١) ؟

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٧٦ .

هذا هو الرمز الإعلاني بتأثيره الخرافي على عقول هؤلاء الذين يعتقدون أنه سر قوتهم ، والكامن وراء نصرهم أو هزيمتهم .

ولقد تستحکم هذه الرموز الإعلامية أو الآثار المقدسة من أصحابها حتى تلك عليهم عقولهم ، وتحيلهم شيئا فشيئا إلى عبادتها أو أقرب من ذلك ، ويعبر أبو شامة في "الروضتين" عن ذلك أصدق تعبير فيقول : " ولم يؤسر الملك حتى أخذ صليب الصليبيات ، وأهلك دونه الطافوت ، وهو الذي إذا نصب وأقيم ورفع ، سجد له كل نصراني وركع ، وهم يزعمون أنه من الخشبة التي يزعمون أنه صلب عليها معبودهم ، وقد فلقوه بالذهب الأحمر ، وكللوه بالدر والجوهر ، وأعدوه ليوم الرفع المشهود ، ولموسم عيدهم الموعود ، فإذا أخرجته القسوس ، وحطته الرؤوس ، تبادلوا إليه وانثالوا عليه ، ولا يسع أحدهم منه التخلف ، وللمتخلف عن أتباعه نفس نفسه التصرف ، وأخذة عندهم أعظم من أسر الملك ، وهو أشد معابا لهم في ذلك المعترك ، فإن الصليب السليب ما له عجز ، ولا لهم في سواء فرضه ، والتأله له عليهم مفترض ، فهو إليهم ، تعفر له جباههم ، وتسبح له أفواههم ، يتفاشون عند احضاره ، ويتعاشون لإيماره ، ويتلاشون لإظهاره ويتفاشون إذا شاهدوه ، ويتواجدون إذا وجدوه ، ويهذلون دونه المهج ويطلبون به الفرج ، بل صافوا على مثله صلبانا يعبدونها ، ويخشعون لها في بيوتهم وشهدونها ، فلما أخذ هذا الصليب عظم مصابهم ، ووهت أصلابهم ، وكان الجمع المكسور عظيما ، والموقف المنصور كريما ، فكانهم لما عرفوا إخراج هذا الصليب لم يتخلف أحد عن يومهم العصيب ، فهلكوا قتلا وأسرا ، وملكوا قهرا وقسرا " (١) .

وإذا كان دهاة الصليبيين قد اتخذوا من الآثار المادية المحسوسة رموزا إعلامية يسيطرون بها على الرأي العام ويؤثرون فيه ويحركونه فأنهم لم يكتفوا بذلك ، بل لجأوا إلى أسلوب آخر في استغلال هذه الرموز

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ - ص ٧٨ ، ص ٧٩ .



الإعلامية عليه يكون أكثر تأثيرا في نفوس الجماهير ، كما زعم أحد سفار القواد الألمان واسمه "إمخ" لورد "ليزنجين" في منطقة الرين ، وكان "إمخ" هذا رجلا يدرك مدى تأثير الخرافة على جماهير الشعب التي نهضت للحرب ، فزعم أنه أصبح ذات يوم ليجد صليبا مرسوما على جسده (١) .

وبذلك ازداد المؤمنون به ، وانثالت الجموع تحت لوائه ، واستطاع بهذه الحيلة أن يخاف من أتباعه ويقوى عزائمهم ، ويدفعهم إلى الدفاع عن الصليب في حرب الصليب .

وبعض الصليبيين في استغلال هذه الرموز الإعلامية التي يرجعون إليها الفضل في أي انتصار يحرزونه دون النظر إلى أي أسباب أخرى .

من ذلك أن الصليبيين حينما وصلوا إلى مدينة (أزنيق) عاصمة كل بلاد آسيا الصغرى ، وشرعوا في مهاجمة المدينة من جميع نواحيها ، استخدموا الأبراج الخشبية لهدم أبراج المنطقة ، وتم لهم ما أرادوا ، أرجعوا كل ذلك إلى الصليبان التي كان يتسلح بها "ريموند" قائد المعركة ، ويقول شاهد عيان - كما يزعمون -

"ولما كان ريموند مسلحا من جميع الجهات بعلامة الصليب فقد اشتد في الهجوم على أعداء الرب وكر طيهم كرة بأسل وتمكن من قهرهم والظهور عليهم ، فلانوا بالفرار مخلفين وراءهم كثيرا من الموتى غير أن جماعة أخرى من الترك أقبلوا لنجدة الأولين ونفوسهم تغيى بالسرور والفرح بالنصر المحقق ، ولما كانوا في شدة النشوة فقد شرعوا في النزول بالتتابع من ذروة تل مرتفع ، لكنهم كانوا كلما نزلوا واستقروا في مكان ضربت أعضائهم بأيدي رجالنا الذين أخذوا يضمون رؤوس ، القتل في المقامح ثم يقدفون بها إلى المدينة ليهشوا الذم بين سكانها الأتراك" (٢) .

(١) د . حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى ص ٥٦ نقلا عن :

"ألبرت دو أليكس" .

(٢) د . حسن حبشي : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٣٤ .

حدث كل ذلك من أهل الصليب باسم الصليب وفضل ما كان يتسلح به " ريموند" من الصليبيان حسب ما يزعم شاهد العيان الصليبي . .

والصليب كرمز إعلامي فرضه البابا " أوربان الثاني " فرضا على الخارجين لحرب الإسلام وأهله ، بل وجعله قانونا من قوانين هذه الحرب حين قال في خطابه " بكثير مونت" :

" إن كل مشترك في هذه الحملة لا بد أن يحمل علامة الصليب ولا بد أن يجعل على كتف سترته صليبا من نسيج أحمر اللون ، وكل من يتخذ الصليب ينهض أن يوفى بوعده بالمسير إلى بيت المقدس ، فإذا لم يوفى تعرض للقطع من الكنيسة أو الطرد منها إذا استدعى الأمر ذلك " .

ولقد رأيت من وجهة نظري أن طاعة الغزو الصليبي للعالم الإسلامي لم يكتفوا باتخاذ الرموز الإعلامية من المادة فحسب ، بل راحوا يصفون على هذه المادة نوطا من الحياة حتى تصبح أكثر تأثيرا في سلوك الجماهير واتجاهاتها رغبة في السير قدما نحو الأهداف المرسومة لها .

ولقد رأيت من وجهة نظري أيضا أنهم لم يكتفوا بإضفاء الحياة على المادة لتصبح رمزا إعلاميا أكثر تأثيرا فحسب ، بل راحوا يستغلون الإنسان نفسه ليكون رمزا إعلاميا متحركا يفكر ويتكلم ويؤثر .

ومن أبرز هذه الرموز الإعلامية البشرية " بطرس الناسك " نفسه ، تلك الشخصية التي أحاطت نفسها بجو إعلامي كان تأثيره على الجماهير قويا وضعيفا .

درج " بطرس" على أن يسير حافي القدمين تارة وقد ارتدى ملابس رثة ، وتارة أخرى يركب حماره الأهرج قابضا بيديه على الصليب مناديا بحرب الصليب المقدس في الطرقات والأزقة والكنائس والأديرة شارحا بتأثر ونحيب ما يقاسيه مسيحيو الشرق من ألوان العذاب تحسنت حكم

المسلمين ، وكان هذا "الأدعائي" لا يتناول طعام الخبز أو اللحم ،  
ويجعل غذاءه من السمك .

وبروي " جيبيرت نوجنت " الذي يعرفه شخصيا فيقول : " ما يردده  
بطرس أو يعقله ، يتراءى على أنه من صنع الله " (١) .

أما الرمز الإعلاني البشري الثاني فهو الفارس الذي سوف يخرج  
لمحاربة المسلمين حيث اصطبغ الأعداد لرتبة فارس بكل مظاهر  
القداسة ، فيفتسل المتأهل للفروسية بقاء تباركه الكنيسة ، ثم يحس  
ليلته بالصلاة ، حتى إذا أقبل الصبح قصد الكنيسة كي يعترف بذنوبه  
وخطاياها ، ويتناول بعد ذلك "العشاء الرباني" .

كل هذا الإعداد كان يحدث في جو إعلامي مؤثر وموجه لمشاعر  
الجماهير المتحمسة لفوز العالم الإسلامي والمتعطشة لدماء  
المسلمين .

---

(١) د . علي عبد الحليم محمود : الفوز الصليبي والعالم الإسلامي ص ٢٩ ،  
نقلا عن : " ستيفن رنسيهان " تاريخ الحروب الصليبية ١/١٦٩ .

٢ - رفع الشعار الإعلامي الصليبي القائل بإنقاذ بيت المقدس من

أيدي المسلمين :

تعتبر الكلمات المستخدمة شعارات ذات أهمية خاصة ففى مجالات السياسة والإعلام إلى جانب الحكم .

كما تعتبر مقاطع الأناشيد الوطنية أو العبارات المتوارثة التى تفيض بالحكمة والتجربة هى العملة المتداولة بالنسبة لعطية الاتصال الجماهيرى .

ولقد كانت الشعارات منذ الزمن القديم مادة أساسية ففى المجالات الدينية والسياسية ، ومن ثم ارتبطت الشعارات بالحركات الشعبية الجماهيرية . . وكانت الشعارات المتعلقة بالاتجاهات السياسية مثل الشعارات الشهيرة - الحرية والمساواة والاخاء - ذات أهمية وأثر بالغ فى التغيير السياسى والاجتماعى أوفى محاولة هذا التغيير .

ومنذ القدم لجأ القادة والزعماء فى أنحاء متفرقة من العالم إلى استخدام الشعارات المكتوبة أو المنطوقة أداة للتحكم والسيطرة على شعوبهم أو على شعوب أخرى خارج حدودهم ، بل واستخدمت الشعارات فى أحيان كثيرة أداة من أدوات الصراع من أجل القوة .

والباحث الذى يسعى إلى الوقوف على رأى العام لمجتمع من المجتمعات عليه أن يقف أولاً على شعارات واتجاهات وأنماط وسلوك الجماهير .

وهذا هو ما يبنى على من يقوم بوضع خطة إعلامية أو توجيهية حملة إعلامية ، إذ يقوم القادة والرؤساء بدور هام فى تكوين الرأى العام عن طريق نشر العديد من الشعارات المعبرة عن الآمال

والاتجاهات والآراء التي تدور في خيال الناس، وتعيد ما تمزق من تماسك الرأي العام ووحدته .

وقائد الأمة الناجح هو القائد المحبوب من الجماهير، ولهذا فهو أداة قوية في تغيير اتجاهات الرأي العام والتأثير فيه ، إذ أن الناس في الغالب يتأثرون في آرائهم واتجاهاتهم بالقيادة المحبوبين ، فيحاولون ترديد شعاراتهم والاهتداء بخطاهم .

ومعظم الشعارات التي يطلقها بعض القادة والزعماء المميزين والتي تأخذ عادة نصيبها من الانتشار هي في الواقع أسلوب من أساليب الحرب النفسية ، واستخدام الحرب النفسية كأسلوب يهبط للقوات المحاربة ، أو استخدامها أثناء السلم لتعزيز قدرة المعارضين وزيادة فعاليتهم أثناء القتال الفعلي . . هو أسلوب قديم كالتاريخ ذاته .

والحرب النفسية عن طريق الشعارات والخطب هي عملية اتصال أكبر من الدعاية ، فهي دعاية مربوطة بالخطط العسكرية والسياسية والاقتصادية ، ويمكن أن تسبق أو تكمل الحملات العسكرية وهي بهذا المعنى " حرب هجومية يخوضها جيش بأسلحة فكرية وطاقية من أجل تحطيم قوة المقاومة في جيش العدو وفي السكان المدنيين " (١) .

إن عامل الدعاية " من الباب إلى الباب " له أهمية كبيرة في التأثير على الرأي العام ، والشعارات من حيث سهولة حفظها وترديدها وإذاعتها في فترات متقاربة جداً من الزمن ، وكتابتها باستمرار على صفحات الجرائد والمجلات أو على جدران العائلي أو على لافتات تعلق في الشوارع والبيادين ، تعتبر عنصراً هاماً من العناصر المكونة لدعاية " من الباب إلى الباب " حتى يظل الهدف الكامن وراء هذه الشعارات في فكر الجماهير دائماً من وقت خروجها

(١) د . أحمد بدر: الإعلام الدولي ، دراسات في الاتصال والدعاية الدولية ، ص ٢٩٢ (مكتبة غريب بالقاهرة) ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م .

في الصباح إلى أن تعود في المساء وبشكل دائم ومستمر .  
لقد جاءت الحروب الصليبية بشعاراتها العديدة التي اتسمت  
بالباطح الديني ، والتي تضمنت بعض العبارات الأثورة أو الفحشيات  
المأخوذة من الإنجيل ، ولقد فطن دعاة تلك الحروب ودعاتها إلى  
المدى البعيد والأثر الشديد الذي يمكن أن تتركه هذه الشعارات  
في صفوف الرأي العام .

فمنذ اللحظة الأولى وأثناء التمهيد لشحن تلك الحروب أطلق  
دعاتها عليها اسما اعتبره الغزاة من نورهم شعارا يردونه " حرب  
الصليب المقدس " وهذا الشعار حرك النفوس الخاملة وأشعل النار  
الهامة وساقهم جميعا للتحرك من أجل هذا الصليب المقدس أو  
" صليب الخلاص " الذي أخرجه البابا " أوربان الثاني " في مؤتمر  
" كلير مونت " وقدمه على أنه علامة الفداء المقدسة ، وقال احملوه على  
عواتكم ، أو على صدوركم ، وليشرف فوق أسلحتكم وفي رؤوس سناجقكم .  
ولم يملك الحضور إلا أن صاحوا جميعا في صوت واحد مرددين  
شعار الغزو " صليب الخلاص " ، الخلاص من المسلمين الغاصبين  
( حسب ادعائهم ) والتحرر من المسلمين " هذا الجنس الطمعون  
المحرور من رحمة الرب " ( ١ ) والقضاء على هؤلاء المسلمين الذين  
أطلق عليهم دعاة الصليبيين الغزاة لقب " الرطاح والشرقيين والغلمان  
الوثنيين " ( ٢ ) .

ومن الشعارات التي أطلقها الصليبيون على حربهم مسرع  
المسلمين شعار " حرب الصليب المقدس " وما دامت هي حرب ،  
وما دامت هذه الحرب من أجل الصليب المقدس فلن يفيدهم بعد  
ذلك أن يسلكوا أي طريق أو يتخذوا أي وسيلة لتحقيق ذلك الهدف  
الذي من أجله أطلقوا كل هذه الشعارات ؛

( ١ ) د . حسن حبشي : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ٤٠ .

( ٢ ) المرجع السابق : ص ٤٠ .

"اعلوا ما وسعكم الجهد واصطنعوا كل وسيلة للاتحاد فسي  
سبيل دين المسيح ونشر الصليب المقدس لأنكم إذا أرضيتم الرب اليوم  
انقلبتم أفنيا" موفوري الشراء " (١) .

تاك كانت تعاليم قادة الغزاة الصليبيين وأوامرهم لمن جنسوا  
لمحاربة المسلمين الفاصبين على حد زعمهم .

ومنذ اللحظة الأولى للدعوة إلى شن تلك الحروب الصليبية  
على العالم الإسلامي ودهاة الصليبيين يطلقون الشعارات تلو  
الشعارات لتظل طالقة في أذهان الغزاة صباح مساء تحقيقاً للمبدأ  
الإعلامي المعروف وتطبيقاً له ، " من الباب إلى الباب " .

ولقد حرص دعاة الحروب الصليبية على ألا يعطوا أية فرصة  
للجماهير لتأخذ أنفاسها خوفاً من أن تقف على الحقيقة الكاشفة  
وراء الأهداف الحقيقية لتلك الحروب .

ويعتبر الشعار الصليبي " هكذا أراد الله " من أبرز  
الشعارات التي أطلقها الصليبيون أثناء الدعوة لتلك الحروب ، حيث  
ظل هذا الشعار يتردد على ألسنة الجماهير طوال مدة نشوبها .  
ويقول مؤلف كتاب " الجستا " عن ذلك الشعار ومدى تأثيره  
في القادة والجنود :

" أما "بوهيموند" " أحد قادة الصليبيين الألمان " الذي كان  
موجوداً إذ ذاك في حصار جسر " سكاكارد " ، فقد طم بمقصد  
جماعة مسيحية من الفرنجة لا يحصيها العدد ، وأنها عزمت على  
المضي إلى ضريح السيد ، وأقسمت على شن الغارة على الشعب  
الوثني ، فجد " بوهيموند " في الاستفسار عن نوع السلاح الذي  
تستعمله هذه الطائفة في القتال وعن الشعار المسيحي وهتاف  
التجمع الذي تهتف به الممارك فقيل له :

(١) المرجع السابق : ص ٤٠ .

" إنهم يستعملون سلاحاً ملائماً للحرب، ويحملون صليب المسيح على أحد الكتفين أو فيما بينهما، وأما هتافهم الذى يرددونه جميعاً فى نفس واحد فهو : هكذا أراد الله، هكذا أراد الله، هكذا أراد الله . "

ويستطرد مؤلف " الجستا " فيقول : وفى الحال اتسلاً " بوهيموند " بالروح القدس وأمر بتجزئة عمارة شمينة كان يرتديها إلى أجزاء صغيرة وأن تعمل صلبانا (١) .

والراجع من استقراء كتب التاريخ أن هذا الشعار " هكذا أراد الله " قيل أول مرة فى اجتماع " كلير مونت " بفرنسا أثناء إلقاء البابا " أوربان الثانى " خطابه الشهير على الجموع المحتشدة مما ظهر أثرها فى صحة السامعين جميعاً " هكذا أراد الله " وسرهان ما جاء إليه " أديمار دى مونتهيل " أسقف " بوى " وركع عند قدميه وكان أول من حمل الصليب، فجعله البابا قائد الحملة الرومى، وكان " لأديمار " من التأثير على المساهمين فى الحرب ما تفصح عنه كتابات المؤرخين من شاهدوا الحملة، يستوى فى هذا الأشراف والدهماء على السواء .

ومن الشعارات التى كان لها أكبر الأثر أيضاً فى التعبئة الإعلامية للحروب الصليبية الشعار الذى أطلقه قادة الصليبيين على المسلمين آنذاك شعار : " أعداء السيد الرب " .

إذن فالمسلمون أعداء، وأعداء من ؟ أعداء السيد الرب، وهذا نوع من التبرير الذى قد يلجأ إليه الفرد والجماعات فى كثير من الأحيان .

والتبرير نوع لا شعورى من خداع النفس عن طريق تفسير بعض ألوان من التفكير والسلوك غير المنطقى الذى يمارسه بناءً على أسباب قد تبدو مقبولة عند الرأى العام بغض النظر عن الأسباب والدوافع

(١) د . حسن حبشى : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، ص ٢٥ .



الحقيقية الكامنة وراء هذا اللون من التفكير والسلوك .

ويستغل السياسيون ورجال الدعاية والإعلان والعلاقات العامة هذه الخاصية العقلية استفلا لا كبيرا لكسب الرأي العام عن طريق إشاعة سيل من المبررات القوية بدلا من توضيح الأسباب الحقيقية المختلفة وراءها دعوة معينة أو إجراء ما (١) .

وخاصية التبرير تفسر كثيرا من ألوان التناقض التي نصادفها في عالمنا الحديث سواء في سلوك الأفراد أو الجماعات .

فعلى أساس من التبريرات المصطنعة التي يروجها أصحاب المصالح الخاصة يحارب أبناء الوطن الواحد بعضهم بعضا ، وتخترع وسائل الفتك والابادة الجماعية وتستخدم ضد المسالمين والأطفال والشيوخ والنساء والمعزة ، وتساق الجيوش إلى حروب ظالمة في أنحاء شتى من العالم .

والحروب الصليبية ما هي إلا مثال من أبرز الأمثلة التي جعلت من التبريرات شعارا يخفى وراءه الأهداف الحقيقية لذلك الغزو الظالم .

وكان من أكثر المتحمسين لتعميق شعار " أعداء السيد الرب " في صفوف الرأي العام تلميذ " بطرس الناسك " الروحي " جوتشالك " الألماني الذي لم يدخر وسعا في دعوة أبناء جلدته الألمان إلى محاربة المسلمين الذين أطلق عليهم الصليبيون شعار " أعداء السيد الرب " .

وكان رجع صدى هذا الشعار قويا على الرأي العام الأوربي آنذاك ، حتى ان الغالبية العظمى من النصارى اعتبروا مشاركتهم في تلك الحروب هي عين الطاعة للسيد الرب ، وبغاية الانتقام له من أعداء المسلمين فضلا عن تكفير الذنوب والخطايا .

(١) د . مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ج ١ ، ص ٨٤ .

ومن الشعارات التي نالت قسطاً كبيراً من التقدير والاحترام ذلك الشعار الذي اقتبسه الصليبيون من الأناجيل التي جاء فيها - كما يزعمون - على لسان عيسى عليه السلام :

" إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " (١) أخذ دهاة الصليبيين يركزون على هذا الشعار تركيزاً قويا في كل مكان ، مما أحدث حركة عظمى شملت جميع أنحاء فرنسا الحالية ومعظم الأقطار الأوربية ، وسرمان ما تمكن الشعار من صفوف الرأي العام وسيطر عليه فكان كل ذي قلب طاهر وروح سليمة ، صادق النية في اتباع السيد والسير وراءه مخلصاً في حظه الصليب لا يتوانى عن المبادرة إلى الضريح المقدس (٢) .

لذلك لم يكف هذا الشعار بشعب بين الناس بمعناه المحرف حتى يادروا في التو واللحظة إلى غياطة العلبان على أكتافهم الهمسني قائلين إنهم - عن بكرة أبيهم - يرددون متبعة خطى السيد واقتفاء أثره ، مؤلمين أن تمكنهم تلك الخطى من استرداد القوة من الشعب الوثني .

لم يكن القصد بطبيعة الحال ما زعموا أنه ورد على لسان عيسى بن مريم " إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويحمل صليبه ويتبعني " هذا المعنى العدواني الذي أشاعه دعاة الصليبيين بين الناس .

فالسيد المسيح عليه السلام رسول من رسل الله تعالى وتعاليم الرسل جميعها واحدة لا يختلف جوهرها في شيء حيث

- 
- (١) ألا يجوز أن تكون العبارة غير المحرفة هي : " إن أراد أحد أن يأتي ورائي فليترك نفسه ويتبعني " ؟  
فالتحريف يكون بإتيان عبارة ( ويحمل صليبه ) لأن عيسى عليه السلام لم يصلب ولم يقل بالصلب .
- (٢) د . حسن حبشي : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ص ١٧ .

لا تتعدى عن كونها تعاليم الخير والسعادة لكافة البشر في الدنيا والآخرة فإسناد هذا الكلام إليه تحريف ظاهر فهل يمكن لعقل غير متعصب ولا متحيز أن يتصور بحال من الأحوال ذلك المعنى الذى أوله دهاة الصليبيين وأشاعوه بين الناس ؟

وهل يعقل أن عيسى بن مريم وهو رسول من رسل الله كان يرضى بما فعله أتباعه بالمسلمين من قتل الشيوخ والنساء والأطفال وسلب الأموال ونهب الديار والتخريب والتشيل بالقتلى ووضع رؤسهم فى المقاليع ثم قذفها إلى المدن لبث الرعب فى نفوس الناس ؟

وهل يعقل أن يكون عيسى بن مريم وهو رسول من رسل الله قد جاء فى شريعته ما يبيح لأتباعه وضع الأبطال فى السفافيد على النار والتلذذ برؤسهم وهم يحترقون ؟

وهل يعقل أن يقر عيسى بن مريم وهو رسول من رسل الله بما فعله أتباعه حين وضعوا سيوفهم فى اللاتذنين بالحرم الشريف من المسلمين فتسيل دماؤهم حتى خاض المغيرون فيها إلى ركبهم ، واستحال المسجد الأقصى إلى بركة من الدماء كان منظرها مشيئا للمغيبين أنفسهم كما أنها جعلت " الصليبيين " يذكرونها إلا وتتشعر أهدانهم فزقا واشمئززا منها " على حد تعبير المؤرخ الصليبي "وليم الصورى" ، فلم يرحموا شيخا لهرمه ، ولا طالما لفضله ، ولا طفلا لضعفه ، ولا امرأة لعجزها ( ١ ) .

وأى " حمل للصليب " هذا الذى يزعمون أنه جاء على لسان السيد المسيح ؟

وهل يتحدث المسيح عن الصليب - قبل أن يصلب ؟  
إن هذا دليل تحريف صريح فى النص ودليل قاطع على تزيفه ؟

( ١ ) د . حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ص ١٧٩ .

فعل الصليبيون كل ذلك بالمسلمين بعد أن حرفوا ما جاء على لسان عيسى بن مريم وفسروه تفسيراً يتفق ونفوسهم التي جبلت على الشر وطبعت على العدوان وسفك الدماء ، ولو لم يحرفوه لما اتخذوه شعاراً يعتدون به ويصلبون وينهبون ، ولو لم يحرفوه لفهموا معناه الحقيقي وأدركوا أن عيسى عليه السلام يدعوهم إلى أن يتبعوه حيث إنكسار الذات وحب الخير وإشاعة الأمن والسلام باتخاذ عليه السلام قدوتهم وهو معهم ، واتخاذ تعاليمه في الخير والمحبة دستورهم بعد أن رفعه الله إليه .

لم يكتف الصليبيون بتعريفهم هذا الشعار الذي اقتبسوه من الإنجيل فقط ، بل أولوا العديد من أقواله كتباً ويلهم قول عيسى بن مريم لتلاميذه : " سأريكم كم ينهض أن تتألموا من أجل اسمي " .

لقد اتخذوا هذا القول شعاراً لهم أثناءه بين الناس ليبرروا لهم الخروج في تلك الحروب العدوانية بعد أن أولوا معناه بتفسيرهم لمعنى التألم من أجل اسم المسيح بالتألم من أجل الغزو والتوسيع والاعتداء ، لا بالتألم من أجل السلام والخير والمحبة بين البشر .

كذلك أولوا ما جاء على لسان السيد المسيح : " إنكم ستأخذون ميراثاً عظيماً " واتخذوه شعاراً لهم يرغبون به أبناء جلدتهم لكي يخرجوا لغزو المسلمين والقضاء عليهم ، وبذلك يصبحون الورثة الشرعيين للمسلمين .

لقد فسروا الصليبيون عبارة " الميراث العظيم " على أنها غزو الشرق الإسلامي والاستيلاء على تلك البلاد التي تفيض لبناً وحبلاً ، ولم يفسروها على معناها الحقيقي الذي يتضمن ميراث الرسالة وتعاليم السيد المسيح لتلاميذه التي كانت تفيض رحمة وسلاماً ، شأنه في ذلك شأن سائر الأنبياء والرسل .

٣ - انتشار الشائعة التي تقول بظهور السيد المسيح في بيت المقدس على

رأس ألف من التاريخ الميلادي :

إهتم الإعلاميون في كل مكان وزمان بالشائعات فوضعوا لها التعاريف المختلفة ، وبينوا طريقة ظهورها وطبيعتها والعوامل التي تساعد على انتشارها ، وحددوا أنواعها ، ورسخوا الخطط المتعددة لمقاومتها .

كل ذلك يرجع إلى أن الشائعات تعتبر من أهم الأسلحة في أوقات الحروب بصفة خاصة لأنها تثير عواطف الرأي العام وتؤجج مشاعره أو تعمل على بلبلة الأفكار وحث الرعب في نفوس الأعداء .

ومن هنا كان لها أهمية كبرى في الدعاية السوداء ، والشائعات كثيرا ما تتغير وتتبدل أثناء تداولها شأنها في ذلك شأن أي شيء لا يقوم على أساس ، فقد يطلق "رجل الدعاية" شائعة من الشائعات فتصل إليه معرفة بعد وقت معين .

ويبقى السؤال الأهم : ما الشائعة ؟

" الشائعة هي الترويج لخبر مخلق لا أساس له من الواقع ، أو تعمد المبالغة أو التهويل أو التشويه في سرد خبر فيه جانب ضئيل من الحقيقة أو إضافة معلومة كاذبة أو مشوهة لخبر معظمه صحيح ، أو تفسير خبر صحيح والتعليق عليه بأسلوب مغاير للواقع والحقيقة ، وذلك بهدف التأثير النفسي في الرأي العام المحلي أو الإقليمي أو العالمي أو القومي ، تحقيقا لأهداف سياسية أو اقتصادية أو عسكرية على نطاق دولة واحدة أو عدة دول أو النطاق العالمي بأكمله " (١) .

(١) د. مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ج ١ ، ص ١٠٣ .

وهناك تعريف آخر للشائعة يقول : " الشائعة فكرة خاصة يعمل رجل الدعاية على أن يؤمن بها الناس ، كما يعمل على أن ينقلها كل شخص إلى الآخر حتى تشيع بين الجماهير جميعها " ( ١ ) .

ويمكن تعريف الشائعة أيضا بأنها الأقوال والأحاديث والروايات التي ينتقلها الناس دون التثبت من صحتها ، وهي ظاهرة نفسية لها دلالة ، ولها معنى ، ولها دوافع خاصة دفعت إلى ظهورها وسببت سرعة انتشارها بين الناس .

ويمكن تقسيم الشائعات إلى ثلاثة أنواع :

النوع الأول - شائعات الأحلام أو الأمانى : وهي تنتشر بين الناس لأن لهم حاجات وريبات وآمالاً في تحقيقها ، وهي عبارة عن تفسير لهذه الحاجات والآمال والريبات .

النوع الثاني - شائعات الخوف : وهي تنتشر بين الناس في وقت فزعهم وخوفهم ، فالإنسان في حالة الخوف على استعداد لأن يتوهم أموراً كثيرة لا أساس لها من الصحة ، وهو على استعداد أيضاً لأن يفسر الحوادث العادية تفسيرات خاطئة يطمئنها عليه الخوف والوهم كذلك فهو على استعداد لأن يصدق كل ما يقال وله أساس بموضوع خوفه وقلقه ، وتنتشر الشائعات في وقت الأزمات والحروب .

النوع الثالث - شائعات الكراهية : وهي التي تصدر لتعبر عن شعور الكراهية والبغض ودوافع العدوان التي تجيش بها نفوس بعض الناس ( ٢ ) .

وتعتبر الشائعات وسيلة مؤثرة من وسائل الدعاية ، ويوجد كثير من يعتقدون بأن الشائعات لها نفس تأثير الراديو والمصاحفة .

---

( ١ ) د . محمد عبد القادر حاتم : الإعلام والدعاية " نظريات وتجارب " ،

ص ١٧٩ .

( ٢ ) المرجع السابق : ص ١٨٠ .

ومن وجهة نظري أرى أن الشائعات قد تصل إلى أكثر ما يصل إليه المذيع والصحافة في تأثيرها ، ذلك لأنها قد تغطي جزءاً من الناس لا يملك المذيع فيستمع إليه ، ولا يقدر على القراءة والكتابة فيطلع على الصحف .

وهناك رأى يرى أن الشائعات ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالأساطير بل يعتبر بعض الباحثين الشائعات أساطير معدلة .

وتقوم الشائعات بوظيفة أساسية في دعم التماسك الداخلي وتأكيد الشعور بالعزة والنصر ، كما أن شائعات الكراهية تعمل على شق صفوف العدو وحث روح اليأس بين أفرادها .

ويرى بعض الخبراء في الدعاية والحرب النفسية أن الشائعات جزء من الحرب النفسية ومقاومتها هي جزء من مقاومة الحرب النفسية ذاتها ( ١ ) .

وما دنا بصدور الكلام عن ماهية الشائعات وأنواعها وأسباب اختلافها والطرق المناسبة لمكافحتها فقد رأيت استكمالاً للكلام أن أبين موقف الإسلام من الشائعات مستمداً هذا الموقف من آيات الله الكريمة .

وقد جاءت الشائعة على صيغة اسم الفاعل مشتقة من الفعل يشيع أى ينتشر وذلك فى الآية الكريمة التى تبين بوضوح حكم الله فىمن يحب أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا ، والفاحشة قد تشمل القول أو الفعل أوهما معا .

قال تعالى فى كتابه العزيز :

" إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة فى الذين آمنوا لهم عذاب أليم فى الدنيا والآخرة والله يعلم وأنتم لا تعلمون " ( ٢ ) .

وجاءت الشائعة مرة أخرى فى القرآن الكريم بمعنى الإرجاس ونشر البلبلة بين الناس .

( ١ ) د . احمد بدر : الرأى العام " طبيعته وتكوينه وقياسه " ص ١٣٦ .

( ٢ ) النور ١٩ .

قال تعالى في كتابه العزيز :

"لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلا . طعونين أي نسا شقوا أخذوا وقتلوا تقتيلا " ( ١ ) .

وتزحف الجيوش الصليبية بكل ضراوتها وشراستها على العالم الإسلامي ستغاة ماوسعها الاستغلال كل ما يمكن استغلاله من أسلحة مادية ومعنوية ، وكانت الشائعات من أهم أسلحة الحروب النفسية التي استغلها الصليبيون في حربهم ضد المسلمين .

وتتالت الشائعات شائعة تلو الأخرى بحيث كلما خبت شائعة أوقدوا غيرها ليفسدوا في الأرض .

قال تعالى في كتابه العزيز :

" كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فسادا والله لا يحب المفسدين " ( ٢ ) .

ولقد مارس الصليبيون كل أنواع الشائعات في صفوفهم تقريبا ليتمكنوا من السيطرة الكاملة على معاربيهم معركة تلو المعركة وخاصة في أوقات المعن والشدائد .

فتراهم تارة يختلقون " شائعات الأحلام أو الأمانسي " إذا استبد بهم العجز عن تحقيق ما يريدون .

وتراهم تارة يختلقون " شائعات الخوف " إذا أحيط بهم من كل جانب ورأوا الموت ماثلا أمامهم لا يحيد عنهم .

وتراهم تارة أخرى يختلقون " شائعات الكراهية " يبثونها في النفوس لتظل مشتعلة بالكراهية والبغض ملوثة بالحق والظغينة على الإسلام وأهله .

( ١ ) الأحزاب : ٦٠ ، ٦١

( ٢ ) المائدة : ٦٤



وما يجدر ذكره أن هذه الشائعات بأنواعها الثلاثة هي على سبيل المثال فقط . ومن المعروف تاريخياً أن إقبال النصارى على الحج إلى الأماكن المقدسة قد بلغ قايته في القرن العاشر الميلادي ، وهو الفترة التي شهدت انحسار النفوذ العربي في السيطرة على كثير من نواحي البحر المتوسط ، وكذلك ضياع بعض الموانئ في جنوب فرنسا وإيطاليا ، وفقدان جزيرة كريت .

وقد شكلت هذه الأحداث عاملاً نفسياً كبيراً أوحى إلى نصارى أوروبا بأن عصر السيادة الإسلامية قد زال . مما جعل نفوس النصارى تتجه أكثر إلى قبر المسيح لأداء الحج وتقديم الشكر على بداية زوال السيادة الإسلامية .

وشهدت فلسطين أعداداً من الحجاج النصارى لم يسبق لها أن شاهدتهم من قبل ، وذلك لأن شائعة على جانب كبير من الأهمية والخطورة سادت أوروبا آنذاك وهي :

" أن نهاية العالم قد دنت ، وأن المسيح سيظهر للمؤمنين به على رأس الألف من السنين التي غيرت " .

ولم يقنع بعض الحجاج النصارى برغبتهم في الحج والزياره فقط ، بل راح الكثير منهم يؤثر البقاء في فلسطين حتى يوافيه الأجل في المكان والزمان الذي سيشهد ظهور عيسى بن مريم .

كان لهذه الشائعة تأثيرها القوي على الرأي العام النصراني وكانت بمثابة التصعيد الكبير للغزو الصليبي الذي أعقب تلك الفترة من الزمن . وكانت هذه الشائعة من النوع المخلوق الذي لا أساس له من الواقع . وجاء اختلاقه بهدف التأثير النفسي على الرأي العام النصراني تحقيقاً لأهداف سياسية واقتصادية وعسكرية .

ولجأ الصليبيون المرة تلو الأخرى لإطلاق الشائعات .

من ذلك أن الصليبيين عندما احتلوا قلعة " أنطاكية " أطلقوا شائعة في حينها تعزو هذا النصر إلى قدرة فوق طاقة البشر ، ولسج بهم الزعم إلى حد القول بأن القديسين " جورج " و " ديمتري " ساهما بنفسيهما في القتال ، حيث أبصر " البعض " كتيبة تنزل من السماء عليها هالات قدسية من النور تقدمت الصفوف وتسلفت السلالم والأسوار برمت فأصمت ( ١ ) .

وأود قبل انتقالنا من هذه الشائعة إلى غيرها أن نلاحظ كلمة " البعض " وهذا البعض من الناس هم الذين نسب إليهم رجال الدعاية الصليبيون رؤية الكتيبة التي نزلت من السماء بقيادة القديسين " جورج " و " ديمتري " ، فمن يكون هذا " البعض " من الناس ؟

لم يذكر لنا التاريخ أحدا من هذا " البعض " الذي شاهد وأخبر . إننا جاءت كلمة البعض تأكيدا للشائعة ونوثيقا لها حتى لا يرتاب أحد من سيسمع بها أو يروج لها .

ولكم تمنى الصليبيون لو أنهم استيقظوا ذات يوم فلا يهضرون أحداً من المسلمين ، ولكن ما دام هذا الأمر فوق طاقتهم فلا أقل من أن يلجأوا إلى نوع من الشائعات سماه الإعلاميون " شائعات الأمانى أو الأحلام " .

وهذا النوع من الشائعات يعبر عادة عن أمانى وأحلام يكون من الصعب أو المستحيل تحقيقها .

ومن ذلك ما جاء من أن الصليبيين وهم في " هرسك " كر عليهم الترك المسلمون وقتلوا منهم جمعا غفيرا ، ومن استطاع النجاة لجأ إلى " هرسك " وألقى بعضهم بنفسه في البحر .

ويقول مؤلف " الجستا " : " ولقد لاذ غيرهم إلى الأحراج والجهال تخفيا بها فانطلق الترك في آثارهم وكدسوا الأخشاب لحرقتهم

( ١ ) د . حسن حبشي : الحرب الصليبية الأولى عن ١٤٦ .

هم والمدينة معا .

وهنا كان لابد من شائعة تخرج ، ولكن من شائعات " الأمانى  
أو الأحلام " يرويها مؤلف " الجستا " فيقول :

" غير أن النصارى الذين احتلوا المدينة أشعلوا النار فى  
أكداس الخشب ، وهب اللهب ناحية الترك ، فأهلك بعضهم حرقا  
بينما حفظ يسوع المسيح رجالنا من أن تمتد اليهم تلك النيران بعد  
أن حال بينها وبينهم بنفسه " ( ١ ) .

واقدم سرت هذه الشائعة بين الصليبيين سرمان النار التى  
اختلفتها الشائعة والتى نسبها الصليبيون الى معجزة قام بها السيد  
المسيح بنفسه على حد زعمهم وافترائهم على الأنبياء والرسل .

وتستمر الشائعات فى القتالى حتى لا تترك للمقاتلين فرصة  
التفكير بعيدا عن الشائعات والأساطير والأحلام .

ففى وقعة ( اسكى شهر ) التى جرت بين المسلمين والصليبيين  
يقول مؤلف " الجستا " :

" لقد أحاط بنا الترك من كل جانب وأخذوا فى قتالنا  
ورمينا بالحرايب ورشقنا بالنبال من مسافة بعيدة عجيبة ، وهجرنا عن  
احتمال وطأة هذا العدد الفغير من الأعداء " .

ولكن لم يلبث شمل الصليبيين أن التأم وانتظمت صفوفهم  
واكتمل استعدادهم للهجوم على المسلمين وانتزع النصر منهم .

ويستطرد مؤلف " الجستا " فيقول :

" وعند اقتراب فرساننا بادر الترك والعرب والشرقيون والغلمان  
وجميع الشعوب البربرية إلى الهرب السريع من مضائق الجبال ومنافذ

---

( ١ ) د . حسن حبشى : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٢٢ .

السهول ، وكان عدد الترك والفرس والرعاع والشرقيين والغلمان وغيرهم من الوثنيين يبلغ ثلاثمائة وستين ألف مقاتل " ( ١ )

وهنا يأتي دور الشائعة لتزويد الغزاة بمزيد من القوة لاستئناف العدوان والاستيلاء على الأرض التي تفيغر لبنا وهسلا ، وارتكاب أبشع الجرائم من أجل تحقيق مآربهم العدوانية وحقوقهم المزعومة بدعوى أن عيسى بن مريم يحارب معهم جنبا إلى جنب بعد أن وهدهم بأنه لمن يتخلى عنهم حتى يحرروا قبره المقدس من أيدي الشعب الوثني ومن ثم القضاء على الإسلام وأهله .

يقول مؤلف " الجستا " عن تلك الشائعة :

" وما كان لأحد من رجالنا أن ينجو هذا اليوم لولا وجود السيد معنا في هذه المعركة ولولا أنه أرسل إلينا على جناح السرعة الجيش الآخر ( ٢ ) . فقد استمر القتال بدون انقطاع من الساعة الثالثة حتى الساعة التاسعة ، إلا أن الرب العظيم الحنون الرحيم لم يرض أن يهلك فرسانه أو أن يقعوا في أيدي أعدائهم ، فبعث إلينا هذه النجدة على جناح السرعة " .

( ١ ) د . حسن حبشي : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٤٠ .

( ٢ ) يفسر د . حسن حبشي " الجيش الآخر " بأن المقصود به هو جيش " ريموند كونت صنجيل " ، ولقد حاولت جهدي أن أجد دليلا من

الكتاب المترجم يؤيد هذا التفسير ، غير أنني وجدت أكثر من دليل يؤيد ما ذهب إليه من أن القصد من " الجيش الآخر " هو جيش بعث به السيد المسيح شأنه في ذلك شأن الكتيبة التي هبطت من السماء وطبها هالات من نور والتي قادها القديسان " جورج وديمتري " بنفسهما .

وما يؤيد أيضا ما ذهب إليه هو ما جاء في الترجمة نفسها من أن " ريموند كونت صنجيل " كان منذ بداية الواقعة ضمن الجيش الصليبي الذي تعرض في البداية إلى ضغط شديد من جيوش المسلمين وجاء أيضا في هذه الترجمة أن " ريموند كونت صنجيل " كان على الجناح الأيسر للجيش الصليبي في تلك المعركة منذ بدايتها ولم يكن جيشا طارئا . =

وكعادة الصليبيين عندما يشتد بهم الكرب وتهبط روحهم المعنوية إلى الحضيض لا يجدون غير ادعاء الرؤى والأحلام ، واختلاق الشائعات لتخرجهم مما هم فيه من كرب وشدة .

من ذلك أن الصليبيين بلغوا حدا من اليأس لم يسبق لهم أن بلغوه من قبل وهم حول " أنطاكية " والمسلمون يشددون عليهم الحصار من كل جانب وحامية القلعة تهاجمهم ليل نهار ، ولم يعد يسمح لأحد منهم أن يأكل ما معه من خبز أو يشرب ما معه من ماء .

هنا كان لابد أن تلعب الشائعة دورها كاملاً كما لعبت الرؤى والأحلام دورها كاملاً من قبل .

يقول مؤلف " الجستا " عن تلك الشائعة الجديدة :

" ولما أقبل الليل لاحت في السماء نار مغيرة من الفسرب وأخذت في التدانى حتى سقطت وسط الجيش التركي ، فاستولى الذهول

---

ويؤيد ما ذهب إليه أيضا قول مؤلف " الجستا " :  
" وما كان لأحد من رجالنا أن ينجو هذا اليوم لولا وجود السيد معنا " وجميع الأدلة والفرائن تدل على أن مؤلف " الجستا " لا يقصد بوجود السيد الوجود المعنوى الذى يشمل الرماية والمحافظة إنما يقصد الوجود الجسدى على رأس تلك النجدة المزعومة حين استمر القتال .

لذلك يقول مؤلف " الجستا " :

" فقد استمر القتال بدون انقطاع من الساعة الثالثة حتى الساعة التاسعة ، إلا أن الرب العظيم الحنون الرحيم لم يرض أن يهلك فرسانه أو أن يقموا فى أيدي أعدائهم ، فبعث إلينا هذه النجدة على جناح السرعة " .

وبفهم من ذلك أن النجدة بقيادة المسيح جاءت أثناء نشوب المعركة لا قبلها ولا بعدها .

الشديد على رجالنا وعلى الترك معا ، فاما تبليغ الصباح فر المدعوون  
جزئا من هذه الظاهرة العلوية " ( ١ ) .

وسرت تلك الشائعة بين صفوف الصليبيين متعاونة مع السروى  
والأحلام لترفع من روحهم المعنوية المنهارة .

وتستمر الشائعات فى القتالى دون انقطاع ، وتسبح الفرصة  
لشائعة جديدة عندما يحتدم القتال بين جيش "كريفوا" وجيش الصليبيين  
حول " أنطاكية " ، وتتقدم كتائب المسلمين وتعدى بالعدو من كل  
جانب وتضحهم برماحها وترميهم بأقواسها .

وهنا كان لابد من شائعة أو رؤيا أو أسطورة ، وكالمعتاد  
انطلقت من دهاة الصليبيين شائعة كان لها من الدوى والتأثير نفسى  
نفوس الغزاة ما جعلهم يستميتون فى القتال مستغلين تفكك الجبهة  
الإسلامية ، وتفشى الفوضى بين قوات "كريفوا" ، وانقسام القادة طمس  
أنفسهم ، وانتقال عدوى هذا الانقسام بين صفوف المسلمين . مسا  
أوهن عزائم الجند وأضعف روحهم المعنوية حتى استبد بهم اليأس .

ويقول مؤلف " الجستا " عن تلك الشائعة :

" وهنا شوهدت قوات لا يحصيها العد تنطلق من ناحية  
الجبل مستطية صهوة جياذ بيضا ، ويدها رايات بيض ، فلما شاهد  
رجالنا منظر هذا الجيش لم يعرفوا ماهيته ولا لمن هذا الجند ، وما  
لبثوا أن أدركوا أنهم نجدة المسيح بقيادة القديسين " جرجيس " و  
" مرفوريوس " و " ديترى " ، وينبغى الإيمان بهذه الشهادة لأن  
الكثيرين من رجالنا شاهدوا تلك الآفة " ( ٢ ) .

( ١ ) د . حسن حبشى : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ص ٨٥ .

( ٢ ) المرجع السابق : ص ٩٤ .

الباب الثاني

---

"التعبئة الاعلامية في الجبهة الإسلامية"

---

## الفصل الأول

---

"حالة المجتمع الاسلامى فى الشام ومصر عند بدء الحملات الصليبية"

---

- ١ - تعزق الرأى العام الاسلامى نتيجة لما ساءت ايام الامة الإسلامية من خلافات .
- ٢ - الفرنج يحتلون القدس بينما محمد بن ملكشاه يحارب أخاه لأبيه "بركسياروق" .
- ٣ - الفاطميون فى مصر يمزقون الرأى العام بعقائدهم الضالسة .



١ - تمزق الرأي العام الاسلامي نتيجة لما ساد الأمة الاسلامية من خلافات :

هناك بعض الأحداث التي تدعو المرء إلى التأمل بعمق ، والتأمل  
عنصر رئيسي وهام من عناصر التفكير .

وما يدعو إلى التأمل العميق في موضوعنا هذا هو التوقيعات  
الدقيق الذي اختير ليكون بدءاً لتلك الحملات الصليبية التي شنت على  
العالم الإسلامي .

كذلك نلاحظ أنه ما يدعو إلى الاستغراب والدهشة تلك الحال  
التي وصل إليها الرأي العام الإسلامي قبيل شن تلك الحملات عليه ،  
وهي حال بلغت من التمزق والتداهر درجة لم يسبق له أن بلغها من  
قبل ، وخاصة وهو يواجه أخطر غزو تعرض له في تاريخه .

وكانى بهذه الفترة الزمنية بالذات وقد فتحت ذراعيها مستقبلة  
أول حملة صليبية على العالم الإسلامي ، مهددة لها طريق التفوق  
والغلبة على القوى الإسلامية المتطاحنة المتداهرة .

لذلك أجد من الصعب أن أضع فواصل زمنية محددة بالسنين  
والأشهر والأيام أميز فيها بين كبار الأحداث ذات التأثير في حاضرات الأمم  
والشعوب ، ولعل ما نصادفه من ذلك يعد من باب التقارب ليس غير .

والدليل على ذلك هو أن مثل هذه الأحداث لا يمكن أن تولد  
فجأة دون حمل ومخاض ، وبين الحمل والمخاض تنبؤ هذه الأحداث وتكتمل  
فإنها حانت ساعة الوضع كانت الأحداث .

وكأى ظهر لأي مولود يبدأ تدوينه من أول يوم يرى فيه الحياة  
يفعل قالبة المؤرخين ذلك مع كبار الأحداث دون النظر بعين الاعتبار  
إلى فترة الحمل والمخاض .

ومن كبار الأحداث التي فعلت معها غالبية المؤرخين ذلك ، تلك الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، حيث أرختها هذه الغالبية تاريخاً دقيقاً ، فجعلوا كل حملة من تلك الحملات تبدأ بتاريخ وتنتهي بتاريخ . ولكن رجل الإعلام غير رجل التاريخ ، فالإعلامي يبحث عن الجذور ، والمؤرخ يحدد معالم البدء والانتها . وكلاهما ينشدد الحقيقة من زاويته .

حدث ذلك بالرغم من أن تلك الحملات قد اختبرت في فترة من الزمن ليست بالهينة قبل أن تبدأ بدأها المعروف بالسنة والشهر واليوم وتلك الفترة الزمنية التي نعنيها كانت فترة تعبئة واستعداد وتأهب . ولا شك أن تلك الفترة لا يمكن اغفالها بحال من الأحوال ، بل طسى العكس يمكن اعتبارها من وجهة نظري جزءاً لا يتجزأ من عمر تلك الحملات ذلك لأن الصليبيين استطاعوا بهتتى الوسائل أن يوحدوا الرأى العام النصرانى قهبل القيام بحملاتهم ضد العالم الإسلامى .

ولقد جاء هذا التوحيد للرأى العام النصرانى نتيجة لما قامت به الكنيسة من بلورة للأهداف والغايات التي يمكن للرأى العام أن يتجمع حولها وأن يوحد قواه لتحقيق تلك الأهداف والغايات .

ولقد استطاعت الكنيسة أن تقسم تلك الأهداف والغايات إلى

قسمين :

الأول : أهداف وغايات دينية وهى التى تتضمن التكفير عن الذنوب والخطايا ، وتخليص " القبر المقدس " وكذلك بقية الأماكن النصرانية المقدسة من أيدي " الوثنيين " !!

الثانى : أهداف وغايات دنيوية ، وهى التى تتضمن الشراء الحظير من وراء تلك الحملات ، وامتلاك الأرض التى تفيض لبنا وصلا بعد أن ضاقت عليهم أرضهم ، وشحت أرزاقهم ، وأصبحوا قاب قوسين أو أدنى من الهلاك .

وعن طريق ما تقدم استطاعت الكنيسة أن توجد الأهداف والغايات التي مكنت الشعوب المسيحية المتطاحنة من التقارب والتصالح .

كما استطاعت الكنيسة بجانب ما تقدم أن توحد الرأي العام المسيحي عن طريق إيجاد القادة القادرين على استقطابه والتأثير فيه بشتى الطرق والإمكانات التي أتاحت لهم آنذاك ، وقد أستطاع هؤلاء القادة أن يستغلوا معظم هذه الإمكانيات استغلالا أدى في البداية إلى تفوقهم العسكري الذي بلغ ذروته باحتلالهم بيت المقدس وتأسيس أربع إمارات صليبية في قلب الأمة الإسلامية .

وأكد أعتقد تماما أن تلك الحملات الصليبية كانت من الوسائل الرئيسية التي فكر فيها دهاة الصليبيين بهدف القضاء على ذلك التطاحن الذي ساد الشعوب النصرانية قبيل القيام بتلك الحملات .

وهذه العملية هو التي يطلق عليها علماء النفس " الإبدال والتحويل " وعلمية " الإبدال والتحويل " من العمليات العقلية اللاشعورية التي استغلها الدعاة ورجال الإعلام والادعائيون وأصحاب المصالح الخاصة في تحويل اتجاهات الرأي العام وبخاصة في أوقات الأزمات والشدائد لعرض الرأي العام عن التفكير في موضوع معين .

ولقد استغل دهاة الصليبيين هذه العملية ونجحوا عن طريقها في تحويل اتجاهات الرأي العام النصراني آنذاك واقناعه بالقضية الخاطئة ، وذلك لأن اقناع الرأي العام في أي بلد من البلدان بعدالة قضية بعينها لا يكفي فيه أحيانا أن تكون القضية عادلة ، وإنما يقتضى هذا الإقناع التوصل إلى الطريقة المثلى لعرض القضية ، أو بمعنى آخر إلى الزاوية الإعلامية التي تعرض فيها القضية بحيث تقنع الرأي العام وتحركه .

واختيار هذه الزاوية الإعلامية ليس عملا تلقائيا ، ولا هو بالعمل الهين ، إذ أن نجاح الدعاية إنما يتوقف أساسا على هذا الاختيار .

فعند هذه المرحلة ينتهي عمل رجال السياسة ويبدأ عمل الدعاة  
أورجال الإعلام . رجال السياسة يحددون القضية والدعاة ورجال  
الإعلام يخططون أسلوب إيصال هذه القضية للرأي العام ويسهررون على  
تنفيذ ذلك بهدف تحريك هذا الرأي العام ( ١ ) .

ومما لا شك فيه أن الصائبيين استطاعوا عن طريق هذه الزاوية  
أن يحركوا الرأي العام النصراني قهيل القيام بالحملات الصليبية على  
العالم الإسلامي على أساس النفخ في روح التعصب والعدوان من أجل  
تحقيق مآرب خاصة .

هذا في الوقت الذي تدابر فيه الرأي العام الإسلامي وتمزقت  
عراه نتيجة لما ساد من سلبية وخوف وسخط في ظل أوضاع اقتصادية  
 واجتماعية ونفسية تدعو إلى اليأس والتقهقر .

ومثل هذه الأوضاع نفسها كانت موجودة في أسوأ صورها في  
المجتمعات النصرانية آنذاك ، لكن دهاة الصليبيين اتخذوا من تلك  
الأوضاع منطلقا لهم ينطلقون منه إلى تحقيق أهدافهم ومآربهم الخاصة  
جاطين من تلك الأوضاع السيئة حافظا قهيا للرأي العام النصراني لأن  
يغيب من تلك الظروف التي أثقلت .

وهذا استطاع دهاة الصليبيين أن يتخذوا من تلك الأوضاع  
المتدهورة عامل قوة يجمعون حوله الرأي العام النصراني .  
بينما ظلت أوضاع المسلمين السيئة عامل ضعف وتخاذل في  
صفوف الرأي العام الإسلامي .

ومن المسلم به أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية  
تختلف من مجتمع إلى آخر ، وأن ما يكون عامل قوة بالنسبة للرأي العام  
في مجتمع من المجتمعات قد يكون عامل ضعف في مجتمع آخر ، إلا إذا

---

( ١ ) د . مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ج ١ ، ص ٦ .

كانت السيادة الاجتماعية للإسلام ويرجع ذلك أساساً إلى طبيعة نظام الحكم السائد ومدى تعمق روح الحرية وتبادل الرأي والحرص على المصلحة العامة ووجود الأمانى والأهداف المشتركة التي يتجمع حولها الرأي العام ويتحرك .

كذلك نلاحظ أن نوع نظام الحكم القائم فى مجتمع من المجتمعات يؤثر بلا شك فى تكوين الرأي العام ، فإذا كان هذا النظام قائماً على الاستبداد والعلف والاستعلاء على الجماهير واحتقارها وإشاعة الظلم والإرهاب ، فإن ذلك يؤدى إلى سلبية الرأي العام واحلال الخوف والسخط بين صفوفه ( ١ ) وما ينطبق على نوع نظام الحكم ينطبق على الأوضاع الاقتصادية داخل المجتمع من حيث تأثيرها الخطير فى اتجاهات الرأي العام ومدى استجابته للأحداث من حوله .

ويقول رجال الإعلام إن للرأى العام مظاهر إيجابية وأخرى سلبية بالنسبة للتعبير عن الاتجاهات السائدة التى يمكن أن نتعرف بواسطتها على اتجاه الرأى العام فيما يهيم من قضايا وأحداث ، وتلك المظاهر هى التى سوف تحدد لنا سلبية الرأى العام الإسلامى بخاصة ونحن نتكلم من تدابره تجاه تلك الهجمة الصليبية وبالذات أمام الحملة الصليبية الأولى التى بلغت ذروة تفوقها العسكرى باستيلائها على بيت المقدس .

لم يكن الرأى العام الإسلامى مستعداً أن يفعل أى شئ على الإطلاق فى تلك المرحلة الخطيرة التى استهدفت كيان الأمة الإسلامية ومعتقداتها . حتى الشريعة الإسلامية الفراء التى جاءت بكل ما نؤمن به من قيم فى العلاقات بين العبد وربّه وبين الحاكم والمعكوم وبين الإنسان وأخيه الإنسان ، حتى هذه التى تعبر فى حياتنا اليومية والفكرية عن نظرنا الشاملة للحياة والكون والإنسان ، اضطر المسلمون

( ١ ) المرجع السابق : ص ٢٥ .

في فترات كثيرة إلى البعد عنها ، ومن ثم كانت الهزائم والنكبات " نسوا  
الله فأنساهم أنفسهم " (١) .

ولكن كلما استعادت الأمة ادراكها الواضح الموضوعي لهذه  
الحقيقة استعادت شخصيتها المتميزة ، واستردت قيادتها الفكرية  
الرائدة .

حدث ذلك على وجه التحديد عندما قاد صلاح الدين الأيوبي  
أمته الإسلامية على هدى من ربه فحقق النصر المبين الذي بلغ ذروته  
باسترداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين .

لقد واجه الرأي العام الإسلامي بداية الحملات الصليبية وهو  
في شبه غيبوبة تامة ولم يكن يعي وقتها مقدار الخطر الذي يهدق به  
من كل جانب ، وهذا الرأي العام الذي أضيقه هو ما يسميه الإعلاميون  
بالرأي العام النومي .

والرأي العام النومي إما أن يكون على نطاق محلي ، وإما  
أن يكون على نطاق إقليمي أو عالمي .

ويقرر الإعلاميون عند بحثهم للمظاهر السلبية للرأي العام  
أن من أهم تلك المظاهر أسلوب " المقاطعة " ، ولقد تجلّى هذا  
الأسلوب بشكل واضح لدى الرأي العام الإسلامي عند بداية الحملات  
الصليبية ، وعندما وجدت الجماهير المغلوبة على أمرها تشتت حكايها  
وما هم عليه من تناحر وهداوة ، وما وصلوا إليه من تكالب على الدين  
ومعد عن الإسلام .

لذلك لم تبادر تلك الجماهير لصد هذه الحملات حينما داهها  
حكايها وقادوها إلى ذلك ، لأنها وقعت تماما على حقيقة هـولاء  
الحكام والقادة وأيقنت أنهم غير صادقين فيما يدعون إليه .

---

(١) الحشر : آية ١٩ .

ولو كانوا عكس ذلك لتوحدت كلمتهم ولتركوا التناحر جانبا ولتنازلوا عن تماديههم في كيد كل واحد منهم للآخر ، ولوجود الأمة كلها رجلا واحدا قد هب لصد تلك الحملات من أول وهلة .

وليت بعض هؤلاء الحكام والقادة وقف عند هذا الحد ولم يصل الأمر بهذا البعض إلى أن يتقرب من الغزاة العلميين طالبا العون والساعدة منهم في قتاله مع هذا الحاكم المسلم أو ذاك .

من أجل ذلك كله كان العار وكانت الهزيمة ، وكان التمزق والضياع .

ثم يأتي بعد أسلوب "المقاطعة" باعتباره مظهرا من المظاهر السلبية للرأى العام - مظهر آخر من هذه المظاهر وهو مظهر "تفشى السلبية والاستهتار بين الجماهير" ولقد تجلّى هذا المظهر في أوضح صوره أيضا بين صفوف المسلمين في الوقت الذي زحفت فيه أوروبا كلها من أجل القضاء على الإسلام والمساحين .

ومن الأمور المسلمة أنه حين يسود النظام التسلطى مجتمعا من المجتمعات ، وتفرض القيود على الحقوق والحريات ، ويمجز الجماهير عن التعبير عن وجهات نظرها بحرية ، حينئذ تفشى السلبية بين صفوفها ، ويتخذ الرأى العام مظهر الكون ، وعدم الظهور فتتقدم قنوات الاتصال بين تلك الجماهير وبين قادتها ، ويسود الاستهتار بين صفوفها ويكون ذلك مظهرا من مظاهر رفض الجماهير للنظام التسلطى واحتجاجا على فرض القيود على الحريات (١) .

لقد أوضحنا فيما سبق أن الرأى العام النوعى إما أن يكون على نطاق محلى ، أو على نطاق إقليمى ، أو على نطاق عالمى .

ولكن ما هو المقصود بالرأى العام النوعى ؟

الرأى العام النوعى هو "الرأى العام الذى يسود بين طائفة أو فئة معينة من شعب بعينه ، أو مجموعة من الشعوب في وقت معين

(١) د. سعيد سراج : الرأى العام ، مقوماته وأثره فى النظم السياسية المعاصرة ص ٤٤ .

بالنسبة لقضية أو أكثر تهم هذه الطائفة أو الفئة وتتم مصالحها أو قيمها الإنسانية الأساسية مسا مباشرا " (١) .

ونحن بدورنا نتساءل : هل كان هذا النوع من الرأي العام موجودا وواعيا عندما بدأ العلماء شن حملاتهم الشرسة على العالم الإسلامي ؟

بالطبع لم يكن موجودا ولا واعيا .

والا فكيف يكون موجودا وواعيا وسط تلك الظروف العصيبة والمعن المحيطة بالمسلمين من كل جانب ؟

كيف يكون موجودا وواعيا وسط تلك المعارك الدائرة بين القادة والحكام المسلمين من أجل سلطان زائف أو قطعة من طين ؟

عندما تولى " تتش " الأمر ضم جنوب سوريا إليه واستولى، طبر، دمشق عام ٤٧١ هـ / ١٠٧٩ م واستقام له الأمر فيها ، وأحسن السير فور أهلها (٢) . ثم جد النزاع بينه وبين أخيه " ملكشاه " فخاف منه " تتش " ولم يحرك ساكنا تجاه ما فعله أخوه من إقطاعه حلب لقسيم الدولة " آق سنقر " جد بنى زنكى كما أقطع " الرها " " بزان " و " أنطاكية " " لياغى سيان " .

الا أنه بعد موت " ملكشاه " تحرك " تتش " فى جمادى الآخرة عام ٤٨٢ هـ / يونيو ١٠٩٤ م قاصدا حلب ، فاتحدت قوات " بزان " و " آق سنقر " وأمد هما السلطان " بركياروق " بقوة من عنده بقيادة " كريبغا " فلم تجد هذه القوة نفعا . (٣)

ثم انمقد لواء النصر " لتتش " وان حمل فى طياته كل دلائل الضعف ، ولقد حدث كل ذلك فى الوقت الذى استعدت فيه أروها

- 
- (١) د . مختار التهامي : الرأي العام والحرب النفسية ج ١ ، ص ٥٥ .  
(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ : ج ٨ ، ص ١٢٦ ، حوادث عام ٤٧١ هـ .  
(٣) المصدر السابق : ج ٨ ، ص ١٧١ ، حوادث عام ٤٨٢ هـ .



كلها لحمل السلاح لخدمة بيت المقدس ، وهب عليها ربح من التعصب  
والمطامع الشخصية والرغبة في بسط سلطان الكنيسة الغربية على الكنائس  
في الشرق ، ومعدتها - كما توهم الصليبيون آنذاك - يكون القضاء  
على الإسلام في عقده .

وما لبث " تتش " أن قتل ، فتقاسم البلاد أبناءه : رضوان  
ومقره " حلب " ، " ورقاق " ومقره " دمشق " عام ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م  
وسرعان ما دبت الشحنة بين الأخوين ، وما زال الداء هو الداء .

استمرت حال المسلمين هكذا فلم تتوحد جهودهم أمام الزحف  
الصليبي ، ولم تندمل جراح الكراهية والبغض بين حكامهم أمام سقوط  
المعاقل الإسلامية معقلا إثر معقل ، بل على العكس وجد بعض أمراء  
المسلمين في الغزاة الصليبيين أعوانا لهم يستنجدون بهم على حرب  
إخوانهم من قادة المسلمين . وكان الثمن بطبيعة الحال على حساب الأمة  
الإسلامية روحا وجسدا . إما تقاعسا عن نصره الجيوش الإسلامية المتحاربة  
مع العدو أو خيانة تودي بها تبقى من كرامة الأمة وهزتها .

وإذا كان ذلك هو سلوك القادة والقادة ، فما ظنك بحال الرأي  
العام الإسلامي الذي يقف وراء هؤلاء القادة ويتخذ منهم قدوته . . . ؟  
حتى والأمة الإسلامية تتعرض لأشنع غزوات تعرضت له ، نجد هؤلاء  
الأمراء والقادة لا يقيمون لكل هذه الأمور وزنا ، ولا يحسبون لهذه المخاطر  
حسابا . بعضهم يتقاعس والبعض الآخر يخون .

حدث ذلك حول " أنطاكية " حين تناولت الضربات على الصليبيين  
وأحيط بهم من كل جانب ، وبلغت روحهم المعنوية حدا من الانهيار  
تأكد معه أنهم قاب قوسين أو أدنى من الهلاك أو التسليم .

لكن قادة الجيوش الإسلامية بتفرقهم وتخاذلهم قدموا للغزاة  
الصليبيين أكبر عون على احتلال " أنطاكية " وتدمير جيش كرهوا الذي

انهارت قواه المعنوية وسيطر عليه اليأس وتطكت روح الهزيمة إذ  
تفتت الفرقة بين أفرادها نتيجة حتمية لتخاذل كثير من أمراء المسلمين  
وانصراف معظمهم تحت ظروف متباينة أبرزها السانفرة التي جرت بين  
الأتراك والعرب - وجميعهم سلمون - والتي أدت إلى انقسام  
الصفوف ، وبخاصة بعد أن أساء " كرهوغا " السيرة فيمن معه من  
المسلمين وأغضب الأمراء وتكبر عليهم .

" ظنا منه أنهم مقيمون معه على هذه الحال ، فأغضبهم ذلك  
وأضروا في أنفسهم الغدر إذا كان قتال " (١) .

وهكذا سقطت أنطاكية في يد الصليبيين بعد أن سهل سقوطها  
تراخي أمراء الشام المسلمين في نجدتها ، وتأخر " كرهوغا " في زحفه  
إليها ، وخيانة " نيروز " ، الذي كان يعرف " بالزراد " . لقد وثق  
به " ياغي سيان " أمير " أنطاكية " فعهد إليه بحراسة برج يعرف  
" ببرج الأختين " ، إلا أنه كان قابضاً على مولا ، لمصادرتة بعض أمواله  
وأخذه غلته . فكانت خيانة " نيروز " وتسليمه البرج للصليبيين الغزاة  
الذين جاءوا يحدوهم الأمل في تدمير الإسلام وأهله .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ٨٧ - حوادث عام

٢ - الفرنج يحتلون القدس بينما محمد بن ملكشاه يحارب أخاه بركياروق :

سقطت أنطاكية وما كان لها أن تسقط في أيدي الصليبيين لو لم تسقط أولا من أيدي قادة المسلمين وأمرائهم ، ولو لم يسقط الرأي العام الإسلامي الممتحن من قاداته وأمرائه .

فهل اتعظ كل هؤلاء أو بعضهم بما حدث فعادوا إلى ربهم ، وثابروا إلى رشدهم : ووجدوا صفوفهم حتى يكتب الله لهم النصر طسسى عدوهم ؟

لم يفعل القادة والأمرء المسلمون شيئا من ذلك ، بل طسسى العكس راحوا يتعاونون قاصدين أو غير قاصدين على قتل إيجابية الرأي العام الإسلامي ، لأنهم كانوا القدوة غير القادرة على تحمل مسؤولياتهم أمام شعوبهم التي توقعت منهم خيرا ، فخيّبوا ألبها على الرغم من أحلك الظروف والأحوال التي تدعو إلى التضحية بكل غال ونفيس ، وتدفع السى الإيثارة الأثرة ، وإلى دفن الخلافات والأحقاد لا إلى النهش بينها والتنقيب طيها .

من أجل ذلك كله وقف الرأي العام الإسلامي في معظمه موقفا سلبيا من قاداته وأمرائه ، واتخذ حبالهم مبدأ المقاطعة كرد فعل طبيعي لموقف هؤلاء القادة والأمرء الذين لم يبذلوا أى جهد فى سبيل توحيدهم حول غاية واحدة هى أسى الغايات بالنسبة للمسلم ، غاية الدفاع عن العقيدة ، عقيدة التوحيد التي زحف أهل التثليل من أجل القضاء طيها .

لم يحاول معظم قادة الأمة الإسلامية وأمرائها أن يستقطبوا الرأي العام الإسلامي ويحركوه ، والرأى العام الإسلامي من جانبه التزم جانب السلبية والكمون .

أما على الجانب الآخر حيث الرأي العام المسيحي الذي حركه البابا " ورجاله فإننا نجد هذا الرأي العام قد أصبح الضابط الأساسى

الذى جعل ملوك أوروبا يشتركون فى الحملات التى قادوها ضد العالم الإسلامى ، ولم يكن بإمكان هؤلاء الملوك أن يتخافوا عن أمراءهم وطاعة الناس الذين لبسوا الصليب وخرجوا لتحرير الأرض المقدسة من أيدي المسلمين - كما يقال - .

والدليل على ذلك أن الواحد من هؤلاء الملوك كان إذا اشترك فى حملة فإنه لا يحاول الاشتراك فى حملة أخرى باستثناء الطك \* لويس التاسع \* ملك فرنسا الذى حاول استرداد كرامته بحملة ثانية كانت أشد فشلا من الأولى ( ١ ) .

ما تقدم نستطيع أن نقرر أن الرأى العام لكى يتحرك يجب أن يكون هناك ما يحركه سواه أكان هذا المحرك عقيدة تتعرض للنيل منها ، أو هدفا مشتركا يراد تحقيقه ، أو مصلحة عامة تجاهد الأمة من أجل الحفاظ عليها والدفاع عنها ، أو قائدا أخلص النية لله ثم وهب نفسه من أجل الدفاع عن عقيدة الأمة والمحافظة على أهدافها والذود عنها مصالحها .

وهنا يتبادر للذهن أكثر من سؤال :

لماذا لم تشتعل شعلة الجهاد قوية متقدة منذ داست أول قدم صليبية ديار الإسلام ؟

لماذا لم يتحرك الرأى العام ؟ لماذا لم يتجاوب مع أخطر فزرو تعرض له فى تاريخه الطويل ؟

إن هذه الأسئلة بالرغم من خطورتها إلا أن الاجابة عليها أشد خطرا وأبلغ تأثيرا .

ذلك لأنها سوف تضع النقاط على الحروف من جهة ، ولأنها غاية فى حد ذاتها من جهة أخرى .

( ١ ) د . أنيس قاسم : تأملات فى الاحتلال الصليبي والصليبيون ص ٣٢ .  
( الدار العربية للكتاب ، ليبيا - تونس ) ١٩٤٠ / ٥١٤٠ م .

كان السكان المسلمون يشتكون من حكامهم المسلمين بسبب الظلم الذي كان يقع عليهم من هؤلاء الحكام ، وهذه الشكوى من ظلم الحكام المسلمين في عهد الحروب الصليبية هي التي ذكرها ابن جبير في كتابه : " رحلة ابن جبير " في عبارة صارخة عندما قال :

" إن كل الملوك في هذا الأوان - فيما عدا الموحدين - على غير طريقة الشريعة يرتكبون من الظلم ما لم يسمع بمثله . اللهم الاصلاح الدين " ( ١ ) .

ويذكر ابن جبير فيما يذكر من أخبار رحلاته أن المسلمين الخاضعين للأمراء الصليبيين كانوا أرغد همشا وأسعد حالا من إخوانهم الخاضعين للأمراء المسلمين ، وقد أرجع ابن جبير ذلك إلى أن الأمراء الصليبيين لم يحاولوا إرهاب المسلمين الخاضعين لحكمهم بالضرائب الباهظة غير المحدودة ، حيث كانت التزامات السكان المالية تجاه الأمراء الصليبيين محددة بدقة وليس فيها شيء من الإرهاب ، وكان ذلك على العكس تماما من الأمراء المسلمين تجاه رعاياهم .

وبعد أن يستطرد ابن جبير في مقارنته بين الوضع الردي الذي يعاني منه المسلمون تحت حكم أمراءهم ، وبين الوضع الرضي الذي يسعد به المسلمون تحت حكم أمراء الصليبيين يقول ابن جبير :

" وهذه من الفجائع الطارئة على المسلمين أن يشتكى المنصف الإسلامي جور صنفه المالك له ، ويحمد سيرة ضده وعند المالك له من " الإفرنج " ويأنس بعدله ، فإلى الله المشتكى من هذه الحال ، وحسبنا تعزية وتسلية ما جاء في الكتاب العزيز : " إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدى بها من تشاء " . ( ٢ )

---

( ١ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ط . دار بيروت للطباعة والنشر ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ، ص ٢٧٤ - ٢٧٥ . وابن جبير فقيه أندلسي وصف في رحلته ما شاهده في ديار المسلمين وديار " الفرنجة " التي مربها أثناء تأديته لفريضة الحج .

( ٢ ) الاعراف : اية رقم ١٥٥

وهنا لابد لنا من وقفة متأنية أمام اعتبار ابن جبير هذا الوضع الطارئ على المسلمين فتنه .

وهذا الاعتبار من ابن جبير للوضع الطارئ على المسلمين يعتبر هسة إعلامية على جانب كبير من الأهمية .

ذلك لأن دهاة الصليبيين لم يفعلوا ما فعلوه من قبيل الرأفة بالمسلمين أو التعفف عما في أيديهم ، فهم أبعد ما يكونون عن ذلك باستقراء التاريخ ، لكنهم فعلوه من قبيل الدعاية والفتنة ليس غـير ، فعلوه عن قصد أمام الرعايا المسلمين الذين يجأرون بالشكوى من ظلم حكاهم المسلمين حتى تحدث المقارنة وتكون الفتنة .

وفعلوه أيضا قاصدين تخدير المسلمين الخاضعين لحكمهم حتى تحدث المقارنة وتكون الاستكانة .

وأستطيع - من وجهة نظري - أن أقول - وأنا مطمئن - بأن دهاة الصليبيين قد مارسوا أساليب من أساليب الدعاية في حملاتهم تلك :

الأسلوب الأول : أسلوب الترهيب بما أشاعوه من قتل وتعذيب وحرق وتدمير أثناء غزوهم البلاد التي اغتصبوها ، وقد بلغ هذا الأسلوب ذروته عندما دخلوا بيت المقدس وحولوه إلى مخاضة من دمـاء المسلمين .

الأسلوب الثاني : أسلوب الترغيب بما تظاهروا به من عدل ورأفة بحال المسلمين الخاضعين لحكمهم إذا قيس بحال المسلمين الخاضعين لحكمهم وهم - مع الأسف - مسلمون ، وهذا الوضع الخطير كان يحمله الصليبيون بلاشك ويهدركونه تمام الإدراك .

وهذه المقارنة بين الحالين يمكن أن تكون جوابا لسؤال آخر يفرض نفسه علينا :

- لماذا امتد الفزرو الصليبي في قلب الأمة الإسلامية ماثتي عام  
ونيفا ؟

- إن المرء ليذهل حقا عندما يقرأ أن الفلاحين الخاضعين لحكم  
الصليبيين كانوا يعيشون في رغد وراحة بال ، لأن هؤلاء الحكام قد  
اكتفوا بأخذ نصف محصولهم الزراعي فنعموا بعيشهم وسعدوا بعد أن  
بقي لهم نصف المحصول .

هذا على الجانب الصليبي ، فاعاد على الجانب الآخر حيث  
الحكام المسلمون والفلاحون الخاضعون لحكمهم .

لو أن هؤلاء الحكام المسلمين أخذوا من الفلاحين الخاضعين  
لحكمهم مثل ما أخذ الحكام الصليبيون لسعد الفلاحون بحالهم ، لكن  
ذلك لم يحدث ، ومعنى هذا هو أن الحكام المسلمين كانوا يأخذون  
بلا حساب أو حدود ، وحين وجد الناس أنفسهم في غنك ويؤس ، لم  
يتقاطوا مع حكاهم عندما تعرضوا للفزرو ، ولم يتجاوبوا معهم عند ما  
طلبوا منهم الجهاد من أجل مقاومة الصليبيين . ذلك لأنهم وجدوا  
هؤلاء الفزرة أرحم بهم من حكاهم المسلمين بالرغم من أن ذلك كان  
من باب الدطية والخداع والفتنة .

شأنهم في ذلك شأن أي محتل في أي زمان ومكان .

حقا إن الجهاد فريضة . . لكن في مثل هذه الظروف ، هل  
ينتظر أن يتقدم الناس بصدق إلى الجهاد ، وأن يقفوا وراء حكاهم  
الذين يسلبونهم كل شيء ولا يبقون لهم إلا الفتات ؟

هل يفكر في الجهاد من يعيش حياته مجاهدا في سبيل اخفاء  
قوته وقوت هماله عن أعين الحاكم حتى لا يسلبه إياه ؟

إن الذي يصادر الحاكم أمواله وأملاكه دون وجه حق ، ولا يبقى  
له من شرة جهده وعرق جبينه ما يفتات به يكون أكثر استعدادا للثورة

عليه ، بل والخيانة أيضا إذا وجد أن ذلك سيسفئ غليله من ظالمه  
وسالب أرزاقه ( ١ ) .

لقد رأينا كيف خان " نيروز " قائده " ياغي سيان " حاكم  
" أنطاكية " وسلم " برج الأختين " للصليبيين عندما غزوا " أنطاكية "  
ما ساعدهم على دخولها ، واقد ذكر بعض المؤرخين الأسباب التي  
دفعت " نيروز " أن يفعل فعلته ، وتتلخص في أن " ياغي سيان " قد  
صادر بعض أموال " نيروز " وأخذ غلته ( ٢ ) .

ويؤكد رجال الإعلام على أن هناك علاقة موضوعية بين أحوال  
الرأى العام وبين نظام الحكم وبخاصة الاستقرار والاستمرار ، وتفسير  
الحكام بأسلوب منظم ومشروع .

ولا شك في أن أحوال المسلمين أثناء الحروب الصليبية كانت  
مرتبطة ارتباطا وثيقا بالأحوال السياسية التي كانت سائدة في المنطقة  
العربية وهي أحوال كانت في غالبيتها سيئة دون شك .

لقد كان أمرا طبيعيا أن يقع الظلم على الرعية من حكام لا هم  
لهم إلا الصراع على السلطة والاستحواذ عليها عن أى طريق ، ثم  
اهتبال الفرص للشراء من أموال الناس قهرا وغمبا ( ٣ ) .

لم يعد خافيا على أحد أن الصليبيين قد استفادوا كثيرا  
من التشتت الإسلامى واختلاق الكلمة وتفرق الأهواء وذهاب الريح  
وكذلك استفادوا من الحروب الداخلية بين الحكام والأمراء المسلمين  
حتى استطاع الصليبيون أن يحتلوا القسم الأكبر من الساحل السورى  
بدءا من " أنطاكية " فى الشمال حتى حدود مصر ، وأن يؤسسوا  
أربع إمارات هى :

مملكة القبر المقدس ، وإمارة طرابلس ، وإمارة أنطاكية .

- 
- ( ١ ) اكن ذلك لا يعنى تبرير هذا السلوك ، فالخيانة جريمة فى كل الأحوال  
( ٢ ) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ١٩٧ .  
( ٣ ) د . أنيس قاسم : تأملات فى الاحتلالين الصليبيين والصهيونى ص ٨٦ .



وامارة الرها . ومع وجود تلك العوامل الكثيرة السابقة ، فقد وجد عدد من الخونة كان يساعد الصليبيين الغزاة ضد المسلمين كما رأينا .

كل ذلك كان مرجعه إلى ما وصل إليه أمراء المسلمين وقادتهم من خلافات أدت إلى تشتت الرأي العام الاسلامي وتمزقه . الأمر الذي استفاد منه الصليبيون كثيرا ، فكانوا يتحالفون مع هذا ضد ذاك حتى يربحوا من الطرفين ، في الوقت الذي وقفت فيه بقية البلاد الإسلامية موقف المتفرج من هذا الغزو المحموم .

ولقد بلغ الأمر بأحد الحكام المسلمين وهو " رضوان " أمير حلب أن يتحالف مع " تنكريد " القائد الصليبي ضد الأتراك المسلمين الذين جاءوا وتلبية لنجدته ، لكن سرعان ما خاف منهم لكثرتهم ، وبدأ يحسب حسابا لخطرهم ، ولم يلبث " رضوان " أن أغلق في وجه المسلمين " أبواب البلد ولم يجتمع بهم " ( ١ ) .

هذا في الوقت الذي تعاون فيه الفاطميون في مصر مع الصليبيين حول " أنطاكية " ضد المسلمين ( ٢ ) كذلك وقفت الخلافة العباسية موقفا سلبيا من هذا الغزو المائل على الأمة الإسلامية .

بالإضافة إلى ما تقدم لم يقدر للسلاجقة مطلقا أن يتحدوا جميعا لمواجهة الخطر الصليبي بالرغم من القرابة التي تجمع بين فرعي بني سلجوق وهما :

سلاجقة الروم وسلاجقة فارس والشام .

وهكذا شاء حسن حظ الصليبيين أن يواجهوا كل فرع من بني سلجوق على انفراد ، مما مكسبهم من إنزال الهزيمة بكل بهت من بيوتهم على حدة ، ويهدوا أن وفاة السلطان " ملكشاه " كان إيذانا بتفكك إمبراطورية السلاجقة . ذلك أن السلطان " ملكشاه " كان له ثلاثة أبناء

( ١ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٨ ، ص ٦٣ ، حوادث ٥٠٥ هـ .

( ٢ ) المصدر السابق : ج ٨ ، ص ١٨٦ ، حوادث ٤٩١ هـ .

أشقاءهم : بركياروق ومحمد وسنقر ، علاوة على ابن آخر يدعى محمودا من زوجة أخرى ، وكان في الخامسة من عمره عندما توفي أبوه وسرعان ما دب النزاع بين بركياروق وبين أخيه من أبيه محمود . وظل هذا النزاع بينهما مشتتلا حتى توفي محمود ٤٨٧هـ / ١٠٩٤م فاتجه بركياروق في الحال إلى أسيهان فدخلها وملكها ( ١ ) .

لكن الخطر الأكبر الذي هدد " بركياروق " جاءه من ناحية عمه " تتش " الذي لم يرض عن التنظيم الذي أجراه أخوه " ملكشاه " في بلاد الشام ١٠٨٦م ففي الوقت الذي كان " تتش " يؤمل أن تكون الشام كلها من نصيبه ، إذا بالسلطان " ملكشاه " يعطى حلب لحاجبه " آق سنقر " ، وهذا لم يبق لتتش سوى دمشق وأواسط الشام ( ٢ ) .

لذلك لم يكف " تتش " بسمع بوفاة أخيه " ملكشاه " حتى أسرع إلى الاستفادة من حالة الفوضى وعدم الاستقرار التي أسست فيها الدولة السلجوقية لتحقيق مطامعه بالاستيلاء على ما في أيدي أبناء أخيه عن طريق الصراع الدموي بين المسلمين في الوقت الذي كانت فيه الحروب الصليبية تدق عليهم الأبواب بسعاريها المحموم .

استمرت الحال هكذا بين قادة المسلمين وأمرائهم ، كل يكمد للآخر ويجهز الجيوش تلو الجيوش لقتاله من أجل مزيد من الأرض ومزيد من الجاه والسلطان .

والرأي العام الإسلامي في حالة من السلبية المطلقة لا يعنى ما حوله شيئا ولا يتحرك لمواجهة الأخطار التي تهدده ، في حين يصل الرأي العام النصراني إلى قمة إيجابيته ، ويتحرك بكل قوته نحو القضاء على الإسلام وأهله .

وهكذا لم تحل ٤٨٩هـ / ١٠٩٦م إلا كانت دولة السلاجقة قد انقسمت إلى خمس ممالك متنافسة هي :

( ١ ) د . سعيد عبد الفتاح طاشور : الحركة الصليبية ج ١ ، ص ١٠٧ .

( ٢ ) المرجع السابق ج ١ ، ص ١٠٧ .

سلطنة فارس " أصبهان " وعلى رأسها السلطان " بركياروق " نفسه الذى كانت له السيطرة على بغداد .

• سلطنة خراسان وما وراء النهر وعلى رأسها " سنقر " .

• سلطنة حلب وعلى رأسها " رضوان بن تتش " .

• سلطنة دمشق وعلى رأسها " دقاق بن تتش " .

• وأخيرا سلطنة سلاجقة الروم وعلى رأسها " قلج أرسلان " ( ١ ) .

وليت الانقسام والانحلال الداخلى فى دولة السلاجقة قد وقف عند هذا الحد ، بل حدث ٤٩٢ هـ / ١٠٩٩ م والقدس الشريف تدنسه أقدام الصليبيين ، والمسجد الأقصى تزويه دماء المسلمين أن شار محمد تبر على أخيه " بركياروق " واشتعلت بينهما الحرب جارية أمامها مزهدامن دماء المسلمين وأشلائهم محطمة كل أمل فى وحدة القوى الإسلامية ووقوفها صفا واحدا أمام الغزو الصليبي للعالم الإسلامى .

ولقد استمرت هذه الحرب الطاحنة بين الأخوين خمس سنوات حيث انتهى الأمر بينهما بالصلح ٤٩٧ هـ / ١١٠٤ م ، فاحتفظ بركياروق بأصبهان وفارس وهراق العجم على أن تكون السلطنة له ، وأخذ محمد تبر أذربيجان وأرمينية وديار بكر والموصل والشام ( ٢ ) .

وإذا كانت هذه الحرب بين الأخوين قد دامت خمس سنوات أثناء الغزو الصليبي ، فكيف لا ينتصر الصليبيون انتصارهم الذى توجت به باستيلائهم على القدس الشريف ، ودخولهم المسجد الأقصى منتصرين فى الوقت الذى تدور فيه رحى القتال بين المسلمين طاحنة بين فكيف كل المظاهر الإيجابية للرأى العام الإسلامى آنذاك .

( ١ ) المرجع السابق : ج ١ ، ص ١١١ .

( ٢ ) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ج ٨ ، ص ٢٢٠ ، حوادث ٤٩٧ هـ .

٣ - الفاطميون في مصر يمزقون الرأي العام بعقائدهم الفسالة :

ما كان لاجملات الصليبية أن تنال ذلك القسط من النجاح الذي  
أحرزته عندما انطلقت على العالم الإسلامي في شعار محموم تحتل ماتشا  
والمسلمون يتقهقرون أمامهم فأغريهم أفواههم من هول المفاجأة وسرارة  
الصدمة التي أصيبوا بها سواء منهم من كان على أرض المذبحة التي  
أحدثها الصليبيون في الشام وفلسطين ، أو من كان منهم بعيداً عن هذه  
الأرض ، كالدولة الفاطمية في مصر أو غيرها من بلاد المسلمين المنكوبة  
آنذاك بحكامها المتكالبين على سلطان زائف أو قطعة من طين .

من أجل ذلك طرحوا عقيدتهم الإسلامية خلف ظهورهم ،  
وانغمسوا في تلك الصراعات التي أخذت تنخر في عظام الأمة وتجعل من  
الرأي العام رماداً تذروه الرياح كالذي حدث أمام الغزاة الصليبيين .

ولقد رأينا كيف أن تمزق الرأي العام الإسلامي كان نتيجة لما  
سار الأمة الإسلامية من خلافات .

ورأينا أيضاً كيف احتل الصليبيون القديس الشريف ، وحولوه إلى  
بركة من دماء بيننا المعارك الطاحنة تدور رحاها بين محمد بن ملكشاه  
وأخيه " بركياروق " ترى لو أن هؤلاء القادة والأمرأء اتحدوا جميعاً  
تحت راية واحدة ، ووقفوا جميعاً عقيدة واحدة أمام هؤلاء الغزاة ، أكان  
حدث للمسلمين ما حدث لهم آنذاك ؟

إنني أطرح هذا السؤال وأعلم تماماً أن التاريخ لا يقوم على  
مجرد افتراضات ، وإنما يقوم على الواقع الذي حدث بالفعل .

ولقد ظل هذا السؤال مجرد سؤال افتراضي بلا جواب واقعي  
إلى أن أدرك بعض المخلصين من قادة المسلمين السراكمسن وراء  
الهزيمة والنصر ، فأخذوا على عاتقهم العودة بالمسلمين إلى العمل

بشريعة الله ، وبعث فریضة الجهاد بين أفراد الأمة من جديد فسار  
النصر في ركابهم .

وكان على رأس هؤلاء المخلصين من قادة المسلمين " عماد الدين  
زنكى " الذى نزع بانتصاراته على الصليبيين الخوف والتردد ، وأعاد الثقة  
إلى النفوس المتشككة فى النصر ، ولقد توج الشهيد ( عماد الدين زنكى )  
جهادة باستيلائه على مدينة " الرها " التى جاء سقوطها " ايذانا بترنح  
البناء الصليبي الكبير الذى نجحت الحملة الصليبية الأولى فى إقامته  
بالشرق " ( ١ ) .

وعلى أثر سقوط مدينة " الرها " فى أيدي المسلمين تحرك الغرب  
النصراني ، لما لهذه المدينة من مكانة فى تاريخ النصرانية ، ولأنها  
كانت أول إمارة أسسها الصليبيون فى الشرق وما لبث أن أسفر هذا  
التحرك النصراني عن الزحف إلى العالم الإسلامى مرة أخرى فيما عرف  
" بالحملة الصليبية الثانية " .

ثم جاء بعد ذلك " نور الدين محمود الذى سار على درب أبيه ،  
حاملًا راية الجهاد ضد الصليبيين حتى استطاع أن يكمل لهم الصاع  
صاعين ، ويستولى على العديد من الحصون والقلاع والمدن ، ويهاجم  
" أنطاكية " سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م ، ويأسر " جوسلين الثانى " سنة  
٥٤٦هـ / ١١٥١م ، ويستولى على بلاد ( ٢ ) .

ثم يأتى بعد ذلك صلاح الدين الأيوبي لتكتل به إجابة السؤال  
الافتراضى بعد ثمانية وثمانين عاما ، وهى الفترة التى وقعت بين استيلاء  
الصليبيين على بيت المقدس عام ٤٩٢هـ / ١٠٩٩م ، وتحريره على يد  
صلاح الدين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٧م ، وبذلك يكون " عماد الدين  
زنكى " ، وابنه " نور الدين محمود " ومن بعدهما " صلاح الدين  
الأيوبي " قد اشتركوا جميعا أبطالاً ودعاة فى وضع الصيغة الواقعية على

( ١ ) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٦٠٥ .  
( ٢ ) د . فايد حماد محمود عاشور : جهاد المسلمين فى الحروب الصليبية ،

السؤال الافتراضى الذى طرحته ، وان كان قد قدر لصالح الدين الأيوبي أن يتوج جهاد المسلمين بما حققه من انتصار على الصليبية وطفاتها فى " حطين واستيلائه على بيت المقدس بعدها بتقليب ، فانه بذلك يكون قد وضع نهاية هذه الإجابة التى أصبحت بمعده تاريخا لا افتراض فيه وحقيقة لاتقبل الجدل أو المراء .

إن الأحداث الكبار التى تغير وجه التاريخ دائما تحتاج إلى قادة هم فى الحقيقة أكبر من هذه الأحداث ، لأنهم اولم يكونوا كذلك لعجزوا عن تحقيقها ، ولما غيروا وجه التاريخ بأحداثهم الكبار . لذلك لم يستطع أى من قادة المسلمين أن يفعل شيئا أمام الزحف الصليبي عندما بدأ على العالم الإسلامى ، لأن غالبية هؤلاء القادة كانوا فى شغل شاغل عن تلك الأحداث ، لقد شغلوا بأنفسهم فذاقوا وبال أمرهم .

ولم يكن الوضع فى مصر الفاطمية فى ذلك الوقت أفضل من الوضع الذى كانت عليه بلاد الشام عند بدء الحملات الصليبية . وكان من نتيجة ذلك أن عم الفساد واستشرت الفوضى فى مصر الفاطمية .

" لقد عرفت مصر فى العهد الفاطمى من الشدة والضيق ما لم تعرفه فى عصورها كلها ، وان ما يعرف بالشدة المستنصرية وحده لكفىل بإبراز هذه الحقيقة ، وان حوليات هذه الفترة التى حكم فيها المستنصر بالله الفاطمى ( ٤٢٧هـ - ٤٨٧هـ ) لحافلة بأبشع صور الضيق التى أطلق عليها ( الشدة العظمى ) والتى أكل فيها الناس بعضهم بعضا ، وأكلوا أولادهم وأكلوا الحمير ، والكلاب ، وبيع الرغيف بمائة ديناره ، وان ما أنفقوه على المظاهر والأحفال والمزارات والقصور - من مال الأمة ليس دليلا على الرخاء ، بل هو دليل على السفه والاستغلال البشع ، والنظر إلى أموال الأمة على أنها أموال لهم ، ولمن يقدسهم ويتبرك بهم ويؤمن ( بحقهم الالهى ) فى التصرف فى الأمة تصرفا أقسرب

ما يكون الى ( البابوية ) في العصور الوسطى \* ( ١ ) .  
جاء هذا الوصف لحالة مصر في عهد الفاطميين قبيل بدء الحملات  
الصليبية على العالم الاسلامي بخمس سنوات تقريبا .  
فكيف لأمة هذا شأنها وهؤلاء حكامها أن تكون لها القدرة  
على صد تلك الحملات أو الوقوف في طريقها . ؟  
ومن الغريب في أمر الفاطميين : إبتارهم لليهود والنصارى  
في أخطر منصب لديهم وهو منصب الوزارة ، بحيث ارتبط هذا  
المنصب الخطير بهم . . بل إن ( داعي الدعوة ) لهم في بعض  
العصور كان من النصارى ، وذلك فضلا عن رجال الضرائب والكتابة  
والدواوين ( ٢ ) .

وعندما تولى " العزيز أبو منصور نزار بن المعز " الخلافة  
فترة تقرب من واحد وعشرين عاما ( ٣٦٥هـ - ٣٨٦هـ ) أخذ عن  
والده ( المعز ) الإسراف في المواسم ، والتنظيم الدقيق للمهرجانات  
وعند الخروج للجامع والأعياد ، وكان يعتمد على غير المسلمين في  
إدارة البلاد ، فعين على ديوان الكتابة ( مجلس الوزراء ) نصرانيا  
اسمه : ( عيسى بن نسطورس ) النصراني ، كما عين يهوديا عنه في  
الشام هو : ( منشا فاعستز ) ، ما دفع النار إلى دفع من يكتب إليه :  
" بالذي أعز اليهود ( بمنشا ) والنصارى ( بعيسى بن نسطورس )  
وأذل المسلمين بك الا كشفت ظلامتي ، وكان اذلك أثره في إضعاف  
هيبة الدولة التي أخذت في اثاره النعرات الطائفية ، لاسيما وأن  
الفاطميين قد انتحلوا لأنفسهم صفة " الخليفة " ما أحفظ عليهم  
رجال السنة الذين يطلبون مواصفات محددة للخلفاء . ( ٣ )

- 
- ( ١ ) أبو عبد الله محمد بن علي بن حماد : أخبار ماوك بنى حميد وسيرتهم  
( تحقيق ودراسة : د . التهامي نقره ، د . عبد الحلیم عويـس )  
دار العلوم بالرياض ١٤٠١هـ .  
( ٢ ) المرجع السابق : ص ٢٧ .  
( ٣ ) بسام العسيلي : صلاح الدين الأيوبي ، ص ٦٠ .

وإذا تردى الوضع بالحكام إلى الدرك الأسفل ، فلا يستغرب منهم أى وضع يمكن أن يتخذوا منه ذريعة يتذرعون بها أمام بقائهم فى مناصبهم ، وليس بمستبعد على هؤلاء الحكام وأمثالهم أن يصل بهم الأمر إلى أن يخونوا الله ويخونوا آماناتهم ، وأن يتطاولوا بالصليبيين لعقد صفقة معهم ضد الإسلام والمسلمين ، فلا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

حدث ذلك حول " أنطاكية " فى الحملة الصليبية الأولى ، والسلاجقة يقفون حائلا دون استيلاء الصليبية عليها ، وهنا المعارك دائرة حول " أنطاكية " بين السلاجقة والصليبيين إذ " بالأفضل شاهنشاه بن بدر الجمالى " يوفد من مصر فى شهر صفر ٤٩٢ هـ - يناير ١٠٩٨ م سفارة إلى الصليبيين وهم أمام " أنطاكية " بقيت شهرين ، تحمل مشروع اتفاقية تعقد بينهم وبين مصر ، تستقل فيها مصر بيت المقدس وينفرد الصليبيون بأنطاكية ، على أن يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة بفلسطين ، وتكون لهم الحرية الكاملة فى ممارسة شعائرهم الدينية ، على ألا تزيد إقامتهم بها أكثر من شهر واحد ، وألا يدخلها بسيوفهم . ومهما يكن من أمر هذه الوفاة فقد لقيت من الناحية النظرية ترحيبا كبيرا من جانب الصليبيين الذين أدركوا ما تطوى عليه من معنى الانحلال العنيف ، والفرقة السائدة فى المجتمع الإسلامى ، رغم أن الأحداث الطمة ببعض نواحيه كانت تستدعى تناسى الأعتاد والخلافات المذهبية والسياسية ، وتتطلب تضامرا للجهود لدرء الخطر المشترك . ( ١ )

واقدر كانت هناك عوامل كثيرة دفعت الفاطميين فى مصر إلى التخاذل عن هذا المسلك الذى يأباه الله ورسوله والمؤمنون . وكان على رأس تلك العوامل ما تعلق منها بالمذهب الفاطمى نفسه ، وموقفه الرافض لمذهب أهل السنة والجماعة .

( ١ ) د . حسن حبشى : الحرب الصليبية الأولى ، ص ١٢٧ ، ١٢٨ .



وقد ترتب على تلك العوامل العقديّة عاملان :

١ - اعتقاد الدوّة الفاطمية في مصر بأن انتصار الصليبيين في أنطاكية\* وقرب حلب\* و" المعرة\* و" البارة\* يعتبر مانعاً للسلاجقة من محاولتهم التوسع جنوباً ، مما يزيد اقترابهم من حدود مصر والأملاك المصرية ، وكان " الأفضل بن بدر الجمالي\* يرى أن مهمة الصليبيين تنتهي عند بيت المقدس . غير أن الواقع يدل على أن الصليبيين كانوا يدركون تمام الإدراك أن ليس ثمة عقبة في سبيلهم للاتجاه نحو مصر بعد فتح القدس ، لأنهم يعلمون ما بين الخلفتين العباسية والفاطمية من الشقاق والكراهية ( ١ ) .

٢ - ضعف الدولة الفاطمية الذي دفع الفاطميين إلى مهادنة الصليبيين والتعامل معهم كما رأينا في السفارة الفاطمية الأفضلية ، وبذلك تكون الدولة قد فقدت ذريعة وجودها ( داخليا وخارجيا ) ، ولم يبق إلا الاجهاز عليها ، ولكن ذلك كان متعذرا بسبب قسوة التنظيم العسكري الذي اعتمده وزراء الفاطميين وأجهزة الدولة (٢) ولم يعد للخليفة سوى الدعا له وفق الأسلوب المعتاد منذ عهد الخليفة الحافظ أبي الميمون عبد المجيد (٢٢٤-٢٤٤هـ) - (١١٣٠-١١٤٩م) ، وما يوضح به\* مدى تعلق الدولة واهتمامها بالشكل الخارجي دون المضمون الدعا\* التالي :

\* أصلح الله من شهدت به الدين بعد دثوره ، وأعززت به الإسلام بأن جعلته سببا لظهوره ، مولانا وسيدنا إمام العصر والزمان ، أبا الميمون عبد المجيد الحافظ لدين الله ( صلى الله عليه وسلم ) وعلى آباءه الطاهرين ، حجج الله على العالمين\* (٣) .

(١) المرجع السابق : ص ١٢٧ .

(٢) بسام العسلي : صلاح الدين الأيوبي ، ص ٦٢ .

(٣) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٢٣٧ .

وفي مثل هذا الجو الذي كانت تنبعث منه رائحة الضعف والتهزق على جميع الجبهات ، انطلقت الحروب الصليبية لتكتسح أمامها معاقل المسلمين وبلادهم ، وكأنها قطعة من جبن وقعت تحت سكين حمار ، وام يكن ذلك الأمر يدعو إلى العجب لأنه كان نتيجة حتمية أمام عالمين اجتمعا معا ، وكأن كلا منهما كان لا بد له من الآخر حتى تتحقق مأساة العالم الإسلامي باجتماعهما ، وهذان العاملان يتأخران في تهزق العالم الإسلامي ، والرغبة الجامحة التي استحكمت ادى الأمة النصرانية لاسترداد ما أخذته الاسلام منهم على مر العصور ، ولقد استمر النصراني يتربص الفرصة المتيحة والزمن المناسب حتى جاءت نهاية القرن الخامس الهجرى ، فكانت أحسن الفرص للانتهاز والانقضاض .

ولكن الله سبحانه الذى يتمتع هذه الأمة بشئى صنوف المحسن حتى يميز الغيبى من الطيب هو سبحانه الذى يقيض لهذه الأمة فى كل زمان ومكان من الرجال الذين يجدون تحت راية التوحيد دينها ، ويسيدون لها تحت راية الجهاد عزها ، ويعذبون بأيديهم وأبصارهم المؤمنين من فرط فى دين الله من هؤلاء القادة أمثال : ( الحافظ أبى ميمون عبدالمجيد ) من يابسون لباسا غير لباسهم ، وينسبون لأنفسهم أنسابا غير أنسابهم .

إن هؤلاء القادة من الصعب عليهم ، بل قد يكون من المستحيل أن يهدى الله على أيديهم رجلا واحدا ، فى الوقت الذى قد يكونون فيه سببا من أسباب ضلال الأمم وهلاكها ، أما هؤلاء الذين لا يابسون إلا أقل من لباسهم ، ولا ينسبون لأنفسهم إلا أقل من أنسابهم ، فأولئك هم المهتدون الذين يهدى الله على أيديهم الأمم ، وينصرهم نصرا عزيزا .

وأذكر من هؤلاء - على سبيل المثال ، ومن باب المقارنة وذكر الشئى بنقيضه - القائد " نور الدين محمود " الذى تلقى يوما من بغداد هدية تشريف عماسية ومعها ( قائمة ) بألقابه التى كان يذكر بها على منابر بغداد وهى : " اللهم أصلح المولى السلطان الملك

العدل العالم العامل الزاهد العابد الورع المجاهد المرابط  
المشاعر نور الدين وعدته ، ركن الإسلام وسيفه ، قسيم الدولة وعمادها  
اختيار الخلافة ومعزها ، رضى الإمامة وأشيرها ، فخر الأمة ومجدها  
شمس المعالي وطنكها ، سيد ملوك المشرق والمغرب وساطانها محسن  
العدل فى العالمين منصف المظلوم من الظالمين ناصر دولة أمير  
المؤمنين .

لكن نور الدين أسقط جميع الألقاب وطرح دعاة واحدا يقول :  
" اللهم وأصاح عبيدك الفقير محمود بن زكى " ( ١ ) .

وفى ميدان الجهاد عندما يبرز الإيمان كاه إلى الكفر كله ،  
يقف القائد المؤمن تقيا نقيما أمام ربه منتظرا لقاءه بين لحظة وأخرى ،  
وإيس فى قلبه غير الضراعة والدعاء إلى الله أن ينصر دينه ومعز  
أولياءه ، وأن يخذل المشركين ويذل أعداءه .

لا يطلب من وراء ذلك سلطانا ولا جاها ، ولا عزا ولا مالا ، إنما  
يطلب من ربه أن يرزقه إحدى الحسينين : النصر أو الشهادة .

عندما التقت قوات القائد الذى اتخذته مثلا " نور الدين محمود "  
بالصليبيين فى " حارم " وكانوا يفوقون قواته عدة وعددا ، انفرد نور الدين  
تحت تل ( حارم ) ، وسجد لربه عز وجل ، ومرغ وجهه وتضرع وقال : " يا رب  
هؤلاء عبيدك وهم أولياؤك ، وهؤلاء عبيدك وهم أعداؤك ، فانصبر  
أولياؤك على أعدائك . ايتى فضول محمود فى الوسط ؟ ( أى بين هؤلاء  
وهؤلاء ) ويقول أبو شامة : يشير نور الدين هنا إلى أنك يا رب إن نصرت -  
المسلمين فدينك نصرت ، فلا تمنعهم النصر بسبب محمود إن كان غير مستحق  
للنصر . ويدعى أنه قال : اللهم انصر دينك ولا تنصر محمودا . من هو محمود حتى  
ينصر " ( ٢ ) .

وانتصر نور الدين محمود على قوات العدو التى كانت تفوق قواته عدة  
وعددا ، انتصر لأنه استحق النصر من عند الله ، وانتصر لأن الله سبحانه  
وتعالى أراد للمسلمين أن ينتصروا على يديه حتى يروا الحق حقا فيتمتعوه  
ويروا الباطل باطلا فيجتنبوه .

( ١ ) ابن قاضى شهبه : الكواكب الدرية فى السيرة النورية ، ص ٦٨ ، ٦٩ ، تحقيق :

محمود زايد ، دار الكتاب الجديد ، بيروت ١٩٧١ م .

( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ١٣٤ .

## الفصل الثاني

الركائز الإسلامية التي اعتمد عليها المسلمون في تعيبتهم الإعلامية ضد الصليبيين

أولا : مرحلة انعدام الرؤية وتمثل عدم الوضوح في الاعتقاد على الركائز الإسلامية الثابتة :

- ١ - التصوف والزهد في الدنيا هربا من المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين .
- ٢ - ترك الجهاد والاستعاضة عنه بالاعتكاف في المساجد والعبادة وتلاوة القرآن الكريم دفعا للخطر الصليبي .

ثانيا : بداية وضوح الرؤية والانطلاق من الركائز الإسلامية في عهد عماد الدين زنكي ونور الدين محمود .

ثالثا : مرحلة الوضوح الكامل للاعتماد على الركائز الإسلامية في التعبئة الإعلامية

- ١ - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .
- ٢ - المسجد والعودة به الى ما كان عليه في صدر الإسلام .
- ٣ - موسم الحج واستغلاله في الدعوة إلى الجهاد .

أولا : مرحلة انعدام الرؤية وتمثل عدم الوضوح في الاعتماد على الركائز الإسلامية الثابتة :

بدأت الحملات الصليبية زحفها على العالم الإسلامي وكان هذه الهداية كانت على موعد مع عوامل الضعف والتمزق التي أحاطت بالمسلمين من كل جانب ، وجعلته يعيش في حالة انعدام في كل شيء .

ويشير أحد المؤرخين إلى أن الصليبيين لو تقدم مجيئهم فشر سنوات ، أو تأخر قدمهم عشر سنوات ، لقتل بهم المسلمون إلى البحر وذلك بسبب ما كان عليه السلاجقة زمن " ملك شاه " من القوة والناعية ، وما كان للفاطميين من قوة بحرية وصكرية ضخمة ، ثم بسبب ما حدث بعدئذ من النزوع إلى توحيد العالم الإسلامي ( ١ ) .

لقد فوجئ العالم الإسلامي بتلك الحملات التي هزته هذا هزيفا فاستيقظ من سباته ليجد نفسه فارقا في بحار من دماء " أهناك الأبرياء " ، ولكن صف الصدمة التي جعلته يترنح لم تدع له فرعة للتفكير السديد في جو من وضوح الرؤية ، والاعتماد على الركائز الإسلامية الثابتة التي تقوده حتما إلى النصر .

ونتيجة لذلك انتشرت المفاهيم الخاطئة لعامة الدين الحنيف بين المسلمين ، وهم التطرف والغلو والانحراف بين العديد من الطبقات وكان من أبرز تلك المفاهيم الخاطئة والمعتقدات الباطلة التي ظهرت بين المسلمين آنذاك :

١ - التصوف والزهد في الدنيا هربا من المشاركة في الجهاد :

احترف جماعة من الناس حياة الزهد والتصوف والانقطاع عن الناس رفضا للحياة وما فيها ، ومع انتشار هذا المفهوم الخاطيء للدين الحنيف ازداد عدد هؤلاء المتصوفة المنقطعين عن حياة الجهاد

( ١ ) " أرنست باركر : الحروب الصليبية - ترجمة د . السيد الباز العربي ص ١٥٣ ( دار النهضة العربية - بيروت - ط ٢ ) ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م

وحرب الأعداء ، وأصبحت "التكيا" بديهة جديدة باهتة بين الناس وبين واجبهم نحو دينهم ونحو أوطانهم بل نحو أنفسهم ، وشيئا وراءه من أخذ هؤلاء المتصوفة يدعون ما ليس لهم ، ويهدون في الدين ما ليس منه ، ومن هذه "التكيا" انطلقت أصواتهم بقراءة القرآن طلبا لهزيمة الأعداء ، وقراءة البخاري رغبة في الانتصار على الصليبيين ، كأن النصر يأتي مع القعود وكان الأعداء ينهزمون بمجرد الدعا عليهم ، وما كان ذلك هدى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرب أعدائه ، وإنما كان يجاهد في سبيل الله معدا لعدو الله ما استطاع من قسوة مواجهها لعدوه بعدة وهديد ، ورجال مؤمنين مجاهدين بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله (١) .

ولقد امتد هذا المفهوم الخاطيء لمبادئ الدين الحنيف حتى شمل مراحل الحروب الصليبية بأسرها تقريبا .

ومن هؤلاء الذين رضوا أن يكونوا مع الخولاف الشامس "عرب بن علي" المعروف "بأبن الفارض" لقد كان ينظم القصائد الطوال لا في التحريض على جهاد الصليبيين ولا في البكاء على ما أصاب المسلمين ، ولا في مدح العاضلين في سبيل الدين ، بل في وصف الخمرة الالهية وما سيعده الله له من خير وحرور عين هذا في الوقت الذي أتقلت فيه نساء "الإفرنج" من مسافات طويلة لم يشتركن في القتال جنبا إلى جنب مع الرجال (٢) .

٢ - الاستعاضة عن الجهاد بالاعتكاف في المساجد والعبادة وتلاوة

القرآن دفعا للخطر الصليبي :

لم تقف المفاهيم الخاطئة والمعتقدات الباطلة بالمسلمين عند انتشار ظاهرة التصوف والزهد في الدنيا هربا من الجهاد ضد الصليبيين فحسب ، بل تعدت ذلك إلى ترك الجهاد

(١) د . علي عبد الحلیم محمود : الغزو الصليبي . . . والعالم الإسلامي ص ٢٥٥ .

(٢) محمد سيد كيلاني : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر

والاستعاضة عنه بالاعتكاف والعبادة اعتقاداً منهم بأن هذا يقربهم من الله زلفى ويفنيهم عن مناهب الكفاح ومشاق القتال ولكي يطمئنوا على أنفسهم ويضمنوا سلامة ذواتهم من أضرار الحرب بعيداً وقريباً كانوا يهاجرون إلى مكة ويتخذون من الحرم مكاناً يباشرون فيه نوطاً من "الرهبانة" ابتدعوها وحرصوا على ممارستها .

وقد كتب أحد المجاهدين من الشام إلى صديق له كان قد هرب من واجب الجهاد ، وأخْتَبَأَ في الحرم يتعبد على زعمه يقول :

يا طيب الحرمين لو أبصرتنا : لعلمت أنك في العبادة تطعب  
من كان يتعب خيله في باطل : فخيولنا يوم الكربة تتعب  
أو كان يخضب خده بدموعه : فنحورنا هدمائنا تتغضب  
ريح العبير لكم ونحن عبيرنا : رهب السنابك والغبار الأشهب  
ولقد أتانا من مقال نبينا : قول صحاح صادق لا يكذب  
لا يستوى وغبار خيل الله في : أنف أمري ودرخان نار تلهب (١)

لقد شاعت تلك المفاهيم الخاطئة لجهاد الإسلام الحنيف بين الناس حتى أثرت على عدد المجاهدين في سبيل الله ، فأخذ الكتاب يؤلفون الرسائل المتعددة والكتب المتنوعة في الحصص على الجهاد في سبيل الله ، وبذل النفس والنفيس في الدفاع عن العقيدة ودرح الأعداء .

ولقد عبّر "العماد الكاتب الأصفهاني" عن ذلك بأبلغ تعبير حيث قال :

" وهذا أوان تحرك زوى الحمية ، ونهوض أهل الهمم الأبهة العلية ، فإن القوم ( يعنى الصليبيين ) في كثرة ، ولا يقاظون

(١) المرجع السابق ، ص ٣٥ .

إلا بالكثرة . وهم مفتررون بعلوهم ، معتزون بفتوهم . فأين  
المؤدون فرض الجهاد المتعين ، وأين المهتدون في نهج  
الرشاد المتبين ، وأين المسلمون ؟ وحاشا أن يكونوا للإسلام  
مسلمين ، وأين المقدمون في الدين ؟ ومعان الله أن لا يكونوا  
في نصرته على الموت مقدمين " ( ١ ) .

ولقد استمر هذا المفهوم الخاطيء لمعنى العبادة والجهاد في  
الإسلام حتى أثناء غزو التتار للعالم الإسلامي ، ما جعل شيخ  
الإسلام " ابن تيمية " يحمل على هؤلاء الذين تركوا الجهاد  
ستعميذين منه بالاعتكاف والعبادة ، ولو أنهم اتخذوا من رسول  
الله صلى الله عليه وسلم أسوة لبدلوا ما وسعهم في تحريض  
المسلمين على الجهاد ولحطوا سيوفهم وخرجوا إلى ساحات  
الوفى ، لا سيما أنهم طاشوا في زمن تعرض فيه المسلمون لأشد  
أنواع البلاء .

---

( ١ ) العمدان الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٤٠١



ثانيا : بداية وضوح الرؤية والانطلاق من الركائز الإسلامية في عهد عماد الدين

زنكى ونور الدين محمود :

وقفنا على حال الأمة الإسلامية حينما فاجأتها الحملات الصليبية وهي أشبه ما تكون بالشخص النائم الذي دهمه خطر مفاجئ ، وطبعاً فإنها كانت شبه ممزقة في التعرف على ركائز المقاومة الحقيقية ، وبالتالي لا يستطيع أحد أن يقول إنها قد ظهرت لديها منطلقات حقيقية في هذه المرحلة ، لذلك لم تقابل هذه الحملات بالمقاومة الإسلامية التي تتفوق وخطورة هذا الزحف في حينه .

والرغم من ذلك فإن الباحث النصف لا يسمعه إلا أن يعترف بوجود بعض هذه المنطلقات وظهورها في الأمة فور إفاقتها من هول المفاجأة بل لقد برزت صور التفاعل مع المضامين القرآنية والأحاديث النبوية ، وصور الاستفلال الحقيقي للمسجد ولغيره من المؤسسات الإسلامية لتوجه الأمة وإرشادها ، وبعث فریضة الجهاد في النفوس من جديد .

ولقد كان عصر " عماد الدين زنكى " و " نور الدين محمود " أبرز في ظهور هذه المنطلقات من مرحلة الضياع التي سبقتها .

وإم تكن فترة " عماد الدين زنكى " مع الصليبيين إلا فترة جهاد متواصل لكسر شوكتهم وزعزعة مكانتهم من نفوس المسلمين ، خاصة وأنهم كانوا يعتقدون بهمهم وبين أنفسهم أن أحداً من المسلمين لن يستطيع النهل منهم ، ولكن " زنكى " خيب فآلهم ، وأبطل معتقدهم ، وأشعرهم بالهزيمة واليأس بعد شعورهم بالغلبة والأمل . يقول " ابن الأثير " معبراً عن ذلك حين حاصر " زنكى " قلعة " بعرين " بالقرب من حمص ، وكانت من أضع حصون الفرنج وأحصنها :

" وأما زنكى فإنه جد في قتال الفرنج ، فصبروا ، وقتلت عليهم الميرة والذخيرة ، فانهم كانوا غير مستعدين ، ولم يكونوا يعتقدون

أن أحدا يقدر عليهم ، بل كانوا يتوقعون ملك باقي البلاد بالشام ، فلما  
قلت الذخيرة أكلوا دوابهم ، وأزغنوا بالتسليم ، لئلا منهم ويتركهم  
يعودون ، فلم يجيبهم إلى ذلك " ( ١ ) .

وحول تلك القلعة الحصينة شدد " زنكى " الحصار على الصليبيين  
حتى الأخبار منعها عنهم ، فلم يسمعوا بأخبار النجدات التي كانت فى  
الطريق إليهم ، فى حين سمع " زنكى " بها ، لذلك قبل منهم التسليم ،  
وعندما خرجوا وسمعوا بأخبار هذه النجدات ندموا .

يقول ابن الأثير :

" فلما نزل " زنكى " على قلعة " بعرين " قاتلها وزحف إليها  
فجمع الفرنج فارسهم وراجلهم ، وساروا فى قضيهم وقضيضهم وطلوكهم  
وقماصتهم وجنودهم إلى أتابك زنكى ليرحلوه عن " بعرين " فلم يرحل  
وصير لهم إلى أن وصلوا إليه فلقبهم ، وقاتلهم أشد قتال رآه الناس ،  
وصير الفريقان ، ثم انجلت الواقعة عن هزيمة " الفرنج " وأخذتهم سيوف  
المسلمين من كل جانب ، واحتس ملوكهم بحصن " بعرين " لقربه منهم ،  
فحصرهم المسلمون ، ومنع أتابك زنكى عنهم كل شئ حتى الأخبار ، فكان  
من به منهم لا يعلم شيئاً من أخبار بلادهم لشدة ضبط الطرق وهيبته  
على جنوده " ( ٢ ) .

ثم نسمع بعد ذلك من الإلاميين من يتكلم عن مصطلح إعلامى  
حديث - كما يزعمون - أطلقوا عليه اسم " التعمية الإعلامية " ولا يذكر  
ذلك عن " زنكى " الذى طبق مثل هذه " التعمية الإعلامية " على  
الصليبيين فى عام ( ٥٣١ هـ / ١١٣٧ م ) .

ونسع أيضا عما يسمى " بالحصار الحديدى " الذى فرضه " ستالين "  
على الشعب السوفيتى حتى لا تتسرب منه أخبار أو تصل إليه أخبار أئمناء

( ١ ) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٨ ، ص ٣٥٨ .  
( ٢ ) المصدر السابق : ج ٨ ، ص ٣٥٧ ، ص ٣٥٨ .

عملية "غسيل المخ" التي أجراها قادة الشيوعية لشعبهم ، ولا نسمع  
من "الحصار الإسلامي" المحكم الذي فرضه "زنكي" على الصليبيين  
في قلعة "بعرين" حتى منع عنهم الأخبار وكان ذلك سببا في  
استسلامهم .

وزنكي حينما فعل ذلك إنما فعله تطبيقا لقوله تعالى :

" فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا  
لهم كل مرصد" (١) .

وهو أكد "ابن الأثير" هذا المعنى فيقول :

" فلما سمع "زنكي" بقرب ملك الروم من الشام واجتماعه بمن بقي  
من الفرنج أعطى لمن في الحصن الأمان ، وقرر عليهم تسليم الحصن  
ومن المال خمسين ألف دينار يحملونها إليه ، فأجابوه إلى ذلك فخرجوا  
وسلموا إليه ، فلما فارقوه بلغهم اجتماع من اجتمع بسببهم ، فندموا  
على التسليم حيث لا ينفعهم الندم ، وكان لا يصلهم شيء من الأخبار  
التهمة ، فلهذا سلموه " (٢) .

ويموت "عمار الدين زنكي" شهيدا في سبيل الله بعد أن بدأ  
مسيرة الجهاد والوحدة الإسلامية ، ومهد لمن جاء بعده طريق النصر  
النهائي على الصليبيين .

وينهض "نور الدين محمود" ليتسلم الراية من أبيه الشهيد ،  
ويكتسب نور الدين محمود أهميته لتفوقه في ميدانين :

أحدهما أنه حقق سلسلة من الانتصارات العسكرية والسياسية  
الهامة ضد الصليبيين ، وهز ذلك المنجزات السابقة التي حققتها  
المقاومة الإسلامية في مراحل ( البدايات ) والآخر - وهو الأخطر

---

(١) التوبة : آية ٥ .

(٢) ابن الأثير : الكامل ج ٨ ، ص ٣٥٨ ، حوادث سنة ٥٣١ هـ .

والأهم - أنه حقق بانقلابيته التي غطت جل مساحات الحضارة ، واستمداده من منابع الإسلام الأصيلة في القرآن والسنة ، الأرضية المناسبة التي تبعث ( المجاهد ) إلى الوجود وتمكنه من أداء دوره في أحسن ( الظروف ) وأكثرها قدرة على شحن طاقاته ( ١ ) .

لقد كان نور الدين نفسه طالما قبل أن يكون حاكماً ، وكان هذا نقطة البدء وحجر الزاوية . إن أمة يسوسها العلماء والمتخصصون يمكن أن تتسع وتزهو فيها شجرة المعرفة ، ويوم نرى هذه الشجرة تذبل وتذوى وتتفرض عنها أوراقها الصفراء ، فلنا أن نحكم بأن هنالك في القمة حفنة من الجهلاء ( ٢ ) .

أما القرآن فقد لقي عناية فائقة ، باعتباره نصاً يحفظ ويتلى في مناسبات كثيرة غير مناسبات الصلاة والعبادة ، أو للثقافة والدرس . وقد بلغ اهتمام الحكام بالقرآن الكريم وحفظه وتلاوته درجة كبيرة ، فقد بنى نور الدين محمود دوراً وأوقفها على قراءة كتاب الله عز وجل يسكنونها ( ٣ ) ولقد عرف نور الدين بشغفه بالعلم والمشتغلين به ، وحبسه للفقهاء وأهمها الحديث ، وكان لا يفتأ يجتمعهم في مجلسه ويستشيرهم في أمور الدين والحكم .

ومن وفد إليه من مشاهير الفقهاء في العصر " قطب الدين - النيسابوري - عام ٥٦٨ هـ " فسأله " نور الدين " وأنزله بحلب بمدينة باب العراق ، وبنى له مدرسة كبيرة للشافعية لفضله ( ٤ ) . وكان نور الدين محمود عارفاً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، ليس عنده تعصب ، وسمع الحديث وأسمعه طلباً للأجر ، وأما عدله

( ١ ) د . عماد الدين خليل : نور الدين محمود ، ص ٣ - دار العلم بيروت - ط ١ ( ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م ) .

( ٢ ) المرجع السابق : ص ١٣١ .

( ٣ ) ابن جبیر : رحلة ابن جبیر ، ص ٢٥٧ .

( ٤ ) د . محمد زغول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ٧٩ ( دار المعارف

بمصر ) ١٩٦٨ م .

فإنه لم يترك في بلاده على سعتها " مكسا " ولا " عشرا " بل أطلقها جميعا في مصر والشام والجزيرة والموصل ، وكان يعظم الشريعة ، ويقف عند أحكامها ، وأحضره إنسان إلى مجلس الحكم ، فمضى معه إليه ، وأرسل إلى القاضي " كمال الدين بن الشهرزوري " يقول قد جئت محاكما ، فاسلك معي ما تسلك مع الخصوم ، وظهر الحق له فوهبه الخصم الذي أحضره ، وقال أردت أن أترك له ما يديه إنسا خفت أن يكون الباعث لي على ذلك الكبر والأنفة من الحضور إلى مجلس الشريعة ، فحضرت ثم وهبته ما يديه " ( ١ ) .

هذا هو العدل الذي كان أحب شيء إلى نور الدين الذي أفنى عمره كله في قتال الصليبيين ، ولم يكن يقاتل دفا عن حلب أو دمشق أو الموصل ، وإنما كان يجاهد جهاد المسلمين دفا عن ديار الإسلام . أو أراد نور الدين أن يستريح في دولته لما تعرض له الصليبيون . كانت دولته تشمل شمال العراق والجزيرة وسوريا كلها وشرقي الأردن كله ، ولم يكن خارجا عنها في ديار الشام سوى الساحل وفلسطين ، ولكن نور الدين أمر بإعداد منبر للمسجد الأقصى يفعه فيه بعد إنقاذه من أيدي الصليبيين . وقد أمضى العطاء عشر سنوات في صنع ذلك المنبر ، وقد شهد صلاح الدين هذا كله وطم به ، فالمنبر الذي أقامه صلاح الدين في المسجد الأقصى بعد تحريره هو منبر نور الدين وهو المنبر الذي أحرقه العدو الصهيوني عندما أشعل النار في المسجد الأقصى . ( ٢ )

---

( ١ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ج ٩ ، ص ٢٥٠ .  
( ٢ ) د . أنيس قاسم : تأملات في الاحتلال الصهيوني والصهيوني ، ص ١١٠ .

ثالثا : مرحلة الوضوح الكامل للمصادر على الركائز الإسلامية في التعبئة الإعلامية

في عهد صلاح الدين :

١ - القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة :

كان القرآن الكريم ولا يزال هو المصدر الذي تعتمد عليه الدعوة الإسلامية في استقاء موضوعاتها ، وفي تحديد أساليبها ومنهجها ، ومنه تأخذ حججها وبراهينها . وهو الدعاة الرئيسة للدعوة الإسلامية .

والقرآن الكريم هو الدستور الشامل الجامع المنظم للشؤون المسلمين في الدنيا والآخرة ، مصداقا لقوله عز وجل : " ما فرطنا في الكتاب من شيء " ( ١ ) .

فهو الرسالة الإعلامية المقدسة ، معجزة الإسلام الخالدة ، والمصدر الأول للتشريع ، وهو الدعاة الرئيسة للإعلام الإسلامي ، وأهم عوامل نجاح الرسالة الإعلامية الإسلامية ( ٢ ) .

ولكى تتكون عملية إعلامية فلا بد أن يتوفر لها من الأسس والقواعد ما تنبنى عليه ، ويتحقق بها وجودها في الواقع .

فالركن هو الجزء من ذات الشيء لا يكتمل إلا به ، ولا يتحقق إلا بوجوده لكونه جزءا منه كالركوع والسجود بالنسبة للصلاة ( ٣ ) .

وهذه الأركان هي ذاتها التي يطلق عليها بعض الإعلاميين عناصر العملية الإعلامية ، والأركان أو العناصر هي أجزاء الموضوع

( ١ ) الأنعام : آية رقم ٣٨ .

( ٢ ) د . محي الدين عبد الحلیم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية ، ص : ١٦٢ ، ١٦٣ .

( ٣ ) د . حمادة نجيب : الإعلام في ضوء الإسلام ، ص : ١١٠ ، ( مكتبة المعارف - الرياض ) ط ١ ( ١٤٠٠ هـ ) .

الأساسية وأسسها التي لا بد منها ، وهذه الأركان أو العناصر  
هي :

- ١ - المرسل للرسالة الإعلامية .
- ٢ - الرسالة الإعلامية .
- ٣ - الوسيلة ، وهي التي تقوم بنقل الرسالة الإعلامية .
- ٤ - المستقبل ( بكسر الباء ) للرسالة الإعلامية .
- ٥ - الاستجابة للرسالة الإعلامية أو التأثير الذي تحدثه  
الرسالة الإعلامية .

تلك هي عناصر العطية الإعلامية بمفهوم عامة .

ولو أردنا أن نقف على أبعاد العطية الإعلامية الإسلامية  
لما اهتمدنا كثيرا عن تلك العناصر للعطية الإعلامية بمفهومها  
العامة .

فالمرسل في الإعلام الديني قد يكون أحد المتخصصين في  
الدعوة الإسلامية ، وقد يكون غير متخصص في هذا المجال ( ١ ) ،  
لأن الدعوة إلى الله لا تشترط بالضرورة أن يقوم بها علماء الدين  
المتخصصون وحدهم بحيث تقتصر عليهم ، بل تكاد الدعوة إلى الله  
تشمل المسلمين كافة .

وقد يسأل السائل : كيف تكون الدعوة عامة ، ومع ذلك يقال  
إنها فرض كفاية وفرض عين معا . . . وللجواب عن ذلك : أن  
التكليف عام بحيث يقوم كل بكفايته وما أتاه الله من طم وموهبة ،  
فلا يخلى إنسان نفسه من تبعه الدعوة والقيام بالإعلام عن الدين ،

---

( ١ ) - د. محي الدين عبدالحليم : الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العطية ، ص :

فكل مسلم يدعو إلى الله بالقدر الذي يملكه ، بيد أن طي الأمة  
في عمومها واجبين :

أولهما : أن يقوم كل واحد بعينه بما يستطيع من دعوة إلى الحق  
وهداية إلى الدين .

وثانيهما : أن يتخصص فريق من رجال الإعلام المتخصصين في شئون  
الدين والدعوة والاتصال بالناس للقيام بمواجبات الارشاد  
والتبليغ والحث والاقناع ، بشرط أن يتم كل ذلك على علم وبصيرة  
بكتاب الله الكريم وسنة نبيه المطهرة ، مع قدرة بيانية وحكمة  
وادراك ( ١ ) .

وأرى - من وجهة نظري - أن هذا التخصص هو - من  
باب التحوط ليسر غير ، لأن الدعوة كما تكون من المتخصصين تكون  
أيضا من غيرهم .

ذلك لأن الدعوة لا تأتي عن طريق اللسان أو البيان والحجة  
فحسب ، وإنما تأتي كذلك عن طريق السلوك الشخصي . أو  
التعامل مع الآخرين ، حتى السكوت قد يكون في بعض الأحيان  
أسلوبا يليق من أساليب الدعوة ، فالذي يصمت ويكتم فيظهـر  
ويحفو عن الناس يقوم بالدعوة إلى الله على بصيرة .

من ذلك نخلص إلى أن كل إنسان في هذه الأمة مكلف  
بالدعوة إلى الله بالأسلوب الذي يستطيعه ، ولن يعدم إنسان  
مكلف أسلوبا أو أكثر من هذه الأساليب .

ومثالنا على ذلك هؤلاء التجار الذين نشروا الإسلام عن طريق  
سلوكهم الشخصي وتعاملهم مع الآخرين في القارات التي لم يدخلها  
قبلهم دعاة متخصصون أو جيوش إسلامية غازية .  
وذلك مصداقا لقوله تعالى في كتابه العزيز:  
" كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن  
المنكر وتؤمنون بالله " ( ٢ ) .

( ١ ) د . ابراهيم امام : الإعلام الإسلامي ( المرحلة الشفهية ) ص ٢١ ، ٢٢٠ .

( ٢ ) آل عمران : آية ١١٠ .



وهذا الذى قام به هؤلاء التجار وغيرهم من الدعاة غير المتخصصين الصورة الإعلامية غير المباشرة من صور الإعلام .  
وغالبا ما تكون هذه الصورة أوقع فى النفس وأكثر تأثيرا من الصورة الإعلامية المباشرة ، لأن الصورة غير المباشرة تأتي عادة عن طريق القدوة الحسنة والتطهيق العطنى ، أما الصورة المباشرة فغالبا ما تأتي عن طريق الوهظ والإرشاد الجاشر الذى قد يجد بعض الصعوبة فى الوصول إلى النفس البشرية .

وإذا كان صلاح الدين الأيوبي قد جاء إلى الأمة الإسلامية فوجدها شتاتا لا رابط لها ، وشعبها متطاحنة لا مودة بينهم ، فقد وجد لزاما عليه أن يبدأ من الأصل ، وأن يعود بأمتة إلى ما كانت عليه انطلاقا من مبدأ أن هذه الأمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به أولها .

ولقد اختار البداية الصحيحة لينتهى بالضرورة إلى نهاية صحيحة .

والدعاة المصلحون يدققون فى اختيار البدايات حتى لا تتعثر خطاهم فيضلون ويضلون . ذلك لأن البداية اختيار والنتيجة حتمية ، وعلى ذلك فإن اختيار البداية تتوقف عليه حتمية النتيجة .

والقرآن الكريم هو البداية للمسلمين وهو النهاية .

وحتى نقف على أثر القرآن الكريم فى الدعوة إلى الله ، وإعادة الناس إلى رشدهم الذى قد يغيب عنهم أمام نازلة قد تنزل بهم ، نعود إلى حدث لم تتعرض الأمة الإسلامية لمثله قط ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال مسجى فى بيته ، لم يفرغ من أمره ، قد أغلق أهله دونه الباب ، وهو بين الخطاب يخطب فى الناس منكرا موت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهددا من يقول غير ذلك .

قال ابن اسحق : قال الزهري : وحدثني سعيد بن  
السبيب ، عن أبي هريرة ، قال :

لما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم قام عمر بن الخطاب  
فقال : إن رجالا من المنافقين يزعمون أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم قد توفي ، وإن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله  
ما مات ، ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى به عمران ، فقد  
غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع إليهم بعد أن قيل : قد مات ،  
والله ليرجعن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما رجع موسى  
فليقطعن أيدي رجال وأرجلهم زعموا أن رسول الله صلى الله  
عليه وسلم مات ، وأقبل أبو بكر حتى نزل على باب المسجد -  
حين بلغه الخبر - وعمر يكلم الناس ، فلم يلتفت إلى شيء حتى  
دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم سجد في ناحية البيت  
عليه برد حبرة ، فأقبل حتى كشف عن وجه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ثم أقبل عليه فقبله ، ثم قال : يا أي أنت وأمي ،  
أما الموتة التي كتب الله عليك فقد ذقتها ، ثم لن يصيبك بعدها  
موتة أبدا ، قال : ثم رد البرد على وجه رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، ثم خرج وعمر يكلم الناس ، فقال : على رسلك  
يا عمر ، أنصت ، فأبى إلا أن يتكلم ، فلما رآه أبو بكر لا ينصت  
أقبل على الناس ، فلما سمع الناس كلامه أقبلوا عليه وتركوا عمر :  
فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

أيها الناس ، إنه من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد  
مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ، قال : ثم  
تلا هذه الآية ( ٣ : ١٤٤ ) :

" وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفئن مات  
أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبه فلن يضر الله شيئا  
وسيجزي الله الشاكرين " ، قال : فوالله لكان الناس لم يعلموا

أن هذه الآية نزلت ، حتى تلاها أبو بكر يومئذ ، قال :  
وأخذها الناس عن أبي بكر ، وإنما هي في أفواههم ، قال :  
فقال أبو هريرة قال عمر : فوالله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر  
تلاها فعمرت حتى وقعت إلى الأرض ما تحمطني رجلاي ، وعرفت  
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات (١) .

لم يكن هناك عهد أقرب إلى نزول القرآن من ذلك العهد  
الذي وقع فيه ذلك الحدث الجلل حين وقف أبو بكر يعيد إلى  
الناس صوابهم بالقرآن الكريم ، وكلما ابتعد الناس عن ذلك العهد  
كانت حاجتهم إلى الدعوة بالقرآن الكريم أشد .

كان الموقف عصيا والمهمة شاقة ، لكنه القرآن الكريم  
الذي نزل لهداية البشر جميعا لن يمجزه أبدا أن يعيد  
أولئك الذين نسوا بعض آياته في غمرة الجلل العظيم إلى  
صوابهم .

ويتكرر الحدث حين تهب على العالم الإسلامي موجة الحروب  
الصليبية مستهدفة القضاء على الإسلام في مقر داره ، عاقدة العزم  
على استئصال شأفة المسلمين بأسم الصليب .

لقد اندفعت تلك الموجات الصليبية على المسلمين وهم  
منقسمون على أنفسهم ، متحاربون فيما بينهم ، لا يعرف أغلبهم من  
الجهاد إلا ما يعززه سلطانه ، أو يوسع به رقعة .

فكيف لصلاح الدين الأيوبي - والأمر هكذا - أن يوحد  
الرأى العام الإسلامي وجمع شتاته ، ويؤلف بين هؤلاء العشرات  
من الأمراء المتحاربين المتناحرين . . . ؟

كيف له أن يقض على ذلك التردى الذي ابتليت به الأمة  
الإسلامية آنذاك . . . ؟

رأى صلاح الدين بهداية من الله وتوفيقه أنه لزاما عليه

---

(١) ابن هشام: سيرة النبي صلى الله عليه وسلم ، ط دار الفكر ، ج ٤ ، ص :

أن يعثر على النخروج الملائم الذي يعيد إلى الأمة مكانتها ويجنبها مزيدا من الدماء المراقبة في غير مكانها ، وعابه فقد صار صلاح الدين على هذا التردى والانحطاط الخلقى ، ورأى أنه لا توجد أمامه إلا طريقة واحدة للقضاء عليه .

وهذه الطريقة هي إعادة بناء الكيان الإسلامى فى ظل دولة واحدة لا تحت حكمه هو ، وإنما بالعودة إلى حكم الشريعة تحت إشراف الخليفة العباسى (١) .

ولا شك أن صلاح الدين الأيوبي كان يركز فى ذلك كله على القرآن الكريم والسنة المطهرة .

ولكى نعى تلك الحقيقة كان لزاما علينا أن نستعرض أولا ، بعض المناقب التى تبين بوضوح مدى تسك الرجل بكتاب الله وسنة نبيه .

ثم نستعرض ثانيا بعض المواقف التى تؤكد بالتطبيق العملى تسك صلاح الدين الأيوبي بهذين المصدرين التشريعيين فى كفاحه ضد الصليبيين .

أما عن مدى تسك صلاح الدين الأيوبي بكتاب الله وسنة رسوله فإن ذلك يتضح جليا من سيرة الرجل فى حياته الخاصة والعامة .

" لقد كان السلطان السعيد بحقيقة الدنيا طرفا ، ولطريقتها طارفا ، ولزخرفها طاففا ، ومن ملكها آنفا ، وعن مالها متعففا . فاشتغل عن الدنيا بالدين ، وخصه الله بتأييده فى طم اليقنين واقتدى بسنة النبى - صلوات الله عليه - فما زاغ بصره وما طفى ، ( ونهى النفس عن الهوى ، فإن الجنة هى المأوى ) ( ٢ )

(١) د . أنيس قاسم : تأملات فى الاحتلالين الصليبي والصهيونى ص ١١٨ .

(٢) محسن : آية رقم ٤٠ ، ٤١ .

ووقف حياته على إحياء معالم الهدى ، والإعلان بشعار التقى .  
واعلاء منار الجهاد ، واشاعة سنن العدل والإحسان فى  
البلاد والعباد ( ١ ) لقد وهب الرجل نفسه لله ، فكان الله  
معه .

• وأخلص لله عمله ، ولا ملك ملكا ولا تمول مالا إلا فى  
سبيل الله أنفقه وبذله ، وكان كما قال النبى صلى الله عليه وسلم  
( من كان لله كان الله له ) ، فلا جرم أذل له الطوك الأُمرة ،  
ووهب لأطراف الدولة للتباهى بملكه الهز ، وملكه الأقاليم  
والأمصار ، وأجرى بإقداره الأقدار ، فأزال عن مشارع الشريعة  
الأكدار . وعطل الهدية بحصر اليمن والشام ، وقمع أمراء  
الإسلام " ( ٢ ) .

بهذه الأخلاق القرآنية استطاع صلاح الدين أن يقضى  
على الفتن والقلاقل بين الرعية . وبهذه الأخلاق القرآنية استطاع  
أن يحرر القدس الشريف وأن يستعيد المسجد الأقصى من أيدي  
الصلبيين ، وأن يحقق النصر المبين فى رحمة حينما حقق قول  
الله فى كتابه العزيز :

• وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازوا فتفشلوا وتذهب رحكم  
واصبروا إن الله مع الصابرين " ( ٣ ) .

ومن أجل القضاء على هذا التنازع بين الرعية فعمل  
صلاح الدين الكثير ، وتحمل فى سبيل ذلك أكثر مما تحمله فى  
مهادين الطعن والنزال حتى استقر الأمر والتأم الشمل .

• وأجرى الدواة على أحسن العوائد ، وأرشد المقاصد  
وأثبت القواعد ، حتى اجتمعت الكلمة المنفردة واتحدت ، وانتظمت

---

( ١ ) العباد الأصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ٦٤٦ .  
( ٢ ) العباد الأصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى ص ٦٤٦ .  
( ٣ ) الأنفال : آية رقم ٤٦ .

الألفة المتهددة وتأكدت ، وسكنت القلوب الراجفة وأنست وسكنت  
الأسنة المرجفة وخرست " ( ١ ) .

إن صلاح الرعية من صلاح الراعي ، لقد كان صلاح الدين  
صالحا فصلحت رعيته بصلاحه .

" وكان يغضب للكباثر ولا يفضى عن الصفائر ويرشد إلى  
الهدى ، ويهدي إلى الرشاد ، ويسد الأمر ويأمر بالسداد  
فكل ماليك وخواصه بل أمراؤه وأجناده أصف من الزهاد " ( ٢ )  
" وكان رحمه الله يحب سماع القرآن العظيم حتى أنه  
كان يستخير إمامه ويشترط عليه أن يكون طالما معلوم القرآن  
العظيم متقنا لحفظه ، وكان يستقرى من يحضره في الليل وهو  
في برجه الحزين والثلاث والأربعة وهو يسمع " ( ٣ ) .

هذا عن مدى حب صلاح الدين وشفقه بالقرآن الكريم ،  
أما عن أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكان شديد  
الحب لها أيضا ، عظيم الشفء بسماها والعمل بها .

" وكان شديد الرغبة في سماع الحديث ومتى سمع من  
شيخ ذي رواية طالية ، وسماع كثير فإن كان من يحضر عنده  
استحضره وسمع عليه وأسمع من يحضره في ذلك المكان من أولاده  
وماليكه والمختصين به ، وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع  
الحديث إجلالا له ، وإن كان الشيخ ممن لا يطرق أبواب  
السلطين ويتحاشى عن الحضور في مجالسهم سعى إليه ، وسمع  
عليه . تردد إلى الحافظ السلفى بالاسكندرية وروى عنه  
أحاديث كثيرة ، وكان يحب أن يقرأ الحديث بنفسه ، فكان

( ١ ) العماد الأصفهاني : الفتح القسى في الفتح القدسى ص ٦٤٨ .

( ٢ ) أبوشامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢١٨ .

( ٣ ) أبوشامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢١٩ .

يستحضرني في خلوته ويحضر شيئاً من كتب الحديث ويقرأ هو ،  
فإذا مر بحديث فيه عبرة رقى قلبه ودمعت عيناه " (١) .  
ولقد كانت حياته مع نفسه ومع غيره تطبيقاً عملياً لما جاء في  
كتاب الله العظيم وسنة نبيه الكريم .

وفي اعتقادي أنه لا يوجد هناك دليل فعلي على ذلك  
التطبيق العملي أكثر من حياته التي أوقفها على الجهاد في  
سبيل الله .

قال تعالى :

" أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين  
جاهدوا منكم ويعلم الصابرين " (٢) .

وقال تعالى :

" قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم  
وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها  
أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فترهبوا حتى يأتي  
الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين " (٣) .

وقال تعالى :

" الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم  
وأ أنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون " (٤) .

وجاء في صحيح مسلم :

" حدثنا عبد الله بن سلمة بن قنبل حدثنا حماد بن  
سلمة عن ثابت عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : لغدوة في سبيل الله أو روحة خير من الدنيا وما  
فيها " (٥) .

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) آل عمران : آية رقم ١٤٢ .

(٣) التوبة : آية رقم ٢٤ .

(٤) التوبة : آية رقم ٢٠ .

(٥) الامام مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ج ١٣ ، ص ٢٦ .

وجاء في صحيح مسلم أيضا :

" حدثنا سعيد بن منصور حدثنا عبد الله بن وهب حدثني أبو هانئ الخولاني عن أبي عبد الرحمن الحبلي عن أبي سعيد الخدري ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

يا أبا سعيد : من رضى بالله ربا ومحمد نبيا وجبت له الجنة : فعجب لها أبو سعيد فقال : أهداها على ما رسول الله ففعل ، ثم قال : وأخرى يرفع بها العبد مائة درجة في الجنة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض قال ، وما هي يا رسول الله ؟ قال : الجهاد في سبيل الله الجهاد في سبيل الله " ( ١ ) لقد وفى صلاح الدين ذلك كله حتى أصبح الجهاد شغله الشاغل ، وهدمه المقيم .

" وكان رحمه الله شديد المواظبة على الجهاد عظيم الاهتمام به ، وإن حلف حالف أنه ما أنفق بعد خروجه إلى الجهاد دينارا ولا درهما إلا في الجهاد وفى الإرفاد لصدق ويرفسي يمينه ، ولقد كان الجهاد وحبه فى الشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيما بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا فى آتته ، ولا اهتمام إلا بوجاله ، ولا مهل إلا إلى من يذكره ويحث عليه ، ولقد هجر فى محبة الجهاد فى سبيل الله أهله وأولاده ووطنه وسكنه وسائر ملازمه من الدنيا بالسكون فى ظل خيمة تهب بها الرياح بمنة ومسرة " ( ٢ ) .

وقال القاضى : وكان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه - أى إلى صلاح الدين - يحثه على الجهاد أو يذكر شيئا من أخبار الجهاد ، ولقد ألف له كتب عدة فى الجهاد وأنا ممن جمع له فيه كتابا جمعت فيه آدابه ، وكل آية وردت فيه ،

( ١ ) رواه مسلم فى صحيحه : ج ١٣ ، ص ٢٨ .

( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢٢١ .



وكل حديث روى فيه ، وشرحت هربها وكان رحمه الله كثيرا ما يطالعه حتى أخذه منه ولده الأفضل " (١) .

من ذلك كله يتضح لنا جلليا أن صلاح الدين الأيوبي قد جعل من القرآن الكريم والسنة المطهرة أعظم سند له في حياته كلها سواء منها ما يختص بذاته أو ما يختص بغيره من المسلمين وغير المسلمين .

قال تعالى :

" محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا " (٢) .

صلاح الدين بصفته حاكما سلما طبق قول الله في ذلك تطبيقا كاملا ، وفي هذا المجال يقول العلامة الأصفهاني عن صلاح الدين :

" يفلظ على الكافرين الفاجرين ، ويلين للمؤمنين المتقين ، ويؤثر سماع الحديث بالأسانيد ، وتكلم العلماء عنده في العلم الشرعي المفيد ، وكان لمداد الكلام مع الفقهاء ، ومشاركة القضاة في القضاء ، أطم منهم بالأحكام الشرعية ، والأسباب المرضية ، والأدلة الشرعية " (٣) .

وكان صلاح الدين يعلم تمام العلم أن البطانة الصالحة هي نعمة من نعم الله تعالى ، ورحمة منه سبحانه لعباده . لذلك كانت بطانة صلاح الدين بطانة أمر بالمعروف ونهى عن المنكر .

وكما كانت حاشية صلاح الدين تزدان بمثل القاضي الفاضل وزيرا ومديرا ومشيرا والعماد الأصفهاني كاتبها وشاعرا

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٢١ .

(٢) الفتح : آيه رقم ٢٩ .

(٣) العماد الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي : ص ٦٥٦ .

ومؤرخا وأديبا ، فكذاك ازدانت هذه العاشية الجليلة بالقاضي  
بهاه الدين بن شداد الذي لم يكن يبرح السلطان في مواطن  
السلم أو الحرب ، ولا يفغل يوما عن مطالعة الحديث والتفسير .  
وانه يمثل ذلك المنهج القرآني الواضح الفكر المستقيم  
السلوك استطاع صلاح الدين أن ينزل الهزيمة بالصليبيين  
وأن ينتزع القدس منهم .

ومثل ذلك وحده يستطيع أى حاكم مسلم مثل صلاح الدين  
أن ينزل الهزيمة بالصهاينة ، وأن ينتزع منهم القدس ويظهرها  
من رجسهم ، وما ذلك طى الله بعزيز .

٢ - المسجد والعودة به إلى ما كان عليه في صدر الإسلام :

رأينا كيف أن روح الجهاد قد استولت على عقل صلاح  
الدين الأبهى وتفكيره ، وكيف أنها سيطرت على كل جانحه  
من جوانحه .

ومن هنا كان لزاما على صلاح الدين أن يهت تلك الروح  
المتأججة بالجهاد فيمن حوله من الجنود ،  
ومن هم وراء الجنود بحيث تستقطب الأمة جميعا ، لأن صلاح  
الدين لا يستطيع بأى حال من الأحوال أن يجاهد وحده ،  
خاصة وأن المسلمين كانوا كما قال القاضي الفاضل يخاطب  
صلاح الدين :

" وليس لك من المسلمين كافة ساعد إلا بدعوة ، ولا  
مجاهد معك إلا بلسانه ، ولا خارج معك إلا بهم ، ولا خارج  
بين يديك إلا بالأجرة ، ولا قانع منك إلا بزيادة ، تشتري منهم  
الخطوات شبرا بذراع ، وذراعا بباع ، تدعوهم إلى الله وكأننا  
تدعوهم لنفسك ، وتسالهم الفريضة وكأننا تكلفهم النافلة

وتعرض عليهم الجنة وكأنك تريد أن تستأثر بها ونهم \* (١) .  
لقد كان المسلمون يفرون من الحرب ويبتعدون عنها  
ويغضون حمل السيف ، في الوقت الذي لا يملكون فيه من حمل  
القلم معتقدين أن الجهاد بالقلم يعادل الجهاد بالسيف  
أوينوب عنه ، فاستعاضوا عن جهاد الأعداء في ميادين القتال  
بتأليف الكتب في الرد على النصارى واليهود متقربين بذلك إلى  
الله حسب اعتقادهم .

\* ومن المسلمين من كان يستبدل جهاد الأعداء بكثرة  
الصلاة والصيام ، ودوام الذكر والتسبيح ، معتقدين أن هذا  
يقربهم إلى الله زافى ، ويغنيهم عن متاع الكفاح ومشاق  
القتال \* (٢) .

وأمام كل هذه العقبات والمعوقات كان من البدهى لكى  
يغير صلاح الدين ذلك أن يفكر فى الوسائل القادرة على بث  
روح الجهاد فى النفوس .

ولما كان صلاح الدين رجلا ارتكز فى جهاده ضد  
الصلبيين على القرآن الكريم والسنة المطهرة ، فإن الأمر  
يصبح طبيعيا فى أن يتجه فكر صلاح الدين إلى المسجد باعتباره  
المكان المقدس الذى يلتقى فيه المسلم بربه وهو أقرب ما يكون  
إليه .

لقد كان المسجد فى صدر الإسلام وبعض العصور التى  
أعقبته فضلا عن كونه مكانا مقدسا للعبادة ، كان فى الوقت  
نفسه المكان الذى يؤمه خليفة المسلمين لإدارة شؤون الدولة

(١) أبوشامه : الروضتين ج ٢ ، ص ١٦٨ .

(٢) محمد سيد كيلانى : الحروب الصليبية وأثرها فى الأدب العربى فى  
مصر والشام ص ٣٥ .

والخلافة ، وكان الضمير هو المكان الذي يعتليه الخليفة ليلقى  
ببانه شارحا من خلاله الأسلوب الذي سيتبعه في إدارة الدولة ،  
وهو المكان الذي كانت تذايع منه القرارات الهامة من بينهم  
بطبيعة الحال إعلان الجهاد .

وفلا عن ذلك كله كان المسجد هو المكان الذي يتخذ  
العلماء والدارسون مقراً لهم ، والمعهد الذي يتلقى فيه  
الناشئون اللغة العربية وأصول الدين العنيف .

تلك هي وظيفة المسجد كما كانت ، وكما يجب أن تكون  
وعلاج الدين أحوج ما يكون إلى أن يعيد إلى المسجد رسالته  
التي وجد من أجلها ، وهو أن يكون جامعاً للدين والدنيا معا .

• كان صلاح الدين يهتم كثيرا بإقامة شعائر الدين  
والمحافظة على المظهر الإسلامي في كل شيء ، وكان يحارب  
الفجور في أنحاء دولته ولا يسمح بالشذوذ في العقيدة ، بل  
يقضى عليه ، فقد حارب كثيرا من الملحدين وطاقهم عقابا  
شديداً ( ١ ) .

قال تعالى :

• إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام  
الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من  
المهتدين ( ٢ ) .

وجاء في صحيح مسلم :

• حدثنا زهير بن حرب ومحمد بن المشي واللفظ لابن  
المنشي ، قال " حدثنا الضحاك بن مخلد أخبرنا عبد الحميد  
بن جعفر حدثني أبي عن محمود بن لبيد أن عثمان بن عفان

( ١ ) د . محمد زفلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ٦٤ .

( ٢ ) التوبة : آيه ١٨ .

أراد بناء المسجد فكرة الناس ذلك فأحبوا أن يده على هيئته ،  
فقال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من بنى  
مسجدا لله بنى الله له في الجنة مثله \* ( ١ ) .

من أجل ذلك ، ومن أجل بعث عقيدة الجهاد لتشمل  
المسلمين جميعا حرص صلاح الدين كل الحرص على أن يكون  
المسجد مركزا حيا ينبعث منه كل شيء في حياة المسلم .

لقد وضع صلاح الدين خطة محكمة لتنفيذ تلك الأهداف  
جميعها ، فالمسجد والمدسة لابد أن يسيرا معا جنباً إلى جنب  
في تثقيف المسلم وربطه بدينه في حياته الخاصة والعامة .

\* لقد أنشأ صلاح الدين العديد من المدارس لتصبح  
جزءاً هاماً من الخطة التي وضعها ، وقصد بها هوئذ أن تقوم  
بمعلمين خطيرين :

أولها : تعلم الناس المذهب السني ومحاربة العقائد الفاطمية.  
ثانيها : إثارة التحمس الديني ضد الفرنج في الحروب  
الصليبية . ( ٢ )

وإذا كانت وظيفة المدرسة تعتبر جزءاً من وظيفة المسجد  
فلا شك أن صلاح الدين أطاد للمسجد رسالته كي يتسنى له  
تعمية الأمة ضد الصليبيين من أجل تحرير القدس وكافة البلاد  
الإسلامية .

قال تعالى :

\* وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واطموا أن الله

مع المتقين \* ( ٣ ) .

- 
- ( ١ ) الإمام مسلم : صحيح مسلم بشرح النووي ج ٥ ، ص ١٤ .  
( ٢ ) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصور الأيوبية  
والمملوكية الأول ص ٨٢ .  
( ٣ ) التوبة : آية ٣٦ .

لذلك قامت المساجد بدور كبير في إنقاذ الحركة الثقافية في البلاد في عهد صلاح الدين فكانت تعج بالمصلين وطلاب العلم ، ومن أشهر هذه المساجد :

الجامع الأزهر ، وجامع عمرو بن العاص ، وجامع ابن طولون . . . هذا في القاهرة أما في الاسكندرية فقد قام مسجد العطار بدور كبير في نشر الثقافة الإسلامية وغيرها من العلوم التي انتشرت في ذلك الوقت ، وانتشرت في طول مصر وعرضها مساجد تقوم بهذه المهمة الجليلة : مهمة تثقيف الناس وتعليمهم ( ١ ) .

كذلك قامت مساجد سورية بنفس الدور التي قامت به مساجد مصر ، ومن هذه المساجد جامع دمشق الذي جعل هذه المدينة مقصدا للعلم والعلماء من كل مكان .

وعندما منع صلاح الدين الخطبة في الجامع الأزهر وغير برامج الدرس فيه عقب إلغاء الخلافة الفاطمية في مصر ، لم ينقص صلاح الدين من الدور الذي كان يقوم به الأزهر خاصة والمساجد عامة ، فقد ظل الأزهر في عهد صلاح الدين منارا للعلم يقصده الطلاب من أنحاء العالم الإسلامي ، فينقلون مختلف العلوم والفنون ، ويكفل لهم العيش وتجري الأرزاق وكان الحكام وأولو الأمر يوقفون على الطلبة الكتب النافعة ليفيدوا منها في دراستهم ( ٢ ) .

والشيء الذي يدعو إلى الدهشة والعجب أن المسجد لم ينفذ مكانته الإعلامية في خضم هذا الكم الهائل من وسائل الإعلام المتطورة والمتعددة في الوقت الحاضر .

حتى هؤلاء الحكام الذين لم يحكموا يوما بما أنزل الله قد

( ١ ) عبد الله طوان : صلاح الدين الأيوبي بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين ص ١٧٦ .

( ٢ ) د . محمد زقلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ١٤٣ . ١٧٧ .

اتخذوا ويتخذون في كل يوم لهم من المسجد في عصرنا الحاضر وسيلة إعلامية لاتجاهيها أية وسيلة إعلامية أخرى ، وذلك حسين يضيّق الحبل حول أعناقهم ، ويحاط بهم من كل جانب ، ويسرون ألا منقذ لهم سواهم فيه إلا الله .

حدث ذلك على سبيل المثال عام ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦ م أثناء الاعتداء الثلاثي على مصر حين ذهب حاكمها آنذاك بنفسه إلى الجامع الأزهر ليعلن من هناك استمرار القتال حتى الموت أو النصر .

وبالفعل كان لهذا الإعلان من الجامع الأزهر أثره الذي لا يتاوم في نفوس الجماهير المؤمنة برهبها ، فأذرتة ووقفت بجانبه حتى تم النصر بإذن الله فعلا .

وانتهى الأمر عند هذا الحد حينما انتهى الخوف والهلع من نفوس هؤلاء الحكام الذين لم يشكروا الله ولم يحكموا كتابه ، وصدق الله العظيم حيث يقول :

" هو الذي يسيّركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجريتم بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجبتنا من هذه لنكونن من الشاكرين • فلما أنجاهم إذا هم يبنون في الأرض بنير الحق يا أيها الناس إنما بنيناكم على أنفسكم متاع الحياة الدنيا ثم إنا مرجعكم ففتنبتكم بما كنتم تعملون ( ١ ) •

٣ - موسم الحج واستغلاله في الدعوة إلى الجهاد :

كان موقف صلاح الدين الأيوبي من المسجد موقف الحاكم المسلم حين ارتكز طايه في جهاده ضد الصليبيين بعد أن أصدر إليه رسالته الأوان التي كان عليها في صدر الإسلام والتي شملت الدين والدولة معا .

وليس من شكفي أن الذي فعله صلاح الدين تجاه المسجد ما هو إلا جزء من خطته العامة التي استهدفت تثقيف الأمة حتى تتمكن من الوقوف عقيدة واحدة وصفا واحدا أمام النزو العلمسي للعالم الإسلامي .

وهذا الذي فعله صلاح الأيوبي تجاه المسجد ما كان إلا في حدود الرقعة من الأرض التي يستطيع بسط ساطته عليها .

أما تلك البلاد والشعوب التي لا ساطة اصلاح الدين عليها، فماذا يفعل بشأنها ؟ وما هو السبيل الذي يستطيع اصلاح الدين أن يسلكه من أجل الوصول إلى تحقيق أهدافه على نطاق العالم الإسلامي كله إن استطاع ذلك ؟ ماذا يفعل صلاح الدين وهو ينظر بمنسة ويسرة فيجد أمامه معظم أمراء المسلمين لا يحركون ساكنا تجاه ما يتهدد العالم الإسلامي كله من خطر ؟

بل والأخطر من ذلك حين ينظر إلى البعض منهم وقصد تعاون مع العدو من أجل سلطان زائف أو قطعة من طين .

لقد وصف القاضي الفاضل هؤلاء فأجاد وأصاب وهو يخاطب صلاح الدين بقوله :

\* أليس الله تعالى أطلع على قلوب أهل الأرض فلم يؤهل ولم يستصلح ولم يختر ، ولم يسهل ولم يستعمل ولم يستخدم فسي إقامة دينه واعلاء كلمته وتمهيد سلطانه وحماية شعاره وحفظ قبلته



موحديه إلا أنت . . . هذا وفي الأرض من هو للنبوة قرابة ، ومن له  
المملكة وراثة ، ومن له في المال كثرة ، ومن له في العدد شـرورة ،  
فأقعدهم وأقامك وكسلمهم ونشطك ، وقبضهم وسطك ، وحبسب  
الدنيا إلههم ونفضها إليك ، وصعبها عليهم ودونها عليك ، وأمسك  
أيديهم وأطلق يدك ، وأعد سيوفهم وجرر سيفك ، وأشقاهم وأنعم  
عليك ، وشبطهم وسيرك" (١) ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدة ولكن  
كره الله انبعاثهم فشبطهم وقيل أقعدوا مع القاعدين" (٢) .

ماذا يفعل صلاح الدين الأيوبي وهذا هو حال من حوله من أمراء  
المسلمين ؟

وماذا يفعل صلاح الدين الأيوبي والصليبيون لا يدخرون وسعا في  
حربهم معه ؟

إنهم كانوا كما يصفهم القاضي الفاضل لصلاح الدين :

"إنه لما اجتمعت كلمة الكفر من أقطار الأرض وأطراف الدنيا ومغرب  
الشمس ومؤخر البحر ما تأخر منهم متأخر ، ولا أستبعد السافة بينك وبينهم  
ستبعد ، وخرجوا من ذات أنفسهم الخبيثة لا أموال تنفق فيهم ،  
ولا طوك تحكم عليهم ، ولا عصا تسوقهم ، ولا سيف يزعجهم ، مهطعين  
إلى الداعي ساعين في أثر الساعي ، وهم من كل حدب ينسلون ، ومن  
كل بر ويحرقون" (٣) .

ماذا يفعل صلاح الدين أمام هذا الوضع الذي بلغ حد الخطورة  
والأمر أعم وأشمل من مصر والشام ، وأكبر من المسجد والمدرسة ؟

- 
- (١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .  
(٢) التوبة : آية ٤٦ .  
(٣) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ١٦٨ .

إنه أمر يخص المسلمين جميعا سوا\* منهم من هم تحت إمرة صلاح الدين ، أو من هم تحت إمرة غيره من الأمراء أو السلاطين ؟ إنه ذلك المؤتمر الإسلامى الأعظم الذى يضم كل هؤلاء جميعا . من هم تحت إمرة صلاح الدين ، ومن هم تحت إمرة غيره .

من أجل ذلك كله أعطى صلاح الدين عناية كبرى بموسم الحج والحجاج باعتباره حاكما مسلما مسؤولا أمام الله عن كل مسلم فوق هذه الأرض .

\* لقد ضرب صلاح الدين المثل للمعاملة التى يجب أن يعامل بها الحاكم المسلم المسلمين عموما بغض النظر عن أقطارهم ودون أن يشترط معاملة بالمثل (١) .

وحيث قام صلاح الدين الأيوبي بإسقاط مكس مكة المكرمة عن الحجاج ، وتعويض أميرها عما أسقطه ، فإنه لم يفعل ذلك من أجل مصلحة حاج دون آخر ، لم يفعله مثلا للحجاج المصريين دون الشاميين أو للحجاج الشاميين دون المصريين أو هما معا ، إنما فعله لكون الحاج مسلما وكفى .

لا فرق بين مسلم ومسلم عند صلاح الدين ، مادامت القضية هى قضية المسلمين جميعا ، والمصير مصيرهم .

إن ما فعله صلاح الدين بالنسبة لرفع المكوس عن حجاج مكة جميعا ما هو إلا مثال نادر من أمثلة القدوة الحسنة التى يبثها بين المسلمين لتكون أعمق تأثيرا فيهم ، وأسرع استجابة منهم له حين يدعوهم إلى الجهاد قضيتهم الأولى والأخيرة ، فلقد ساوى بينهم جميعا فى الحقوق وطلبهم فى مقابل ذلك أن يقوموا جميعا بتأدية الواجب المفروض عليهم .

---

(١) د . أنيس قاسم : تأملات فى الاحتلالين الصليبيين والصهيونى ، ص ١٣٥ .

" قال الامام : ومن جملة ما أغفلته ذكر ما أسقطه  
السلطان من مكر مكة ، شرفها الله تعالى عن الحجاج ،  
وتعويض أميرها بجلاب غلة تحمل إليه في كل سنة ، وتعيين ضياع  
موقوفة عليها بالأعمال المصرية . كان الرسم بحكة أن يؤخذ من  
حاج المغرب على عدد الرؤوس ما ينسب إلى الضرائب والمكوس ،  
فإذا دخل حاج حبس حتى يؤدى مكسه ، ويفك بما يطلبونه  
منه نفسه ، وإذا كان فقيراً لا يملك فهو يحبس ولا يترك ، وتفوت  
الوقفة بعمره ولا يدرك . فقال السلطان نريد أن نعوض أمير  
مكة عن هذا المكس بمال ونغنيه عنه بنوال ، وإن أعطيناه  
ضياعاً استوصبها ارتفاعاً وانتفاعاً ، فلا يكون لأهل مكة فيها نصيب ،  
فقرر معه أن يحمل إليه في كل سنة مبلغ ثمانية آلاف إردب قمح  
إلى ساحل جدة ، فإن الأمير بها يحتاج إلى بيعها للانتفاع  
بأثمانها ، ويشق أهل الحرمين من الدواة بدوام إحسانها ( ١ ) .  
هكذا يضرب صلاح الدين المثل الطيب للناس ليقتدى به  
من أراد أن يشتري آخرته بدنياه ، وأن ينال الثواب الجزيل من  
الله سبحانه .

ويقدر ما تكون الغايات هامة وخطيرة تكون الوسائل كذلك  
وهل هناك غاية أهم وأخطر من توحيد المسلمين جميعاً لكسب  
يقفوا أمام عدو جاء يخزوا عقيدتهم أولاً ثم يقضى عليهم بعد  
ذلك في أقصر وقت وأبخص الأسعار ؟

لذلك لم يتوقف صلاح الدين عن العطاء بكل الطرق والوسائل  
من أجل تحقيق تلك الغاية ، فأعطى وأعطى ليكون المثل والقدوة .  
" فقرر أيضاً حمل الغلات إلى المجاورين بالحرمين والفقراء ،  
ومن هناك الشرفاء ، ووقف لها وقفاً ، وخلص بها إلى قيام الساعة

---

( ١ ) أبوشامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٣٠ .

معروفا ، فسقطت المكوس ، واغتبطت النفوس ، وزاد البشور  
وزال العيوس ، واستمرت النعمى وزال البوس " (١) .  
ويستمر العطاء من أجل تحقيق الهدف الأسمى والغاية  
المثلئ .

وعندما يشتت العدو الصليبي في وقاحته وعدوانه إلى الدرجة  
التي جعلته يبدأ بالفعل في غزو الأراضي الحجازية كي يقطع  
السبيل على حجاج بيت الله الحرام ، وينال من الحرمين الشريفين .  
هنا يرخص كل شيء في نظر المسلمين ، ويبلغ الفداء ذروته  
وتتوهج شعلة الجهاد لتحرق المعتدين ، وتردهم على أعقابهم  
خائبين مدحورين .

قال العماد : " ثم توجهوا إلى أرض الحجاز ، وتعذر طس  
الناس الاحتراز ، فعظم البلاء ، وأفضل الداء ، وأشرف أهل  
المدينة النبوية منهم على خطر ، ووصل الخبر إلى مصر وبها  
العادل أخو السلطان ، فأمر الحاجب "حسام الدين لؤلؤ" فعمر  
في بحر القلزم مراكب بالرجال البحرية ذوى التجربة من أهل  
النخوة للدين والحمة ، وسار إلى " أيلة " فظفر بالركب  
الفرنجى عندها ، فخرق السفينة وأخذ جندها ، ثم عدى إلى  
" عذاب " وشاهد بأهلها العذاب ، ودل على مراكب العدو  
فتبعها ، فوقع بها بعد أيام فأوقع بها وواقعها ، وأطلق  
المأسورين من التجار ، ورد عليهم ما أخذ منهم ، ثم صعد إلى  
البر فوجد أعرابا قد نزلوا منه شعابا ، فركب خيلهم وراة الهاربين  
وكانوا في أرض تلك الطرق ضاربين ، فحصرهم في شعب لا ماء فيه ،  
فأسرهم بأسرهم ، وكان ذلك في أشهر الحج ، فساق منهم أسيرين  
إلى منى كما يساق الهدى ، وعاد إلى القاهرة ومعه الأسارى ،

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٣ .

فكتب السلطان إليه بضرب رقابهم، وقطع أسبابهم ، بحيث لا تبقى منهم عين تطرف ، ولا أحد يخبر طريق ذلك البحر أو يعرف \* (١) ، كان ذلك بعض ما فعله صلاح الدين الأيوبي للحج والحجاج من أجل تحقيق أهدافه الكبرى حتى يحسن بها القاص والداني ، وحتى يسرع من أبطأ ، ويقبل من أدبر ويوجد من بخل وقسّر .

فهل تحقق لصلاح الدين ما سعى إليه من وراء ما قدمه للحج والحجاج ؟

وهل أثرت خطته الإعلامية بين الحجاج بعد أن ضمن لكل واحد منهم أمنه وراحته ، وبعد أن تخاف عدد منهم نتيجة الأمن والراحة ؟

لنقرأ مما الأبيات التالية حتى نقتنع منها على الأثر الذي تركه صلاح الدين بأفعاله بين الحجاج .

قال الشيخ الفاضل أبو الحسين محمد بن أحمد بن جبير الأندلسي :

رفعت مغارم مكس الحجا : ز بانعامك الشامل الغامر  
وأمنت أكناف تلك الهلا : د فهان السبيل على العاهر  
وسحب أياديك فياضة : على وارد وعطسى صادر  
فكم لك بالشرق من حامد : وكم لك بالغرب من شاكسر  
وكم بالدعاء لكم كل عا : م بعكة من معان جاهر (٢)

.....

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٣٥ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٤ .

وهكذا نجد الرأي العام الاسلامي في تلك الفترة قد وضع نفسه في حالة تأهب واستعداد كاملين ، كل شيء فيه ينبض بالحركة والإيجابية والتقدم . ذلك لأنه رجع بنفسه إلى ذات الجـو الذي كان يعبق دائما بريح الجهاد في صدر الإسلام وطاش فيه . . . رجع بنفسه إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يستمد منها أخلاقيات في الحرب والسلام ، ويعرف منها حقيقة الجهاد والعبادة كما أرادها الله ورسوله .

وما دام الإسلام دين ودنيا ، فقد عاد المسلمون بالمسجد مكانا للدين والدنيا معا ، وما دام الأمر يختص بالمسلمين جميعا ، فليكن الأمر هناك في موسم الحج حيث يجتمع العربى والأعجمى ، والأسود والأبيض ، والغنى والفقير فوق صعيد واحد ، تجمعهم عقيدة واحدة ومصير واحد ، وبذلك وحده يتحقق النصر للمسلمين على أيدي أولئك القادة الذين تحملوا تبعه ذلك كله أشال : " عماد الدين زنكى " و " نور الدين محمود " و " صلاح الدين الأيوبي " ومن ساروا على دربه أوسار على دربهم .

ومثل ذلك وحده يتحقق النصر المهين على أعداء الإسلام في كل زمان ومكان ، وما ذلك على الله بعزيز .

## الفصل الثالث

---

الوسائل الإعلامية التي استغلها المسلمون في تعبئتهم الإعلامية ضد  
الصلبيين

---

أولا : الوسائل الإعلامية في الجبهة الإسلامية قبل حكم صلاح الدين :

١ - إنشاء المدارس .

٢ - الرسائل تتولى نقل الأخبار .

٣ - الشعر يتصدر التعبئة الإعلامية منذ البداية .

ثانيا : الوسائل الإعلامية التي استغلها صلاح الدين في تعبئته

الإعلامية الكاملة ضد الصليبيين .

١ - التوسع في إنشاء المدارس لنشر عقيدة الجهاد وبعثها

بين المسلمين .

٢ - مشاركة العلماء والأئمة بأنفسهم في المعارك الحربية

حتى يصبحوا قوة إعلامية كبرى بين المجاهدين .

٣ - تأليف الكتب التي تحث المسلمين على الجهاد والفروسية .

٤ - موازنة الشعر في خصائصه وموضوعاته مع مرحلة التعبئة

ضد الصليبيين .

٥ - الرسائل تواصل القيام بوظيفتها في نقل الأخبار .

أولا : الوسائل الإعلامية قبيل حكم صلاح الدين :

١ - إنشاء المدارس :

جاء السلاجقة السنيون المتحمسون إلى الحكم بعد أن استولوا على مقاليد الأمور في بغداد والشرق ، واستولى أتباعهم على الشام ومصر فناهضوا الحركات العقلية المتطرفة في الإسلام ، والمذاهب الضالة التي اعتنقها الفاطميون ، ووجد السلاجقة أنفسهم أمام حرب لا خيار لهم في خوضها ، وهي حرب أشد ضراوة وأبعد غورا وأعظم تأثيرا وأعنى بها حرب العقيدة السني لانصار أمام السلاجقة من خوضها ضد أعدائهم في العقيدة من الشيعة في ميدان الثقافة الإسلامية والدعوة إلى الله على بصيرة .

ولقد تحقق للسلاجقة ما أرادوا من خلال جولات صادقة مظفرة في هذا الميدان ، وكان من أبرز حكامهم اهتماما بالعلوم والمدارس الوزير ( نظام الطك ) قتل سنة ٤٨٥ هـ إذ كان سنيا شديدا التعصب لعلوم الحديث وكان يحقد مجلسه ، ويجعل فيه حلقة لقراءة الحديث يحضرها طما عصره المبرزون ، وقد دفعه حماسه لأهل السنة - بتأييد من السلطان السلجوقي العظيم ( ملكشاه ) - إلى بناء المساجد والمدارس الكبرى لتعليم أبناء المسلمين القرآن والحديث والعلوم العربية الأخرى السني تخدمها ( ١ ) .

ويقول ( لانيول ) :

" فالمدارس النظامية ببغداد التي أنشأها ( نظام الطك ) كانت مركز إشعاع للعلم والثقافة على جميع الأقطار الإسلامية فسي فارس والعراق وسوريا ومصر ، حيث التقى هذا الشعاع بشعاع آخر كان ينبعث من الأزهر جامعة مصر " ( ٢ ) .

( ١ ) د . محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ٧٦ ، ٧٧ .  
( ٢ ) المرجع السابق : ص ٧٧ ، نقل عن ( لانيول ) ، صلاح الدين الأيوبي ، ص



وبلاحظ أن عهد الشهيد ( عماد الدين زنكى ) كان عهد جهاد ونضال عسكري متواصل ضد الصليبيين الغزاة حتى يزهرزح مكانتهم في نظر الرأى العام الإسلامى ، وينزع رهبتهم والخوف منهم التى كانت قد انتشرت بين طامة المسلمين ، ولا يتحقق ذلك إلا عن طريق الانتصارات العسكرية وحدها التى تشعرهم بأن بلاد المسلمين لن تكون إلا مقبرة لهم ، وإذا أراد والسلامة لأنفسهم فعليهم أن يرحلوا من حيث أتوا .

ولقد توج ( عماد الدين زنكى ) جهاده ضد الصليبيين بانتصاره الكبير الذى حققه عليهم حينما استولى على مدينته ( الرها ) وأزال أول إمارة صليبية تكونت شمال الشام ، فكانت بذلك أول المستعمرات الصليبية تأسيسا وسقوطا .

ومع ذلك فلم ينس ( عماد الدين زنكى ) أن يأخذ دوره فى مجال الثقافة الإسلاميه والتعلم وإنشاء المدارس ليحقق بذلك هدفه فى محاربة المذاهب الضالة ، والعقائد الفاسدة التى حملت المسلمين على التقاص وتترك جهاد الكافرين جانبها والانشغال بالخلافات المذهبية وافتعال المعارك العقلية ما كان له أثره الخبيث فى تشتيت الرأى العام الإسلامى وتجزئته واستشهد ( عماد الدين زنكى ) وخلفه ابنه ( نور الدين محمود ابن زنكى ) ، فكان خير خلف لخير سلف ، حمل الأمانة بعقيدة راسخة وعزم لا يلين ، رافعا راية التوحيد والجهاد عالىة خفاقة لم تسقط من يمينه حتى لقي ربه .

جاء ( نور الدين ) إلى الحكم وهو يعرف جيدا العصر الذى قدر له أن يتولى أحد قياداته الخطيرة ، ويقف على شفر من شفره المتقدمة ، بمواجهة خصم مذهبى كان قد تغلغل فى الأرض التى يقف عليها ( نور الدين ) ، وضرب جذوره هناك فيما يزيد على نصف القرن . . إنه يعرف أن تحرير الأرض وتوحيدها

ليس عملاً سياسياً أو عسكرياً فحسب . . بل أنه أوسع من ذلك بكثير  
انه مواجهة مذهبية وصراع حضارى بين أمة وأمة ، وانه يسدون  
تأصيل ( الذات العقائدية ) للأمة المسلمة ، فلن تكسبون  
انتصاراتهم على الخصم سوى أعمال جزئية موقوتة معرفة دوسما  
للعد والجزر ، وللتغير والتبدل كما كان يحدث دائما ( ١ ) .

لذلك نرى ( نور الدين ) وكأنه فى صراع مع الزمن  
يريد أن يرى البلاد الإسلامية وقد امتلأت بالمدارس التى يشع  
منها نور العلم والمعرفة والثقافة .

ففى الجامع الأموى شاهد ( ابن جبير ) حلقات عديدة  
لتدريس الطلبة ، وتخصيص الأموال اللازمة للمدرسين والمدارسين  
على حد سواء .

وفى ذلك يقول ( ابن جبير )

" ومن مناقب ( نور الدين ) رحمه الله تعالى : أنه  
كان حين المغاربة الغرباء المطرزين زاوية المالكية بالمسجد  
الجامع المبارك ، وأوقافا كثيرة ، منها طاحونتان ، وسبعة  
بساتين ، وأرض بيضاء ، وحمام ودكانان بالمطارين . وأخبرنى  
أحد المغاربة الذين كانوا ينتظرون فيه وهو أبو الحسن طسى  
بن سردال الحبانى المعروف بالأسود : أن هذا الوقف المغربى  
يفعل - إذا كان النظر فيه جيدا - خمسمائة دينار فى العام  
وكان له - رحمه الله - بجانبهم فضل كبيرة ، نفعه الله بما  
أسلف من الخير ، وهباً دياراً موقوفة لقراء كتاب الله عز وجل  
يسكنونها ( ٢ ) .

---

( ١ ) د . عماد الدين خليل : نور الدين محمود ( الرجل والتحرية )  
ص ١٢٩ ( دار المعلم عام ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م ط ١ ) .  
( ٢ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ( ط دار صادر - بيروت ) ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م  
ص ٢٥٧ .

٢ - الرسائل وأثرها في نقل الأخبار :

منذ اللحظة الأولى التي وضعت فيه الجيوش الصليبية  
الغازية أقدامها فوق أرض الإسلام والرسائل تمثل إحدى الوسائل  
الإعلامية المبكرة التي كونت - جنباً إلى جنب مع الشعر -  
النواة الأولى التي تحولت في عهد صلاح الدين إلى تعهّد  
إعلامية شملت جميع الوسائل والإمكانات المتاحة في ذلك العصر  
حتى بلغت غاية نجاحها باسترداد بيت المقدس ، وتطهيره من  
رجس المعتدين الفاضلين .

ولقد قامت الرسائل بوظيفتها خير قيام ، فصورت المفاخر  
التي خاضها المسلمون من أجل الدفاع عن عقيدتهم وتحريم  
أرضهم تصويراً دقيقاً .

وإذا كانت الرسائل قد زادت في ذلك العصر زيادة كبيرة  
ونالت من قادة المسلمين وحكامهم كل عناية وتقدير ، فهذا أمر  
طبيعي لأن الظروف التي أحاطت بهؤلاء القادة والحكام آنذاك  
قد حتمت عليهم تبادل الرسائل المختلفة لطلب نجدة ، أو لشكر  
في إسداء معونة ، أو للإشارة بفتح حصن أو مدينة ، أو تحذير  
من التهاون في الجهاد ، وكانت الرسائل تصدر في أسلوب  
بلغ غاية الفصاحة والبيان ، ذلك لأن الذين تولوا تحريرها  
كانوا من بلغوا في هذا الميدان شأواً عظيماً ، ووصلوا إلى  
درجة في البلاغة لا تظال ، كالعماد الكاتب الأصفهاني  
والقاضي الفاضل ، وغيرهما من أمراء البيان .

ولقد تولى العماد الكاتب الأصفهاني كتابة الرسائل في  
عهد نور الدين محمود في سنة ٦٢٣ هـ ، وكان القاضي  
كمال الدين الشهرزوري قد ذكر حاله لنور الدين ، وعرفه

به ، وأطلعه على جطة من نشره وشعره ، وأنزله بالمدرسة  
النورية الشافعية (١) .

ولما انتقل نور الدين إلى جواربه سنة (٥٦٩هـ / ١١٧٣م)  
استمر العماد الأصفهاني في الكتابة للملك الصالح اسماعيل بن  
نور الدين ، ثم رحل العماد بعد ذلك إلى الموصل وبقي بها  
مدة من الزمن ، وعندما سمع بانتصارات صلاح الدين هاجمه  
الطرب لقصده ، لسابق معرفته وقديم وده ، وكان ذلك في سنة  
٥٧٠ هـ (٢) .

وظل العماد الأصفهاني ملازماً لصلاح الدين بالشام ،  
فكانت الرسائل تصدر على لسان الساطان بقلم العماد إلى مصر  
والعراق واليمن وغيرها من أمصار المسلمين .

أما القاضي الفاضل فقد كان في مصر يتولى أمورها ، ويسير  
الجيوش من مصر براً وبحراً إلى الشام حيث تدور المعارك بين  
المسلمين بقيادة صلاح الدين وبين الجيوش الصليبية المغتصبة ،  
ورسائل القاضي الفاضل لا تنقطع عن صلاح الدين تبشره بسير  
الأمور في مصر على ما يرام ، أو تحضه على عدم التواني في جهاد  
الصليبيين ، داعية له بالنصر والغلبة ، حاثاً له على الصبر في  
مجاهدة الأعداء ، ناصحة ومحدرة ، ومرشدة ومبصرة ، ومذكرة .

وتلك رسالة أرسلها القاضي الفاضل إلى مدينة " قوص "  
بصف غزوة قام بها صلاح الدين سنة ٥٦٦ هـ ، وهو وزير فاطمي  
وقائد من قواد نور الدين محمود ، وقد جاء فيها :

" توجهنا من " بركة الحبيب " يوم الخميس الخامس عشر من

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ١٤٤ .

(٢) محمد سيد كيلاني : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في مصر والشام

ربيع الأول ، ووصلنا بتاريخ السابع والعشرين من الشهر المذكور والعساكر بالسهل والوعر منتظية ، والهجم على السهل والصعب مزدحمة ، وجنود الله في الأرض المعلة ، وقد أهدتها جنود السماء المسومة ، وصاحبنا الدير يوم الأربعاء بقتال جعل كل من في حصن الدير راهبا ، ونصينا عليه منجنيقا لا يزال شهاب القذف ضاربا . فلما تعالي النهار ملكنا ريفه وأطلقنا فيه النيران ، ورمنا الرجال بالدم ، وأرملنا النسوان وزحفنا إلى أبراجه ، وهي أبراج قد استعدت للبلح جليبا ، فجعلنا لكل واحد جورة مفردة وبابا ، وسرحنا إليهم رسل المنايا من الشباب ، وقصدنا أحد الأبراج واليهوت تؤتى في الحرب من غير الأبواب ( ١ )

وتلك رسالة أخرى من صلاح الدين إلى نور الدين يخبره بغزوة قام بها ضد " الكرك " و " الشوك " سنة ٥٦٨ هـ ويخبره فيها بترحيل البدو من تلك الأماكن إلى أماكن إسلامية وهذه الرسالة من إنشاء القاضي الفاضل ، وقد جاء فيها :

" سبب هذه الخدمة إلى مولانا العادل ، أعز الله سلطانه ، ومد أبدا إحسانه ، ومكن بالنصر إيمانه ، وشهد بالتأييد مكانه ، ونصر أنصاره وأطان أعوانه . علم الطوك بما يؤثره المولى بأن يقصد الكفار بما يقص أجنتهم ، ويخلل أسلحتهم . ويقطع موادهم ، ويخرب بلادهم . وأكبر الأسباب المعينة على ما يروى من هذه المصلحة ألا يبقى في بلادهم أحد من العرمان ، وأن ينتقلوا من ذل الكفر إلى عز الإيمان ، وما اجتهد فيه غاية الاجتهاد ، وهدى من أعظم أسباب الجهاد . ترحيل كثير من أنفارهم ، والحرص على تبديل دارهم . إلى أن صار العدو اليوم إذا نهض لا يجد بين يديه دليلا ، ولا يستطيع حيلة ولا يهتدى سبيلا " ( ٢ ) .

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ١٩٢ ، حوادث ٥٦٦ هـ .

( ٢ ) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢٠٦ ، حوادث ٥٦٨ هـ .

٣ - الشعر يتصدر التعبئة الإعلامية منذ البداية :

كان سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين هو الهداية التي حركت أوتار الشعراء ، وأحرقت قلوبهم تعبيرا عما يجيش في صدور الأمة الإسلامية .

ومنذ تلك اللحظة القاسية والشعراء لا يبتعدون عن تحريك الرأي العام الإسلامي وتعبئته إعلاميا وعسكريا لاسترداد بيت المقدس من أيدي غاصبيه .

فقالوا القصائد الطوال التي ذكروا فيها هذا السقوط المفجع لبيت المقدس في أيدي الصليبيين ، وتحسروا من خلال أحيائها على ما حل بالمسلمين ومد ينتهم المقدسة ، وسجلوا فيها ما ارتكبه الفرنج من جرائم تقشعر لها الأبدان ، وطالبوا المسلمين كافة بالقيام بواجبهم والنهوض إلى الجهاد في سبيل الله .

من ذلك ما قاله أبو المظفر الأبيوردى . . والتي أولها : (١)  
مزجنا دماء بالدموع السواجم : فلم يبق منا عرضة للمراجم (٢)  
ومنها :

وكيف تنام العين ملء جفونها : على غفوات أيقظت كل نائم  
وأخوانكم بالشام يضحى مقلهم : ظهور المذاكي<sup>(٣)</sup> وبطون القشام<sup>(٤)</sup>  
ومنها :

وكاد لهن المستجن بظبيبة : ينادى بأعلى الصوت بأآل هاشم  
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا : رماحهم والدين واهي الدائم

---

(١) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥١ .  
(٢) المراجم (جمع مرجمة) : القبيح من الكلام .  
(٣) المذاكي : الخيل التي تم سننها وكملت قوتها ، الواحد مذك .  
(٤) القشام : جمع قشعم وهو السنن من النسور .

ومنها :

ولم يتهم إن لم يذودوا حمية : عن الدين ضنوا غيره للمحارم  
وان زهدوا في الأجر إذ حسي الوفي : فهلا أتوه رغبة في الغنائم  
وقال شاعر آخر ( ١ ) :

أحل الكفر بالإسلام ضيما : يطول عليه للدين النحيب  
فحق ضائع وحس مهجأح : وسيف قاطع ودم صهيب  
وكم من سلم أمسى سليبيا : وسلبه لها حرم سليب  
وكم من مسجد جعلوه ديرا : على محرابه نصب الصليب  
دم الخنزير فيه لهم خلوق : وتحريق المصاحف فيه طيب  
أمر لو تأملهن طفيل : لطقل<sup>(٢)</sup> في عوارضه المشيب  
أتسى السلما ت بكل شفر : وهش المسلمين إذا يطيب  
أما لله والإسلام حيق : يدافع عنه شبان وشيب  
فقل لذوى البصائر حيث كانوا : أجهبوا الله ويحكمو أجهبوا

.....

هكذا كان موقف الشعر من الغزو الصليبي منذ بدايته ،  
ويستمر عطاء الشعر للمشاركة في التعبئة الإعلامية منذ خطواتها  
الأولى بدون توقف ، وهذا ما سوف أتناوله بالتفصيل عند ما  
أتحدث عن " مواءمة الشعر في خصائصه وموضوعاته مع مرحلة  
التعبئة الإعلامية ضد الصليبيين " في الخطوة التالية لهذه البداية  
في عهد " عماد الدين زنكي " و " نور الدين محمود " و " صلاح الدين  
الأيوبي " ربطا لهذه الخصائص والموضوعات ، ووصولها إلى  
المرحلة النهائية من التعبئة الإعلامية الكاملة ، حيث استرد المسلمون  
بقيادة صلاح الدين بيت المقدس من أيدي غاصبيه .

( ١ ) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج ٥ ، ص ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣ .  
( ٢ ) طوقل : أقبل وأظلم .

ثانيا : الوسائل الإعلامية التي استغناها صلاح الدين ضد الصليبيين :

١ - التوسع في إنشاء المدارس لنشر عقيدة الجهاد ضد الصليبيين :

من الواضح أن صلاح الدين الأيوبي قد استغل الوسائل الإعلامية التي أتاحتها في عصره أفضل استغلال حتى أشرفت تلك الوسائل وآتت أكلها .

ولست أدري لماذا أجد نفسي مجبرا على أن أجرى مقارنة بسيطة بين تلك الوسائل الإعلامية في عهد صلاح الدين ، كالمسجد والمدرسة والدعاة والشعراء والكتاب ، وبين الوسائل الإعلامية في عصرنا الحاضر التي بلغت من التقدم العلمي مبلغا عظيما .

إن تلك المقارنة تبين بوضوح أن الوسائل الإعلامية في عصر صلاح الدين قد قادت الأمة الإسلامية إلى النصر والعزة والمنعة . لا لأن تلك الوسائل كانت هي السبب في ذلك حيث لا تزال موجودة حتى الآن ، بل لأن العاملين بها والقائمين عليها قد أخلصوا النية لله ، ووهبوا أنفسهم لله وجاهدوا في الله حقيق جهاده .

أما المسلمون اليوم فهم يظنون كل شيء ، المسجد والمدرسة والدعاة والشعراء والكتاب ، نفس الوسائل التي كانت موجودة في عهد صلاح الدين بجانب الوسائل العصرية المتقدمة ، والمتعددة ، كالإذاعة السموعة ، والإذاعة المرئية ووكالات الأنباء ، والصحف والمجلات . ومع ذلك فهم بلا نصر ولا عزة ولا منعة ، لماذا ؟ لأنهم لم يخلصوا النية لله ، ولم يهبوا أنفسهم لله ، ولم يجاهدوا في الله حق جهاده ، ولم يصدقوا الله فلم يصدقهم الله .



جاء صلاح الدين الأيوبي إلى الحكم ، وللشيعة أسياس  
الفاطميين شأن كبير في مصر والشام ، ويذكر ابن جبير ،  
أحوالهم في الشام أيام صلاح الدين فيقول :

" وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة ، وهم أكثر من  
السنين بها ، وقد عموا البلاد بمذاهبهم ، وهي فرق شتى ،  
منهم الرافضة ، ومنهم السهابون ، ومنهم الإمامية والزيدية ،  
وهم يقولون بالتفضيل خاصة ، ومنهم الاسماعيلية والنصرية ، وهم  
كفرة ملحدون يزعمون الألوهية لعلي رضوان الله تعالى عليه " ( ١ ) .

وحيث استولى صلاح الدين على مصر بذلك كل ما في وسعه  
لإزالة كل أثر لذلك المذهب . واستغل كل الوسائل الإعلامية  
الممكنة للوصول إلى مرحلة التعبئة الإعلامية الكاملة . ومن تلك  
الوسائل كانت المدارس التي أنشأها لتدريس المذاهب السنية ،  
ولقد بلغ الشعور الديني في ذلك العصر ذروته بين الناس ، وسيطر  
على كل شيء في حياتهم بواسطة فقهاء السنة الذين حطوا طس  
طائفهم مسئولية الدعوة والإرشاد سوا في الساجد أم المدارس  
أم بين العامة أينما وجدوا .

وكان للشعور الديني الذي غلب على الناس في هذا العصر  
أثره كذلك على الأسماء والكنى التي تسمى بها الناس ، فـ  
اتخذوا لأنفسهم أسماء وكنى مضافة إلى الدين أو منسوبة له مثل :  
زين الدين وصلاح الدين ونور الدين وهلا الدين ونجم الدين ،  
وجمال الدين ، وعز الدين ، وضياء الدين ( ٢ ) .

وكما كانت المكتبات والجامع العلمية ودار الحكمة وغيرها جزءا  
هاما من الخطة التي دبرها الفاطميون لنشر الدعوة الفاطمية ، كذلك  
أصبحت المدارس الأيوبية جزءا هاما من الخطة التي وضعها  
صلاح الدين .

( ١ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ( ط ، دار صادر - بيروت ) ص ٢٥٢ .

( ٢ ) محمد زقلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ٦٩ .

ولقد بينت في الفصل السابق أن صلاح الدين قد أنشأ المدارس في عهد قاصدا بذلك يؤمّن أن تقوم بعمليتين خطرتين : أولهما : تعليم الناس المذهب السني ، ومجاربة العقائد الفاطمية . الثاني : إثارة التحمس الديني ضد الفرنج في الحروب الصليبية . تلك كانت وظيفة المدرسة في عهد عماد الدين ونورالدين . ثم بلغت غايتها في عهد صلاح الدين .

والخلاصة أنه بينما كان الجنود في الميدان منهمكين فسي محاربة الفرنج ، جادين في حصرهم فوق شريط ضيق على ساحل البحر ، إذ بالعلماء والفقهاء في داخل البلاد وعرضها ينتزعون من عقول الناس أفكارهم المشبّطة وعقائدهم المنحرفة ، ويفغزون عقولهم غزوا عقديا على مذهب أهل السنة والجماعة .

ومادام الجهاد قد استولى على مشاعر صلاح الدين وجوارحه وأصبح غايته المثلى وهدفه الأول ، فلاشك في أن كل خطوة من خطواته ، وكل حركة من حركاته كانت توضع في خدمة ذلك الهدف . والمدارس مزرعة العقول وحصادها ، لذلك لم يكن غريبا على صلاح الدين أن يعتبر في نظر التاريخ المؤسس الحقيقي للمدارس في مصر بعد عماد الدين ونورالدين .

ولقد كان بناء مدرسة من أهم الأعمال التي يعمل لها سلاطين السلاجقة وأمراؤهم ووزراؤهم ، وكانت تماما توازي عندهم بناء مسجد أو فتح مدينة أو بناء قلعة ( ١ ) . ولذلك أصبحت دمشق وحلب والقاهرة والموصل وبغداد وحمص وبعليك ، ومدن أخرى إسلامية عربية كثيرة في عصر نورالدين وصلاح الدين مراكز هامة للثقافة بفضل ما أنشئ فيها من المدارس ومن نشأ فيها أو أقام وعلم فيها من العلماء ( ٢ ) .

( ١ ) المرجع السابق : ص ٧٧ .

( ٢ ) د . محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ٧٧ .

ولم تقتصر همة هؤلاء القادة والحكام للأمة على حب العلم  
والعلماء وبناء المدارس ، بل تفقه كثير منهم حتى أصبحوا علماء  
بأنفسهم .

ويقول ابن جبير في رحلته :

" إن صلاح الدين كان ينفق على مدارس القاهرة وحدها  
في عصره ألفى دينار كل شهر " ( ١ ) .

ويقول أيضا عن بعض مآثر صلاح الدين :

" ومن مآثره الكريمة المعربة عن اعتناؤه بأمر المسلمين  
كافة أنه أمر بعمارة محاضر ( ٢ ) ألزمها معلمين لكتاب الله  
وزجل يعلمون أبناء الفقراء والأيتام خاصة وتجري عليهم الجراية  
الكافية لهم ( ٣ ) .

ومن الغريب في الأمر أن يزدهر العلم والأدب وتنتشر  
الثقافة في عصر مثل عصر صلاح الدين الذي غلبت عليه الأحداث  
الكبار ، أحداث الحروب الصليبية التي هضفت بالشرق الإسلامي  
سنين طويلة .

ولكن يبدو من استقراء التاريخ أن الشرق قد اعتاد  
أن تسير الأحداث العنيفة جنبا إلى جنب مع العلم والأدب  
والثقافة .

وحتى تثمين لنا تلك الموازنة بين العلم والأدب والثقافة  
من جهة وبين الحرب من جهة أخرى في عهد صلاح الدين وكيف  
يمكن لمثل تلك الموازنة أن تحدث بحيث يسير كل من الشقيين  
جنبا إلى جنب في وقت واحد ، علينا أن نذكر طرفا ما فعنسه

- 
- ( ١ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ( ط دار صادر بيروت ) ص ٢٤ .  
( ٢ ) المحاضر : المدارس .  
( ٣ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ( ط دار صادر بيروت ) ص ٢٧ .

صلاح الدين الأيوبي من أجل بث فريضة الجهاد العقدي عن طريق إنشاء المدارس ، وتشجيع العلم والعلماء بجانب جهاده الحربى المتواصل ضد الصليبيين ، ذلك الجهاد الذى توجهه صلاح الدين بتحرير القدس الشريف من أيدي غاصبيه .

وجه صلاح الدين جل اهتمامه إلى القاهرة التى كانت عاصمة الخلافة الفاطمية ، وحصن الدعوة التى أتوا لنشرها فى مصر وغيرها من البلاد الشرقية ، ومن ثم احتاجت إلى جهد كبير من رجال الدولة الأيوبية الجديدة ، الذى يتم لهم الرجوع بهذه الهيئة العظيمة من المذهب الشيعى إلى المذهب السنى حتى تأخذ مكانتها اللائقة بها فى كتيبتة التى يقودها صلاح الدين .

من أجل ذلك يبادر صلاح الدين إلى بناء المدارس الكثيرة بالقاهرة ، وذلك منذ كان وزيرا للمعاضد الفاطمى .

وأول ما بدأ به صلاح الدين من ذلك بناؤه مدرستين على عهد المعاضد الفاطمى نفسه :

أولهما - مدرسة المشافعية بجوار المسجد العتيق ، وعرفت بأسماء كثيرة منها : المدرسة الناصرية ، والمدرسة الشريفة .

والثانية - مدرسة المالكية ، عرفت باسم " دار الغزل " ثم عرفت باسم " المدرسة القمحية " نسبة إلى القمح السذى كانت تحصل عليه هذه المدرسة من ضيعة وقفها صلاح الدين عليها بالفيوم ( ١ ) .

ثم مات المعاضد الفاطمى ، ومضى صلاح الدين فى ابتناء المدارس ، فبنى منها :

مدرسة ثالثة - للفقهاء الحنفية أطلق عليها اسم " المدرسة السيوفية " .

---

( ١ ) ابن تفرى بردى : النجوم الزاهرة ، ج ٥ ، ص ٣٨٥ .

والى جانب المدارس الثلاث السابقة للشافعية والمالكية ،  
والحنفية بنى صلاح الدين مدرستين أخريين لفقهاء المذهب  
الشافعي خاصة ، وهو المذهب الذى كان عليه أكثر أفراد  
البيت الأيوبي :

الرابعة - بجوار إمام الشافعي ، ويقول ابن جبير فيها :  
" لم يعمر بهذه البلاد مثلها ، لا أوسع مساحة ولا أحفل  
بنا ، يخيل لمن يطوف عليها أنها بلد مستقل بذاته ، بإزائها  
الحنام ، إلى غير ذلك من مرافقها ، والبناء فيها حتى الساعة -  
ساعة رؤية ابن جبير لها - والنفقة عليها لا تحصى . تولسى  
ذلك بنفسه الشيخ الإمام الزاهد العالم المعروف بنجم الدين  
الخبوشاني . وساطان هذه الجهات صلاح الدين يسمح له  
بذلك كله ، ويقول : " زد احتفالا وتأنقا وعلينا القيام بمؤونه  
ذلك كله ، فسيحان الذى جعله صلاح دينه كاسه " ( ١ ) .  
الخامسة - وكانت بجوار المسجد الحسيني .

فتلك إذن خمس مدارس بناها صلاح الدين بصر ، وذلك  
كله عدا المدرسة التي بناها بدمشق ، وهذا المدرسة التي بناها  
كذلك بالقدس بعد أن من الله عليه بتحريرها من أيدي النصارى  
عام ٥٨٣ هـ ، وكلف القاضي بها الدين بن شداد بالتدريس  
فيها ، فكثر وفود الطالبين للعلم إلى بيت المقدس ، وطار  
صيته في الآفاق .

ويتضح من مناهج المدارس التي أسسها صلاح الدين أنه

---

( ١ ) ابن جبير : رحلة ابن جبير ( ط ، دار صادر - بيروت ) ، ص :

كان يقتفى آثار نور الدين فى التعمير من جهة ، وكان يرمى إلى تعليم الناس المذهب السنى ، وقطع دابر المعتقدات الفاطمية والمذاهب الباطنية ، وإذ كان شعاة الحماس ضد الفرنج الذين دنسوا البلاد ، وأكثروا فيها الفساد من جهة أخرى .

٢ - مشاركة العلماء والأئمة بأنفسهم فى المعارف حتى يصبحوا قوة

### إعلامية كبرى بين المجاهدين :

القدوة الحسنة مبنية على غريزة من غرائز الإنسان هى غريزة التقليد أو المحاكاة ، ولهذا الغريزة تأثيرها الذى لا يقاوم فى كل ميدان له من ميادين الحياة على اختلاف الزمان والمكان .

ولذا فكيف يأمر قائد جنوده بالبسالة والإقدام وهو فى نفس الوقت لا يقدم لجنوده الدليل الحى فى مجال التجربة العظيمة طسى ما يأمرهم به ؟

والقدوة الحسنة طريق يجب أن يسلكه كل من يتصدر للإسلام فى أى موقع حتى لا تأتى أفعاله متناقضة مع أقواله مصداقا لقول الله تعالى :

• أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون " (٢) . والمعلمون والدعاة كيف يأمرون الناس بالمعروف وينهونهم عن المنكر وهم لا يمثلون فى ذلك لأمر الله سبحانه وتعالى ؟

• يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتنا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون " (٣) .

(١) هداية عاوان : صلاح الدين الأيوبي " بطل حطين ومحرر القدس من الصليبيين

ص ١٧٩ ، (مؤسسة الرسالة - بيروت) ط ١ عام ١٣٩٤ / ١٩٧٤ م .

(٢) سورة البقرة : آية ٤٤ .

(٣) سورة الصف : آية ٢ ، ٣ .

ورجال الإعلام - وهم الذين يقومون بتزويد الناس  
بالحقائق السليمة والمعلومات الصحيحة - ينظرون إلى القدوة  
الحسنة على أنها وسيلة من وسائل الإعلام تغنى في ذاتها عن  
بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون  
إليها (١) .

والعربون في جميع مراحل التعليم يهذبون الأمثلة إلى  
الشباب في جميع مراحل التعليم للبطولة والأبطال في كل مجال  
من مجالات العمل والكفاح ، وأبرز هذه المجالات جميعا مجال  
الحرب والجهاد دفاط عن العقيدة ونشرا لدين الله .

والقدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل للاتصال  
بالناس ، وهي تعتمد على الاتصال الشخصي المباشر ، وهو اتصال  
ناجح ففى الاقنماع لأنه يتلافى سلبات الإعلام الأخرى ،  
كما أن قياس رجع الصدى يتيسر بطريقة مباشرة ، يستطيع بهـا  
المتحدث أن يعدل من أداءه الاتصالى فى المراحل المتتالية (٢) .  
وبالإضافة إلى ما تقدم فإن الاتصال الشخصى المباشر  
يتصف بالمودة والألفة فيتحقق بذلك التعارف والتألف .

وكل ذلك يتطلب من الداعية أن يكون قدوة حسنة ، لأنه  
يقوم بالاتصال المباشر بين الداعية والمدعوين .

وصلاح الدين الأيوبي عندما بث العلماء والدعاة بين صفوف  
المجاهدين أثناء خوضهم للمعارك إنما كان يستغل هذا الاتصال  
الإعلامى المباشر أفضل استغلال اختصارا منه لمرحلة التعهشة  
الإعلامية الكاملة .

---

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الإعلام فى صدر الإسلام ، ص ٦٥ .  
(٢) د . ابراهيم إمام : الإعلام الإسلامى (المرحلة الشفهية) ، ص ٥١ .

وصلاح الدين إذ يفعل ذلك ، إنما يقدم للمجاهدين  
الدليل العليّ الحى على أن يتخذوا من هؤلاء العلماء والفقهاء  
والدعاة قدوة صالحة لهم فى جهادهم بالقول والفعل .  
وكان من هؤلاء العلماء والفقهاء والدعاة المجاهدين  
بأستنتهم وسيوفهم على سبيل المثال :

- العالم الفقيه المجاهد ضياء الدين عيسى الهكارى ، الذى رافق  
صلاح الدين فى وقعة الرملة سنة ٥٧٣ هـ ، حيث التقى بالفرنج  
فحملوا على المسلمين وهزموهم ، وثبت السلطان وابن أخيه  
تقى الدين عمر ، ودخل الليل واحتوت الفرنج على العسكر بما فيه ،  
وتمزق العسكر ، وعطشوا فى الرمال ، واستشهد جماعة ، ونجا والله  
الحمد ، وقتل ولد اتقى الدين عمر وله عشرون سنة ، وأسر الأمير  
الفقيه عيسى الهكارى (١) .

واقدمك الفقيه عيسى الهكارى وأخوه الظهير فى الأسر  
بضع سنين قبل أن يفتديهما صلاح الدين بستين أو سبعين ألف  
دينار وفكك جماعة من الكفار (٢) .

ويقول ابن الأثير عن الفقيه المجاهد عيسى الهكارى : " وكان  
أشد الناس قتالا ذلك اليوم الفقيه عيسى رحمه الله ، وهو من أعيان  
الأسدية وكان جمع العلم والدين والشجاعة " (٣) .

- أبو القاسم سيف الدين عبد الله بن عمر بن أبى بكر الفقيه الحنبلى الإمام ،  
ولد سنة ٥٥٩ هـ " بقاسيون " ورحل إلى بغداد فسمع بها من جماعة  
وتفقه وبرع فى معرفة المذهب والخلاف والمناظرة ، وقرأ النحو طس  
" أبى البقاء " ، وحفظ الإفصاح لأبى طى ، وقرأ العروض وله فيه

(١) ابن العماد : شذرات الذهب ، ط ٢ - هـ ٤ ، ص ٢٤٤ (دار السيرة -

بيروت ) ١٣٦٩ هـ / ١٩٧٩ م .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٤٢ .



تصنيف . قال الحافظ الضياء اشتغل بالفقه والخلاف والفرائض والنحو ، وصار إماما عالما ذكيا فطنا فصيحاً مايج الإيراد ، حتى أننى سمعت بعض الناس يقول عن بعض الفقهاء : ما اعترض السيف على دليل إلا ثلم دليله ، قاله ابن رجب ، وكان حسن الخلق والخلق أنكر منكراً ببغداد فضربه الذى أنكر عليه فكسر ثنيتة ثم أنه مكن من ذلك الرجل فلم يقتص منه ، وغزا مع صلاح الدين ، وسافر إلى حران فتوفى بها شاباً فى حياة أبيه فى شوال رحمة الله تعالى (١) .

القاضى الفاضل ، صاحب ديوان الإنشاء ، وشيخ البلاغة ، سبق الكلام عنه حين تحدثت عن " الرسائل وأثرها فى نقل الأخبار " ، وأتناوله بالكلام عنه الآن بصفته عالماً لم يكنف بالقلم وحده ، بل شارك الجنود فى معاركهم الحربية بالذكر والتحرير . قصد مصر ليمتغل بالأدب فاشتغل به وحفظ القرآن وقال الشعر والرسائل وخدم الأكابر ، فلما طك أسدالدين احتاج إلى كاتب فأحضر إليه فأعجبه نفاذ ، وسمته ودينه ونصحه ، فلما تملك صلاح الدين استخلصه نفسه وحسن اعتقاده فيه ، ووجد البركة فى رأيه ، ولذلك لم يكن أحد فى منزلته ، وكان نزهاً عفيفاً نظيفاً قليل اللذات كثير العسنتات دائم التهجرد ملازم القرآن ، وكان لباسه لايساوى دينارين وثيابه البياض ، ولا يركب معه أحد ، ولا يصحبه سوى غلام له ، ويكثر زيارة القبور ، ويشيع الجنائز ويعود المرضى ، وكان له صدقات ومعروف كثير فى الباطن (٢) .

لقد كان القاضى الفاضل غيوراً على مصلحة الإسلام والمسلمين فبذل مجهودات عظيمة فى تجهيز العساكر وبث روح الجهاد فىهم ،

(١) أبو الفلاح عبدالحى بن العباد : شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢٨٥ .

(٢) المصدر السابق : ج ٤ ، ص ٣٢٥ .

وكان بجانب هذا ساهرا على مصلحة البلاد الداخلية ، يصرف عنيته في تصريف أمورها ، ويراقب دقيقها وجليلها ، ويقض على دسائس الدسائسين وكيد الكائدين الذين كانوا يتآمرون على قلب دواة صلاح الدين مستعينين على ذلك بالصليبيين (١) .

بمثل هـ ولاء الرجال انتصر صلاح الدين على الهجمة السلبية الشرسة وأعاد بيت المقدس إلى الأمة الإسلامية فاسترد لها كرامتها .

وبمثل هـ ولاء الرجال تحولت الأمة كلها إلى جيش من المجاهدين الذين عاهدوا الله على النصر أو الشهادة .

العماد الكاتب الأصفهاني ، لم يكتف بالكلام دون المشاركة في المعارك الحربية جنبا إلى جنب مع قائده صلاح الدين الأيوبي ومن قباه نور الدين محمود ، وهو في ذلك يتفق مع قرينه القاضي الفاضل في ضرورة أن يكون العالم قدوة حسنة لمن يخاطبهم بالفعل ، لا بالقول فقط ، لذلك نزل إلى الميدان العلي ، ولقد كان صلاح الدين يعزه ويكرمه ولا يبصر على بعده عنه وذلك لحاجته الشديدة إليه في كتابة الرسائل التي لم يكن يحسن كتابتها أحد سواه .

وكان السلطان معجبا بأسلوبه في الإنشاء حتى أنه لما فتح القدس لم يعهد إلى أحد بكتابة رسائل البشارة ، وفضل أن ينتظر قدوم العماد الذي كان متغيبا عنه في مرض ، وقد روى العماد ذلك فقال :

" وكان أصحابه - أي أصحاب السلطان - يطالبونه بكتب البشائر ليفربوا بها ويشرقوا وهو يقول لهم : لهذه القوس مبار وهذه المأدبة قار ، قال فكتب في ذلك اليوم سبعين كتاب بشارة ، كل كتاب بمعنى بديع وعجارة ، فمنها الكتاب إلى الديوان العزيز بهنداد .

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٤ ، ص ٩٦ .

ولقد افتتح العماد الأصفهاني كتابه إلى الديوان العزيز  
بقول الله سبحانه وتعالى :

" وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم  
في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي  
ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمما " (١)

وقد لازم العماد صلاح الدين ملازمة قوية ، يقيم لقياسه ،  
ويرحل لرحيله ، ثم انتقل صلاح الدين إلى مصر فكان العماد معه  
في كل مكان .

ويقول العماد نفسه في ذلك :

" وكان السلطان أيضا يؤثر إيثاري ويختار اختياري فقال لي  
أنت معنا أو هزمت أن تدعنا ولا تتبعنا ، فقلت الأمر للمولى وما  
يختاره لي فهو أولى ، فقال تعود وتدعولنا ، وتسال الله أن  
يبدلنا من النصر سؤلنا ، ثم يقول العماد : وما انقطعت عن  
السلطان في غزواته إلا في هذه الغزوة " (٢) .

تلك كانت صفة الرجال الذين التوا حول صلاح الدين حين  
جنوده ، هؤلاء الرجال الذين نصروا الله فنصرهم الله وشهدت  
أقدامهم وقوسهم بهم دعام الكفر والفسوق والعصيان ، قال تعالى :

" يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم (٣) .  
وقال تعالى :

" أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير .  
الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع  
الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها  
اسم الله كثيرا ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز " (٤) .

(١) سورة النور : آية ٥٥ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٣) سورة محمد : آية ٧ .

(٤) سورة الحج : آية ٣٩ ، ٤٠ .

٣ - تأليف الكتب التي تحت المسلمين على الجهاد والغروسة:

استطاعت الحروب الصليبية بما حققت من انتصارات على الأمة الإسلامية في بداية نشوبها أن تنبه المسلمين إلى الخطر الذي يستهدف عقيدتهم، ويهدد وجودهم، واستطاع المسلمون في ذات الوقت أن يتنبهوا من غفوتهم، وأن ينهضوا من كبوتهم، وأن يستقبلوا من أمرهم ما استدبروا.

وسرطان ما حولوا أنفسهم إلى جبهتين من المجاهدين الذين وهبوا كل شيء في حياتهم للجهاد ضد الغزاة المعتدين.

المساجد والمدارس أصبحت جزءاً من المعركة الصليبية بين الإيمان والكفر.

الدعاة والعلماء والأئمة تحولوا جميعاً إلى جيش من الإيمان يدفع الناس إلى البذل والتضحية بكل ما يملكون من نفس ومال وولد.

الكتاب والشعراء والعلماء جندوا أنفسهم للذود عن عقيدة الأمة والدفاع عنها وسهاجة أعدائها والترهين بها داخل الأمة وخارجها في تعبئة عقديّة إعلامية كاملة، كل إنسان يحاول أن يقدم قدر استطاعته ما يساهم به في استكمال تلك التعبئة.

من ذلك أن بعض شباب المسلمين في العصر الأيوبي كان يشتغل بمادة الكيمياء رغبة منه في خدمة الحرب، والمساهمة فيها بنصيب كان له أكبر الأثر في بعض الانتصارات التي كسبها المسلمون على أعدائهم من الصليبيين.

من أجل هذا ذكرت بعض المصادر التي تناولت هذه الحروب أن شهاب دمشق استطاع تأليف أدوية لإحراق الأبراج

التي صنعها الصليبيون ، والتي لا تؤثر فيها النيران ، وأنه  
نجح في اختراعه هذا نجاحا كان له أثره في الهزيمة المنكرة  
التي حلت بالأعداء .

قال المؤرخون : فتقدم إليه السلطان بالجوائز الكثيرة ،  
وأطمعه الأمراء بالخلع الثمين ، فلم يأخذ شيئا ، وقال : قد  
عملت شيئا لله تعالى (١) .

ومن عجب أن دراسات المستشرقين المعصر الأيوبي لا تشير  
إلا إلى أفراد معينين ، وتغفل هؤلاء الذين صنعوا التعيشة  
الإعلامية الكاملة المتناسكة ضد الصليبيين ، فهم حين يتكلمون عن  
العصر إنما يشيرون إلى الفزالي ، وابن رشد ، والزمخشري ،  
والفخر الرازي ، من المفكرين ، وإلى الحريري ، والطبراني ،  
وابن الفارض من الأدباء .

وليس هؤلاء هم كل من كان ، ولهمت آثارهم كل الآثار  
الفكرية والأدبية ، بل إن دراسات المستشرقين لم تتناول من  
الأدباء والمفكرين والشعراء من كانت لهم روح إسلامية مقدسية  
صافية ، أو من كان لهم أثر في حركات البعث الإسلامي العربي  
في عصر صلاح الدين ومن بعده ، وكان هذا الإغفال متعمدا  
أغلب الظن . فلا نجد كلاما عن ابن الأثير ، ولا القاضي الفاضل  
ولا عماد الدين الأصفهاني ، ولا ابن التعاويذي والأبيوردى ،  
وغيرهم من فاضت كتاباتهم بروح النضال والكفاح والتصوير الحماسي  
اجتهاد صلاح الدين ضد الاستعمار الصليبي (٢) .

إن عصر صلاح الدين كان عصر حروب لا تخمد بين المسلمين  
والصليبيين ، ولقد كانت هذه الحروب دافعا قويا لظهور لون من  
الأدب لم يكن موجودا من قبل . وهذا اللون من الأدب كان يرجع

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصور الأيوبي والسلوكي

الأول ، ص ١٢٣ .

(٢) د . محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ١٦٨ .

إلى أصل واحد هو الجهاد والدعوة لحماية الإسلام والمسلمين ،  
من ذلك على سبيل المثال : أدب الجهاد والحض عليه ،  
ووصف الجيوش وآلات الحرب ، والحصون ، وإبراز فضائل  
الشجاعة والنخوة ، والبطولة ، والتفاني في سبيل الدفاع عن  
العقيدة .

وللقاضي الفاضل من كتاب الرسائل أوصاف كثيرة للحروب  
والحصون ، وقد وصف حصن الكرك - وكان أحد حصون  
الصليبيين المنهكة المشهورة والذي طالما ضايق المسلمين ،  
بل كان شوكة في جنبهم تؤذي الناس ، وتقطع طريق الحاج ،  
وإن يتركها صلاح الدين بل شدد عليها الحصار إلى أن اقتلعها  
من الصليبيين فاستولى على الحصن الحصين ، وقد انتهز القاضي  
الفرصة فقال فيه :

" هو شجى في الحناجر وقذى في المحاجر ، قد أخذ  
من الآمال بسخنتها ، وقعد بأرصاد العزائم وطرقها ، وصار نثها  
الدهر في ذلك الفج ، وطذرا لتارك فریضة الحج ، وهو  
وحصن الشوك - يتر الله الآخر - كبيت الواصف للأسدين :  
ما مريموم الا وعندهم - : لحم رجال أو يولغان دما ( ١ )  
ووصف المعركة التي وقع فيها هذا الحصن في كتاب آخر  
فقال :

" وأما الكرك فكفأت المنجنقات عليه متظافرة ، وحجارتها  
على من فيه حاجرة ، وقد جذعت أنوف الأبرجة ، وأسبلت قناعات  
الستائر وجوهها المتبرجة ، وكل جوانبها وعرة المرتقى ، صعبة  
المحتطى ، والسلطان يستعذب التي تتفادى منها الهمم ،  
ويباشر جمرات الشتاء الكالج بوجهه العتسم" ( ٢ ) .

( ١ ) أبو شامة : الروافدين ، ص ٢٠٥ ، ص ٥٥٥ .

( ٢ ) المصدر السابق : ص ٥٥٥ .

ولقد ظلت الحروب الصليبية مصدرا ينفذ لموضوعات  
الجهاد والآلات التي تستخدم فيه ، فكانت عاملا هاما في ظهور  
هذا اللون الأدبي ، وهولون اتخذ من سيرة الرسول صلى الله  
عليه وسلم ومغازيه نبراسا يهتدى به في قلبه ومثله . ولم يغفل هذا  
اللون من الأدب سير أبطال الإسلام الأوائل وحسن جهادهم .  
وركز المؤلفون والأدباء على إبراز الصفات البطولية لأولئك  
الأبطال من الصحابة والقواد لتبقى روح الجهاد متأججة فسى  
أعماق الجند المدافعين عن الإسلام .

ولم يكتف هؤلاء المؤلفون والأدباء بذلك وحده وانما  
تناووا التاريخ فوصفوا الوقائع الحربية والأحداث الكبيرة التي  
صاحبت تلك الوقائع أو ترتبت عليها ، وهكذا تكون التعبئة  
الإعلامية الكاملة .

من ذلك أن كتبها بتعامها ألفت في الأعمال الحربية الخالدة  
التي تمت على يدي صلاح الدين مثل كتاب " الفتح القس فسى  
الفتح القدسي " ، وهو كتاب يؤرخ لفتح صلاح الدين لمدينة  
القدس ، واستعادتها إلى حوزة المسلمين بعد أن اغتصبها  
الصليبيون زمنا ، وأقاموا بها إمارة هي إمارة بيت المقدس ،  
واعتبروها عاصمة لإماراتهم الشرقية في بلاد الشام ، وكان ملكها  
رئيسا لأمرات تلك الإمارات .

ولقد كان دوى ذلك الفتح عظيما ، استولى على مشاعر  
الكتاب والشعراء وحرك قريحتهم ، فشاركوا الأمة الإسلامية  
فرحتها الفخامة ، ورددوا أصداها في نفوس المسلمين أينما  
وجدوا .

وجاء كتاب العمام الأصفهاني " الفتح القس في الفتح  
القدس " صورة من تجاوب الأدباء مع هذا الحدث الأعظم .

ولقد قوى فن الخطابة خاصة الدينية منها في العصر  
الأيوبي ويرجع ذلك إلى شئتين :  
أولهما : شعور المسلمين بالضعف أمام محافل الصليبيين وغيبتهم  
في استنهاض الهمم والحث على الجهاد وبذل النفس  
والنفس في سبيل نصره الدين الإسلامي والأمة الإسلامية .  
والثاني : هو غلبة العامل الديني على النفوس ولجوء الناس إلى  
الدين باعتباره مخلصا لهم مما هم فيه من الرزايا  
والهموم (١) .

إن المتتبع لانتاج معظم كتاب وأدباء ذلك العصر يلمس  
بوضوح سيطرة تلك النزعة الدينية على ما كتبوه ، فقد اقتبسوا من  
القرآن الكريم آيات كاملة أو أجزاء منها أو بعض ألفاظها ، أو  
حتى معانيها .

كل ذلك من أجل تعبئة النفوس للجهاد والبذل والتضحية  
حتى النصر أو الشهادة ، والرسالة التي كتبها العباد الكاتب  
الأصفهاني في فتح " عكا " تعتبر مثالا حيا على هيمنة تلك  
الظاهرة الأدبية في ذلك العصر .

يقول عماد الكاتب الأصفهاني في فتح عكا :  
" ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها  
عبادي الصالحون . الحمد لله على ما أجز من هذا الوعد  
وطى نصرته لهذا الدين الحنيف من قبل ومن بعد ، وجمع  
بعد عسر يسرا ، وقد أحدث الله بعد ذلك أمرا ، وهيون  
الأمر الذي ما كان الإسلام يستطيع إليه صبورا ، وخوطف الدين  
بقواه : ولقد مننا عليك سنة أخرى . فالأولى في عصر النهي صلى  
الله عليه وسلم والصحابة ، والأخرى هذه التي أعتق فيها من

(١) د . محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ص ١٢٨ .



رق الكآبة ، فهو قد أصبح حرا ريان الكبد الحرا ، والزمان  
لهيئته استدار ، والحق بيهجته قد انتار ، والكفر قد رد ما  
كان عنده من المتاع الستعار ، فالحمد لله الذي أطار الإسلام  
جديدا ثوبه بعد أن كان جديدا حبله ، سيفا نصره ، مخفرا  
نصه ، متسعا فغله ، مجتمعا شمله ، والخادم يشرح من نهياً  
هذا الفتح العظيم ، والنصر الكريم ما يشرح صدور المؤمنين ،  
ويمنح العبير لكافة المسلمين ، ويورد البشرى بما أنعم به من  
يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر ربيع الآخر إلى يوم  
الخميس منسلخة . وتلك سبع ليال وثمانية أيام سخرها الله  
على الكفار ، فترى القوم صرعى كأنهم أعمار نعل خاوية وإذا  
رأيت شم رأيت البلاد على عروشها خالية ، ورأيتها إلى  
الإسلام ضاحكة كما كانت من الكفر باكية " (١) .

أما ضياء الدين بن الأثير فيدلنا على الأمثلة التي  
استخدم فيها القرآن الكريم وحديث النبي صلى الله عليه وسلم  
في رسائله وكتبه بحيث لا يحوجنا إلى جهد كثير أو قليل ، ومن  
هذا ما يناسب الموضوعات التي أوردت منها أمثلة سابقة قوله  
في وصف المنجنيق :

" ونصب المنجنيق فجثم بين يدي السور مناصبا ، وسط  
كفه إليه مؤاتيا ، ثم تولى عقوبته بعصاه التي تفتك بأحجاره وإذا  
عصا طيها بلد أخذت في تأديب أسواره ، فما كان إلا أن استمرت  
عقوبتها عليه حتى صار قائمه حصيدا ، وطاحيه مستفيدا ، وقال  
ألم يكن نهى عن المد والتجريد ، فمالي لا أرى إلا مدا  
وتجريدا ، وعند ذلك أزهن لفتح الأبواب وتلا قوله تعالى :  
" لكل أجل كتاب " ، وكذلك لم تأت صعبا إلا استسهل ،

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٨٩ .

ولا حشنا مطيا إلا استعجل ، ولطالما وقف غيرنا على هذا البلد  
فشغفه طول الانتظار ولم يحظ منه إلا بمسألة النصب أحجار  
الديار " (١) .

وهكذا نرى فيما كتبه ضياء الدين بن الأشير خيرا من  
الأخبار النبوية ، وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم في النهي  
عن ضرب المحدود : " لا تدولا تجريد " ، أي لا يمد على  
الأرض ولا يجرد عنه شويه .

واقتبس ضياء الدين الآية الكريمة " لكل أجل كتاب " فسي  
نصه السابق .

لقد استطاعت الحروب الصليبية أن تحدث حركة دائمة  
في ميدان التعبئة بالقلم بين المسلمين جنباً إلى جنب مع  
التعبئة بالسيف ، فعملوا أقلامهم وجعلوا من التأليف الميدان  
الثاني للكفاح والنزال والذود عن الدين الحنيف .

من ذلك يتضح أن الدعوة للجهاد كانت من أهم الأسباب  
التي دفعت حكام المسلمين وقادتهم إلى تشجيع الحركة الدائمة  
للتأليف ، ولا سيما ما كان محرراً منها على قتال الصليبيين  
أعداء الإسلام والمسلمين .

فلا غرو والحالة هكذا أن ظهرت كتب كثيرة تحت طي الجهاد  
وترغب فيه ، وليس هناك شك في أن الدعوة إلى الجهاد قد  
سيطرت على مؤلفي ذلك العصر ، فإذا وضع أحدهم كتاباً فسي  
الأدب أفرد باباً خاصاً للشجاعة وأخبار الشجعان في عهد  
الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصحابته رضوان الله عليهم ،  
وخص باباً آخر للجهاد وثوابه ، وحشد الكثير من الآيات

(١) ن . محمد زقاول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ص ٢٢٦ ، نقل عن :  
ضياء الدين بن الأشير : المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ص ٧٥ .

القرآنية والأحاديث النبوية التي تحرض على الدفاع عن الدين  
وقتل الشركيين (١) .

٤ - موازنة الشعر في خصائصه وموضوعاته مع مرحلة التمهئة فـ

الصلبيين :

أثرت الحروب الصليبية في الشعر العربي بمصر والشام  
تأثيرا كبيرا ، حيث ألهمت تلك الحروب قرائح الشعراء وحركت  
أوتارهم ، وأوقدت في صدورهم نار البغض والحقد على أعداء  
الأمة الإسلامية من الصليبيين .

والشاعر إذا التهبت فريحته واشتعل إحساسه واتقـ  
شعوره تحركت أوتاره بالقول مزوجا بدمه .

لذلك جاء الشعر الذي قيل في ذلك العصر صادقا لاشك  
فيه لأنه نابع من أغوار النفس الشاعرة ، والشعراء في تلك الفترة  
كانوا يعبرون بصدق عن آلام الشعوب الإسلامية وآمالها ويترجمون  
بإخلاص ما يجول بخاطرهما ، وينطقون بأمانة معبرين عما تريد  
في كل ما يقولون .

فما يكاد المسلمون يستولون على مدينة أو قلعة أو حصن  
حتى يهب الشعراء لتسجيل ذلك مهنيين الملك المنتصر وسجلين  
ذلك في سجل الشرف والكرامة . ثم يمزجون هذا بهجاء  
الصلبيين في أبيات عاطفية جياشة تنم عن مدى الحقد والكراهية  
لهؤلاء المعتدين . وبعد أن يعبروا عن ذلك كله يختتمون  
قصائدهم في الغالب بتحريض الملك المنتصر على كسر شأفة  
الصلبيين أعداء الإسلام والمسلمين .

(١) محمد سيد كيلاني : الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي في  
مصر والشام ص ١٥٠ .

وفى المقابل لا تكاد مصيبة تقع على المسلمين من سقوط مدينة أو قلعة أو حصن حتى نسبح الشعراء<sup>(١)</sup> ويكون وينوحون معبرين عما يخيم على المسلمين من حزن وألم لتلك المصائب، وهنا لا ينسى الشعراء<sup>(٢)</sup> وهم فى قمة حزنهم أن يوقدوا فى ليل الأمة شموع الأمل لكى ترد إلى العدو الصاع صاعين .

وكثيرا ما غدر الصليبيون بعهدهم مع المسلمين ، وهنا ينهض الشعراء<sup>(٣)</sup> مشتهرين بهذا العمل المشين ومعرضين المسلمين على القتال .

من ذلك نجد أن شعر الجهاد قد واكب أحداث الحروب الصليبية ، وطاش أكثر مراحلها ، واستمر قويا مؤثرا حتى مرحلة التعبئة الإعلامية الكاملة فى عهد صلاح الدين ، وقد حمل شعراء الجهاد على عواتقهم عبء الدعوة إلى الجهاد ، ومقاومة المحتلين ، وتوحيد القوى الإسلامية ، لمقاومة الغزاة المحتلين (١) ولكى أبين كيف ساهم شعر الجهاد هذه الحروب ، وتحدث عنها ، وعاشها هزيمة وانتصارا ، أسوق بعض القصائد التى تظهر بوضوح بعض خصائص هذا النوع من الشعر والموضوعات التى تناولها :

#### أ - التحريض على مواصلة الجهاد :

جاء الصليبيون إلى الشرق فى وقت كان المسلمون فيه منقسمين إلى شيع وطوائف . ولم تكن هناك سلطة عليا توحد كلمة المسلمين فى مصر والشام ليقفوا صفا واحدا أمام أعدائهم . لذلك استطاع الصليبيون فى بداية غزوهم لبلاد المسلمين أن يحتلوا أجزاء كبيرة من البلاد الإسلامية .

(١) محمد بن طي البهرى : الحروب الصليبية وأثرها فى الشعر العربى (النادى الأدبى - الرياض) ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠م .

وكانت القدس هي أهم مدينة إسلامية مقدسة احتلها الصليبيون ، وقد قتلوا فيها يوم دخولها ما يزيد على سبعين ألفاً منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين وعلمائهم وجهادهم وزهادهم ممن فارق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف ( ١ ) . وكان ابن الخياط ( ٢ ) من أوائل الشعراء الذين رفعوا لواء الدعوة إلى الجهاد ، فحينما بلغه خبر مجيء الصليبيين إلى بلاد المسلمين قال قصيدة طويلة مؤثرة حملها إلى حاكم دمشق عصب الدولة ، حث فيها على الجهاد ، ومقاومة الأعداء فقال :

وانى لمهد إليك القريب ~~فخر يطوى~~ على النصح والنصح يهدى  
إلى كم وقد زخر المشركون : بسيل يمهال له السيل ~~مدا~~  
وقد جاش من أرض أفرنجية : جيوش كمثل جهال ~~تدا~~  
أنوما على مثل هد الصفا : وهزلا وقد أصبح الأمر ~~جدا~~  
بنو الشرك لا ينكرون الفساد : ولا يعرفون مع الجور ~~قصدا~~  
ولا يردعون عن القتل نفسا : ولا يتركون من الفتك ~~جهدا~~  
فكم فتاة بهم أصبحت : تدق من الخوف نحرا ~~وخدا~~  
فحاموا عن دينكم والحريم : معاماة من لا يرى الموت ~~فقددا~~  
وسدوا الثغور بطعن النحور : فمن حق كفر بكم أن يسدا

ثم يبين الشاعر في آخر قصيدته : أن العز والسود في هذه الأيام مقترنان بجهاد المشركين ، وأن الذي يريد العز لنفسه يجب عليه ألا يخلع الحديد من جسده ، وأن يواصل الجهاد صباح مساء فيقول :

فما ينزع اليوم عنه الحديد من رام أن يلبس العز ~~رغدا~~  
وأيسر ما كابدته النفوس : من الأمر بالم تجد منه ~~هدا~~ ( ٣ )

- 
- ( ١ ) ابن الأثير: الكامل في التاريخ ، ج ٨ ، ص ١٨٩ .  
( ٢ ) هو أبو عهد الله أحمد بن محمد بن علي التغلبى ، شاعر دمشق مشهور له ديوان شعر ، ولد عام ٤٥٠ هـ وتوفي عام ٥١٧ هـ .  
( ٣ ) د . محمد بن علي النهرفي : الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي ص ٥١٥ ٥٠٠ .

وهندما سقطت " الرها " في يد " عماد الدين زنكي " أحدث ذلك رنة شديدة من الفرح والسرور بين المسلمين أجمعين لأن هذه المدينة كانت من أشرف المدن عند النصارى وأهمها محلا ، وكانت تحت إمرة " جوسلين " وهو عاتى الفرنج وشيطانهم والمقدم على رجالهم وفرسانهم ( ١ ) .

وهنا ينعكس صدى هذا الفتح الكبير فى الشعر ، فينطق الشعراء بنظم يلمح ومدى قوى رعين ساد طائفة دينية فياضة وشعور قوى ملتهب .

ومن ذلك قصيدة لابن القيسراني جاء فيها :

هو السيف لا يفنيك إلا جـلاد : وهل طوق الأملك إلا نجاده  
وعن شفر هذا النصر فلتأخذ الظبا : سناها وان فات العيون اتقاده  
سمت قبة الإسلام فخرا بطولـــــــــــــــــه : ولم يك يسمو الدين لولا عماده  
ثم ينتقل ابن القيسراني إلى وصف هذا الفتح الإسلامي العظيم مسفها فى نفس الوقت آراء الصليبيين ومعتقداتهم فيقول :

وفتح حديث فى السماع حديثـــــــــــــــــه : شهن إلى يوم المعاد معاده  
أراح قلوبنا طرن عن وكنااتـــــــــــــــــا : عليها قواف كل صدر فؤاده  
لقد كان فى فتح الرها دلالــــــــــــــــة : على غير ما عند العلوج اعتقاده  
يرجون ميلاد ابن مريم نصــــــــــــــــرة : ولم يفن عند القوم عنه ولاده

وفى نهاية القصيدة يظهر الشاعر الشماة بالصليبيين والسخرية الشنيعة بهم ، فليس أمامهم إلا ترك بلاد المسلمين ، والخروج منها سريعا ، قبل أن يحل بهم الدمار .

وقل لطلوك الكفر تسلم بـــــــــــــــــدها : ما لكها إن البلاد بـــــــــــــــــلاده  
كذا عن طريق الصباح فلينته الدجى : فبا طالما غال الظلام امتداده  
ومن كان أملاك السموات جنــــــــــــــــده : فأية أرض لم ترضها جياده ( ٢ )

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ج ١ - ص ٣٦ .

( ٢ ) المصدر السابق ج ١ - ص ٣٧ ، ٣٨ .

ونلاحظ من أبيات القصيدة أن الشاعر يصور هذه المعركة بأنها معركة بين الإيمان والكفر ، وإذا فهو يبرز بعض المصطلحات الإسلامية ، كقوله : " طوك الكفر " ، وإيمارته إلى جند السماء الذين يساعدون عماد الدين في حربه ، ولعله أخذ هذا المعنى من مشاركة الملائكة للمسلمين في حربهم للمشركين يوم غزوة بدر ( ١ ) والشاعر بذلك يحرض المسلمين على مواصلة الجهاد ما دام جند السماء جنباً إلى جنب معهم في جهادهم ضد أعداء الإسلام والمسلمين .

ولا يكتفى الشعراء بتحريض المسلمين على مواصلة الجهاد فحسب ، بل يحرضون أيضاً قادة المسلمين وظالمونهم بمزيد من النصر .

من ذلك ما قاله الشاعر ابن القيسراني حين فتسح عماد الدين زكي حصن " بارين " وكان هذا الحصن من أضر بلاد الفرنج على المسلمين :

فلا تخف بعدها الإفرنج قاطبة : فالقوم إن نفروا ألوى بهم نـفـر  
إن قاتلوا قتلوا أو حاربوا حاربوا : أو طاردوا طردوا أو حاصروا حاصروا

ب - وصف المعمارك :

من خصائص شعر الجهاد وموضوعاته الهامة وصف المعمارك التي دارت بين المسلمين والصليبيين ، وقد تابع الشعراء المجاهدين خطوة خطوة أثناء حوضهم المعمارك ، وكان هؤلاء الشعراء هم الذين يخوضون تلك المعمارك ويسجلون دقائقها بصدق وحماسة

---

( ١ ) د . محمد بن علي الهرفي : شعر الجهاد في الحروب الصليبية في بلاد الشام ، ص ٢٣٨ ( مؤسسة الرسالة - بيروت ) ١٤٠٠ هـ .

وأمانة ، ويأتى نور الدين محمود فتستعر الممارك ويشتد وطيس  
الجهاد وتتعدد الممارك وينتقل المسلمون تحت راية نور الدين  
من نصر إلى نصر ، ويهب الشعراء مشاركين بأقلامهم فى تسلك  
الممارك بالدهوة إلى الجهاد والتحرير عليه جادين فى نقل  
صور تلك الممارك ووصفها حتى لا تغيب عن الأذهان ولا تندثر  
مع الزمان .

من ذلك ما أشده أبو الحسين احمد بن منير حين التقى  
نور الدين بالصليبيين فى الموضع المعروف " بآنب " ، وقاتلهم  
وانتصر عليهم ، وقد " وجد اللعين " البرنس " مقدم صريحا  
بين حماته وأبطاله ، فعرف وقطع رأسه ، وحمل إلى نور الدين  
وكان هذا اللعين من أبطال الفرنج المشهورين بالفروسية  
وشدة البأس وقوة الحيل ، وعظم الخلق ، مع اشتهار الهيبة ،  
وكثرة السطوة ، والتناهى فى الشر ( ١ ) .

يقول ابن منير يصف هذا الفتح العظيم :

فتح تعممت السماء بفخـره : وهفت على أغماسها هذباته  
سبنت على الإسلام بيض حجوله : واختال فى أوضاعها جهباته  
وانهل فوق الأبطالين غمامه : وسرت إلى سكينها نفحاته  
لله بلجة ليله محصت بهـ : واليوم دهب وشبه ساعاته  
حط القوامع فيه بعد قماصها : ضرب بصلصل فى الطلى صقعاته ( ٢ )  
نيزدوا السلاح لضعفم فاداته : فرس الفوارس والقناغياته  
لمجرب عريضة غضباته : لله معتصمة فزواته

---

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ٣٤ .  
( ٢ ) الطلى : الأضاق ، واحدتها طلية .



ويحضى ابن منير فيقول :

مدد الصليب على صلابة عوده : فتفرقت أيدي سبا خشباته  
وسقى البرنس وقد تبرسز لسة : بالروح مقر ما جنت غدزاته  
لما بدا مسود رأيك فوقه : مبيض نصرك نكست راياته  
ورأى سيوفك كالصوالج طاوحت : مثل الكرين فقلصت كثراته  
ولى وقد شربت ظباك كمته : تحت العجاج وأسلمته حماه  
ترك الكنائس والكناس لغاهب : بالبيض نهب ما حواه غفاته  
غلاب أروع لا يميم عداته : داه المطال ولا تعيش عداته  
والآن ملقى بالعرى يقتاته : ما كان قبل يصيده يقتاته ( ١ )

ويحضى نور الدين إلى رحمة الله بعد جهاد طويل ، حقق  
الله فيه على يديه الكثير من الانتصارات ، وخلده الشعراء بقصائد  
عديدة ، سجلوا فيها وقائعهم وجهادهم ، وأغلب معاركهم ، وبأنتى  
بعده صلاح الدين الأيوبي ، ويحقق الله على يديه أروع انتصارات  
الإسلام وأخلدها على الصليبيين ، ويكون فتح القدس الشريف  
هو قمة تلك الانتصارات ، وغاية التعبئة الاعلامية التي قادها  
ويحتل الشعراء مكانتهم من تلك الانتصارات ويتسابقون في  
تسجيلها والإشادة ببطانها وقائداه .

من ذلك ما قاله العطار الأصفهاني عند ما فتح صلاح الدين

القدس الشريف عام ٥٨٣ هـ :

جنودك أملاك السماء وطنهم : عداتك جن الأرض في الفتك لا الإنسا  
فلا يستحق القدس غيرك في العرى : فأنت الذي من دنهم فتح القدس  
ومن قبل فتح القدس كنت مقدسا : فلا عدمت أخلاقك الطهر والقدسا  
وظهرته من رجسهم بد ماثمهم : فأزهدت بالرجس الذي نهب الرجسا

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ١ - ص ٦٠ ، ٦١ .

نزهت لباس الكفر من قدس أرضها : وألبستها الدين الذي كشف اللبسا  
وعادت لبیت الله أحكام دينه : فلا بطرکا أبقيت فيها ولا قسا  
وقد شاع في الآفاق عنك بشارة : بأن أذان القدس قد بطل النقسا  
جرى بالذي تهوى القضاء وظهرت : ملائكة الرحمن أجنارك الحمسا (١)

وهكذا تابع الشعراء سير المعارك وتطورها ، وقاموا بواجبهم  
في تحريض المسلمين على مواصلة الجهاد واستنهاض الهمم ، ومدح  
الأبطال والقادة .

### ج - مدح أبطال الجهاد وقادته :

كثر شعر المديح في فترة الحروب الصليبية ، وكان المدح  
ينصب على القادة والأبطال الذين أعادوا للإسلام عزته  
وكرامته ، بل إنهم مدحوهم عقب بعض المعارك التي لم  
ينتصروا فيها ، واعتذروا عنهم ، وقووا عزائمهم للاستمرار في  
الجهاد .

أما الصفات التي أطلقوها عليهم فكلها تتعلق بالجهاد .  
وما يتطلبه من صفات البطولة والشجاعة والتضحية ( ٢ ) .

وكان أهم أبطال الفتوح الذين نالوا اهتمام الشعراء  
فخلدوا أفعالهم عماد الدين زنكي وابنه نور الدين ، ثم  
صلاح الدين الأيوبي الذي حظى بالقسط الأكبر من شعر  
الشعراء وقصائدهم التي خلدت أمجاده .

ويرجع السبب في ذلك إلى أن الله قد يسر على يديه  
فتح بيت المقدس ، فأذل الله بذلك الشرك والمشركين .

( ١ ) المصدر السابق : ج ٢ - ص ١٠١ ، ١٠٢ .

( ٢ ) د . محمد علي الهرفي : الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي ، ص :

وانبدأ بعماد الدين زنكى حيث مدحه ابن قسيم الحموى حينما  
حاصر قلعة " شيزر " بقصيدة قال فيها :

بعمزك أيها الملك العظيم : تذلل لك الصعاب وتستقيم  
ألم تر أن كلب الروم لما : تبين أنك الملك الرحيم  
فجاء يطبق السفلوات خيلا : كأن الجحفل الليل البهيم  
وقد ترك الزمان على رضاه : فكان لخطبه الخطب الجسيم  
فحين رميته بك فى خميس : تيقن أن ذلك لا يـدوم  
وأبصر فى الغاظة منك جيشا : فأحزن لا يسير ولا يقيم  
كأنك فى العجاج شهاب نور : توقد وهو شيطان رجيم (١)

ويأتى نور الدين فيسير على نهج أبيه فى معارضة الصليبيين  
والإصرار على طردهم من بلاد المسلمين ، وتتوالى الانتصارات  
امتدادا لانتصارات أبيه ، ويلهج الشعراء بمدح نور الدين والإشادة  
بانتصاراته .

من ذلك ما قاله ابن منير الطرابلسى يمتح نور الدين :

أيما نور دين خبا نوره : وما شاع عدلك فيه اتقـد  
رآك الصليب صليب القنـاة : أمين العثار متين العمـد  
زينتهم أسس عن صرخـد : ففضوا كأن نعاما شـرد (٢)

ثم يأتى بعدهما صلاح الدين فيتوج انتصارات الإسلام بفتح  
بيت المقدس ولا يملك الشعراء إلا أن يشعروا أفئدتهم قصاد تشهد  
بصلاح الدين ، وأن يتسابقوا إلى مدحه والشناء عليه متوجين بذلك  
تعبثتهم الإعلامية الكأمة ، ومن مدح صلاح الدين أسامة بن منقذ ،  
حيث وصفه بنصرة الدين ، فى الوقت الذى تخاذل فيه الكثيرون  
عن نصرته ، وأن قيامه بأمر الدين حقق للمسلمين النصر طـس  
أعدائهم .

(١) أبوشامة : الروضتين ، ج ١ ، ص ٣٢٢ .

(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ٢١٠ .

1

يقول أسامة بن منقذ في صلاح الدين :

ياناصر الإسلام حين تخاذلت : عنه الطوك ومظهر الإيمان  
بك قد أزاله حزب جنوده : وأذل حزب الكفر والظفيمان  
ويصف ابن منقذ صلاح الدين بأنه كان منفقاً الأموال الطائلة  
على تجهيزات القتال ، والصرف على المجاهدين ، وقد كانت  
الأموال قبل صلاح الدين محفوظة في الخزائن لا يسمح لها  
بالخروج ، يقول ابن منقذ في ذلك :

وبذلت أموال الخزائن بعدما : هرمت وراء خواتم الخزان  
ومن جمع كل مجاهد ومجاهد : ومبارز ومنازل الأقيان  
من كل من يرد الحروب بأبيض : غضب ويصدر وهو أحمر قاني  
ويخوض نيران الوضي وكأنه : ظمان خاض موارد الغدران (١)

ما تقدم ذكره من نماذج شعرية يتبين أن الشعر قد ساهم  
في الأحداث التي تسر مصير الأمة ، فكان الشعر يشهد بالانتصارات  
الإسلامية على الصليبيين ، ويحرك الهمم نحو مزيد من الانتصارات.  
وإذا ما وقعت بعض الهزائم بالمسلمين وجدنا الشعراء  
ينتزهون النصر من الهزيمة ، ويشيرون النفوس المؤمنة للقصاص من  
أعداء الإسلام والمسلمين . بل والعمل على قطع دابرهم من كل شبر  
من أرض الإسلام .

٥ - الرسائل تواصل وظيفتها الإعلامية :

سبق أن تحدثت عن الرسائل وأثرها في نقل الأخبار منذ  
وقع العالم الإسلامي راية الجهاد عالية مرفرفة ، ومنذ أخذ قادته  
المخلصون على عاتقهم تعبئة الرأي العام الإسلامي إعلامياً وعسكرياً  
بشتى الطرق والوسائل حتى يخوض معركة النصر ويسترد ما أخذ  
الغزاة الصليبيون .

(١) د . محمد بن علي الهرفي : الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي ، ص :

ولقد بلغت الرسائل ذروة تأثيرها في عهد صلاح الدين نظرا لخطورة الفترة المصيرية التي مرت بها الأمة الإسلامية في عهده ، والتي أخذت الأحداث فيها بخناقها ، وأحاطت بها من كل جانب .

الأمر الذي استدعى من صلاح الدين الأيوبي ورجاله الذين التفوا حوله تعبئة الأمة بأسرها من أجل الوصول بها إلى معارك النصر في حطين والقدس .

وكانت الرسائل شأنها في ذلك شأن كل شيء في الأمة تواصل القيام بوظيفتها . وتنتقل معها من خطوة إلى خطوة ، ترصد تحركها وتباركه ، وتذيع انتصارها وتنشره ، تحرك وتعرض وتبشر ، وتنصح وترشد وتحذر .

وبذلك كله بلغت التعبئة الإعلامية غايتها ، وأدت وظيفتها بتوفيق من الله تعالى .

والرسائل التي اخترتها من سيل الرسائل التي يتعمد إحصاؤها في تلك الفترة ، هي في الواقع قطرة من بحر ، ولكنها مع ذلك تظهر بوضوح مدى الاستعداد التام لخوض المعارك التي يتوقف عليها مصير الأمة ، وتبين بجلاء من خلال عباراتها الإيمانية العميقة الذي كان يملأ قلب الأمة حكاما ومحكومين ، قادة وجنودا . رسالة أرسلها أحد أفراد حاشية صلاح الدين الأيوبي لهـمـس إخوانه ، وصلاح الدين يستعد لمعركة حطين التاريخية ، وذلك سنة ٥٨٢ هـ :

" كتبت هذه المكاتبة من جسر الخشب ظاهر دمشق ، وقد ورد السلطان ، أعز الله أنصاره ، للغزاة إلى بلاد الكفر ، وفي حشد فيه ساكر ، وفي جمع الهادي فيه كأنه حاضر ، وفي حشد يتجاوز أن يحصله الناظر إلى أن لا يحصله الخاطر ، وقد نهضت به

همة لا يرجى غير الله لإنهاضها ، وحجبت به عزة ، الله المسئول في  
حسم عوارض اعتراضها ، وباع الله نفسا يستمتع أهل الإسلام  
بصفتها ، ويذهب الله الشرك بهيبتها . وأرجو أن يتمخض عن  
زبدة وتستريح الأيدي من المخض ، وأن يكون الله قد بعثت ،  
( سفتجة ) ( ١ ) نصرته الإسلام وسلطانه قد نهض للقهر ( ٢ ) .

ويتم النصر في معركة حطين الخالدة على رؤوس الكفر ، وتنهال  
الرسائل من كل مكان تهنيء المسلمين بهذا النصر المبين ،  
وتبشرهم بفتح القدس .

وتلك قطعة من رسالة أرسلها العماد الكاتب الأصفهاني  
تهنيء بنصر حطين التاريخي وتبشر بفتح بيت المقدس ، وذلك  
باسم صلاح الدين :

" ولما أحيط بالقوم ، آوى ملكهم إلى جبل يعصه من  
العوام ، فأسمعهم السيف : لا طاصم اليوم ، واستولى الخذلان  
عليهم بأسرهم ، وبردت أيدي المؤمنين بحر قتلهم وأسرههم .  
ولم يبق لهم باقية ، وضعت بقتلاهم في الدنيا والآخرة أرض الله  
الواسعة ، ونار الله العامية ، فما يظأ من يصل إلى مخيمهم  
إلا على رمهم البالية . وأسر الطك وأخوه وبارونته ومقدموه ، ولم  
يغلت منهم إلا القص ، وهو سلوب ، ولا بد أن ندركه وهو  
مطلوب . وقد كنا نظرنا ضرب رقبة الإبريس صاحب الكسرك  
الغدار ، كافر الكفار ونشيدة النار ، فلما رأينا ضربه  
سريعا ، وصرنا إلى هكا ، وهي بيضة ملكهم وواسطة سلكهم ،  
ومركز دائرة كفرهم ومجمع جمع برهم وحرهم ، فتسلمناها بالأسان .  
والصخرة المقدسة الآن بنا تستغيث ، وعباد الله الصالحون قد  
وصلت إليهم بوعد الله الصادق المواريث . والبشارة بفتح

( ١ ) سفتجة ج سفاتج : هي أن تعطى مالا لرجل فيعطيك كتابا يمكنك من

استرداد ذلك المال من عمل له في مكان آخر ( فارسية ) .

( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ - ص ٧٥ .

القدس لا تتأخر ، والهمم بعد هذا الفتح السنى على ذلك  
تتوفر . والحمد لله الذى تتم الصالحات بحمده ( ١ ) : مايفتح  
الله للناس من رحمة فلا مسك لها وما يمك فلا مرسك له من  
بعده وهو العزيز الحكيم . ( ٢ )

ثم يصل النصر بالمسلمين قمته ، ويبلغ التوفيق بهم غاية  
فينعم الله عليهم بفتح بيت المقدس مسرى رسول الله صلى الله  
عليه وسلم ، وتتوالى الرسائل كالسيل العرم من كل مكان . بعضها  
يصف ويخبر ، وبعضها يهنئ ويبشر .

ويصف العماد الكاتب الأصفهاني تلك اللحظة فيقول :

" فبشرت بأقلامى أقاليم البشر ، وفيرت بأطابعى من عجائب  
العبر ، وملأت البروج بالدرارى والدروج ( ٣ ) بالدرر . ورويت  
تلك البشرى حتى أطابت ربا " الرى " ( ٤ ) وسر " سر قند "  
وطلقت بفتح القدس بلاد الإسلام وزينت ، وشرحت فضيلتهم  
وبينت ، وأديت فرغمة زيارتها وتعينت " ( ٥ ) .

ومن الرسائل المهمة التى أرسلها صلاح الدين الأيوبي  
الرسالة التى بعث بها إلى الخليفة العباسى الناصر لدين الله  
مشيرا بفتح القدس ، والرسالة من إنشاء العماد الأصفهاني وقد  
جاء فى بعض أجزاءها :

" وقد سبقت البشائر بما من الله به من الفتح العظيم  
والنصر العميم ، والعرف الجسيم ، والفضل الوسيم ، والميموم

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ - ص ٨٧ .

( ٢ ) سورة فاطر : آية ٢ .

( ٣ ) الدروج : الرياح سريعة المرور .

( ٤ ) الرى : مدينة كبيرة بآيران .

( ٥ ) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى ، ص ١٣١ .



الأغر الأعرز الكريم . والشرف الذي نخره الله لهذا العصر ليفضله على الأعمار ، وأراد تأخير فخاره إلى هذه الأيام ليكون بها تاريخ الفخار . فقد أعجز الطوك عن اقتفاء نصرته ، وافتضاض هذرت ، وخص من أجراه على يده بسمو قدره ونمو قدرته وأعاد به القدس إلى قدسه ، وأظهره وظهره من رجز الكفر ورجسه " .

" وقال المحراب لأهله مرحبا وأهلا ، وشمل جماعة المسلمين من إقامة الجمعة والجماعة ما جمع الإسلام فيه شملا . ورفعت الأعلام العباسية على منبره فأخذت من بره أوفى نصيب ، وتلت بالسنة هذبتها " نصر من الله وفتح قريب " ( ١ ) . وفسلت الصخرة المباركة بدموع المتقين من دنس المشركين ، وبعد أهل الأهد من قريها بقرب الموحدين " .

" ولو شرح ما لهذا الفتح من جلاله العظمة ، ودلالة المكرمة ، لكبا ظم البليغ في مضمار البيان ولم يبلغ مدى " ( ٢ ) " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدادا " ( ٣ ) .

بذلك تمكن الرأي العام الإسلامي من الوصول إلى المرحلة النهائية للتعبيثة الإعلامية الكاملة بعد أن استطاع المسلمون التعرف على أول الطريق المؤدية للنصر بقميـادة هاد الدين زنكي ، ونور الدين محمود ، وصلاح الدين الأيوبي . هؤلاء القادة الذين اهتموا في تعبيثة الرأي العام الإسلامي على الركائز الإسلامية الثابتة التي عملح بها أول هذه

( ١ ) سورة الصف : آية ١٣ .

( ٢ ) العباد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي

ع ١٤٧ ، ١٤٨ .

( ٣ ) سورة الكهف : آية ١٠٩ .

الأمة ، والتي صلح بها عهد هؤلاء القادة المخلصين الذين انتزعو النصر من براثن الهزيمة .

ولقد أدت كل وسيلة إعلامية وظيفتها كاملة في تنسيق وتعاون تامين مع الوسائل الإعلامية الأخرى ، وذلك تحققت التعبئة الإعلامية الكاملة في عهد صلاح الدين الأيوبي . وكان ذلك هو الهدف الذي أظهر بوضوح مدى التأثير القوي الذي تحدثه التعبئة الإعلامية في الرأي العام إذا تحققت بمثل هذا التنسيق والتعاون .

أما تناول كل وسيلة إعلامية على حدة ، فلم يكن إلا بهدف تحديد الأثر الذي أحدثته هذه الوسيلة أو تلك داخل هذه التعبئة الإعلامية الكاملة .

وتلك التعبئة الإعلامية التي أعنى لم تحدث في الحروب الصليبية كلها إلا مرتين :

المرّة الأولى : حدثت على الجانب الصليبي أثناء قيام الأسيمة النصرانية بالدعاية لحملاتهم العسكرية على العالم الإسلامي ، واستطاع الصليبيون أن يصلوا بتعبئتهم الإعلامية إلى القمة باستيلائهم على بيت المقدس ، ولكن سرعان ما تجددت تلك التعبئة الإعلامية الصليبية بعد أن استنفدت كل دمايتهم التي قامت كما رأينا على الروى والأحلام واختلاق التنبؤات والأكاذيب ، وبت الشائعات ، واستخدام الرموز الإعلامية السادية لستر أطماعهم الحقيقية ، ورفـع الشعارات التي أقاموها على التزييف والتعريف .

المرّة الثانية : حدثت تلك التعبئة الإعلامية الكاملة على الجانب الإسلامي في عهد صلاح الدين ، حيث استطاع المسلمون أن يصلوا إلى قمة تعبئتهم الإعلامية بدحر

الصلبيين في حطين ، واسترداد بيت المقدس من أيدي  
غاصبيه .

وإذا كانت التعبئة الإعلامية الصليبية التي قامت على  
الأكاذيب والادعاءات قد أثمرت في حينها على الجانب الصليبي  
فذلك لأن الأمة النصرانية نفسها كانت تعيش في ظلمات  
بعضها فوق بعض ، وتؤمن إيمانا عميقا بتلك الأوهام والخرافات .  
أما التعبئة الإعلامية الإسلامية ، فلم تقم على اختلاق  
أو أكاذيب ، ولم تشر بفضل التزييف أو التحريف ، إنما قامت  
على ركائز إسلامية موجودة بالفعل بين المسلمين ، لكنهم  
ابتعدوا عنها ونسوها ، فأنساهم الله أنفسهم ، وعندنا  
عادوا إلى تلك الركائز وتذكروها ، وعرفوا أنفسهم ، واستغلوا  
وسائلهم الإسلامية في خدمة عقيدتهم والدفاع عنها . وصلوا  
إلى غاياتهم ، وحققوا انتصاراتهم ، وكانوا خير خلف لخير  
سلف .

وكن ما جد بعد ذلك على الجانب الإسلامي من أحداث  
تاريخية واجتماعية يؤكد أن مثل هذه التعبئة الإعلامية الشاملة  
لم تتكرر بعد صلاح الدين الأيوبي ، بل سرعان ما تبدد شملها  
وذهب ريحها بسبب الخلافات التي أخذت تنخر في نظام  
الأسرة الأيوبية طمعا في سلطة زائفة أو قطعة من طين ، وهاد  
العالم بالمسلمين كما كان عندما بدأت الحملات الصليبية على  
العالم الإسلامي .

حدث ذلك عقب انتقال صلاح الدين إلى جوار ربه راضيا  
مرضيا ، ولقد بينت ذلك في حينه عندما تحدثت عن الحملات  
الصليبية التي تتالت على العالم الإسلامي .

حتى أولئك الرجال الذين التفوا حول صلاح الدين ،  
وأخذوا على عاتقهم مسئولية التعبئة الإعلامية الإسلامية الكاملة  
في عهده ، قد لا قوا بعد صلاح الدين العت والعزلة والاهمال  
من إخوة صلاح الدين أنفسهم .

لأن هؤلاء الرجال رفضوا الدخول في تلك الخلافات  
التي عمت الأسرة الأيوبية ، ولأن هؤلاء الرجال وقفوا عاجزين  
عن إصلاح ذات البين ، فاهتزلوا الناس ولزموا بيوتهم ، وهمل  
هناك من كان في الدولة الصلاحية أهم من القاضي الفاضل ،  
والعماد الكاتب الأصفهاني ؟

إن ما حدث لهذين الرجلين بعد صلاح الدين دليل  
واضح على مدى ما وصل إليه حال الرأي العام الإسلامي مرة  
أخرى من تداير وانتكاس .

ولقد ذكرت المصادر الإسلامية بعضا مما حدث للرجلين  
بعد صلاح الدين ، وانغمس الحكام الأيوبيين في خلافاتهم  
وانصرفهم عن قتال الصليبيين إلى قتال بعضهم البعض . من  
ذلك ما جاء في " النجوم الزاهرة " .

" حاول الملك العادل الأيوبي أخذ مصر في عهد  
العزيبين صلاح الدين ، وبالفعل سار العادل نحو مصر ،  
ولكن عدل عن ذلك في اللحظة الأخيرة ، وأرسل إلى العزيز  
يطلب منه القاضي الفاضل ، وكان القاضي الفاضل قد اهتزلهم  
وانقطع في داره ، فأرسل العزيز يسأله فامتنع " ( ١ ) .

---

( ١ ) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج ٦ ،  
ص ١٢٤ حوادث ٥٨٩ هـ .

1

وجاء في " البداية والنهاية " .

" استطاع الطك العادل الأيوبي أن يستولي على مصر من الطك الأفضل بن صلاح الدين ، وقد توفي القاضي الفاضل يوم دخل العادل إلى قصر مصر بمدرسته فجأة يوم الثلاثاء سادس ربيع الآخر سنة ٥٩٦ هـ ، وكان الفاضل قد دعا الله أن لا يحويه إلى هذه الدولة لما بينه وبين العادل ، فمات ولم ينله أحد بخيم ولا أذى ، ولا رأى في الدولة من هو أكبر منه " ( ١ ) .

ذلك هو القاضي الفاضل الذي كان السلطان صلاح الدين يقول عنه : " لا تظنوا أنني ملكت البلاد بسيوفكم ، بل بقلوبكم الفاضل " وقيل : إن العادل كان داخلًا من باب النصر ، وجنارة الفاضل خارجة من باب زويلة " ( ٢ ) .

أما فيما يختص بالعماد الكاتب الأصفهاني بعد صلاح الدين ، فام يكن حاله أفضل من القاضي الفاضل " ولم يزل العماد الكاتب على مكانته ورفعة منزلته إلى أن توفي السلطان صلاح الدين رحمه الله تعالى ، فاختلفت أحواله ، وتعطلت أوصاله ، ولم يجد في وجهه بابًا مفتوحًا ، فلزم بيته وأقبل على الاشتغال بالتصنيف " ( ٣ ) . وأعتقد أن الشعراء الذين حملوا على طاقم تعبئة الرأي العام الإسلامي ضد الصليبيين منذ اللحظة الأولى لم يكونوا أوفر حظًا بعد صلاح الدين من القاضي الفاضل ، والعماد الكاتب الأصفهاني .

- 
- ( ١ ) ابن كثير : البداية والنهاية ج ١٣ ، ص ٢٤ - دار الفكر - بيروت ( ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م ) .  
( ٢ ) ابن تغرى بردى : النجوم الزاهرة ج ٦ ، ص ٥٧ - حوادث سنة ( ٥٩٦ هـ ) .  
( ٣ ) ابن خلكان : وفيات الأعيان ج ٥ ، ص ٥٢ تحقيق د . إحسان عباس - مطبعة الثقافة بيروت ( بدون تاريخ ) .

وسا يقوى هذا الاحتقاد فى نفسى كتاب " شعر الجهاد  
فى الحروب الصليبية فى بلاد الشام " الذى ذكر فيه مؤلفه  
الدكتور محمد بن على الهرفى أهم شعراء الجهاد فى  
الحروب الصليبية وهم : ابن القيسرانى ، وابن منير  
الطرابلسى ، وأسامة بن منقذ ، والشهاب محمود الحلبي ،  
والملك الصالح طلائع بن رزيك ، والقاضى السعيد بن سناء  
الملك .

سنة شعراء ، خمسة منهم فى عهد صلاح الدين وما قبله  
أى فى مدة لا تزيد عن مائة سنة ، وشاعر واحد فقط هو  
" الشهاب محمود الحلبي " جاء به المؤلف ليمطى به شعر  
الجهاد فى مائة سنة من عمر الحروب الصليبية بعهد  
صلاح الدين .

فما معنى ذلك ؟

معناه أن التعبئة الإعلامية الإسلامية الكاملة كانت  
ظاهرة بلغت قممها فى عهد صلاح الدين ولم تتكرر فى  
تاريخ الحروب الصليبية بعده .

## الباب الثالث

---

الرأى العام الإسلامى فى مرحلة التعبئة الإعلامية الكاملة

---



## الفصل الأول

### توحيد الرأي العام الإسلامى على يدى صلاح الدين الأيوبي

أولا : القدوة الحسنة وسيلة من أقوى الوسائل الإعلامية .

ثانيا : الإصلاح العقدى :

- ١ - القضاء على الإلحاد ونسف قواعد الزندقية .
- ٢ - القضاء على غلاة الشيعة ودعاة الإسماعيلية .
- ٣ - إنشاء المكتبات والمدارس لتدريس الدين على مذهب أهل السنة والجماعة .

ثالثا : الإصلاح الاجتماعى :

- ١ - القضاء على مظاهر الخلافة والمجون فى عهد الفاطميين وخاصة فى المواسم والأعياد .
- ٢ - القضاء على بدع المواسم كبدع يوم عاشوراء .
- ٣ - القضاء على العديد من الضرائب التى فرضت على مصر والشام وحجاج بيت الله الحرام

أولا : القدوة الحسنة وسيلة من أقوى الوسائل الإعلامية :

هندما يرزق الله سبحانه وتعالى أمة من الأمم داعية  
يجدد لهذه الأمة دينها ، أو يعيد لها ما سلب من عزتها  
وكرامتها قبل ترايبها وشروتها ، كان لزاما على هذا الداعية أو هذا  
القائد أن يكون قدوة حسنة لأمة التي تود أن ترى فيه أملاها وقد  
أصبح حقيقة واقعة .

ومن ثم تلتف حوله وتنضوي تحت رايته في قناة تامة بقيادته  
لأن القدوة الحسنة تقوم أساسا على غريزة من غرائز الإنسان هي  
غريزة التقليد أو المحاكاة .

ولهذه الغريزة تأثير في مجالات الحياة المتعددة ، كجمال  
العلم ومجال الكشف ، ومجال الأدب ، وذلك فضلا عن مجال  
الحرب والجهاد .

ولست أتجاوز الحقيقة هندما أقول إن تاريخ الرسول صلى  
الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين من بعده ، والصحابه رضوان  
الله عليهم كاد ينحصر في القدوة الحسنة .

وفي ذلك يقول الله سبحانه وتعالى مخاطبا المؤمنين :

" لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو  
الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا " ( ١ ) .

وجاء الخلفاء الراشدون فكان كل واحد منهم قدوة حسنة  
للمسلمين جميعا ، أبو بكر الصديق رضي الله عنه كان قدوة  
حسنة في الشدة والحزم والعدل بين الناس . عثمان بن عفان  
رضي الله عنه كان قدوة حسنة في المهذل والعطاء . طس  
ابن أبي طالب رضي الله عنه كان قدوة حسنة في الفداء

( ١ ) سورة الأحزاب : آية رقم ( ٢١ ) .

واليسالة والاقدام . ولقد كان كل واحد من هؤلاء الأربعة أمة  
وحده في مجال القدوة الحسنة ، وهي القدوة التي اقتدى بها  
بقية الصحابة والمؤمنون الأوائل والتابعون ، ومن تبعهم بعد  
ذلك ، وجميع هؤلاء كانوا قدوة حسنة في الجهاد في سبيل  
الله (١) .

لذلك وجب على كل من يتصدر للدعوة الإسلامية أو  
الإعلام الإسلامي أن يتخذ من القدوة الحسنة طريقا يسلكه حتى  
لا تأتي أفعاله متناقضة مع أقواله ، وحتى لا تتزعزع الثقة بينه  
وبين من يتوجه إليهم بالدعوة والإرشاد ، والإعلام الإسلامي جزء  
من هذه الدعوة ككل ينطبق عليه ما ينطبق عليها .

من هنا وجبت القدوة الحسنة على الداعي ورجل الإعلام  
على حد سواء تجنباً للتناقض بين القول والفعل ، ومصادقاً  
لقواء تعالى :

” أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم ” (٢) .

إن دعاة الإسلام ورجال إعلامه يستطيعون بالقدوة الحسنة  
أن يحققوا الكثير ، ويختصروا الطريق موفرين على أنفسهم جهوداً  
كبيرة يمكن أن تضيق منهم إذا فقدوا هذه الصفة ، ذلك أن الداعي  
السلم أو رجل الإعلام الإسلامي يمثل الدين ذاته في نظر  
الجاهل ، وأي خلل في الرجل ينعكس في الغالب على ما  
يدعوا إليه الرجل .

وعلى يد صلاح الدين الأيوبي وجهاد مستد مشترك من  
عماد الدين زنكي ونور الدين محمود . . فك أسر القدس من  
معتقلها الأول ، وعادت إلى أرض الإسلام أولى القبلتين ومصرى

(١) د . عبد اللطيف حمزة : الاعلام في عذر الاسلام ص ٦٨ .

(٢) سورة التوبة : آية ٣٤ .

الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

لم يكن البطل ( صلاح الدين ) وحده . . . . ولم يكن حلقة مغلوبة الوشائج بالحلقات السابقة . . . فلا يمكن أن تحرر الأمم بهذه الطفرات ، كما أنه لا يمكن أن يظهر (صلاح الدين) إلا إذا أصبح جمهور الأمة أهلاً لهذه القيادة ومهيئاً لها (١) .

قال تعالى :

" إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم " (٢)

وصلاح الدين الأيوبي حين التقت بحوله الأمة ، وتوحدت قواها تعدت رايته كان بلاشك قدوة حسنة لأمة التي وضعت ثقتها فيه ، ليس في مجال الجهاد فحسب ، ولكن أيضاً في شتى المجالات التي تترتب على مصير الأمة وكيانها باهتبارها كـ لا يتجزأ .

١ - صلاح الدين القدوة الحسنة في الجهاد في سبيل الله :

لقد أوقف صلاح الدين حياته على الجهاد في سبيل الله منذ وهي الحقيقة المفجعة التي آل إليها مصير الأمة الإسلامية وهو المصير الذي أدى بها إلى التمزق والانحمار أمام جحافل الصليبيين .

ولقد حقق صلاح الدين في الانتصار على الصليبيين ما لم يحققه قائد قبله ، حتى أولئك الأعلام من زكي عماد الدين ونور الدين ، ولعل ذلك يرجع إلى أن صلاح الدين استطاع أن يقف على الداء العضال الذي يحول بين الأمة والنصر ومن ثم اهتدى إلى الدواء الناجع ومنه إلى عوامل النصر التي أهمها عاملان :

(١) د . عبد الحليم عويس ، د . عبد الفتاح أبو طية : بيت المقدس في

ضوء الحق والتاريخ ، دار المريخ (١٤٠١ هـ) ، ص ٣ .

(٢) سورة الرعد : آية (١) .

توحيد صفوف المسلمين من جهة ، ورفع راية الجهاد فى سبيل الله من جهة أخرى ، وكان صلاح الدين القدوة الحسنة فى مجال الجهاد أمام أمته وجنوده ، وفى ذلك قال العماد الأصفهاني :

” ومد الله فى عمره - أى صلاح الدين الأيوبي - حتى بلغ المراد ، وفتح البلاد ، ووفى فى حق الجهاد ، الجهد والاجتهاد . وقدر على ما أعجز عنه الملوك ، ونهج فى نصرة الدين نهجا أعوز من قبله فيه السلوك . وأخرج الفرنج من الساحل وأبادها ، وملك عليها ديارها وبلادها . وأوهى على الكفرة معاقد معاقلها ، وطال بحقه على باطنها . وأقصى عن المسجد الأقصى مدنسيه ، وأزال عنه أيدي غاصبيه . وأصرخ الصخرة المطهرة وطهرها من الأرجاس ، وأبعد عنها أجناس الأنجاس . وقهر الكفر وخذله ، ونصر الإيمان وأخذ له ، وأحميا للمكرم كل سنة حسنة ( ١ ) .

وقال القاضي ابن شداد :

” وكان لا يد له - أى صلاح الدين الأيوبي - من أن يطوف حول العدو كل يوم مرة أو مرتين إذا كنا قريبا منهم وكان إذا اشتد الحرب يطوف بين الصفين ومعه صبي واحد ، ويخرق العساكر من الميمنة إلى الميسرة يرتب الأطلاب ويأمرهم بالتقدم والوقوف فى مواضع يراها ، وكان يشارف العدو ويجاوره ” ( ٢ ) .

كان ذلك موقف صلاح الدين الأيوبي والمعارك دائمة قدوة حسنة فى الشجاعة والإقدام بين قواده وجنوده ، ولم يكن يعرف للهزيمة مكانا فى نفسه ، وفى المراتب القليلة التى مال منه

( ١ ) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسى فى الفتح القدسى

ص ٦٤٦ ، ٦٤٧ .

( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢١ .

ميزان النصر كان يتخذ من رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة  
حسنة في تحريض المؤمنين على القتال حيث يقول سبحانه وتعالى  
في كتابه العزيز :

" يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال إن يكن  
منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وإن يكن منكم مائة يغلبوا  
ألفاً من الذين كفروا بأنهم قوم لا يفقهون " (١) .

وفي ذلك يقول القاضي ابن شداد :

" ولقد انهزم المسلمون في يوم اليمام الأكبر هرج هكس  
حتى القلب ورجاله ، ووقع العلم ، وهو ثابت القدم في نفر يسير ،  
وقد انحاز إلى الجبل يجمع الناس ويردهم ويخجلهم حتى يرجعوا  
ولم يزل كذلك حتى عسكر المسلمون على العدو في ذلك اليوم  
وقتل منهم زهاء سبعة آلاف مابين راجل وفارس " (٢) .

ولم يكتف صلاح الدين الأيوبي بأن يكون وحده القدوة  
الحسنة أمام أمته ، بل جعل من أبنائه قدوة حسنة أمام  
المجاهدين في ميدان الجهاد حين كان يضعهم في قلب  
الجيش حيث يحتدم القتال ويكمن الخطر .

وفي ذلك قال القاضي ابن شداد :

" ولقد مرض - أي صلاح الدين - ونحن على  
" الخروبة " ، وكان قد تأخر عن " تل الحجل " بسبب مرضه  
فبلغ الفرنج ذلك فخرجوا طمعا في أن ينالوا من المسلمين  
شيئا بسبب مرضه وهي نوبة النهر ، فخرجوا في مرحلة إلى الآبار  
التي تحت التل ، ثم رحل العدو في اليوم الثاني يطلبنا ، فركب  
رحمه الله على مضى ، ورتب العساكر للحرب ، وجعل أولاده

(١) سورة الأنفال : آية ٦٥ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢٢١ .

في القلب ، ونزل هو وراء القوم يطلبه ، وكلما سار إلى العدو يطلب رأس النهر سار هو يستدير إلى ورائهم حتى يقطع بينهم وبين خيامهم ، وهو رحمه الله يسير ساعة ثم ينزل يستريح ، وتظلل بمنديل على رأسه من شدة وقع الشمس ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفاً \* (١) .

لقد كان ظهور صلاح الدين امتداداً لحكم القوة الذي أقامه الزنكيون . وكان كذلك مثلاً راعياً لحكم المالك الذي جاء بعده والذي أفرز "المظفر قطز" و"هيبرس" وأحمد بن طولون ، وغيرهم .

لقد قدم هؤلاء جميعاً أعظم الانتصارات للعالم الإسلامي في أصعب فترة من تاريخه ، ان ظهور هؤلاء القادة جاء متزامناً مع الرغبة القوية التي اجتاحت الأمة الإسلامية في التخلص من الغزوة البربرية الهنجية لقوات الفرنج .

والأمة الإسلامية - في كل هزوزين - حين تأخذ بهدى القرآن الكريم ، وتعمل على تهيئة الأسباب للنصر ، وتسعى مخاصة في تحقيقها ، فإن الله جعل حكمة سيحقق لها ما تنشده من عز ونصر ، وما تتمناه من مجد وسيادة ، لأنه القائل في كتابه العزيز :

\* وقد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً ، يعبدونني لا يشركون بي شيئاً \* (٢) .

(١) المصدر السابق : الروضتين ج ٢ ، ص ٢٢٢ .

(٢) سورة النور : آية رقم ٥٥ .

٢ - صلاح الدين القدوة الحسنة في التقوى والتواضع والورع:

لا شك أن تقوى الله وعبادته ، والخشية منه ، وحسن الظن به ، والاعتماد عليه . . هو أول ما يجب أن يمتاز به المسلم ، وأفضل ما ينبغي أن يتصف به ، لأن الاتصاف بالله والاستعانة به تجعل من المسلم أسداً كاسراً لا يعرف الهزيمة ، وهطلاً مقداماً لا يهاب المنية .

كل ذلك وأكثر منه قد تحقق في القائد والقائد - صلاح الدين الأيوبي ، وقد ذكر القاضي ابن شداد ، أنه - أي صلاح الدين - لما مات لم يخلف في خزائنه من الذهب والفضة إلا سبعة وأربعين درهماً ناصرية وديناراً واحداً ذهباً سورياً ، ولم يخلف ملكاً لا داراً ولا عقاراً ولا بهستاناً ولا مزرعةً يعني في البلد ولا سقفاً ، ولا ظاهراً سغلاً - من أنواع الأملك (١) .

بتلك الأخلاق ومثلها استطاع صلاح الدين أن يمتلك القلوب قبل البلاد ، وأن يفتزو النفوس قبل القلاع ، وأن يدحر العدو الصليبي ويحرر القدس الشريف من أيدي مدنسيه .

صلاح الدين هذا التقى النقي الذي كانت تهكمه آية كريمة من كتاب الله العزيز ، أو حديث نبوي شريف لم يشغله الجهاد المتواصل عن ذكر الله في السر والعلن ، فسار على نفس الدرب الذي سار عليه الصحابة الكرام رضوان الله عليهم في معارك القادسية واليرموك ، وسلك المسلك الذي سلكوه ، ونهج المنهج الذي نهجوه ، فتحقق فيهم جميعاً قوله تعالى :

\* ولينصرن الله من ينصره ان الله لوفى عزيز . الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور \* (٢) .

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢١٧ .

(٢) سورة الحج : آية ٤٠ ، ٤١ .



لقد كان صلاح الدين رحمه الله تعالى " يحب سماع القرآن العظيم حتى أنه كان يستخير إمامه ، ويشترط عليه أن يكون عالماً بعلوم القرآن العظيم ، متقناً لحفظه " (١) .

كذلك كان رحمه الله تعالى شديد الرغبة في سماع الحديث الشريف ، وفي ذلك يقول القاضي ابن شداد :

" وكان يحب أن يقرأ الحديث بنفسه ، فكان يستحضرني في خلوته ، ويحضر شيئاً من كتب الحديث ، ويقرأ هو فإذا ستر بحديث فيه عبرة رق قلبه ودمعت عيناه " (٢) .  
ويقول الكاتب العماد الأصفهاني :

" وكان محافظاً على الصلوات الخمس في أوائل أوقاتها ، مواظباً على مفروضاتها وسنناتها ، فما رأته صلى إلا في جماعة ، ولم يؤخره صلاة من ساعة إلى ساعة ، وكان له إمام راتب ، ملازم مواظب ، فإن غاب يوماً صلى به من حضره من أهل العلم إذا عرفه متقياً متجنباً للإثم ، وكنت لملازمتي إياه يقدمني إماماً في الصلوات ومستشاراً في المشورات " (٣) .

إن تقوى الله واجتناب المعاصم ، وتنفيذ الأوامر ، هي بشائر النصر ومقدماته ، لأن هذه المعاني الروحية ، والقوى المعنوية إن تأصلت في الجيش المسلم المحارب جعلت من هذا الجيش قوة هائلة لا تعرف الضعف والخور ، وبصرف النظر عن القوى المادية الأمة الإسلامية المجاهدة ، فإن الله تعالى سيدها بمدد من السماء ، ويقذف في قلوب أعدائها الرعب ، وينصرها من حيث لم تحسب (٤) .

قال تعالى في كتابه العزيز :

" إن يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٣) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٢٦٠ .

(٤) عبد الله طوان : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٠٤ .

سألني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا  
منهم كل بنان . ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله  
ورسوله فإن الله شديد العقاب " ( ١ ) .

تلك كانت بعض الأمثلة على تقوى القائد والقدوة صلاح الدين  
الأيوبي ، أما عن تواضعه فيكاد المؤرخون الذين عاصروه وهاشروه  
يجمعون على أنه قد ضرب المثل الأعلى في التواضع ، وكان فيه  
القدوة الحسنة لأمة .

وعن ذلك يقول العماد الكاتب الأصفهاني :

" وكان من جالسه لا يعلم أنه جالس السلطان ، بل يعتقد  
أنه جالس أخ من الإخوان . وكان حلما مقيلا للمعثرات ، متجاوزا  
عن المفوات ، نقيًا تقيا ، وفيها صفيا ، يفضي ولا يفضب ، ويهشمر  
ولا يتقطب - مارت سائلا ، ولا صد ناغلا ، ولا أخجل قائلا ،  
ولا خيب آملا " ( ٢ ) .

ويقول ابن الأثير في الكامل عن صفة التواضع في صلاح الدين :

" وكان رحمه الله كريما حلما حسن الأخلاق متواضعا صبورا  
على ما يكره ، كثير التغافل عن ذنوب أصحابه ، يسمع من أحدهم  
ما يكره ولا يعلمه بذلك ، ولا يتغير عليه ، ويلغني أنه كان جالسا  
وعنده جماعة ، فرمى بعض المسالك بعضها بقشرة موز فأخطأته ،  
ووصلت إلى صلاح الدين فأخطأته ، ووقعت بالقرب منه ،  
فالتفت إلى الجهة الأخرى يكلم جليسه ليتغافل عنه " ( ٣ ) .

ويقول أيضا عن تواضعه في موضع آخر :

" وطلب - أي صلاح الدين - مرة الماء فلم يحضر ، وطرد  
الطلب في مجلس واحد خمس مرات فلم يحضر ، فقال : يا أصحابنا  
والله قد قتلني العطش ، فأحضر الماء فشربه ولم ينكر التواني فسي  
إحضاره " ( ٤ ) .

( ١ ) سورة الأنفال : آية ١٢ ، ١٣ .

( ٢ ) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٦٥٧ .

( ٣ ) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .

( ٤ ) المصدر السابق ، ج ٩ ، ص ٢٢٥ .

وهو القاضى ابن شداد المزيد من الوقائع التى طعنها وشاهدها بنفسه ، أو التى حدثت وكان وهو طرفا فيها فيقول :  
" لقد كانت طراحته ( أى صلاح الدين ) تداس من التراحم عليه لعرض القصر وهو لا يتأثر لذلك ، ولقد نفرت يوما بغلتي من الجمال وأنا راكب فى خدمته فرجمت وركه حتى آلمته وهو يبتسم ، ولقد دخلت بين يديه فى يوم ربح مطير إلى القدس كثير الوحل ، فنضحت البغلة طيه من الطين فأهلكت جميع ما كان عليه وهو يبتسم ، وأردت التأخير منه بسبب ذلك فما تركنى ، ولقد كان يسمع من المستغيثين إليه ، والمتظلمين أغلظ ما يمكن أن يسمع ، ويلقى ذلك بالهشر والقبول " ( ١ ) .

٣ - صلاح الدين القدوة الحسنة فى البذل والعطاء :

بلغ صلاح الدين الأيوبي الذروة فى البذل والعطاء ، وكان القدوة الحسنة فى هذا المضمار للأمرء والقادرين ، وضرب لمن جاء بعده أروع الأمثلة فى الكرم والإحسان .  
يقول القاضى ابن شداد فى ذلك :

" ولما كنا بظاهر حران همّ بصدقاته الفقراء والساكين ، وكتب إلى نوابه فى الولايات بإخراج الصدقات ، وقال لى أكتب إلى "الصفى بن القاهر" بدمشق أن يتصدق بخمسة آلاف دينار صورية ، فقلت إنما الذهب الذى عنده مصرى فقال فيتصدق بخمسة آلاف دينار مصرية ، وأشفق من صرف المصرى بالصورى فيكون حراما ، وهرتكب فى كسب الأجر آثاما فسمح ومنح ، وتاجر الله وربح " ( ٢ ) .

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢٢٣ .  
( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢١٨ .

لقد التزم صلاح الدين طوال حكمه بأخلاقيات الإسلام في الحكم : العدل في الرحمة والرفق بها والإحسان إليها بحيث اشتهر أمره بذلك فأشاع في الوطن الإسلامي كله روحاً جديدةً وأملاً جديداً ، جمعاً تقبل عليه وتلتف حوله وتناضل معه ولا يوجد ما يرفع من معنويات المجاهدين مثل ثقتهما في قائدها ، في أنها لن تجد منه سوى التقوى والتواضع والورع والرفق والرعاية والعيش بكرامة ، وهو في الوقت ذاته يجاهد بينها ، ويعيش في وسط المعارك التي يخوضها .

إن الأمة الإسلامية - في ذلك الوقت وفي كل وقت - تتطلع إلى القائد الذي يضرب المثل ويقدم القدوة الحسنة لتسير وراءه ، إنها في أسس الحاجة دائماً إلى ظهور حكم يقوم على أخلاقيات الإسلام ، ويكون القدوة الذي يقف على نقيض حكم الظلم والترفع والاستبداد .

يقول القاضي ابن شداد عن كرم صلاح الدين وبذائه وهطائه :

" وكرمه كان أظهر من أن يسطر ، رأيته وقد اجتمع عنده وفود بالقدس ، وأم يكن في الخزانة ما نعطيهم ، فباع قرية من بيت المال وخصصنا ثمنها عليهم ، ولم يفضل منه درهم واحد ، وكان يعطي في وقت الضائقة كما يعطي في حال السعة ، وكان نواب خزائنه يخفون عنه شيئاً من المال حذر أن يفجأهم بهم لعلمهم أنه متى علم به أخرجهم ، وسمعت يوماً يقول يمكن في الناس من ينظر إلى المال كما ينظر إلى التراب ، فكأنه أراد بذلك نفسه " ( ١ ) .

( ١ ) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢٢٠ .

قال العماد الكاتب الأصفهاني :

" وقال لي يوم الرحيل ( أي الرحيل من حران ) أنظر كم بقي بالباب من الوافدين أبناء السبيل ، وهذه ثلاثمائة دينار أقسمها عليهم بالقلم ، وفضل على أقدارهم في القسم ، وكانوا عدة يسيرة لم تبلغ عشرة ، ولم تجد ميسرة ، فعينت لكل اسم قسما ، وذهبت بهم خلقا مني ورسما . فبلغ أربعمائة دينار . ثم وقفت أفكر ، وأردت النظر إليه وأكرر . فسألني : " ما الذي عدت ، وهل قسمت السبلح وكلمت " ، فقلت : " جرى قلبي بقسمة أربعمائة دينار ، فهل أنقص من كل اسم ربعا ؟ " فقال : " أجر ما جرى به القلم ، وأحسن صنعا " ( ١ ) .

بهذه الأخلاق دخل صلاح الدين إلى كل قلب ، وهاعد ما بين الأمراء الآخرين ورحمتهم عن طريق تقديم المثل الصالح والقدوة الحسنة والأمل المطلوب ، لذلك نجد أنه عندما بدأ تحركاته لتوحيد مصر والشام فإن ذلك لم يستغرق نسبيا شيئا يذكر من الجهد .

فلقد استطاع في فترة وجيزة أن يوجد ما بين سوريا الطبيعية ( أي سوريا وفلسطين والأردن ولبنان ) ومصر والحجاز واليمن ، كما استطاع أن يوحد المشرق العربي كله تحت الخلافة العباسية بعد أن ألغى الخلافة الفاطمية فسي مصر ( ٢ ) .

ولعل الدافع إلى هذا البذل والعطاء بدون حساب أنه كان يعتبر نفسه جنديا من جنود الإسلام ، مدعوا دائما

- 
- ( ١ ) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص ٦٥٨ .  
( ٢ ) د . أنيس قاسم : تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ص ١٢٥ .

إلى معارك يخوضها مع الأعداء ، فهو لا يدري هل يعود ؟  
وإذا كان لا يعلم هل يعود ، فلماذا تبقى هذه الأسئلة ؟  
ولم لا توزع على أهل الحاجة والاستحقاق ؟

وهناك أمر آخر هو أن هذا السلطان البطل لم يكن  
من هؤلاء الذين تستهويهم زينة الدنيا ومباهجها ، وإنما  
يكن يقعد في قصره ثم ينصب لقواده الرايات ، ويرسل البعث  
وهو رافل بين خدمه وحشمه ، ولم يكن يصدر الأوامر وهو يتبعه  
في عظمة الملك وأبهة السلطان . وإنما كان فارساً مقداماً ،  
وبطلاً شجاعاً ، قضى أكثر عمره على متن جواده ، وإذا أراد الراحة  
تمدد فوق الرمال ، واستظل تحت الخيام لا ترقد عينه  
ولا تستريح نفسه . . حتى يرى المسلمين في العزة يرفلون ،  
وعلى سائم الأسياد والوحدة والقوة يصعدون ، فهل يلام هذا  
البطل بما ينفق من أموال ، وما يتصف به من بذل وسخاء ؟ (١) .

---

(١) عهد الله طوان : صلاح الدين الأيوبي بطل حطّين وسحرر القدس من  
الصلبيين ص ١٦٦ .

ثانياً - الإصلاح العقدي :

١ - القضاء على الإلحاد ونسف قواعد الزندقة :

تبين ما ذكر عن صلاح الدين القنوة الحسنة في التقوى والتواضع والورع أن صلاح الدين هرف بالايمان والتقوى والخشية من الله ، والثقة به ، والالتجاء إليه ، وأنه كان رحمه الله " حسن العقيدة كثير الذكر لله تعالى ، قد أخذ عقيدته من الدليل بواسطة البحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء ، ويتفهم من ذلك ما يحتاج إلى تفهم بحيث كان إذا جرى الكلام بين يديه يقول فيه قولاً حسناً وان لم يكن بعبارة الفقهاء فتحصل من ذلك سلامة عقيدته عن كدر التشبيه والتعطيل جارية على نسط الاستقامة " ( ١ ) .

ومن كان على هذه التربية الإيمانية ، والسلوك العقدي القويم فلا بد من أن يقوم بواجبه الأمثل والأكمل في إصلاح العقيدة ، وتقويم الاحوجاج ، وتبديد ظلمات الغلال ، والذود عن حياض الإسلام .

ومن هذا المفهوم الواعي ، والاعتقاد الراسخ انطلق صلاح الدين ليحطم أغلال الإلحاد ، وينسف قواعد الزندقة في بلاد المسلمين جمعاء .

فكان إذا سمع عن رجل يدهو إلى مبادئ تتعارض مع عقيدة أهل السنة ولا تتوافق مع قواعد الشريعة الإسلامية يأمر بقتله فوراً بعد أن يستفتى فيه جماعة الفقهاء والعلماء .

( ١ ) أموشاة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢١٩ .

وفي هذا يقول القاضي ابن شداد :

" وكان كثير التعظيم لشعائر الدين ، قائلاً ببعث الأجسام ونشورها ، ومجازاة المحسن بالجنة والسنيء بالنار ، صدقوا بجميع ما وردت به الشرائع ، منشرحاً بذلك صدره ، منفضاً للفلاسفة والمعطاة والدهرية ومن يعاند الشريعة المطهرة (١) .  
لقد جاء صلاح الدين فوجد أشتاتاً من الزنادقة والرافضة والملاحدة وقد زودوا أنفسهم بسلاح من الفلسفة والمنطق ، ولم يكن أمام صلاح الدين إلا استعمال العنف أمام هؤلاء بمعد أن يستنفذ معهم كل وسائل الحكمة والموهبة الحسنة .

" ولقد أمر ولده الظاهر صاحب حلب بقتل شاب كان نشأً يقال له السهروردي (٢) قيل عنه أنه كان معانداً للشرائع مبطلاً ، وكان قد قبض عليه ولده المذكور لما بلغه من غيبه ، وعرف السلطان به ، فأمر بقتله وصلبه أياماً (٣) واليوم في طائفة الإسلامى كم ترى فيه من (سهروردي) يريد شراً بالإسلام وأهله خاصة والبلاد الإسلامية منقسمة إلى أجزاء ، ومقطعة إلى أوصال ومنفصلة إلى دويلات ؟

لقد خرجت البلاد الإسلامية - بعد القضاء على الخلافة العثمانية وتتأمر الصليبية واليهودية والاستعمار - وهي أسوأ حالا ، وأكثر شتاتاً ، وأكبر انقساماً وتجزئة ، وأضعف قوة وسلطاناً .

(١) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) هو شهاب أبو الفتوح يحيى بن حبيش بن أمرك ، ولقبه المؤيد بالملوك ، ولد (بسهرورد) إحدى قرى عراق العجم عام ٤٩٩ هـ وقتل في عام ٥٨٧ هـ بعد أن ثبتت عليه تهمة الالحاد والزندقة من واقع نظريته التي تعرف بنظرية الإشراق وهي نظرية يونانية قديمة ، وطلبه فقد أفتى فقهاً حلب بقتله .

(٣) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٢١٩ .



إن حال البلاد الإسلامية مع اليهود اليوم وهم يحتلون  
المسجد الأقصى أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين ،  
أشبه ما تكون بحال المسلمين مع الصليبيين بالأمس . .  
أليست الفرقة هي الفرقة ؟ أليس الاعتداء هو الاعتداء ؟  
أليس الحق على الإسلام هو الحق على الإسلام ؟ ومــــ  
ذلك فهناك فارق كبير بين السهرورديين بالأمس وأمام  
صلاح الدين والسهرورديين اليوم . السهرورديون بالأمس  
وجدوا صلاح الدين لهم بالمرصاد ، فقتلهم وصلبهم وجعل  
منهم عبرة لكل منحرف أو ملحد أو زنديق .

أما السهرورديون اليوم فلا صلاح الدين أمامهم ينزل  
من العالم الإسلامي شرهم ، بل على العكس من ذلك فقد  
وجدوا جميع الطرق وقد مهدت تحت أقدامهم ، وكل الأبواب  
وقد فتحت لاستقبالهم .

يتمثل ذلك كله في وسائل الإعلام المختلفة التي ينفثون  
من خلالها سمومهم الإلحادية ، وأحقادهم الصليبية والماسونية  
على نطاق العالم الإسلامي إلا من عصم ربى .

إن السهرورديين اليوم من أمثال توفيق الحكيم ، ولويس  
عوض ، وحسين فوزى وأفراخهم ينكرون على المسلمين اهتزازهم  
بأسلافهم والإشادة بهم أمثال : خالد بن الوليد ، وسعد بن  
أبي وقاص ، وطارق بن زياد ، وصقر قريش ، وصلاح الدين  
الأيوبى ، والمظفر سيف الدين قطز ، والظاهر ركن الدين  
بيبرس .

يقول الدكتور عبد الحلیم هويس :

" ومن هنا يبدو ( لويس عوض ) أكثر ما يكون بعدا عن  
العلمية وأقرب ما يكون إلى الصليبية حين يقرع المصريين ويوحهم

لأنهم - كما يقول :

" يعيشون في وهم أمجاد ماضية ويتقصون روح الأسلاف..  
فيتحدثون عن حطين ومرج دابق وعين جالوت ، ويعلمون أبناءهم  
تاريخ طارق بن زياد وصقر قريش وصلاح الدين".

- وماذا إذن تكون مصر .. يالويس ؟

- وإذا ذهب عين جالوت وحطين من تاريخ مصر.. فماذا  
يبقى فيه من أمجاد عالمية .. ؟

- ويأتري هل تعلم مصر أبناءها تاريخ ( بطرس الناسك ) و  
( جان دارك ) و ( نابليون بونابرت ) بدلا من طارق وصلاح الدين ؟

- وهل تتكرم بريطانيا أو المشرون الذين نعرفهم جيدا ..  
بالتخلي عن تمجيد "ريتشارد قلب الأسد" و "شارل مارتنيل"  
لمجدواهم - بدلا منا - عبدالرحمن الغافقي وصلاح الدين .. ؟

- أم أننا وحدنا يطلب منا نسخ شخصيتنا وبيع حضارة مصر  
في مزاد علني .. ؟

- ويبيعها لمن ؟ .. لأهدائها الذين يستعمرون أرضها ، أو  
يساعدون مستعمرتها بالطال والسلاح .. ؟ ( ١ ) .

وإذا جاز أن أضيف شيئا ، فهو أن خالد بن الوليد ،  
وسعد بن أبي وقاص ، وصقر قريش ، وصلاح الدين الأيوبي ،  
وقطز ، وبيبرس ما هم إلا جنود الإسلام وأبطاله ، من خلال  
الإسلام نعبدهم ، ومن خلال الإسلام نعتز بهم .

إن هؤلاء السهرووردين يسعدهم كثيرا أن نحدث أبناءنا  
عن سقوط بيت المقدس في أيدي الصليبيين عام ٥٤٩٢ / ١٠٩٩ م ،  
وكان عددهم لا يزيد آنذاك عن اثني عشر ألفا من المشاة والسف  
وثلاثمائة فارس .

( ١ ) د . عبدالحليم عويس: المسلمون في معركة البقاء ، ط ١ . دار الاعتصام بالقاهرة  
عام ١٣٩٩ هـ .

ويتعسفهم كثيرا أن نحدث أبناءنا عن استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين عام ٥٨٣هـ / ١١٨٢م ، وكان عدد هم يزيد آنذاك عن ستين ألفا من المشاة . لم يدرك هؤلاء السهرورديون أن الاعتزاز بهؤلاء الأبطال ليس معناه الهروب من الحاضر إلى الماضي ، أو دفن الرؤوس في الرمال كما يدعون ، ولكن معناه الاعتراف بالجليل ، ومعناه الوفاء الذي لا يعرفه السهرورديون في حياتهم ، ومعناه أن هؤلاء الأبطال هم قوتنا الصالحة التي سوف نقفد بها إن شاء الله تعالى .

" والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١) .

## ٢ - القضاء على غلاة الشيعة ودعاة الاسماعيلية :

كانت مصر قبيل ظهور صلاح الدين الأيوبي نهبا للشوات الداخلية والمنازعات الطائفية فانتشرت المجاعات والأوبئة ، وعمت الخلافات من أجل الوزارة الفاطمية .

وعندما أصبح صلاح الدين الأيوبي وزيرا للمعاذ الفاطمي في مصر إبان شيابه آلمه ما وجد عليه حال البلاد من المعتقدات الباطنية والمذاهب المنحرفة التي لا تمت إلى عقيدة أهل السنة والجماعة بصلة أو نسب .

ويتلخص مذهبهم الفاسد بما يلي :

" إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تعود إلى اختيار الأمة ، بل هي ركن من أركان الدين لا يجوز لنبي اغفاله ولا تفويضه إلى العامة ، بل يجب على الرسول قبل موته أن يعين الإمام للمسلمين ، وأن يكون هذا الإمام معصوما من الكبائر والصفات ، وأن عليا عليه السلام هو الخليفة ،

(١) سورة يوسف : آية ٢١ .

|

وأن أبا بكر وعمر قد اغتصبا الخلافة منه ، ومنهم الغلاة الذين  
قالوا بالوهمية هؤلاء الأئمة إما على أنهم بشر اتصفوا بصفات  
الألوهية ، وإما أن الإله حل في ذواتهم البشرية .

ومن هؤلاء من يقف عند واحد من الأئمة لا يتجاوزه إلى  
غيره ، ويقول إنه حتى لم يمت إلا أنه غائب عن الأعين ، وأنه  
يخرج آخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً كما كانت جوراً (١) .  
وتوثيقاً لما تقدم وتأكيداً له أورد ما جاء بشأن ذلك في  
الروضتين :

" بعد أن أظهر بنو عبيد للناس أنهم شرفاء فاطميون  
ملكوا البلاد وقهرروا العباد وقد ذكر جماعة من أكابر العلماء  
أنهم لم يكونوا لذلك أهلاً ، ولا نسبهم صحيحاً ، بل المعروف  
أنهم بنو عبيد ، وكان عبيد ذئباً من نسل القداح الطحيد  
المجوسى ، وقيل كان والد عبيد هذا يهودياً من أهل سلطنة  
من بلاد الشام وكان حداداً ، وعبيد هذا كان اسمه سعيداً  
فإذا دخل المغرب تسمى بعبيد الله ، وزعم أنه علوى فاطمى ،  
وإدعى نسباً ليس بصحيح لم يذكره أحد من مصنفى الأنساب  
العارفة ، بل ذكر جماعة من العلماء بالنسب خلافه وهو  
ما قدنا ذكره ، ثم ترقى به الحال إلى أن ملك وتسمى  
بالمهدى ، وبنى المهديّة بالمغرب ونسبت إليه ، وكان -  
زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام متظاهراً بالتشيع مستتراً به حربياً  
على إزالة الملة الإسلامية ، قتل من الفقهاء المحدثين والصالحين  
جماعة كثيرة ، وكان قصده إهدامهم من الوجود ليبقى العالم  
كالبهائم ، فيتمكن من إفساد عقائدهم وفلأنتهم ، والله متم نوره

(١) عبد الله علوان : علاج الدين الأبيوس ، ص ١٨٩ .

ولو كره الكافرون ، ونشأت ذريته على ذلك منطوين يجهرون به  
إذا أمكنتهم الفرقة والا أسره ، والدعاة لهم منبثون في البلاد  
يغلون من أمكنهم إضلاله من العباد ، وبقي هذا البلاء على  
الإسلام من أول دولتهم إلى آخرها ، وذلك من الحجة سنة تسع  
وتسعين ومائتين إلى سنة سبع وستين وخمسة ، وفي أيامهم  
كثرت الرافضة واستحكمت أمرهم ، ووضعوا المكوس على الناس  
واقتردوا بهم غيرهم ، وأفسدت عقائد طوائف من أهل الجبال  
الساكين بشعور الشام كالنصيرية والدرزية ، والحشيشية نوع منهم  
وتمكن رعاتهم اضعف عقولهم وجهاهم ما لم يتمكنوا من غيرهم وأخذت  
الفرنج أكثر البلاد بالشام والجزيرة . إلى أن من الله على  
المسلمين بظهور البيت الأتابكي وتقدمه مثل صلاح الدين ،  
فاستردوا البلاد ، وأزالوا هذه الدولة عن رقاب العباد " (١) .

ويذكر ابن جبير أحوالهم في الشام أيام صلاح الدين فيقول :

" وللشيعة في هذه البلاد أمور عجيبة ، وهم أكثر من  
السنين بها ، وقد عموا البلاد بمذاهبهم ، وهم فرق شتى :  
منهم الرافضة ، وهم السبابون ، ومنهم الإمامية والزيدية ، وهم  
يقولون بالتمييز خاصة ، ومنهم الاسماعيلية ، والنصيرية وهم  
كفرة فجرة يزعمون الألوهية لعلي رضي الله عنه ، تعالى الله  
عن قولهم " (٢) .

لم يكن من الممكن بحال من الأحوال أن يواجه صلاح الدين  
جحافل الصليبيين وينتصر عليها ، والأمة الإسلامية حالها  
هكذا ينخر الفساد في جسدها حتى العظم . كان الرأي العام  
الإسلامي مشتت القوى ، ممزق الأوصال ، لا يوحد الخطر المحدق  
به ، ولا يجمعه الأمل المعقود عليه .

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ٢٠١ .

(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٢٥٢ .

وليس هناك ما يدفع الخطر ، ويحقق الأمل أكثر من وحدة العقيدة في الأمة أولا وأخيرا ، وليس وحدة الصف كما يزعم البعض هذه الأيام ، لأن العقيدة هي الجوهر والأصل أما الصف فهو أمر ثانوي يتحقق بالضرورة بعد وحدة العقيدة ، فريش كلها وقتت صفا واحدا في قتالها ضد النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه ، لكن قريشا كانت صفا بلا عقيدة ، فماذا كانت النتيجة ؟

إنهارت قريش كلها أمام العقيدة ، وأصبحت حصيدا كأن لم تكن بالأسس . لذلك سارع صلاح الدين بعد أن أصبح وزيرا على مصر ، وبعد أن أصبحت البلاد كلها تحت سلطته بمحاربة هذا المذهب الباطل والقضاء عليه ، فجند كل قواه لإزالة معالم هذا المذهب من الوجود ، وإحلال عقيدة أهل السنة والجماعة محله باعتبارها عقيدة الإسلام الحق والقرآن المنزل .

ولقد تم لصلاح الدين ما أراد في سرعة مذهلة ، ويرجع ذلك إلى العوامل التي صاحبت صلاح الدين وساعدته على تمكين العقيدة الإسلامية الخالصة في نفوس المصريين خاصة ، ومن أبرز تلك العوامل محبة المصريين لصلاح الدين وثقتهم به عقب انتصاره على الفرنج بعد غزوهم " دمياط " و " غزوة " وبعد استيلائه على مدينة " العقبة " وهي ففتاح البحر الأحمر لطريق الحجاج المصريين وغير المصريين إلى مكة المكرمة .

٣ - إنشاء المكتبات والمدارس لتدريس الدين على مذهب أهل السنة والجماعة :

ذكرت عند التحدث عن إنشاء المدارس لنشر عقيدة الجهاد بين المسلمين في عهد صلاح الدين الأيوبي أن المدارس في عهده قد أنشئت لتقوم بعمليتين خطيرتين :

أولهما : تعليم الناس المذهب السنّي ، ومحاربة العقائد الفاطمية .  
الثاني : إثارة التحمس الديني ضد الفرنج في الحروب الصليبية .  
ولقد بينت كيف أن المدارس قد قامت بدور خطير فسي  
إثارة التحمس الديني ضد الفرنج في الحروب الصليبية ، وقلت  
وقتها بأن المدارس هي مزرعة العقول وحصانها . لذلك لم  
يكن غريبا على صلاح الدين أن يعتبر في نظر التاريخ المؤسس  
الحقيقي في مصر بوجه خاص .

وأضفت في حينه بأن بناء مدرسة كان من أهم الأعمال  
التي يعمل لها سلاطين السلاجقة وأمراؤهم ووزراؤهم —  
وكانت تماما توازي عندهم بناء مسجد أو فتح مدينة أو بناء  
قلعة .

واقدم جاء صلاح الدين فوجد المذهب الشيعي قد بدل  
عقيدة أهل السنة والجماعة ، وهي عقيدة الأمة الإسلامية ،  
فشوّه عقولها ، ومزّق وحدتها وشتت شملها .

لذلك تحرك صلاح الدين بسرعة وعلى جهات متعددة  
لإعادة الأمور إلى ما كانت عليه قبل ابتلاء الأمة بالعبيديين ،  
وبذلك يتوحد الرأي العام الإسلامي بتوحيد عقيدته أمام  
جحافل الصليبيين .

وكانت المكتبات والمدارس في مقدمة تلك الجهات التي  
عأها صلاح الدين ليعيد للأمة عقيدتها . فكان ينشئ  
المدارس أولا ليخوض بها معارك العقيدة داخل الأمة ، ثم  
يذهب بعد ذلك ليخوض معارك الحرب المظفرة مع العدو  
الصليبي .



جاء في الروضتين :

" قال العماد كان بمصر حبر لشحن يعرف بدار المعونة فأعادها صلاح الدين مدرسة لشافعية في أول سنة ست وستين وخمسائة ، وعمل في النصف من المحرم دار الغزل مدرسة للمالكية ، وولى صدر الدين عبد الملك بن دواس القضاء والحكم بمصر والقاهرة وأعمالها ، وذلك في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة ، ثم خرج إلى الفزة ، وأغار على الرملة وعسقلان ، وهجم ربض غزة ، ثم رجع إلى القاهرة ( ١ ) .

وبعد المعارك الحربية وفتح المدن والحصون والقلاع يعود صلاح الدين أو بعض أهله ليفتحوا المدارس ثم يخوضوا معارك العقيدة من جديد .

قال العماد :

" وفي النصف من شعبان - نفس السنة - اشترى تقي الدين عمر بن شاهنشاه وهو ابن أخي صلاح الدين منازل الغزل بمصر وجعلها مدرسة لشافعية ، واشترى الروضة وحمام الذهب وغيرهما من الأملاك ووقفها عليها " ( ٢ ) .

ويقول الدكتور عبد الطيف حمزة :

" أتى صلاح الدين ، فعمل على القضاء نهائيا على المذهب الفاطمي وعلى الدولة الفاطمية ليحل محلها المذهب السني والدولة الأيوبية ، وسلك صلاح الدين في ذلك طريقا شتى ، وسنرى أن العنف والقتل كان ضرورة سياسية إلى جانب أنه ضرورة دينية . وسبب ذلك فيما يرى المؤرخون والباحثون أن السياسة والدين كان كل منهما لا يتفصل عن

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ١٩١ .

( ٢ ) المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٩١ .

الآخر في تاريخ المسلمين في جميع العصور . ولكن إلى جانب هذا العنف الذي اتبعه صلاح الدين كانت ثم طريقة سلمية عظيمة الفائدة في محاربة المذهب الفاطمي . تلك هي طريقة التعليم ، ومن أجلها عنى صلاح الدين بإنشاء المدارس التي لم يكن لمصر الإسلامية عهد بها قبل الحكم الأيوبي ( ١ ) .

وحتى ندرك بعض ما قامت به المدارس في عهد صلاح الدين من جهد في تدريس الدين على مذهب أهل السنة والجماعة ، كان لابد لنا من الوقوف على نوع المناهج التعليمية التي كانت تدرس بها آنذاك .

لقد أمر صلاح الدين بتنظيم العمل في شتى المدارس التي أنشأها على اختلاف تخصصها في أمور العلم أو الدين ، فكان القائمون بالتدريس فيها ينقسمون إلى فريقين :

الفريق الأول : هو فريق المدرسين ، وهم الأساتذة المتمحرون في العلم .

الفريق الثاني : هو فريق المعيدين ، وهؤلاء يقوم بإعادة ما يلقيه المدرسون على الطلاب حتى يرسخ في أذهانهم ، ولا يذهب عن أفهامهم .

ويتضح من مناهج المدارس التي أسسها صلاح الدين أنه كان يرمى إلى تعليم الناس المذهب السني ، وقطع أهر المعتقدات الفاطمية والمذاهب الباطنية ( ٢ ) .

وكانت المدارس في هذا العصر - وخاصة المدارس الكبرى في الحواضر الكبيرة - جامعات تدرس فيها العلوم

---

( ١ ) ن . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي

والمملوكي الأول ص ٧٧ .

( ٢ ) عبد الله علوان : صلاح الدين الأيوبي ص ١٧٩ .

المختلفة ، وتنقسم إلى أقسام حسب العاوم التي تدرس بها .  
ويوكل بكل قسم أستاذ عالم من الأساتذة المشهورين ، فكان  
هناك أستاذ للتفسير ، وأستاذ للحديث ، وأستاذ للفقه  
وأستاذ للغة والأدب ، وأستاذ للتاريخ . الخ ، كما كان  
يقسم الفقه إلى مذاهبه الأربعة ، ويكون لكل مذهب أستاذه  
فأستاذ للمالكية ، وأستاذ للحنفية ، وأستاذ الشافعية ،  
وآخر للحنابلة .

وكان يلحق بالمدارس دور للكتب لإطلاع الطلاب ودرسهم  
وكان للنظامية ببغداد دار كتب كبرى يقوم بالإشراف عليها  
أحد العلماء الأفاضل ، وكذلك كانت حال مدارس الشام ومصر  
والأندلس ، وكان نظام التعليم في المدارس الإسلامية وقتئذ يقوم  
على مرحلتين : مرحلة التعليم الابتدائي ، وكان منهاجه فسي  
جميع البلاد الإسلامية يقوم أساسا على كتابة الخط وقراءة  
القرآن وتعلم النحو والصرف والشعر . والمرحلة الثانية  
التعليم العالي ، وكان يقوم على تفسير القرآن ، وأصول اللغة  
وفقهها ، والشعر وعلم القراءات والفقه بمذاهبه الأربعة والتاريخ  
وعلم البلدان ، والحديث وعلومه ( ١ ) .

وكانت سوق الكتب رائجة في ذلك العهد ، وكان بمصر  
سوق يقع في الجانب الشرقي من جامع عمرو بن العاص ، وأسواق  
أخرى . . تعد الكتب التي تضمها من أنفس الكتب ، وأقيم  
الذخائر ، كما كان يوجد بدمشق سوق كبير المكتب يضم شتى  
أنواع الكتب ( ٢ ) .

قال العماد في الروضتين :

" وكان لبيع الكتب في القصر كل أسبوع يومان ، وهن  
تباع بأرخص الأثمان ، وخزائنها في القصر مرتبة البيوت مقسمة

( ١ ) د . محمد زغلول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ص ٨١ ، ٨٢ .

( ٢ ) عبد الله عاوان : صلاح الدين الأيوبي ص ١٧٩ .

الرفوف مفهومة بالمعروف " (١) .

من ذلك كاه يتبين بكل وضوح أن المكتبة العامة والخاصة قد شاركت كل منهما المدرسة في محاربة تلك المذاهب الباطلة حتى قضى عليها وتلاشت آثارها ، وحل محلها عقيدة أهل السنة والجماعة .

ومن كتاب فاضلي عن السلطان صلاح الدين إلى وزير بغداد علي يد الخطيب شمس الدين بن أبي الغضائفي بعض السنين :

" كتب الخادم هذه الخدمة من ستقره ودين الولاء مشروع ، وعلم الجهاد مرفوع . وسؤدد السواد متبوع ، وحكم السداد بين الأمة موضوع ، وسبب الفساد مقطوع ممنوع ، وقد توالت الفتوح عربا وبيضا وشاما ، وصارت البلاد بل الدنيا والشهر بل الدهر حرما حراما ، فأضحى الدين واحدا بعدما كان أديانا والخلافة اذا ذكر بها أهل الخلاف لم يخشوا إلا عصا وعميانا ، والبدعة خاشعة ، والجمعة جامعة والهداية في شيع الضلال شائعة ، ذلك بأنهم اتخذوا عباد الله من دونه أولياء ، وسموا أعداء الله أصفياء ، وتقطعوا أمرهم بينهم شيعة ، وفرقوا أمر الأمة وكان مجتمعا ، وكذبوا بالنار فمجلت لهم نار الحتوف ، ونشرت أقلام الطبا حروف رؤوسهم ونشرت الأقلام للمحروف ، ومزقوا كل ممزق ، وأخذ منهم كل مخنق ، وقطع دابرهم ، ووعظ آييمهم غابرهم ، وورغمت أنوفهم منايرهم وحقت عليهم الكلمة تشريدا وقتلا ، وتمت كلمات ربك عدقا وعدلا " (٢) .

وعلى أثر قيام تلك الوحدة الإسلامية الشاملة ، استبشر العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وتفاعل خيرا فسي

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ٢٦٨ .  
(٢) المصدر السابق : ج ١ ، ص ١٩٥ .

|

الوصول الى النصر المبين بعد إحلال الحق وإبطال الباطل ولم تفض فترة قصيرة حتى استطاعت الأمة الإسلامية بقيادته البطل صلاح الدين الأيوبي أن تزلزل العظميين وتلحق بهم الهزيمة تلو الهزيمة ، فأدركوا - وهم الذين لم يتمودوا من المسلمين غير التقهقر والاندحار - أن نصرهم كان مؤقتا ، وأن أسبابه لم تكن ترجع في الحقيقة إليهم بقدر ما كانت ترجع إلى المسلمين أنفسهم ، وبزوال تلك الأسباب زالت الحواجز وانقض صلاح الدين على الدولة الصليبية في القدس ، فجعلها أثرا بعد عين في معركة حاسمة لها في الأجيال ذكره ، وفي التاريخ دوى .

ثالثا - الاصلاح الاجتماعي :

١- القضاء على مظاهر الخلاعة والمجون في عهد الفاطميين ، وخاصة في المواسم والأعياد :

تولى صلاح الدين الأيوبي الأمر بحمص عام ٥٦٩ هـ ، ومن ثم بدأ تمهيد قاعدته فيها وتطهيرها من عناصر الفساد التي كانت تتمتع بحرية العمل والتخريب أيام الفاطميين .

وقد كان بالعواصم العربية كثير من الأماكن المشهورة باللهو والفساد ، ومنها بالقاهرة ( بركة الفيصل ) وبدمشق ( خان العقبة ) بظاهر البلد .

رأى صلاح الدين كل ذلك ، ووجد أن الفاطميين قد أشاعوا الخلاعة والمجون بين المسلمين لكسب ربحهم عن سبيل الله ، ويشغلوهم بأنفسهم ، فبصر فبصر

الجادة وبيتعدوا عن الطريق المستقيم . فقام صلاح الدين  
يقمع تلك الفواحش والمنكرات ، وابطال مظاهر الخلاعة والمجون  
أيام تقلده الوزارة في مصر ، حيث تفشت تلك المظاهر فـسـى  
المجتمع المصرى خاصة فى المواسم والأعياد كعيد " النوروز " .

" إن كانت المنكرات ظاهرة فيه ، والفواحش صريحة  
فى يومه ، ويركب فيه أمير موسوم بأمر النوروز ، ومعه جمع كثير  
ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه على بيوت الأكاير ، ويقنع  
بالميسور من الهبات ، ويتجمع المؤثنون والفاسقات تحت قصر  
اللؤلؤ حيث يشاهدهم الخليفة الفاطمى وبأيديهم الملاهسى ،  
وترتفع الأصوات ، وتشرب الخمر فى الطرقات ، ويتراش الناس  
بالماء ، وبالماء والخمر ، وبالماء ممزوجا بالقاذورات ، فإن غلط  
ستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ، ويستخف  
بحرمته ، فإما فدى نفسه ، وإما ففج . . . " ( ١ )

أبطل صلاح الدين تلك المظاهر الفاسدة ، والمنكرات  
السافرة . . . ومكن الناس من الحياة البريئة النظيفة ، وأعاد  
أهم أخلاق الإسلام ، وآدابه السامية ، ولم يكن الطريق  
أمام صلاح الدين فى هذا المجال سهلا ميسرا ، بل ربما كان  
أشق عليه وأصعب من مجال الجهاد بالسيف ، لأن جهاد  
النفوس هو الجهاد الأكبر ، بينما الجهاد بالسيف هو الجهاد  
الأصغر .

جاء صلاح الدين فوجد الفرق الدينية الغالة قد  
استغلت الفقر وسوء الحال وجهل العامة ، فلعبت بعقول  
الناس ، واجتذبتهم إلى بعض المبادئ الهدامة المخربة ،

---

( ١ ) عبدالله علوان : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٨٥ .

ما جعلها تنتشر في ذلك الوقت ، كدعوة الاسماعيلية التي أشرت إليها من قبل ، وكانت مبادئ هذه الفرق تزين للعادة التخريب في ثوب الدين ، وتدخل إلى نفوسهم عن طريق العاطفة الدينية وكان يلجأ بعضهم إلى شتى الحيل يتسلطون بها على الناس .

من ذلك ما يروى عن الحشيشية من أنهم كانوا يسقون أتباعهم الحشيش وينقلونهم إلى جنات وساتين وهم تتسرب منها الجداول حيث يقضون أوقاتا من اللهو والمجون بين الخمر والجواري ، ثم يدخل أتباع الحشيشية في أوهام هولا<sup>١</sup> أن ما رأوا صورة مصغرة للجنة التي يوهد بها الأتباع ، وعندما يفتقون يحنون أنفسهم بالعودة إلى ما كانوا فيه ، فيتسلط عليهم رؤساؤهم بأن يلقوا في روعهم أن العودة لا تتم إلا باتباع الأوامر ، فيصيرون العمية فسي أيديهم بوجهونهم تحت هذا الوعد إلى ما يشاءون (١) .

وان الانسان لمعجب من نظام هذه الأعياد وكثرتها والإعداد لها ، فقد ذكر " المقرئزي " منها ثمانية وعشرين عيدا في كمال عام منها : عيد رأس السنة ، ويوم عاشورا ، ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ، ومولد علي بن أبي طالب ، ومولد الحسين ، ومولد فاطمة ، ومولد الخليفة الحاضر ، وليلة أول رجب ، وليلة نصفه ، وليلة أول شعبان ، وليلة نصفه ، وفترة رمضان ، والجمعة الأخيرة منه وموسم عيد الفطر ، وموسم عيد النحر ، وعيد الغدير (٢) ، وكسوة الشتاء ، وكسوة الصيف ، وموسم فتح الخليج ، ويوم الميلاد ، وعيد النيروز ، وموسم وفاة النيل . . . الخ (٣) .

وكان الخلفاء الفاطميون يشتركون بأنفسهم في جميع هذه الأعياد والمواسم على كثرتها ، فلما جاءت الدواة الأيوبية بمعقده أهل السنة

---

(١) د . محمد زغالول سلام : الأدب في العصر الأيوبي ، ص ٦٨ .  
(٢) عيد الغدير فيه تزويج الأيما ، وفيه الكسوة وتفرة الهبات لكبرا الدولة وحق الرقاب ، وتفرة الذبائح .  
(٣) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ، ص ٥٧ ، ٥٨ نقلان : خطط المقرئزي ج ٢ ، ص ٣٨٤ .



والجماة أبطلت هذا الكم الهائل من الأعياد ، ولم تبق فيها إلا ما أمر به الشرع ، وهما : عيد الفطر ، وعيد الأضحى ، وهذا هو الجانب الأهم والرئيسي ، أما الجانب الآخر فهو أن الدولة الأيوبية لم يكن عندها من وفرة المال ما يمكن أن تنفقه في فسير الحرب التي فرضتها على نفسها ضد الصليبيين حتى تطهر المسلمين من رجسهم .

من ذلك يتضح أن الحياة الاجتماعية في عهد صلاح الدين كانت تتسم بطابع الجدية والجهاد وناهضة الفرج وكافحمة العدو ، وكانت بعيدة كل البعد عن مظاهر الأبهة الفارسية ، والمعظمة الكاذبة ، والهدخ المفرط .

وكان رحمه الله يعطى لجنوده ورعيته القدوة الحسنة فسي اللباس العادي ، والطعام الخشن ، والمجالسة المتواضعة ، ويقول العماد الكاتب الأصفهاني في وصف طيبه :

« كان لا يلبس إلا ما يحل لبسه ، وتطيب به نفسه . كالكتان والقطن والصوف ، وكسوته يخرجها في إسداء المعروف<sup>(١)</sup> . رحم الله صلاح الدين ، لقد أدى الرسالة ، وبلغ الأمانة ، وحقق العزة لأمة الإسلام ، وأتم على البلاد الإسلامية نعممة الوحدة والقوة والمنعة ، وحرر عرض المسلمين وأرضهم من براثن الصليبية الحاقدة ، والاستعمار البغيض .

٢ - القضاء على بدع المواسم كبدع يوم عاشوراء :

تؤكد الشريعة الإسلامية على أن المجاهد يجب عليه قيسل أن يخوض معارك الجهاد ضد أعداء الإسلام ، والطامعين فسي النيل منه أن يحرر السنية من كل قتال لأجل المغنم أو السمعة أو الحمية أو الربا ، حتى يكون جهاده خالصا لوجه الله ، وفسى سبيل مرضاته تحقيقا لقوله تعالى :

(١) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص ٦٥٦ .

"الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا

يقاتلون في سبيل الطاغوت" (١) .

إنطلاقاً من هذه العقيدة ، وتحقيقاً لهذا المبدأ جمع صلاح الدين جموع المسلمين على اختلاف أجناسهم وألوانهم ولغاتهم تحت لواء الوحدة الإسلامية ليقفوا وقفة صامدة أمام الصليبية الحاكمة ، ولكي يتحقق ذلك على الوجه الأمثل بحيث يصبح المسلمون جميعاً أبناءً فقيدة واحدة هي فقيدة أهل السنة ، فقد واصل صلاح الدين جهاده ضد كل ما يشوب هذه العقيدة ويبعدها عن جوهرها الذي نزل به القرآن الكريم ، من ذلك جهاده ضد الهدع التي استحدثها الفاطميون وجعلوا لها مواسم وأعياداً كل عام ومثال ذلك ، بدع يوم عاشوراء الذي جعلوه يوم حزن وأسى ، ففي هذا اليوم كان يكثُر النحيب ، ويرتفع البكاء ، وتتعمط الأعمال ، وتتوقف الأسواق ، وترى الناس في هرج ومرج كأننا فقد كل واحد منهم أجزال الناس لديه ، وأحبهم إليه ، ويعمل فيه السقاط المسمى ( سقاط الحزن ) ، وكان يصل الناس شيء كثير منه ، ومع ذلك فقد هني طوك بنى أيوب بالأسطة السلطانية ، التي كانت تمتد أول النهار وآخره ، وخاصة ما كان منها أيام العيديين .

" وفي كل هذه الأسطة يؤكل ما عليها ويفرق نوات ثم تسقى الأشربة المعمولة من السكر والأفاوية المطيبة بما ورد المبردة ، وبلغ مصروف السقاط في كل يوم من أيام عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم (٢) .

(١) النساء : آية ٧٦ .

(٢) د . عبد اللطيف حمزة : الحركة الفكرية في مصر ، ص ٥٩ ، ٦٠ ، نقل عن :

خطط المقرئى ، ج ٢ ، ص ٢١٠ ، ٢١١ .

ومع ذلك فام تكن عناية بنى أيوب بالأسمطة والأعياد شيئاً يقاس بعناية الفاطميين لها . ذلك لأن الأيوبيين كانوا يحتفلون بالمناسبات الحربية أكثر من احتفالهم بأية مناسبة أخرى ، فكسان أحدهم إذا رجع من غزوة له ضد الصليبيين منتصراً أمر بأن يحتفل بذلك ، وأن تمد الأسمطة فتنال منه طبقات الشعب على اختلافها وكان اليوم يوم فرح وسرور يعم الشعب ، ويحول فيه الشعر، وتوزع فيه العطايا ، وتنتشر فيه الدراهم والدنانير على العادة .

وبذلك يشعر الرأي العام الاسلامي أنه في حالة استنفار دائم، وأن انتصاراته على الصليبيين هي وحدها التي تستأهل الحفاوة والتكريم ، وتستحق الفرح والسرور .  
ويقول العماد الكاتب الأصفهاني :

" فلا جرم أذل له ( أى لصالح الدين ) الملوك الأئمة ، ووهب لأطراف الدولة للتباهى بملكه الهزة . وملكه الأقاليم والأمار ، وأجرى بإقداره الأقدار ، فأزل عن مشارع الشريعة الأقدار . وهطل البدعة بحصر اليمن والشام ، وقع أهداه الإسلام" (١).  
هذا هو صلاح الدين الأيوبي . . القائد المسلم الذي أراد أن ينتصر تحت راية التوحيد وحرر ، فانتصر وحرر ، جاهد نفسى سهيل الله لتكون كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا ، فكان له ما أراد حين ظفر بأهداه الإسلام والمسلمين ، وحرر أولى القبلتين ، وسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ولم يكن في استطاعة صلاح الدين أن يحقق كل ذلك قبل أن يحرر العقيدة الإسلامية من البدع والضلالات التي أدخلها الفاطميون

---

(١) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ، ص :

المخلون ، وأن يبلغ بتعبئته الإعلامية الإسلامية الكاملة مداها .

وما أشبه الأس باليوم . . الأس حين جاءت جحافل الصليبيين تستهدف الإسلام والمسلمين .

واليوم حين جاءت جحافل الصهيونية تستهدف ما استهدفته الصليبية من قبل .

بالأسر كان صلاح الدين ، وكانت الأمة الإسلامية موحدة العقيدة والصف .

واليوم صلاح الدين غير موجود ، والأمة الإسلامية مزققة العقيدة والصف .

بالأس انتصر صلاح الدين وحرر حين جاهد الصليبيين من أجل الإسلام والمسلمين .

واليوم لم تنتصر ولم نحرر حين حاربنا الصهيونية باسم الوطنية تارة ، والقومية تارة أخرى ، والمبادئ الثورية مرة ، والممصرة العربية مرة ومرة .

وصدق الله العظيم حيث يقول في كتابه العزيز :

" إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى " (١) .

فلسطين لن تحرر اليوم ولن تحرر غدا إلا على أيدي المؤمنين الصادقين ، الراكعين الساجدين ، الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، الذين لا يجاهدون إلا وهم أطهار متوضئون ، والذين لا يحول حائل بينهم وبين ما يريدون ، ولا تصد أمام هزيمتهم قوة حين يسمعون النداء : هبى يا ربيع الجنة ، يا نصر الله اقترب ، يا رجال القرآن زينوا القرآن بالفعال .

---

(١) سورة النجم : آية ٢٣ .



٣ - القضاء على العديد من الضرائب التي فرضت على مصر والشام

وحجاج بيت الله الحرام :

كانت الدولة الفاطمية في عهد صلاح الدين تعيش في رفد من العيش ، ذلك لأن مواردها المالية كانت متعددة ، ومصادر الأرزاق فيها متنوعة ، ويمكن حصر هذه المصادر في الأمور التالية :

أ - كنوز الفاطميين الكثيرة التي وضع يده عليها بعد أن أصبحت مصر تحت سلطته .

ب - الجزية التي كانت تأتيه من غير المسلمين .

ج - الفدية التي كانت تحصله من الأسرى .

د - الغنائم التي كان يحصل عليها أثناء الحروب .

هـ - الخراج الذي كان يؤخذ من أصحاب الأراضي التي فتحها صلحا .

إلى غير ذلك من هذه المصادر المشروعة ، ومنهاج الثروة المسنونة .

ولم يكن صلاح الدين من السلاطين الذين ينفقون الأموال في غير وجهها ، ويضعونها في غير موضعها ، وإنما كان ينفقها في سبيل الله ، وإقامة الحصون ، وتشجيع القلاع والإصلاح العمراني ، وفي كل ما يعود على الدولة بالنفع العام والفائدة العظيمة ( ١ ) .

ومادامت هذه المصادر كافية وفاتحة عن حاجة الدولة الإسلامية ولا تتجاوز ما فرضته الشريعة ، فلماذا المزيد من المال الحرام الذي لا يقره الدين الإسلامي الحنيف ؟

من أجل ذلك رأى صلاح الدين أن الكثير من المكوس التي فرضت على الناس باطلة شرطا ، وأن فرضها كان تدنيسا لمصادر المال في الدولة الإسلامية ، وظلما يجب رفعه عن كاهل المسلمين .

---

( ١ ) عبد الله طوان : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٨٠ .

١ - رفع المكوس عن مصر والقاهرة :

جا<sup>١</sup> في الروضتين أنه في يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر سنة ٥٦٧ هـ قرى<sup>٢</sup> على المنبر بالقاهرة عن السلطان الملك الناصر سجل بإسقاط المكوس بمصر جا<sup>٣</sup> فيه ما يلى :

" أما بعد ، فإننا نحمد الله سبحانه على ما مكن لنا في الأرض وحسنه عندنا من أراء<sup>٤</sup> كل نافلة وفرض . ونصبنا له من إزالة النصب عن عباده ، واختارنا له من الجهاد في الله حق جهاده . وزهدنا فيه من متاع الدنيا القليل ، وألهمنا من محاسبة أنفسنا على النقيير والفتيل ، وأولانا من شجاعة الساحة فيوما نهب ما اشتطت عليه الدواوين وهو ما نقطع ما سقاء النيل : فالهشائر في أيامنا تترى ، شفعا ووترا ، والسمار كنظام الجواهر تتبع الواحدة منها الأخرى والسامحات قد ملأت السامع والمطامع ، وأسخطت الخيمسة والصنایع ، وأرضت المنبر والجامع . ولما تقلدنا أمور الرعية رأينا المكوس الديوانية بمصر والقاهرة ، أولى ما نقلناه من أن تكون لنا في الدنيا الى أن تكون لنا في الآخرة ، وأن نتجرد منها لنلبس أثواب الأجر الفاخرة . ونظهر منها مكاسينا ونصون منها مطالبنا . ونكفي الرعية ضرهم الذى يتوجه إليهم ، ونضع عنهم إصرهم والأغلال التى كانت عليهم . ونعيد لها اليوم كأسس الذهاب ، ونضعها فلا ترفعها من بعد يد حاسب ، ولا ظم كاتب . فاستخرنا الله وعجلنا إليه ليرضى ، ورأينا فرصة أجرة لا تفض عليها بمئات الأبخار ولا يفضى . وخرج أمرنا بكتب هذا المنشور بمساحة أهل القاهرة ومصر وجميع التجار المترددين إليهما ، والى ساحل المقسم والمنية بأبواب المكوس صادرها وواردها فيرد التاجر ويسفر ، ويغيب عن ماله ويحضر ، ويقارض

ويتجر . برا وبحرا ، مركبا وظهرا ، سرا وجهرا . لا يحسل ماشده ، ولا يحاول ما عنده . ولا يكشف ما ستره ، ولا يسأل عما أوردته وأصدره ، ولا يستوقف في طريقه ، ولا يشرق بريقه ، ولا يؤخذ منه طمعه ، ولا يستباح لسه حرمه . فمن قرأه أو قرئ عليه من كافة ولاة الأمر من صاحب سيف وقلم ، ومشارف أو ناظر ، فليمثل ما مثل من الأمس ، وليضه على سر الدهر ، مرضيا لربه ، مضيا لما أمر به ( ١ ) .

يمثل هذه الأخلاق الإسلامية العالية والخوف من الله ، ويمثل هذه الأعمال الإنسانية العظيمة ، إستطاع صلاح الدين أن يحتل تلك المكانة العالية في قلوب الملايين من البشر وأن يخلد التاريخ للأجيال سيرته العطرة ، وأخلاقه النبيلة وشجاعته النادرة ، ورواه المثالية ، وجهاده الدؤوب .

ثم يسألون بعد ذلك . . . بماذا جاهد صلاح الدين أعداءه ؟ وكيف انتصر وحرر ؟

ب - رفع المكوس عن الشام :

لقد أثبت صلاح الدين عليها أن اتباع سياسة تقسيم على أخلاقيات الحكم في الإسلام ، وعلى الشريعة الفراء في تحديد العلاقة بين الحاكم والرمية ، من الممكن أن تؤتى ثمارها ، وأن تحقق في سنوات قليلة الجوالقادر على الجهاد وتحمل التضحيات بدون حدود .

إن تلك الرطابية من جانب صلاح الدين لأهم من المسلمين جميعا تنبثق أصلا من إيمانه بأن المؤمنين إخوة وبأن واجب الحاكم هو العدل في الرمية والرفق بهم ، ورفع

---

(١) أبو شامة : الروضتين ج ١ ، ص ٢٠٥ .



الظلم عنهم ، وأشعارهم بأنه معهم يحاول إقامة العدل ، أو على الأقل رفع الظلم عنهم أينما كانوا ، وبأية وسيلة يقدر عليها .

لذلك بادر صلاح الدين برفع المكوس المخالفة للشرع في دمشق فور وصوله إليها قادمًا من مصر ليرفع الظلم عن سلع الشام كما رفعه عن سلع مصر والقاهرة من قبل .  
ويقول العماد الكاتب :

" ولما كان يوم الاثنين التاسع والعشرين من الشهر - أي شهر ربيع الأول عام ٥٧٠ هـ - ركبنا على خيرة اللسنة تعالى ، وعرض دون الدخول عدد من الرجال ، فدعستهم صاكرنا المنصورة وهدمتهم ، وهرفتهم كيف يكون اللقواء وطمتهم . ودخلنا البلد ، واستقرت بنا دار والدنا رحمة الله عليه ، قرية هوننا ، مستقرا سكون الرعدة وسكوننا ، وأذعنا في أرجاء البلد النداء بإطابة النفوس ، وإزالة المكوس ، وكانت الولاية فيهم قد ساءت وأسرفت ، والميسر المتعدية قد امتدت إلى أحوالهم وأجحت ، فشرنا في استئثار أمر الشرع برفعها ، وإعفاء الأمة منها بوضعها (١) .  
ولا يوجد ما يرفع من معنويات الجماهير المقاتلة مثل شقتها في حاكمها ، في أنها لن تجد منه سوى العدل والرفق والرعاية والمعيش بكرامة في وطنها ، لا يستهد بها حاكم ، ولا يظلمها عون من أعوانه ، وهو في الوقت ذاته يقاتل بينها ، ويعيش في وسط المعارك التي يخوضها .

---

(١) أبوشامة : الروضتين ج ١ ، ص ٢٣٦ .

ج - رفع المكوس عن حجاج بيت الله الحرام :

إذا كان صلاح الدين قد رفع الظلم عن مسلمي مصر والشام ، وأزال عنهم عبء المكوس التي أثقلت كاهلهم ، فمسا لاشك فيه أن ضيوف الرحمن حجاج بيت الله الحرام أحق وأولى بالعدل والرفق والرعاية .

ولقد ذكرت عند الكلام عن " موسم الحج واستغلاله في الدعوة إلى الجهاد " بعضا مما فعله صلاح الدين من أجل حجاج بيت الله الحرام لكي يرفع عنهم المعاناة والظلم لأن الأمر هنا أهم وأشمل من أمر مصر والشام ، إنه أمر يخص المسلمين جميعا .

ومن كلام الفاضل في ذلك في بعض كتبه :

" من البشائر التي لا عهد لحاج ديار مصر بمثلها ، ولا عهد لملك من ملوك الديار المصرية بالحصول طس فخرها وأجرها انقطاع المكاسين عن جدة ومن بقية السواحل ويكفي أن تمام هذه المشقة موجب الاستطاعة مقيم بحجة الله في الحج ، فقد كانت الفتيا طس سقوطه مع وجود الحامل ، وما أكثر ما أجرى الله للخلائق طس يده - أي صلاح الدين - من الأرزاق التي تغفل عن الاستحقاق ، وما أولاء بأن يتوخى بالمعروف مكانه من هذين الحرمين الشريفين المهجورين من إسعاف أهل الاقتدار ، والمحروم من قدر فيهما طس خير فأضاع فرصته بترك الهدار " ( ١ ) .

وبالمقارنة بين كلام الفاضل هذا ، وكلام العماد في الروضتين ، والذي ذكرته عند الكلام عن " موسم الحج واستغلاله في الدعوة إلى الجهاد " قد يتوهم بأن الفاضل

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٤٤٣ .

اختص حجاج مصر برفع الكوسه في حين أن العماد قد أوضح في كلامه أن رفع الكوس قد هم المسلمين جميعا دون تفرقة بين مسلم وآخر .

وذلك يعني أن صلاح الدين لم يكن بالحاكم الذي يفرق بين المسلمين في شتى أقطارهم ، ما يدل على حسن طويته ، وحرصه على وحدة الأمة ، والتحذير من الظلم .

وما يؤكد الرأي القائل بأن رفع الكوس عن حجاج بيت الله الحرام قد شمل المسلمين جميعا بالإضافة إلى كلام العماد الكاتب الأصفهاني ما ذكره ابن جبير في رحلته عن معاملة الحجاج في الحجاز ، يقول ابن جبير :

" وأكثر هذه الجهات الحجازية وسواها فرق وشيع لا دين لهم قد تفرقوا على مذاهب شتى ، وهم يعتقدون في الحاج ما لا يعتقد في أهل الذمة ، قد صبروهم من أعظم غلاتهم التي يستغلونها : ينتهبونهم انتهاها ، ويسببون لاستجلاب ما بأيديهم استجلابا . فالحاج معهم لا يسزال في غرامة ومؤونة إلى أن يبسر الله رجوعه إلى وطنه ، ولولا ما تلافى الله به المسلمين في هذه الجهات بصلاح الدين لكانوا من الظلم في أمر لا ينادى وليده (١) ولا يلبس شديده ، فإنه رفع ضرائب الكوس عن الحاج ، وجعل هوض ذلك مالا وطعاما يأمر بتوصيلها إلى "مكث" أمير مكة " (٢) .

---

(١) أي لا يهجر وليده إذا اختلس شيئا .  
(٢) ابن جبير : رحلة ابن جبير ص ٥٤ .

وهكذا نجد أن السياسة التي سلكها صلاح الدين  
تجاه المسلمين طامة حينما وصلت يده أو استطاعته هي  
التي بعثت الأمل . لم يعد الأمر تضيقا وابتهاالات  
بظهور الحاكم العادل . الحاكم العادل أصبح موجودا ،  
وعده على كل لسان .

إن ما قام به صلاح الدين من إصلاح اجتماعي ،  
وتقويم أخلاقي ليزهو في عهده بأكرم الخصال ، وأحسن  
العادات ، وأفضل الآداب .

وهذا تكون التمهيد الإعلامية الإسلامية الكاملة التي  
وصل بها صلاح الدين إلى غايتها ، ووضع قواعد هـا  
وأسس مبادئها ، ونزل بها إلى التطبيق العملي في وقت  
أصعب ما نحن فيه اليوم .

## الفصل الثاني

---

• معركة حطين مفتاح القدس عسكريا واطلاميا •

---

أولا : تصور عام لمعركة حطين .

ثانيا : النتائج العسكرية والإعلامية لمعركة حطين على كلا الجانبين .

ثالثا : أثر معركة حطين في استرداد بيت المقدس من أيدي  
الصلبيين .

## أولا : تصور عام لمعركة حطين :

جاءت معركة حطين في وقتها ، وكان جميع الظروف والملابسات على كل من الجانب الإسلامي والجانب الصليبي قد اشتكرت بكل قواها . في حبك فصولها ، ووضع النهاية الخالدة العظيمة لتلك الفصول . من ذلك أن صلاح الدين قد توصل إلى اقتناع موضوعي بأنه يجب القضاء على الاحتلال الصليبي وتحرير بيت المقدس وبقية ما هو محتل من ديار الشام .

وأدرك صلاح الدين أن تحقيق ذلك سيكون متمسذرا اذا قامت به مصر بفرداها ، وأيقن أن خطة نور الدين لتوحيد مصر والشام هي الخطة الحكيمة لحشد القوة والامكانات التي تكون قادرة على شن الحرب الشاملة المرتقبة .

ولكن كيف يمكن توحيد هؤلاء العشرات من الأمراء المتحاربين المتناحرين ؟

كان الحال في غاية السوء عندما جاء صلاح الدين الى الحكم ، وكانت تتنازع النفوذ في المشرق الإسلامي خلافتان : الخلافة الفاطمية ومقرها القاهرة ، والخلافة العباسية ومقرها بغداد .

وفي هذه الأجواء المظلمة ظهر صلاح الدين الأيوبي ، وكان شديد الإخلاص لدينه ولأتمته الإسلامية ، وتدل أفعاله وسياسته أنه أدرك نقطة الضعف الخطيرة في وضع الأمة الإسلامية ؛ هذه النقطة هي التجزئة من جهة ، وسوء الحكم القائم على الفساد والاستغلال والظلم من جهة أخرى . وأدرك صلاح الدين أن هدفه الأكبر وهو طرد الفرنجة لا يمكن أن يتحقق إلا اذا استطاع أولا التخلص من هذين المرضين الخبيثين : التجزئة والظلم . ( ١ )

---

( ١ ) د . أنيس قاسم : تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ( المرجع السابق ) ص ١٢١ .

وقد ألزم صلاح الدين نفسه طوال حكمه بالعدل في الرميّة والرفق بها . لذلك التفت الأمة كلها حوله تناضل معه حتى تم لها النصر على يديه ، لقد وثقت فيه بعد أن وجدت منه العدل والرفق والرهابة والعيش بكرامة وعزة فوق أرضها ، ولهذا اعتدت دولته حتى شملت مصر والسودان واليمن والحجاز وسوريا ومنطقة الجزيرة وأجزاء من العراق .

فالأمة الإسلامية كانت تتطلع إلى القائد الذي يهذب المشرك ، ويقدم القدوة الحسنة لتسير وراءه .

ولم يكن صلاح الدين بالقائد الذي يكتفى برفع الشعارات والهادي دون أن يبدأ أولاً بتنفيذها عليها في نفسه ومن حوله بكل قوة وحسزم ، ثم بعد ذلك على رعيته في عدل ورفق وأناة .

لذلك وضعت الأمة الإسلامية ثقتها فيه ، وسرعان ما استجابت له حينما أرسل إلى قادته وأمرائه في جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد ، وكتب إلى الموصل وديار الجزيرة ومصر وسائر بلاد الشام يدعوهم إلى الجهاد ويحثهم عليه ويأمرهم بالتجهيز له قدر المستطاع .

وفي الوقت الذي أتم فيه صلاح الدين استعداداته للمعركة الفاصلة الكبرى بينه وبين الصليبيين ، كانت أحوال الصليبيين الداخلية تزداد سوءاً يوماً بعد يوم .

ففي ملكة بيت المقدس تفاقم مرض الطك " بلدوين الرابع " وأخذ يتشكك في كل من حوله ( ١ ) .

وكان سبب هذا التشكك هو موضوع وراثة العرش الذي أشير أكثر من مرة ، وعندما ساءت صحة " بلدوين الرابع " وعجز عن تصريف أمور المملكة ازداد نفوذ أمه الملكة الوالدة " آجني دي كورتناي " وخاله " جوساسين الثالث دي كورتناي " .

---

( ١ ) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : " الحركة الصليبية " ، ج ٢ ، ص ٧٢٨ .

وهكذا تدهورت أحوال ملكة بيت المقدس تدهورا سريعا ، ما مهد للكافة التي حلت بها طي يد صلاح الدين .

أما إمارة أنطاكية فلم تكن أحوالها عندئذ أقل اضطرابا ، بسبب استسلام أميرها " بوهيند الثالث " لشهواته وأهوائه ، ما جعل الكنيسة توقع عليه فرار الحرمان بتهمة الزواج من امرأتين أو ثلاث . وقد أدى ذلك إلى ثورة " بوهيند " ضد الكنيسة ورجالها ، فحدث انشقاق خطير في أنطاكية تطور إلى حرب أهلية ، ما أضعف مركز الصليبيين في شمال الشام ، في الوقت الذي أخذ صلاح الدين ينتقل من نصر إلى نصر ، سوا في توحيد جبهة المسلمين أو في تظلم أظافر الصليبيين (١) .

وإذا كانت تلك الظروف السيئة ، والأوضاع المتدهورة التي عمت الجبهة الصليبية من أهم الأسباب التي أدت فيما بعد إلى نشوب معركة حطين الفاصلة ، إلا أن معظم المؤرخين اعتبروا " رينالد دوشاتيون " الذي تذكره المصادر العربية باسم " أرناط " هو السبب المباشر لمعركة حطين .

" أرناط " وصلاح الدين :

كان " أرناط " هذا من أدهى الفرنج وأخبثهم وأشدهم عداوة للمسلمين وإضرارا بهم ، وليس أدل على ذلك ما حدث في سنة ٥٧٨ هـ / ١١٨٢ م حين أقدم " أرناط " على مشروع خطير استهدف به تحقيق سيادة الفرنجة على البحر الأحمر ، وطعن الإسلام في قلبه بغزو الحرمين الشريفين .

ولكن " أرناط " نسي أن وضع المسلمين قد تغير ، وأنهم أصبحوا قوة ترهب عدو الله وعدوهم ، وأن جيبتهم أصبحت تمتد من حلب إلى القاهرة ، وفي هذه الحالة أصبح لزاما على الصليبيين أن يكرسوا جهودهم في حراسة حدودهم الطويلة جنوبا من ناحية مصر ، وشرقا من

(١) المرجع السابق : ص ٧٣٩ .



حدود إمارة أنطاكية شمالا حتى الأردن والكرك جنوبها .

ونسى "أرناط" هذا أن وضع الصليبيين أيضا قد تغير ، وأنهم تحولوا من قوة وتماسك إلى ضعف وانحلال ، وانقلبوا من مهاجمين إلى مدافعين .

نسى "أرناط" ذلك لحكمة بالغة أرادها الله سبحانه وتعالى . وكان أن بدأ "أرناط" مؤامراته في الأراضي الحجازية والاستيلاء على الحرمين الشريفين ، وطى النحوال الذي سبق ذكره حيث انتهت تلك الحملة الفادرة إلى هزيمة "أرناط" وأهله فيما أورد أبو شامة من كتاب القاضي الفاضل الذي جاء فيه :

" فأخذت مراكب العدو بهرستها ، وقتلت أكثر مقاتلتها . إلا من تعلق بهزيمة وما كاد ، أو دخل في شعب وما طاد ، فإن العربسان اقتصوا آثارهم ، والتزموا إحفارهم . فلم ينج منهم إلا من ينهى عن المعاودة ، ومن قد ظم أن أمر الساعة واحدة . وأما السائرة إلى بحر الحجاز فتبادت في الساحل الحجازي إلى "رايح" سواحل الحوارة فأخذت تجارا وأخافت رفاقا ، ودلها على غوارب البلاد من الأرباب من هو أشد كفرا ونفاقا ، وهناك وقع طيها أصحابنا ، وأخذت المراكب بأسرها ، وفر فرنجها بعد إسلام المراكب ، وسلكوا في الجبال مهاوى المبالك ومعاطن المعاطب . وركب أصحابنا وراءهم خيل العرب يشلونهم غلا ، ويقتنصونهم أسرا وقتلا ، وما زالوا يتبعونهم خمسة أيام غيلا ورجلا ، نهارا وليلا ، حتى لم يتركوا عنهم خبرا ، ولم يبقوا لهم أثرا ، وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ، وقيد منهم مائة وسبعون أسيرا" (١) .

وليس هناك من يشير الرأي العام ويحركه ، ويهون الصعب أمامه ويجعله يهذل كل قال ونفيس في سبيل الدفاع منه حتى الموت مثل النيسل من عقائده وشرائعه ، لذلك رأى المسلمون في تهديد الحرمين نذيرا بقيام الساعة ، وعلامة على غضب الله لفناء بيته المحرم ، فلم يسكتوا حتى

(١) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٢٢٧ .

بعد أن فشلت تلك الحملة ، هل اخذوا يستعدون للمعركة الفاصلة ، وكانت "حطين".

أما "أرناط" نفسه فقد أقسم صلاح الدين ، على ألا يفسر فعلته هذه ، " ونذر السلطان منه ، ووفى في إراقة دمه بما التزمه (١). لم يفعل صلاح الدين ذلك لعداء شخصي بينه وبين "أرناط" ، فصلاح الدين من الذين لا يحبون إلا في الله ، ولا يهتفون إلا في الله والعداء الذي كان بين صلاح الدين و "أرناط" كان عداء السلم الذي يرى حرمة دينه وهي تنتهك وتستباح .

أقول ذلك ردا على ما جاء في كتاب " الحركة الصليبية " للدكتور سعيد عبدالفتاح طاشور ، حيث يقول :

" وإذا كانت هناك نتيجة لتلك المحاولة - أي محاولة الاعتداء على الحرمين الشريفين - فإن هذه النتيجة هي إثارة العداء الشخصي بين صلاح الدين و "أرناط" .

ان مثل هذا القول مردود جملة وتفصيلا ، ذلك لأن العداء الذي كان بين صلاح الدين ، وبين "أرناط" لم يكن عداء شخصيا ، لأنه لو كان كذلك لما عرض صلاح الدين الإسلام أولا على عدو الله "أرناط" قبل أن يبر صلاح الدين بنفسه ويقتص منه ، طه يعصم بذلك دمه ، لكن عدو الله لم يقبل الإسلام دينا فكان القصاص والجر بالقسم .

وقد جاء في الروضتين :

" واستحضر البرنس "أرناط" وأوقفه على ما قال ، وقال ها أنا انتصر لمحمد صلى الله عليه وسلم ، ثم عرض عليه الإسلام فلم يفعل (١) . وكان "أرناط" هذا نفسه قد طلب الأمان من صلاح الدين عقب إفارته الفاشلة في البحر الأحمر . ووفقا للهدنة المعقودة بين صلاح الدين من جهة والصليبيين و "أرناط" من جهة أخرى .

---

(١) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ص ٣٧

أخذت القوافل الإسلامية - سواءً للحج أو للتجارة - تمر بصحراء الأردن ، ولكن اللص الغادر كان لا يستطيع الحياة دون أن ينهب ويسرق ، فانقض نجاة على قافلة "ثقيلة معها نعم جليلة" للمسلمين متجهة من القاهرة إلى دمشق طام ٥٨٣هـ / ١١٨٢م. وبدوا أن ماكانت تحمله تلك القافلة بالذات من نفائس وثروة طائلة أسـال لعاب " الفارس اللص " وجعله لا يبالغ بالعهود والعواثيق " (١) . بل لقد بلغ من حقه على الإسلام والمسلمين ، وحرصه على استفزاز صلاح الدين والمسلمين ، أنه رد على صلاح الدين قائلا : " قولوا لمحمد يخلصكم " .

وهكذا لم يبق أمام صلاح الدين الا القصاص والحرب ، وهى الحرب التى جاءت قاضية على الصليبيين وآمالهم فى البقاء بالشام ، بعد أن اختار " أرناط " أسوأ الأوقات والظروف بالنسبة للصليبيين لاستثارة صلاح الدين .

وفى هذه السنة ( ٥٨٣ هـ ) كتب صلاح الدين إلى جميع البلاد يستنفر الناس للجهاد وكتب إلى الموصل ودار الجزيرة واربل وغيرها من بلاد الشرق والى مصر وسائر بلاد الشام يدعوهم إلى الجهاد ، ويحثهم عليه ، وبأمرهم بالتجهز له بنفاية الإمكان (٢) . وبعد أن جمع صلاح الدين الجموع ، ونظم الجيوش ، فقد مجلس شورا للتشاور فى منازلة العدو ، وتوقيت المعركة ، فانفقوا على الخروج فى ١٧ ربيع الآخر طام ٥٨٣ هـ ، بعد

---

(١) د . سعيد عبدالفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص :

٥٧٦٧

(٢) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٧٥ .

صلاة الجمعة بين تكبير المسلمين وابتهاالهم ، وتضرعهم بالدعاء (١) .  
\* ولما سمع الفرنج باجتماع كلمة الإسلام عليهم ، وسير ذلك الجيش  
إليهم ، ظموا أنه قد جاءهم ما لا عهد لهم بمثله ، وأن الإيمان كله قد  
برز إلى الشرك كله (٢) . ومن هنا بدأ الجيش الصليبي زحفه فسي  
ظروف بالغة السوء ما بين حرارة الجو وقلة الماء ، وصعوبة الطريق الذي  
بلغ طوله ستة عشر ميلا (٣) .

(١) والجدير بالذكر أن المسلمين اليوم في حاجة ماسة إلى أن يقفوا على جوهر  
هذه الحقيقة ، وهي أن الإعداد للمعركة والوصول إلى النصر لا يتوقف على  
الدعاء ، والابتهاال فحسب ، أو لكوننا مسلمين فقط ، بل إن الإعداد  
للمعركة والنصر يكون بإعداد القوة المادية ، ثم منازلة العدو في الميدان  
حيث حر المعركة ونارها ، وهنا يكون الابتهاال والدعاء واللجوء إلى الله  
في إنجاز النصر ، وهذا ما صنعه البطل صلاح الدين ، وما فعله الخلفاء  
الراشدون من قبله ، وقد تأسوا جميعا بمواقف النبي صلى الله عليه وسلم  
في بدر وأحد والأحزاب وحنين ، حين كان يدعو وهو في قلب المعركة ،  
مع العدو : " اللهم نصرك الذي وعدت ، اللهم إن تهلك هذه العصابة  
من أهل الإسلام فلي تعبد في الأرض " مع الأخذ بالأسباب المادية .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) د . سعيد عبدالفتاح طاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٧٥ نقلا عن :  
"كنج" .

ومن الغريب أن المتتبع لمعظم المؤرخين النصارى الذين تناولوا  
تلك المعركة الإسلامية الفاصلة يلاحظ أن هؤلاء المؤرخين يركزون بوجه خاص  
على أن عوامل الطبيعة كانت لها الأثر الفعال في هزيمة الصليبيين وانتصار  
المسلمين عليهم ، وواضح أن هؤلاء المؤرخين قد تعمدوا غض الطرف عن  
الأسباب الحقيقية الكافية وراء ما حدث والتي تتلخص في انهيار الروح المعنوية  
عند الصليبيين ، وانطفاء شعلة الإيمان في قلوبهم ، في الوقت الذي كان  
فيه المسلمون بقيادة صلاح الدين يتمتعون بروح معنوية عالية وإيمان بالله  
لا يتزعزع ، ومن ثم جاءهم النصر من عند الله بسبب ذلك لا بسبب الأحوال  
الطبيعية المواتية لهم .

لقد نسي هؤلاء المؤرخون أو تناسوا - حين يرجعون ما حدث  
للصليبيين في حطين إلى سوء الأحوال الطبيعية - أن تلك الأحوال السيئة  
لن تبلغ في تدهورها درجة الأحوال الطبيعية التي عانى منها الصليبيون  
عند بدء زحفهم على العالم الإسلامي الذي لم يلبث أن انهار أمام روحهم .

أيمن الصليبيون بعد أن رأوا ما رأوه من استعداد صلاح الدين أن خطته أوسع مما كانوا يتصورون ، فاجتمعت كلمة رؤسائهم ، وحشدوا جمعهم ، وتوجهوا إلى طبرية وتقابل الفريقان في مكان اسمه (حطين) .

لم يلبث البطل صلاح الدين أن بدأ هجومه العنيف على الجيوش الصليبية ففرق فرسانهم عن مشاتهم ، وتقهقرت فلولهم إلى تلال حطين من شدة ما لاقوا من الهول والشدة والعطش الشديد ، والروح المعنوية المنهارة ، وبعد معارك ضارية بين الطرفين انتصر فيها صلاح الدين انتصارا حاسما ، وانهزم الصليبيون هزيمة منكرة حولتهم جميعا ما بين قتل وأسير ، وبلغ عدد قتلهم عشرة آلاف ، وأسرى ملك بيت المقدس و " أرناط " موقد شرارة هذه الحرب .

" وتمت هذه النصر يوم السبت ، وضربت ذلة أهل السبت على أهل الأحد ، وكانوا أسودا فعادوا من النقد ( ١ ) ، فما أفلت من تلك الآلاف إلا آحاد ، وما نجا من أولئك الأعداء إلا أعداد ، واحتل الأسرى والقتلى ، وانجلى الغبار عنهم بالنصر الذي تجلى " ( ٢ ) .

وبعد ذلك النصر المبين ، انصرف صلاح الدين من حطين ، وفي حين سبق الأسرى إلى دمشق حيث حبس الأمراء وبيع عامة الفرسان والجنود في أسواق الرقيق . وقد بلغ من كثرة الأسرى أن الأسير كان يباع في دمشق بثلاثة دنانير " واستغنى عسكر الإسلام من الأسرى والأموال والغنائم بحيث لا يقدر أحد يصف ذلك ، وما سلم من عسكر الفرنج سوى قصص طرابلس مع أربعة نفر وهو مجروح ثلاث جراحات ، وأخذ جميع أمراء الفرنج ، وكم قد سبي من النساء والأطفال . يباع الرجل وزوجته وأولاده في السناداة بيعة واحدة ، ولقد بيع بحضورى رجل وامرأته وخمسة أولاد ثلاث بنين واهنتان بثمانين ديناراً ( ٣ ) .

---

المعنوية العالية وإيمانهم العميق بما أقدموا عليه ، حدث ذلك بينما كان العالم الإسلامي على النقيض تماما من هؤلاء الغزاة على النحو الذى بيناه فى الفصول السابقة .

- ( ١ ) النقد : جنس من الغنم صغير الأرجل ، أو بمعنى سفلة الناس ، والمعنى الأول هو المقصود بالأسود .
- ( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٨ .
- ( ٣ ) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٨١ .

ثانيا : النتائج العسكرية والإعلامية لمعركة حطين على كلا الجانبين :

كانت معركة حطين أعظم من مجرد معركة حربية انتصر فيها فريق على فريق ، لقد كانت معركة حطين بالنسبة للمسلمين بشيرا بنجاحهم في القضاء على أكبر حركة صليبية ضمنية شهدها العالم في العصور الوسطى .

ومن ناحية أخرى ، فإن حطين كانت أفدح من مجرد كارثة حربية حلت بالصليبيين ، لأنه لم ينتج عنها أسر " جاي لوزجان " ملك بيت المقدس وضاع هيبة سلطته وسلطتها الفعلية إلى الأبد ، فحسب ، وانما نتج عنها أيضا نقص ملموس في الفرسان المحاربين بعد أن سقطت زهرة فرسان الصليبيين ، وقالبت جيش سلطنة بيت المقدس بين قتلى وأسرى في حطين ( ١ ) .

" فمن شاهد القتلى قال ما هناك أسير ، ومن طين الأسرى قال : ما هناك قتيل ، ومنذ استولى الفرنج على ساحل الشام ما شفى للمسلمين كيوم حطين غليل . فالله عز وجل سلط السلطان وأقدره على ما هجز عنه الملوك وهداه من التوفيق لا مثقال أمره ومن إقامة فرضه للنهج السلوك ، ونظم له في حتوف أعدائه والفتوح لأوليائه السلوك ، وخصه بهذا اليوم الأغر ، والنصر الأبر ، واليمن الأسر والنجح الأدر . ولولم يكن لسه إلا فضيلة هذا اليوم ، لكان متفردا على الملوك السالفة فكيف ملوك العصر في السمو والسموم " ( ٢ ) .

ان هزيمة الصليبيين في حطين كانت هزيمة ساحقة من الناحية العسكرية ، لأن تلك المعركة كان لها ما بعدها على الساحة العسكرية . ثم انها كانت أكثر من درس عسكري لأولئك الذين يريدون الاستفادة من

( ١ ) د . سعيد عدا افتاح طاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٦٧ .

( ٢ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٨ .

المعارك الاسلامية الخالدة . ويمكن الخروج من معركة حطين بالدروس العسكرية التالية :

١ - مهاغة العدو من حيث لا يتوقع :

كان يتوقع العدو أن يتجه صلاح الدين بقواته بعد انتصاره في حطين ليفتح بيت المقدس مباشرة نظرا لأهميته المقدسة بالنسبة للمسلمين ، وأهميته المصيرية بالنسبة للصليبيين ، لكن صلاح الدين خيب ظن الصليبيين ، وبدلا من أن يتجه إلى بيت المقدس كما يتوقع العدو وليستولى عليه استيلاء آسنا سهلا ، إذ به يتجه صوب عكا أولا ، وبدل ذلك على مظاهر العبقرية الحربية ضد صلاح الدين وبعد نظره .

٢ - حرمان العدو من قواعده التي تربطه بالعالم الخارجي :

بعد انتصار صلاح الدين في معركة حطين حرص على أن يحرم العدو والصليبي من قواعده البحرية التي تربطه بالعالم الخارجي ، وخاصة الغرب الأروسي . وذلك بفتح العلبون محصورين داخل بلاد الشام ، وبعد ذلك تتساقط في يده المعاقل والمدن الصليبية في الداخل بعد أن ينقطع الشريان الذي يربطها بقلب الحركة الصليبية ، وهو الغرب الأروسي . هذا فضلا عن أن استيلاء صلاح الدين على عكا وغيرها من موانئ الشام الصليبية سيمنحه من تحقيق الاتعال البحرية السريع بين شطري دولته في بحر والشام ( ١ ) .

٣ - حرمان العدو من الموارد المعاشية :

لم يتوقف ذلك على حرمان العدو من المياه في يوم حطين فحسب ، وإنما يظهر أيضا من خلال تطبيق ( سياسة الأرض - المعروفة حسب التعبيرات الحديثة ) فقد عمل صلاح الدين

( ١ ) د . سعيد عبد الفتاح طاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨٢ نقلا عن : " ستغنون " .





على إرسال الافارات لإحراق الأقاليم وتدميرها واستنزاف قدرتها  
الاقتصادية ومواردها المعاشية (١) .

٤ - فرض مكان المعركة وزمانها على العدو:

كان صلاح الدين يتوق إلى الاشتباك مع الصليبيين فسى  
معركة فاصلة يختار هو مكانها وزمانها ثم يفرضها على العدو .  
وبالفعل استطاع صلاح الدين أن يفعل ذلك في معركة  
حطين حين استهدف من مهاجمة " طبرية " أن يدفع الصليبيين  
إلى ترك مراكزهم عند ( صفورية ) والزحف إليه في اتجاهه .  
ويقول أبو شامة في ذلك :

" فلما رأى السلطان أنهم لا يبرحون ، ومن قسرب  
( صفورية ) لا ينزحون ، أمر أمراءه أن يقيموا في مقابلتهم  
ويديموا على عزم مقاتلتهم ، ونزل هو في خواصه العسنة طسى  
مدينة " طبرية " ، وعلم أنهم إذا طموا بنزوله عليها يادروا للوصول  
إليها ، فحينئذ يتمكن من قتالهم وجهد في استئصالهم " (٢) .  
ولقد تحقق لصلاح الدين ما استهدفه ، إذ ثارت ثائرة  
الصليبيين لهجوم صلاح الدين على طبرية وقرروا الزحف عليها .  
وفي الوقت الذي كان الصليبيون يتحملون فيه كل هذه  
المشاق في زحفهم ، إذا بصلاح الدين ورجاله ينتظرون قسرب  
" طبرية " منعمين بالماء الوفير والظل العديد ، مكتنزين قواهم  
لساعة الفصل . لذلك لا عجب إذا أظهر صلاح الدين سروره  
وارتياحه عندما علم بزحف الصليبيين إليه وقال : " جانا ما نريد ،  
ونحن أولو بأس شديد " (٣) .

(١) بسام المسلى : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ، ص ١١١ .

(٢) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٧٦ .

(٣) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٧٦ .

وكان كل ما فعله صلاح الدين عندما تأكد من تحرك الصليبيين  
صورة هو أنه تقدم نحو خمسة أميال حيث رابط فرهبى طبرية  
ضد قرية حطين غنية المرعى وفيرة الماء .

٥ - الاهتمام بتأمين القوات بمتطلباتها :

يظهر ذلك بوضوح من احتفاظ صلاح الدين بالمواقع السنية  
تضمن مثل هذا التأمين للقوات المحاربة حتى لا تحرم من الموارد  
المعاشية أو الإمداد العسكري أو الاتصال بالقوات الموجودة  
في الأقاليم حتى يتسنى لها التدخل في الوقت المناسب إذا ما تطلب  
الأمر استدعاها .

٦ - استخدام أسلوب الحرب التشتيية :

وضمن هذا الإطار ذاته - إطار أسلوب الهجوم قسري  
المباشر - أخذت طرائق المعطيات شكل أسلوب الحرب التشتيية  
ويظهر ذلك في كل معارك صلاح الدين ، وحدث في حطين -  
التي نحن بصدد ها على سبيل المثال - أن وجه صلاح الدين  
قوة للإفارة على عكا ، وقام هو بقيادة قوة من الفرسان للهجوم على  
طبرية وأثناء المعركة ذاتها استخدم صلاح الدين قوة المشاة  
لفصل فرسان الفرنج عن مشاتهم . وبعد معركة حطين وجب  
صلاح الدين مجموعات مقاتلة للإفارة على عدد من المواقع . بينما  
قاد هوكثة القوات الرئيسية للاستيلاء على المدن الساحلية . وكان  
صلاح الدين ، يحرص على استخدام النزاعات السياسية بين  
قادة الفرنج كوسيلة أيضا تساعد على تطوير أساليب الحسب  
التشتيية (١) .

(١) بسام العسلى : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

٧ - الإعداد الكامل والاهتمام البالغ بقضية الجهاد والتحرير :

كان اهتمام صلاح الدين بالاستعداد الحربي اهتماما بالغا ، وكانت تعبئته لأسباب القوة المادية لا تقل عن تعبئته لأسباب القوة الإعلامية الإسلامية الروحية ، فمن ضروب هذا الاستعداد العسكري انشاء ديوانا للجيش ، وكان لصاحب هذا الديوان اختصاصات واسعة ، من ذلك انتقاله أثناء المعركة من صف إلى صف للتأكد من سلامة الخيل وصلاحية السلاح وعدد الجنود .

كما اهتم بصناعة الأسلحة ، وبناء السفن ، وعمل الفرقعات وتركيب الألفام والمجانيق ، وما إليها من أدوات القتال (١) .  
وقد عني صلاح الدين بالأسطول ، فأنشأ له ديوانا خاصا ، يختص بموارده ، وطرق صرفها ، وإدارة شئون الأسطول وأطلق على رئيس الأسطول " أمير البحر " أو " أمير الماء " .

.....

وإذا كان المؤرخون قد أجمعوا على أن معركة حطين قد قلبت موازين القوى العسكرية رأسا على عقب ، وأنها جعلت الفرنج يسيرون نهايتهم بأهنيهم قبل كسرة حطين وفي أثناءها ، وبعد أن حلت الكارثة بهم . فإن حطين كان تأثيرها الإعلامي على كلا الجانبين عظيما .

فعلى الجانب الإسلامي كانت معركة حطين وعدا من اللـه لأوامه ، وقد صدق الله وعده للمؤمنين الصادقين ، حيث رأوا بأهنيهم نصر الله قبل " حطين " وفي أثناءها ، وبعد أن تم الله نصره على المؤمنين .

أما على الجانب الصليبي فقد وقعت حطين عليهم وقوع الصاعقة حيث قضت - والى الأبد - على آمالهم ، ونزلت بنفوسهم إلى السدرك الأسفل من الحضيض ومزقتهم شر مزق .

(١) عبدالله طوان : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١١٠ .



كان نبأ الهزيمة على الجانب الصليبي أكثر من مفرح ، وسرمان  
ما سرت هذه الأنباء فيهم سرى النار في الهيشم . فما كاد القتال  
ينتهي في معركة حطين وتتحقق خسارة الفرنج لها ، حتى هرمت  
الرسل صوب الغرب لينهوا خبرها إلى أمراء أوروبا . ولم يلبث رسل  
آخرون يتنبأون بسقوط بيت المقدس . وذهب العالم النصراني في الغرب ،  
لما طلع من الكارثة التي وقعت ، والكارثة التي توشك أن تقع ، فما من  
أحد في الغرب باستثناء المجلس البابوي فيما يبدو - كان يدرك  
الخطر الداهم على الرغم من الاستغاثات التي جاءت من ملكة بيت  
المقدس في السنوات الأخيرة ، إذ أن الفرسان والحجاج الذين  
ارتحلوا نحو الشرق صادفوا في إمارات الفرنج من ترف الحياة ما يفوق  
في الأبهة والفرح كل ما كان يعرفه هؤلاء في أوطانهم .

لقد سمعوا كثيرا من الحكايات عن البسالة العسكرية ، وشهدوا  
ما أصاب التجارة من ازدهار ، وام يدركوا ما يتعرض له كل هذا  
الرخاء من خطر . على أنه حدث فجأة أن سمعوا أن كل ذلك قد  
زال ، إذ تحطم الجيش الصليبي ، وأضحى ( صليب الصليبوت ) الذي  
يعتبر أقدس المخلقات الدينية في أيدي المسلمين ، بل إن القدس  
ذاتها أخذها المسلمون ، وفي خلال بضعة أشهر انهار كل البناء  
الذي أقامه الفرنج في الشرق ، فإذا كان لشئ أن ينجو من هذه  
الخرائب فلا بد من إرسال نجدة والتعجيل بإيقادها .

لقد كانت حطين درسا عسكريا وعلما سجله التاريخ ولم يهمل  
منه شيئا ، وما قاله ابن الأثير عن الموقف في كلا المعسكرين ذلك  
الوصف الذي جاء فيه :

"بقى الفرنج على حالهم إلى الغد - وهو يوم السبت لخمس  
بقي من ربيع الآخرة عام ٥٨٣ هـ - وقد أخذ العطش منهم ، وأما  
المسلمون فإنهم طعموا فيهم وكانوا من قبل يخافونهم ، فباتوا يحرض



بعضهم بعضا ، وقد وجدوا ربح النصر والظفر ، وكما رأوا الفرج  
خلاف عادتهم ما ركبهم من الخذلان زاد طمعهم وجرأتهم فأكثرُوا  
التكبير والتهليل طول ليلتهم (١) .

ويقول ابن الأثير أيضا في وصفه للروح المعنوية العالية عند  
المسلمين ، وطاعة الجنود لقائدهم قبيل المعركة :

" فلما علم صلاح الدين مقصدهم - أي رغبتهم في ورود الماء -  
صدهم عن مرادهم ووقف بالعسكر في وجوههم ، وطاف بنفسه على المسلمين  
بحرضهم ويأمرهم بما يصلحهم وينهاهم عما يضرهم والناس يأترون لقوله  
ويقفون عند نهيه " (٢) .

وهكذا استطاع صلاح الدين أن يدخل كل قلب ، وأن يهاجم  
ما بين الأعداء الآخرين ورغبتهم عن طريق تقديم المثل الصالح والقادة  
الحسنة والأمل المطلوب ، واقتدوا بصلاح الدين في هذا كله بأخلاقها  
الإسلام في الحكم ، لم يجند دابة يدعو له زورا وهبتنا ، بل إننا  
لا نعثر على الشعراء أو الكتاب المنافيين الذين اعتدنا أن نراهم في كل  
بلاط . لقد أشاع صلاح الدين حوله جوا أخلاقيا لم يكن فيه مكان للنفاق  
ولا للدعاية المضللة . فنجد أن الشعر قد تحول إلى الصدق ، فعندما  
هزم صلاح الدين أمام الرطة سنة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م ، قام الشعراء  
بمترفون بها ، وشهدون أزر السلطان في جهاده ، ونجد أن وزيره  
القاضي الفاضل ، وكاتبه عاد الدين الأصفهاني لا يبخلان عليه بالنصح  
ولا يوفرانه في اللوم عندما يكون اللوم ضروريا . (٣)

كان قلب صلاح الدين يفيض إيمانا بالله سبحانه وتعالى ثم ينصره  
الحتمى له حتى في تلك المواقف الحالكة التي قد توحى لمن حوله بأن  
الهيبة لا محالة واقعة به وجيشه ، ولكن صلاح الدين كان يؤمن بالله  
سبحانه وتعالى ثم ينصر الله الذي لا شك فيه .

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٧٧ .

(٢) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ١٧٧ .

(٣) د . أنيس قاسم : تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ، ص ١٢٥ .

حدث مثل ذلك في موقعة " حطين " فيما يرويه لنا ولده الطلك  
الأفضل حيث يقول :

" كنت إلى جانب أبي في ذلك المصاف وهو أول مصاف شاهده ،  
فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة منكرة على من  
بإزائهم من المسلمين حتى ألحقوهم بوالدي ، فنظرت إليه وقد عتته  
كآهة واريد لونه وأسك بلحيته وتقدم وهو يصيح : كذب الشيطان ،  
فعاد المسلمون على الفرنج فرجعوا فصعدوا إلى التل ، فلما رأيت الفرنج  
قد عادوا والمسلمون يتبعونهم صحت من فرحي هزناهم ، فعاد الفرنج  
فحملوا حملة ثانية مثل الأولى ألحقوا المسلمين بوالدي ، وفعل مثل ما فعل  
أولا ، وعطف المسلمون عليهم فألحقوهم بالتل ، فصحت أنا أيضا  
هزناهم ، فالتفت والدي إلي وقال : أسكت مانهزمهم حتى تسقط  
تلك الخيمة ( يقصد خيمة الطلك ) فهو يقول لي وإذا الخيمة سقطت  
سقطت ، فنزل السلطان وسجد شكرا لله تعالى ، فبكى من  
فرجه " (١) .

فالنصر كان نتيجة حتمية لجيش كل جنوده من المؤمنين الصادقين  
الذين يقودهم بطل مسلم صادق هو صلاح الدين الأيوبي .

ولست أتصور إعلاما - مهما بلغت درجة تأثيره - يمكن أن  
يؤدى رسالته على الوجه الذى أدته صحيفة صلاح الدين في جنوده يوم  
حطين حينما صاح : " كذب الشيطان " ، تلك الصحيفة الإعلامية  
الخالدة التى أخذ يرددها كلما ألحق الصليبيون المسلمين به وهم  
يتقدمون .

أقول لا يمكن لوسائل الإعلام الحديثة أن تفعل ما فعلته تلك  
الصحيفة الأيوبية : " كذب الشيطان " لسبب بسيط وهو أن تلك  
الصحيفة قد صدرت من قلب صادق الإيمان واثق بالله ثم بنصره المؤكد

---

(١) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٧٨ .



له ، لقد صدرت تلك الصيحة من صلاح الدين . واني على يقين بالله  
أنا إذا أردنا أن ننتصر يوما ، وفكرنا لحظة في أن نسترد القدس السليب  
من أيدي الصهبيونية الغادرة فما علينا إلا أن نكون جنودا مثل جنود صلاح الدين  
مع الإلحاح الكامل بالتقدم العسكري " والتكنولوجي " في عصرنا . وما طسى  
قائدنا إلا أن يكون قائدا مثل صلاح الدين ، ويوم أن يتحقق ذلك ،  
يوما فقط لن تبقى القدس لحظة واحدة في أيدي الصهبيونية الغاشمة  
لأننا سوف نعيد للتاريخ الإسلامي مجده في حطين ثانية والقدس ثالثة .

ويوم أن يتحقق ذلك نستطيع أن نخرس السنة المؤرخين النصارى  
الذين يفترون على التاريخ كذبا ، والذين لا يستطيعون تحمل الحقائق  
التاريخية التي لا تتفق وأهواهم ، فهم كثيرا ما يرددون :

إذا انتصر الصليبيون فهي الشجاعة التي تغلب الكثرة ، وإذا انتصر  
المسلمون فهي الكثرة التي تغلب الشجاعة .

يقول المؤرخ النصارى " فيشر " :

" فلا عجب إذا لم يوجد من البيزنطيين جنود في حطين ، بل العجب  
أن الدولة الصليبية لم تستطع أن تجمع من جنودها سوى ألف وثلاثمائة فارس  
وخمسة عشر ألفا من العسكر الراجلة لمنازلة الجيش اللجب الذي أمده  
المسلمون اذلك اليوم . وما عسى أن تجدى الشجاعة الرائعة ضد العدد  
الكثير ٢٠٠ فأبهد الصليبيون عن آخرهم إلا قليلا ، واستولى المسلمون  
على صليب الصليبي ، وصارت كنيسة القيامة في أيديهم سنة ١١٨٧م (١) .

وهؤلاء المؤرخون لا يستطيعون إخفاء فيظهم وكراهيتهم لصلاح الدين  
الأبوس خاصة ، وللمسلمين عامة في كتاباتهم التي تنضح بالحقد والحسرة ،  
فصلاح الدين عندهم شخص طادى ، والمسلمون عندهم لا يستحقون ذلك  
النصر الذي أحرزوه ، ويعدى هؤلاء المؤرخون النصارى أن هذا النصر

---

(١) " فيشر " : تاريخ أوروبا في العصور الوسطى ، ص ١٩٠ و ١٩١ - نقله السي  
المرهبة محمد مصطفى زيادة ، والسيد الهاز العريبي ( ط : دار المعارف

ما كان له أن يحدث لو أن قائدا صليبيا مثل "فردريك برهاروسا" لم يهلك قبل أن يتصدى لصالح الدين أثناء الحملة الصليبية الثالثة .

وفي ذلك يقول المؤرخ النصراني "فيشر" :

" وربما قبل من قهيل الدفاع أن الحملة الصليبية المعروفة بالثالثة صدمت أشد صدمة في أول أمرها بوفاة " فردريك برهاروسا " فريقا فسي نهر " سالف " بقلبية ، فلو طاش ذلك القائد الألماني الذي استحق لقب الجندي الأول بغرب أوروبا في عصره ، ودل على مدى مقدرته حين عبر بجيوشه آسيا الصغرى في مهارة حربية فائقة وقلة في الخسائر واضحة - بالقياس إلى تجارب ما تقدمه من جيوش - لوجد صلاح الدين من يستطيع معارضة سيفه بقوة بقوة ، ولاختلفت النتائج اختلافنا تماما أكبر الظن . لكن ذلك لم يكن " (١) .

وفي الوقت الذي يقلل فيه هذا المؤرخ النصراني من مكانة صلاح الدين والسلمين نقرأ له من التمجيد والتعظيم لقائده الغفتون به " فردريك برهاروسا " ما يفوق الوصف حيث يقول :

" وحاطت مدائح المعاصرين " فردريك برهاروسا " طول حياته ، ولا تزال أصداء تلك المدائح تتردد في نغمات حماسية متفاوتة القوة فسي أجيال المؤرخين . وكيف لا يكون ذلك وجميع الشيم التي افتخرت بها فروسية ذلك العصر مجتمعة فيه ، من شجاعة فائقة وهمة خارقة ومرح مفرط فضلا عن شغف بالقتال والنزال وولوع بالمغامرة ، وحب للعدل بين الناس عدلا عرفيا مصدره حسن الإدراك لا القانون ، ومؤانسة منعهما صحة جسدية رائعة ، والواقع أنه لم يحتل عرش ألمانيا - منذ شارلمان ، ملك تم فيه من خلال المؤهلة لحكم الألمانين مثلما تم في "برهاروسا" (٢) .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٩١ .

(٢) المرجع السابق : ص ١٩٨ .

وأنا واثق أن كلام ذلك المؤرخ النصراني ضرب من الوهم ، ومع ذلك فلکم تمنيت لو أن الله سبحانه وتعالى مدّ في عمر هذا القاسد الصليبي ليلتقى بصلاح الدين حتى نرى ما إذا كان في مقدوره أن يفسر التاريخ كما يدعى ذلك المؤرخ أو أنه سوف يهلك كما هلك غيره — أساطين القادة الصليبيين على يد صلاح الدين ، وبومها ما كان لشل ذلك المؤرخ أن يخط حرفاً عن قائده المفتون به وهو الذي أصبح — الهالكين قبل أن يلتقى صلاح الدين سيفاً بسيف ، ثم إن التاريخ لا يقوم على الافتراضات والخيالات . .

ثالثاً : أثر معركة حطين في استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين :

كان صلاح الدين يعرف تماماً أن الإمارات الصليبية لا تستطيع احتمال أكثر من معركة حاسمة واحدة ، وقد حدثت هذه المعركة ، ولم يبق إلا استثمار الظفر وتصعيد الأعمال القتالية .

واستطاع صلاح الدين استثمار الروح المعنوية العالية عند المسلمين بأسرع ما يمكن لكي يستولى على معظم الإمارات الصليبية بقصد الوصول إلى تحقيق هدفه الأسمى وهو تحرير القدس .

وقد عبرت هذه الروح المعنوية العالية عن ذاتها في مناسبات كثيرة كانت أبرزها ليلة حطين حيث كان المسلمون يمشون ليلاً في الصلاة والتكبير والدعاء ، في حين كان الفرنج يرتعدون ، وقد سيطر عليهم الرعب لما يشهدون ويسمعون ( ١ ) . وعبرت هذه الروح المعنوية العالية أيضاً عن ذاتها حين مضت بعد حطين لتكتسح الإمارات الصليبية ومعاقلها في سرعة خاطفة لم تستغرق سوى ثلاثة أشهر حتى استرد المسلمون بيت المقدس من أيدي الصليبيين في ٢٧ رجب ٥٨٣ هـ الموافق ٢ أكتوبر ١١٨٧ م . وحضر المسلمون في بيت المقدس — ولأول مرة منذ ٨٨ طام يوم الإسراء والمعراج .

( ١ ) بسام العسلي : صلاح الدين الأيوبي ، ص ١٩٦ .



لقد استطاع صلاح الدين استثمار النصر الذي تحقق في حطين لإضعاف القدرة القتالية للعدو ، وقد كانت خطة التطويق والإبادة تعبيراً عن الرغبة لا في حسم الصراع فقط لصالح المسلمين ، وإنما من أجل إضعاف القدرة القتالية بصورة كاملة .

ويتأكد ذلك من خلال تركيز أعمال الإبادة على أشد الطوائف هداه للمسلمين ، في حين تجلت كل تصرفات صلاح الدين بالتساهل والرحمة تجاه الفئات غير المقاتلة من الصليبيين .

" ولقد كان تحرير القدس حدثاً كبير الأهمية بنتائجها الإعلامية والعسكرية على حد سواء . فقد جاء تحرير القدس ليدهم انتصار حطين ، وطى الرغف من أن هذا التحرير لم يكن أكثر من استثمار للنصر في حطين ، إلا أنه أبرز بوضوح التحول الحاسم في مسيرة الصراع وانتقال المسلمين من الدفاع الاستراتيجي إلى الهجوم الاستراتيجي " ( ١ ) .

لقد فدت بلاد الشام الصليبية فداة موقعة حطين تحت رحمة صلاح الدين ، فشرع يفتح البلاد والمدن الصليبية واحدة بعد أخرى فتحت متواصلاً .

وما يظهر بوضوح مدى ما أصاب الصليبيين بعد حطين ، والأثر الذي تركته تلك المعركة في فتح القدس الشريف قول العماد الأصفهاني في الروضتين :

" ولما أحيط بالقوم ، آوى ملكهم إلى جبل يعصه من العموم فأسمعه السيف لا طعم اليوم . واستولى الخذلان عليهم بأسرهم ، وبردت أيدي المؤمنين بحرقتهم وأسرههم . ولم يبق لهم باقية ، وفصت بقتلاهم نسي الدنيا والآخرة أرض الله الواسعة ونار الله الحامية " ، " وسرنا إلى عكا وهي بهيفة ملكهم وواسطة ساكنهم ، ومركز دائرة كفرهم ، ومجمع جمع برهم

---

( ١ ) بسام العسلي : الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية ، ص ١٣٨ .

وحرهم . فتسلمناها بالأمان والصخرة المقدسة الآن بنا تستمرخ ،  
وتستغيث ، وهاد الله الصالحون قد وصلت إليهم بوجد الله الصادق  
المواريث . والبشارة بفتح القدس لا تتأخر ، والهم بعد هذا الفتح  
السني طي ذلك تتوفر ، والحمد لله الذي تتم العالجات بحمده ،  
ما يفتح الله للناس من رحمة فلا يسك لها ، وما يسك فلا يرسل له من  
بعده " ( ١ ) .

وكان من الأمراء القلائل الذين نجوا من موقعة حطين الأمير  
" باليان الثاني دي اهلين " - الذي أطلق عليه المؤرخون العسرب  
( ابن بارزان ) - وقد سمح له صلاح الدين بالذهاب إلى بيت  
المقدس ، بشرط عدم العبث فيها أكثر من ليلة واحدة لأخذ زوجته  
وأولاده . وعندما وصل " باليان " إلى بيت المقدس وجد المدينة فسي  
حالة يرثى لها لعدم وجود فرسان يدافعون عنها " إذ لم يبق بها سوى  
النساء والرهبان " فضلا عن انهيار الروح المعنوية للأهالي عقب ما سمعوه  
من أنباء كارثة حطين وأسر ملكهم ( ٢ ) .

وقد فرح الصليبيون في بيت المقدس برؤية " باليان " وتسلوا إليه  
بالدموع ليبقى معهم ويدافع عنهم ، ففسى وده صلاح الدين ، وأخذ  
يعمل في سرعة لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من الحطام الصليبي .

ولكى يتبين لنا بوضوح كيف استشر صلاح الدين نصر حطين استشارا  
سرهما ومتواصلا كان لزاما علينا أن نتابع صلاح الدين في فتوحاته التي  
انحصرت في الفترة الواقعة ما بين انتصاره في حطين ودخوله بيت المقدس  
فاتما منتصرا .

كان فتح حطين يوم السبت لخمس بقين من ربيع الآخر عام ٥٨٣ هـ  
الموافق ٤ يوليو ١١٨٧ م ، وكان من المفروض بالنسبة لأي قائد أن يستريح  
لبضعة أشهر بعد ذلك الفتح الكبير على الأقل .

( ١ ) أبوشامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٧ .

( ٢ ) د . سعيد عبد الفتاح طاشور : الحركة الصليبية ، ج ٢ ، ص ٧٨١ . نقله عن :  
" بهسات بالمر " .

لكن صلاح الدين أثبت بالتجربة العظيمة أن الفسروض غير الواقع .  
لذلك ما كاد صلاح الدين يستريح باقى يومه فى موضعه بعد انتصاره على  
الفرنج فى حطين حتى طاد فى اليوم التالى لموقعة حطين إلى " طبرية " .  
ونازلها ، فأرسلت له صاحبيتها " اشيفا " تطلب الأمان لها ولأولادها  
وأصحابها ومالها ، فأجابها إلى ذلك ( ١ ) .

وأما فرغ صلاح الدين من " طبرية " سار عنها يوم الثلاثاء ،  
ووصل إلى عكا يوم الأربعاء ، ثم دخل المسلمون إليها يوم الجمعة  
ستهل جمادى الأولى ، وصلوا بها الجمعة ، فى جامع كان للمسلمين  
قدما ثم جعله الفرنج بيعة ثم جعله صلاح الدين جامعا ( ٢ ) .

وقد استولى المسلمون على كل ما جمعه الفرنج من كنوز وشروات  
طائلة فى " عكا " ، وأقام صلاح الدين فترة قصيرة لإعادة تنظيم  
أمورها الإدارية والعسكرية .

بعد فتح " عكا " أرسل السلطان إلى " تينين " ابن أخيه  
تقى الدين ، فضايقها ، وكتب إلى السلطان أن يأتيه بنفسه ، فوصل  
إليها فى ثلاث مراحل ، ونزل عليها يوم الأحد الحادى عشر من جمادى  
الأولى عام ٥٨٣ هـ ، فراسلوا السلطان وسألوا الأمان .

بعدها سار السلطان إلى " صور " وتسلمها يوم الأحد الثامن  
عشر من جمادى الأولى ، وقال القاضى ابن شداد : فتحها  
السلطان عنوة ، ثم رحل منها إلى مدينة " صيدا " فنزل عليها ، ومن  
الغد تسلمها وهو يوم الأربعاء الحادى والعشرون من جمادى الأولى ( ٣ ) .

ولما انتهى صلاح الدين من فتح " صيدا " سار فى يومه طس  
سنت " بيروت " ، فنزل عليها يوم الخميس وضايقها وحاصرها ثمانية  
أيام ، ثم طلبوا الأمان فأمنهم ، وتسلمها يوم الخميس التاسع والعشرين

( ١ ) ابن الأثير : الكامل فى التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٢٩ .

( ٢ ) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ١٢٩ .

( ٣ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

من جمادى الأولى ، أما " جبيل " فقد تسلمها السلطان من صاحبها " أوك " بعد أن سلم وريح نجاته وغنم ، ومضى إليها من تولاها ، وانسل منها صاحبها وسلاها ، وتبعها فتح بيروت وتلاها . فانتظمت هذه البلاد المتناسقة بالساحل في سلك من الفتوح متسق ، وأمر من الاستقامة متفق . وكان معظم أهل " صيدا " و " بيروت " و " جبيل " مسلمين ساكين ، لساكنة الفرنج مستسلمين ، فذاقوا العزة بعد الذلة ، وفاقوا الكثرة بعد القلة . وصدقت البشائر ، وصدحت المناير ، وظهر عيب البهيم ، وشهر جمع الجمع ، وقرئ القرآن ، واستشاط الشيطان . وخرست النواقيس ، وبطلت النواميس ، ورفع المسلمون رؤوسهم ، وعرفوا نفوسهم ( ١ ) .

فیر أن المهزومين والمطاردین من الصليبيين قد انتهزوا فرصة انشغال السلطان بفتح المعازل والمدن ، واستطاعوا العودة إلى " صور " وتحويلها إلى قلعة منيعة بقيادة صليبي يقال له " المركيس " وكان " المركيس " من أكبر طوافيت الكفر ، وأغول شياطينه ، وأضرى سراحينه . وأخبت ذنابه ، وأنجس كلابه ، وهو الطافيتية الداهية الذي خلقت له ولأمثاله الهاوية ( ٢ ) .

وأما ملك صلاح الدين " بيروت " و " جبيل " وغيرهما كان أمر " صقلان " والقدس أهم عنده ، لأسباب منها : أنها على طريق مصر يقطع بينهما وبين الشام ، وكان يختار أن تتصل الولايات له ليسهل خروج العسكر منها ودخولهم إليها ، وقد سار عن " بيروت " نحو " صقلان " ( ٣ ) .

---

( ١ ) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٩٠ .

( ٢ ) المصدر السابق : ج ٢ ، ص ٩٠ .

( ٣ ) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ٩ ، ص ١٨١ ، ١٨٢ .



ولقد قاومت "صقلان" صلاح الدين أيا ما ، لكنه شدد عليها  
الحصار ، وأضعف مقاومتها ، " ولما رأى الصليبيون أنهم كل يوم  
يزدادون ضعفاً ووهناً ، وإذا قتل منهم الرجل لا يجدون له عوضاً ،  
ولا لهم نجدة ينتظرونها راسلوا صلاح الدين في تسليم البلد على شروط  
اقترحوها ، فأجابهم صلاح الدين اليها " (١) .

والسؤال العجيب كيف حدث ذلك ؟ كيف انقلبت القوة  
والجبروت إلى ضعف وخذلان ، وانقلب الضعف والانكسار إلى قوة  
وانتصار . . . ؟

لقد تم فتح صقلان ، وعند ذلك أقام السلطان بظواهرها  
السرايا في أطراف البلاد المجاورة لها ، ففتحوا " الرملة " و "الداروم"  
و " فزة " و " شهد ابراهيم الخليل عليه السلام " و " تنين " و " بيت  
لحم " و " بيت جبريل " و " النطرون " .

وكل تلك الفتوحات تمت فيما لا يزيد عن ثلاثة أشهر بعد حطين ،  
لماذا . . . ؟ لأن حطين كانت القاصة التي لم يتحمل الصليبيون  
بعدها معركة واحدة حتى كانت القدس قمة الانتصارات و نهاية الفتوحات .

و نهاية القول لكل باحث نصف أن الصليبيين قد تبدل بهم  
الحال غير الحال ، وأنهم أصبحوا ضعفاً بعد قوة ، وأن حطين قد  
فعلت بهم الأفاعيل ، وتركتهم في أرض المعركة كأعجاز نخل خاوية  
لا يعلمون ما يفعلون .

" كذلك حقت كلمة ربك على الذين فسقوا أنهم لا يؤمنون " (٢) .

---

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ١٨٢ .

(٢) سورة يونس : آية ٣٢ .



لقد كان هذا حال الصليبيين الذين جاءوا لقمهر الإسلام واذلال أهله في مقر دارهم ، " أما النصارى في الغرب فقد اعتسبوا انتصارات صلاح الدين كارثة شديدة ، وتعلقت بقايا أوهامهم وفرورهم بالأمل في استرداد ما كان لهم من سلطان ، وشجعهم على ذلك أن بعض المعازل والحصون لازالت في أيدي الصليبيين ، وأن " صور " أضحت قاعدة قوية لهم ، وأكثر من ذلك أن أوروبا أدركت خطورة انتصارات صلاح الدين ، وترتب على ذلك ما حدث من الإمداد للحملة الصليبية الثالثة ( ١ ) .

وكان ذلك بعض التعبير الصادق الى حد بعيد لما أصاب العالم النصراني آنذاك من لوعة أطاحت بعقله بعد حطين والقدس والعديد من القلاع والحصون .

أما المسلمون فقد تغير وضعهم من بعد ضعف قوة ، وأصبحوا على العكس تماما من هؤلاء الصليبيين المهزومين المدحورين ، أصبحوا كذلك لأنهم انتصروا بإيمانهم وانتصر صلاح الدين بإيمانه الذي أنقذه من الغرور ، ومن سكرة النشوة بالنصر حتى وان كان ذلك النصر نقطة تحول حقيقي في الدعوة الإسلامية والتاريخ الإسلامي .

وبالرغم من كل تلك الحقائق الدامغة ، والوقائع التاريخية الثابتة ، إلا أن هناك فئة من الكتاب النصارى قد آلوا طمس أنفسهم أن يكونوا أكثر صليبية من أجدادهم الذين دعوا إلى القيام بالحملة الصليبية الأولى ، أو الذين شاركوا فيها بالمال أو النفس ، ذلك لأن هؤلاء الكتاب قد اعتادوا على أن يغالطوا ويهيفوا ، وهم في الحقيقة لا يخدمون إلا أنفسهم وما يشعرون ، من هؤلاء الكتاب ، على سبيل المثال - الكاتب النصراني " أرنست باركر " الذي يقول :

" غير أننا نستطيع آخر الأمر أن نستخلص أسباب فشـل

( ١ ) أرنست باركر: الحروب الصليبية ، ص ١٨٤ ترجمة د. السيد الهاز العريبي ، ( دار النهضة - بيروت ) - ط ٢ ( ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م ) .

الحروب الصليبية . فأيسر ما نقوله وأصدق ، هو أن الحروب الصليبية لم تفشل ، إنما جرى توقعها ، ولم تتوقف إلا لأنها لم تعد ملائمة للأزمة والعصر ، فما اشتهرت به أوروبا سنة (١٣٠٠م) من صفة أخلاقية ، تختلف عما اتصفت به أوروبا سنة (١١٠٠م) فالحروب الصليبية التي تجسم فيها كل ما اتصفت به أوروبا سنة (١١٠٠م) من الروح الدينية والاستشهاد والتفكير في الحياة الآخرة ، صارت فريسة سنة (١٣٠٠م) عند أوروبا التي اشتهرت بالعلمانية والديموقراطية ودراسة القانون والفلسفة ، فلم يعد ثمة تفكير في الحرب المقدسة<sup>(١)</sup> .

والرد على هذا الكاتب وأمثاله غاية في البساطة ، لأن الحقيقة هي الحقيقة ، والواقع هو الواقع مهما أتقنا وسائل المغالطة والتزييف . إن ادعاء " أرنست باركر " بأن الحروب الصليبية لم تفشل هو ادعاء باطل من أساسه ، ومخالف للحقيقة والواقع ، لأن الحروب الصليبية قد فشلت فشلا لم يختلف فيه المؤرخون على اختلاف نحلهم ، والحقيقة لن يغير منها قول هذا الكاتب بأن ما يقوله هو أيسر القول وأصدق ، بل على العكس إن ما يقوله هذا الكاتب هو في الواقع أيسر القول وأكذبه .

وبعد أن يدعى بأن الحروب الصليبية لم تفشل يعود فيدعى بأن تلك الحروب قد جرى توقعها ، وحتى يفتح نفسه على الأقل بهذا الادعاء يحاول أن يوجد لنفسه مبررا يبرر به ذلك التوقف بأن يرجعه إلى أن هذه الحروب لم تعد ملائمة للأزمة والعصر .

وبأي هذا الكاتب إلا أن يتنادى في زيفه ومغالطته ، فيدعى أن هذه الحرب قد تجسم فيها كل ما اتصفت به أوروبا سنة (١١٠٠م) من الروح الدينية والاستشهاد والتفكير في الحياة الآخرة .

---

(١) " أرنست باركر " : الحروب الصليبية ، ص ١٣٤ ، ١٣٥ .

كذلك يدعى أن هذه الحرب هي حرب " مقدسة " ، وأن أوروبا سنة ( ١٣٠٠ م ) لم تعد تفكر في ذلك ، لأنها اشتهرت بالعلمانية والدينية ودراسة القانون والفلسفة . وهي مقالات بعضها فوق بعض .

إن الحرب الصليبية التي بدأها أجداد هذا الكاتب لم تتوقف عن العالم الإسلامي يوماً واحداً ، كل الذي حدث أنها خلعت ثوبها العسكري المقيت الذي لم يعد بالفعل ملائماً للأزمة والعصر لتطمس ثوبها آخر أسوأ وأخبت منه ، وهو ثوب العلمانية والدينية ودراسة القانون والفلسفة لأنه لا يلائم الأزمة والعصر .

ويقول الشيخ محمد أبو زهرة في ذلك :

" وما جاء القرن الرابع عشر الهجري الموافق له العثم للمعشرين الميلادى ، ولا يوجد إقليم إسلامي مستقل ، أو غير خاضع لنفسه دولة أخرى غريبة لا ترجو للإسلام وقارا ، بل إنها صليبية في ثوب جديد من الصليبية ، حتى أن ملك الإنجليز عندما قابل قائد جيشه المنتصر في فلسطين قال له : لقد انتصرت في آخر حملة صليبية ، والقائد الفرنسي الذي دخل الشام وزار قبر صلاح الدين الأيوبي قال : ها نحن أولاً . وقد هدانا يا صلاح الدين " ( ١ ) .

إنها إذن وبحق حرب صليبية مستترة قد تغيرت من فزو عسكري إلى فزو فكري ، لا تقهره سوى جيوش العقيدة والعودة بالمسلمين إلى شريعتهم الغراء .

---

( ١ ) محمد أبو زهرة : الوحدة الإسلامية ، ص ٢٣٣ ، ط ٢ - دار الفكر العربي ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م .



## الفصل الثالث

---

### مواقف صلاح الدين الإسلامية وأثرها الإعلامي في الرأي العام الأوربي

---

أولا : شفقة صلاح الدين ورحمته وبعض الأمثلة طيبها مثل :

- ١ - استجابته الإنسانية لما طوى منه السنون الضعفاء من الصليبيين .
- ٢ - رحمته بالنساء والأطفال الصليبيين .

ثانيا : عدل صلاح الدين واحسانه وبعض الأمثلة طيبها مثل :

- ١ - إذنه لرجال الدين النصارى بحمل ما شاءوا من متاعهم وأموالهم .
- ٢ - إضائه من الفدية لأعداد غفيرة من الصليبيين غير القادرين على دفعها .

ثالثا : الآثار الإعلامية لمواقف صلاح الدين الإسلامية في الرأي العام الأوربي :

- ١ - إيقاف الرأي العام الأوربي على حقيقة الإسلام .
- ٢ - اعتناق بعض الصليبيين الدين الإسلامي عن اقتناع تام .

أولا : شفقة صلاح الدين ورحمته وبعض الأمثلة عليها مثل :

١ - إستجابته الإنسانية لما طانى منه السنون والضعفاء من الصليبيين :

بينت فى الفصول السابقة كيف انتصر صلاح الدين الأيوبي على الصليبية الحاكمة ، والاستعمار الكافر البغيض ، وكيف وحد البلاد الإسلامية تحت قيادته الرشيدة ، وكيف جمع الناس على الشريعة الإسلامية وهداهم بهدى محمد صلى الله عليه وسلم ، وكيف خاض معاركه الإسلامية الخالدة تحت راية التوحيد والاعتقاد بحبل الله ، وكيف عامل أعداءه بأخلاق الإسلام السمحة ، والمعاملة النبيلة ، تبعاً فى ذلك خطى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وخطى الخلفاء الراشدين من بعده ، والتابعين ومن تبعهم بإحسان ، كل ذلك من أجل وصول صلاح الدين بالتمهينة الاعلامية الاسلامية الكاملة إلى غايتها ، لذلك أمد الله بحد من عنده ، وأيده بنصره ، وهداه سبل الرشاد . . قال تعالى :

" من يهد الله فهو المهتدى ومن يضل فأولئك هم الخاسرون " (١) .

وانطلاقاً من هدى الله سبحانه وتعالى مضى صلاح الدين لمضرب المثال الأسمى فى الشفقة بأعدائه والرحمة بهم ، لتفعل تلك المواقف الإنسانية فعلها فى أعداء الإسلام والمسلمين ، مما ترك أثره الاعلامى فى رأى العام الأوروبى ، وهذا ما سوف أتناوله بشئ من التفصيل فى نهاية هذا الفصل .

والمؤرخون قد ذكروا هذه المواقف لكى يستدلوا بها على إنسانية صلاح الدين ورأفته وشفقته التى شملت حتى أعداءه .



أما رجال الإعلام والدعاة فإنهم ينظرون إلى هذه المواقف على أنها مواقف إعلامية كان لها أثرها الفعال فيما توالى بعدها من أحداث تاريخية هزت المجتمع النصراني وأثرت فيه .

من هذه المواقف الإنسانية ذات الجوانب الإعلامية لصالح الدين مواقف مع المسنين والضعفاء الصليبيين حينما من الله عليه بالنصر العيين .

عندما ساد موقف الصليبيين داخل بيت المقدس ، أخذوا يتدهرون المصير القاسى الذى ينتظرهم ، فحاولوا مرة تلو الأخرى إقناع صلاح الدين بالعفو عنهم ، لكنه فى كل مرة كان يقابلهم بالرفضه ويؤكد لهم أنه لن يدخل المسجد الأقصى إلا كما دخلوه منسذ إحدى وتسعين سنة ، فإنهم استباحوا القتل ( ١ ) ، فلم يتركوا شيخا ولا امرأة ولا طفلا . وهنا وجد " باليان بن بارزان " أن صلاح الدين صمم على دخول المدينة حنوة ، فأراد أن يستعطفه وأن يأخذ منه الأمان لنفسه ولقومه أسوة بما فعله مع بقية البلدان التى استردها من الصليبيين صلحا ، لكن صلاح الدين رفض ذلك ، وعندئذ لجأ " باليان بن بارزان " إلى مزيد من الترغيب والتهديد قائلا لصالح الدين :

" إطمأئنها السلطان أننا فى هذه المدينة خلق كثيره لا يعلمهم إلا الله تعالى ، وانما يفترون عن القتال رجاء الأمان ظنا منهم أنك تجيبهم إليه كما أجبت غيرهم ، وههيكهون الموت ويرغبون فى الحياة ، فإذا رأينا الموت لا بهد منه فوالله لنقتلن أبناءنا ونساءنا ، ونحرق أموالنا وأمتعتنا ، ولا نترككم تغمسون منها دينارا واحدا ولا درهما ولا تسبون وتأسرون رجلا ولا امرأة ، وإذا فرغنا من ذلك أخربنا الصخرة والمسجد الأقصى وغيرهما من المواضع ثم نقتل من عندنا من أسارى المسلمين وهم خمسة آلاف

( ١ ) أبو شامة : الروضتين ، ج ٢ ، ص ٩٥ .

أسير ، ولا نترك لنا دابة ولا حيوانا إلا قتلناه ثم خرجنا إليكم  
كلنا قاتلناكم قتال من يريد أن يحيى دمه ونفسه ، وحينئذ لا يقتل  
الرجل حتى يقتل أمثاله ونسوت أعضاءه أو نظفر كراما" (١) .

وكان أن استشار صلاح الدين أصحابه في الموقف ، فوافقوا  
على ترك النصارى يغادرون المدينة مقابل فداء عشرة دنانير للرجل  
" يستوى فيها الغنى والفقير " وخمسة للمرأة ، واثنين للطفلس  
من الذكور والبنات .

ومع ذلك لم يسع صلاح الدين إلا أن يستجيب للضعفاء ،  
والمساكين ، ويحقق لهم مطلبهم في أن يبذل " باليان بن بارزان"  
من الفقراء جميعا ثلاثين ألف دينار (٢) .

إن القارئ لمثل تلك الحادثة في كتب التاريخ قد يعتقد  
لأول وهلة أن صلاح الدين ربما أجاب " باليان بن بارزان" إلى  
طلبه بأن أعطاء الأمان له ولقومه نتيجة التهديد والوعيد أو الخوف  
على الأماكن المقدسة من الخراب والتدمير .

إن رواية الحادثة على هذا النحو المجرد قد يوحي للقارئ  
بكل تلك الأسباب أو بعضها من أول وهلة .

لكن المتتبع لسيرة صلاح الدين وأخلاقه يعلم يقيناً  
أن صلاح الدين لم يفعل ذلك خوفاً من تهديد أو وعيد ، لأن  
صلاح الدين لو خاف لحظة من تهديد أو وعيد لما استطاع  
أن ينزل بالصلبيين الهزيمة تلو الهزيمة ، ولما استطاع كسرهم في  
حطين واسترداد بيت المقدس منهم ، كذلك يعلم المتتبع لسيرة  
صلاح الدين وأخلاقه أيضاً مدى زهده في الدنيا وعدم رغبته في  
شيء من حطامها ، ولو كان صلاح الدين غير ذلك لما خلف في خزانته  
غير دينار واحد صوري وأربعين درهما ناصرية (٣) .

(١) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ١٨٣ .

(٢) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ١٨٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل ، ج ٩ ، ص ٢٢٦ .

ثم إن صلاح الدين نفسه كان يعلم تماما أن المهزومين الخائفين لا يستطيعون تحقيق شيء من تهديد أو وعيد ، وحتى أنهم لو استطاعوا فعل شيء من ذلك لما مكنتهم من تحقيقه بحول الله وقوته .

إذن ما الذي جعل صلاح الدين يستجيب لطلب " باليان بن بارزان " ويمنحه الأمان له ولقومه . . . لا بد إذن من وجود أسباب غير تلك التي سبقت ، والتي قد يتوهمها القارئ لأول وهلة .

إن تلك الأسباب الأخرى موجودة بالفعل ، وانها تكمن في قلب صلاح الدين نفسه ، تكمن في رحمته وشفقته وأخلاقه التي استمدتها من مبادئ الإسلام بكل دقة وأمانة .

لقد فكر في السنين الضعفاء ، وفكر في النساء والأطفال الأبرياء الذين سيدوقون الويل من الفرنجة قساة القلوب .

وعند ذلك تغلبت رقة قلب صلاح الدين وسماحة عقيدته على رغبته في معاقبة الغزاة لبلادهم . فلزم الصمت برهة ، وجاشت في صدره ، عوامل الأنفة والعروة والنجدة التي يمزجها قلبه الكبير ونفسه العظيمة ، فقبل الدخول في مفاوضات الصالح ، واذن بسماحته تغمر كل شيء من حوله . للدرجة التي نراه فيها يوزع الأموال والسدواب على المسنين والمرضى والعاجزين من الغزاة النازحين .

أما النصارى العرب من أهل القدس فإنهم طلبوا من صلاح الدين أن يمتنعهم من العقاب في مساكنهم ، وبأخذ منهم الجزية فأجابهم إلى ذلك واستقروا ، فاشترى حينئذ من أموال الفرنج (١) .

واقدمنا منه شيخ صامبي يساعده في السير فتى مسلم وقال :

" أيها السلطان ، أنا فرنسي من مدينة تولوز ، أقدم في القدس منذ عشرين عاما ، وقد جاءني هذا الفتى المسلم منذ سنين هاربا من

---

(١) المصدر السابق : ج ٩ ، ص ١٨٦ .

الفرجة في عسقلان ، فأضفته في بيتي ، وكتمت سره عن ظلموه .  
ولما استرجعتم هذه المدينة انقلب على هذا الفتى ، على غير  
عادتكم بامولاي ، لقد طردنى من بيتي ، واستولى على ما فيه .  
فنظر السلطان إلى أخيه الملك العادل ، وقد دعست  
هناه ثم قال :

أهدوا إلى هذا الشيخ بيته وماله ، وأغضوه من دفع الفدية  
والجزية . أما هذا الفتى الذى خالف تقاليدنا ، فاسجنوه حتى  
ننظر في أمره .

وليس هذا غريبا من صلاح الدين ، ولا يستطيع أن  
يبلغه الا رجل فى مستوى صلاح الدين تكون رحمة أقوى  
من القوة ، وهفوه أعظم من السيطرة .

رأى السلطان أن عددا كبيرا من الافرنج يحمل على  
ظهره والديه الضعيفين ، أو أقاربه المرضى ، فأثرفيه هذا  
المنظر أشد التأثير ، وهاله الأمر كثيرا ، ولم يطق صبرا على  
رؤيته ، فأمر بالمال فأعطى لهم ، وبالذواب فوزعت عليهم ، لتحمل  
أثقالهم إلى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ( ١ ) .

نحن مطالبون بإبلاغ العالم كله تلك المبادئ السامية  
التي وضعتها الشريعة الإسلامية لتنظيم العلاقات الدولية .  
أين نجد فى القانون الدولى المعاصر ما يقارب الهدأ  
الذى عبرت عنه الآية الكريمة :

" وان أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع  
كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون ( ٢ ) .

---

( ١ ) عهد الله طوان : صلاح الدين الأيوبي ص ٧٧ .

( ٢ ) التوبة : آية رقم ٦ .

إن المسلم لا يفتى بما أمر الله بمجرد الإجارة فقط ،  
وفيهما ما فيها من الرطابة والحماية ، بل عليه أن يبلغه مأمنه .  
لا يكفي أن يعالجه ويطعمه ويسقيه ويحميه ، ولا يكفي  
أن يتركه بعد ذلك حراً يلتصق الالتحاق بأرضه وقومه .  
بل هناك واجب إيجابي وهو أن يقوم بإيصاله إلى المكان  
الذي يأمن هو فيه .

وقد التزم صلاح الدين بهذه الأخلاقيات كلها فسي  
علاقاته مع الصليبيين ، ولم يعاملهم بالمثل ، فلم ينتصر  
صلاح الدين في ميدان القتال فقط ، وإنما انتصر فيها هو  
أشق من ذلك وأصعب . انتصر في ميدان الأخلاق بوازع منه  
فقط ، ونفسه وإيمانه هما الرادعان فقط . لو أراد صلاح الدين  
أن يبيد جميع الصليبيين الذين وقعوا في يديه ، كما  
كان يفعل الصليبيون لما استطاع أحد أن يقف في وجهه  
أو يتعرض سبيله سوى طمأ المسلمين ( ١ ) .

ولكن صلاح الدين استطاع أن يضرب للصليبيين  
الأثرة على ما في الإسلام من ثراء إنساني متميز يتصف  
بالشمول والانسانية المطلقة .

وتطبيقاً من صلاح الدين للآية القرآنية الكريمة السابقة  
تطبيقاً إيمانياً ما حدث عندما حاصر بلدة " تبنين " وضايقها  
بالزحف خمسة أيام " إلى أن أرسل أهلها يطلبون الأمان ،  
فأمنهم على أنفسهم ، فسلموها إليه ، ووفى لهم وسيرهم  
إلى مأمنهم " ( ٢ ) .

إنها شمولية الإسلام وانسانيته ، عبر عنها صلاح الدين  
أدق تعبير في تعامله مع الصليبيين ، ومعنى المؤرخين

---

( ١ ) د . أنيس قاسم : تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني ص ١٥١ ،

( ٢ ) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٨٠ .  
١٥٢

النصارى لم يستطع إنكار تلك الحقيقة فقال " رنسيان " :  
" الواقع أن المسلمين الظافرين اشتهروا بالاستقامة  
والإنسانية ، فهبنا كان الفرنج منذ ثمان وثمانين سنة  
يخوضون في دماء ضحاياهم ، لم تتعرض الآن دار من الدور  
للسلب ، ولم يحل بأحد من الأشخاص مكروه ، إذ صار رجال  
الشرطه يبنوا على أوامر صلاح الدين بطوفون بالشوارع  
والأبواب يمنعون كل اعتداء يقع على المسيحيين " ( ١ ) .

٢ : رحمة بالنساء والأطفال الصليبيين :

رأينا كيف كان صلاح الدين طويفا على المسلمين  
والضعفاء ، رقيق القلب نحوهم ، سريع الشفقة بهم .  
الا أن صلاح الدين كانت شفقتة بالنساء أكبر ،  
وعطفه عليهن أعظم ، والأمثلة على ذلك كثيرة في حياة  
صلاح الدين . . من ذلك على سبيل المثال أنه لما فرغ  
من هزيمة الفرنج في موقعة حطين أقام بموضعه باقى يومه  
وأصبح يوم الأحد طاد الى طبرية ونازلها ، فأرسلت صاحبها  
تطلب الأمان لها ولأولادها وأصحابها ومالها ، فأجابها  
الى ذلك ، فخرجت بالجميع فوفى لها ، فسارت آمنه ( ٢ ) .  
ومن الأمثلة العديدة أيضا على رحمة صلاح الدين  
بالنساء والأطفال ، والعدالة في نفس الوقت على المعتدلين  
وبعد ، من التطرف ، وتمسكه بمبادئ دينه الحنيف فى  
الأخلاق والرحمة والتسامح ، ما فعله مع " باليان بن بارزان "  
وكان هذا الأمير من الأمراء القلائل الذين نجوا من موقعة

( ١ ) د . محمد بن على الهمزى : الحروب الصليبية وأثرها فى الشعر العربى

ص ٢٨ ، ط النادى الأدبى بالرياض ١٤٠٠ هـ نقلا عن " رنسيان " .

( ٢ ) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٢٩ .

حطين ، وقد سمح له صلاح الدين بالذهاب إلى بيت المقدس بشرط عدم المبيت فيها أكثر من ليلة واحدة لأخذ زوجته وأولاده ، ولكن "باليان" لم يحفظ لصلاح الدين يده طيه فخان عهده معه ، وبقى في بيت المقدس ليقود بقايا الصليبيين المحاصرة فيها ضد صلاح الدين ، ويقوى فيهم روح المقاومة ، أو على الأقل لكي يحصلوا على أفضل الشروط من المسلمين .

وبالرغم من كل ما فعله صلاح الدين مع "باليان" وما قبله به الأخير من جحود وفدر ، يأبى صلاح الدين إلا أن يضرب الشل الأمل في ساحة الإسلام ورحمته حين يسمح بخروج الطلقة "كوزنين" زوجة "باليان" من القدس ، ولم يكتف صلاح الدين بذلك ، بل أمر بحراستها من بيت المقدس حتى طرابلس ، كما سمح لغيرها من النساء والأطفال بالخروج من المدينة آمنين (١) .

حدث ذلك من صلاح الدين قبل أن يقتحم القدس حرصاً منه على سلامة النساء والأطفال أثناء الاقتحام أو بعده . وحتى مع الأميرة "ايتنت" أرملة "أرناط" الذي سفك صلاح الدين دمه يوم حطين حين طلبت من السلطان الخروج وإطلاق سراح ابنها ، لم يشأ إلا أن يكرمها ويصح لها بالسفر ، وهي بنوايتها محوطة ، ورأيها منوطة (٢) ثم أطلق سراح ابنها بعد ذلك اتعاباً لوعده لها .

وصلاح الدين حين يفعل ذلك إنما يفعله مع الجميع لا فرق عنده بين امرأة وأخرى أو بين طفل وآخر لأن الكل أمامه في التسامح سواء .

(١) د . سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ج ٢ ، ص ٧٨٨ نقلاً عن : " هرقل " .

(٢) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ٩٦ .

حتى الصليبيات المتعصبات لدينهن ، المتصلبات في  
هدائهن للإسلام ، نجد صلاح الدين لا يفرق في تسامحه  
بينهن وبين غيرهن من النساء الأخريات .

حدث ذلك عقب انتصاره في القدس حيث كانت توجد  
به " ملكة رومية متعبدة مترهبة في عبادة الصليب متعلبه  
وطى مصابها متلبيه ، وفي التمسك بطنها متعصبة متعصبة .  
أنفاسها متعاضدة للحزن ، وصراتها متحدرة تحدر القطرات  
من الحزن . ولها حال ومال ومتاع ، وأشياء وأشياء وأتباع  
فاستعازت بالسلطان فأطأها . ومن طيها وطى كل من  
معها بالإفراج . وأذن في إخراج كل مالها في الأكياس  
والأخراج . وأبقى طيها من صوفات صلبانها الذهبية  
المجوهرة ونفائسها وكرائم خزائنها ، فخرجت بجميع مالها  
وحالها ، ونسائها ورجالها ، وأسقاطها وأعدالها ( ١ )  
والصناديق بأقوالها . وتبعها من لم يكن من أتباعها ،  
فراحت فرحى ، وان كانت من سجنها فرحى ( ٢ ) .

كان ذلك شأن صلاح الدين في كل أحواله وفتوحاته  
لأن قلب صلاح الدين كان يسع المؤمن والكافر والعدو  
والعدو .

لذلك نجد صلاح الدين بهذا القلب يرفض بعد فتح  
" برزبة " أن يتشتت أفراد أسرة صليبية بالبيع والتشريد .  
هذه الأسرة هي أسرة أمير " برزبه " نفسه ، ويقول ابن  
الأثير :

- 
- ( ١ ) السفطج أسقاط : وطء كالتفقه يعبأ فيه الطيب وما أشبهه من أدوات النساء  
العدل ج أعدل : الفرارة أى الجوالق لأنه يحمل على جنب البعير وعدل  
بآخر .  
( ٢ ) أبو شامه : الروضتين ج ٢ ، ص ٩٦ .  
ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٨٤ .



" وأما صاحب " برزبه " فإنه أسره وأصحابه وأمراته  
وأولاده ، ومنهم بنت له معها زوجها ، ففترقهم العسكر ،  
فأرسل صلاح الدين في الوقت ، وبحث عنهم ، واشتراهم  
وجمع شمل بعضهم ببعض ، فلما قارب " أنطاكيه " أطلقهم  
وسيرهم إليها ( ١ ) .

وتبلغ الرحمة بقلب صلاح الدين قتها أمام أم صليبية  
فقدت رضيعها حينما دخل بعض الغدائين المسلمين التي  
خيما العدو ليهيئوا منهم . وكان من قصتهم أنهم أخذوا  
ذات ليلة طفلا رضيعا له ثلاثة أشهر ، وساروا به حتى أتوا  
إلى خيمة السلطان ومرضوه عليه ، وكان كل ما يأخذونه  
بمرضونه عليه ، ويعطيهم ما أخذوه . ولما فقدته أمه  
باتت تستغيث بالويل والشور طول الليل ، حتى وصل خبرها  
إلى ملوكهم فقالوا : إنه رحيم القلب ، وقد أذننا لك بالخروج  
فاخرجي واطلبيه منه ، فإنه يرده إليك .

فخرجت تستغيث إلى الحرس ، فأخبرتهم بواقعتها ،  
فأطلقوها وأنفذوها إلى السلطان . فلقيته وهو راكب وفي  
خدمته خلق عظيم ، فبكت بكاء شديدا ، ومرت وجهها في  
التراب ، فسأل عن قصتها ، فأخبروه ، فرق لها ودعت  
عيناها ، وأمر بإحضار الرضيع ، فوجدوه قد بيع في السوق ،  
فارتده ، وأمر بدفع ثمنه إلى المشتري ، وأخذ منه ، ولم  
يزل واقفا حتى أحضر الطفل وسلم إليها .

فأخذته وبكت بكاء شديدا ، وضمت إلى صدرها  
والناس ينظرون إليها ويبكون . فأرضعت ساعة ، ثم أمر  
فحطت على فرس ، ولحقت بعسكرهم مع طفلها .

---

( ١ ) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٩٤ .

ما هذا ؟

هذا مفتاح خطير من مفاتيح شخصية صلاح الدين .  
" إنه رحيم القلب " ، هذا هو نطق الأعداء  
ووصفهم لصلاح الدين ، والمعظمة الحقيقية أن يكون البطل  
في مركز القوة ، وفي نفس الوقت يرق قلبه ، وتدفع عنده  
من أجل اختطاف رضيع من أمه . تنتهي السلطة وتنتهي  
الرحمة ( ١ ) .

ثانياً : عدله وإحسانه وبعض الأمثلة طيهما مثل :

١ : إذنه لرجال الدين النصارى بحمل ما شاءوا من متاعهم وأموالهم :

إن الأمثلة على عدل صلاح الدين وإحسانه تجاه  
الصلبيين على سبيل الحصر أمر صعب ، خاصة في مثل  
هذا المجال الضيق المحدود ، حيث تحتفظ كتب التاريخ  
والسير بمكان رحب في صفحاتها لصلاح الدين تبرز فيه  
لصلاح الدين عدله وإحسانه وتسامحه تجاه الصليبيين  
وجال الدين النصارى ، ذلك الذي لم يتحقق للصليبيين  
على أيدي إخوانهم في الملة الواحدة .

الأمر الذي حدى بالمؤرخين النصارى قبل غيرهم  
لأن يتساءلوا عن السر الكامن وراء تلك المعاملة التي يندر  
حدوثها عادة في غير التاريخ الإسلامي .

والحقيقة أن صلاح الدين كان يقدم - بما يفعله -  
الدين الإسلامي ليدرك أعداؤه بعض محاسنه في أسلوب  
الدائمة القدوة ، وهو أسلوب غاية في البساطة والإقناع وهذا  
الأسلوب لا يقوم على الخطب والنصائح والوعظ دون تطبيق

---

( ١ ) محمود شلبي : حياة صلاح الدين ص ١٦٥ ، دار الجيل بيروت عام

ذلك أولا على الداعية نفسه وقيل أن يتقدم به إلى مدعوه  
إنه أسلوب القدوة الحسنة في الدعوة إلى الله على بصيرة.  
ولقد وضع صلاح الدين تلك الحقيقة الثابتة نصب  
عينه ، وهمل في كل أطوار حياته على تحقيق ذلك ففى  
مجال الدعوة مع أعداء الإسلام ، واعتبره أهم من الجهاد  
بالسيف . من ذلك أن صلاح الدين حينما دخل القدس  
منتصرا ، وخرج الصليبيون منها هائمين على وجوههم  
لا يهتدون إلى أى بقعة من الأرض يمكن أن تقبلهم ، غير  
أنهم سرعان ما لبثوا أن فكروا فى الأماكن التى لم تنزل  
بعد القدس تحت سلطة الصليبيين . فذهب بعضهم إلى  
" أنطاكية " النصرانية ، فلم يكن نصيبهم من أميرها  
إلا أن أبى عليهم أن يضيفهم ، فطردهم ، فساروا على  
وجوههم فى بلاد المسلمين التى يحكمها صلاح الدين  
فقولوا بكل ترحاب ( ١ ) .

أما بعضهم الآخر من الصليبيين الخارجين من  
القدس والذين ذهبوا إلى " طرابلس " الخاضعة آنذاك إلى  
سيطرة الصليبيين ، فلم يكن حالهم بأفضل من حال أولئك  
الذين ذهبوا إلى " أنطاكية " .

فقد تصور عدد منهم جوعا فى سوريا ، وهم طمس  
أشد ما يكونون من البؤس ، وقد اضطرت إحدى الصليبيات  
إلى أن تلقى بولدها فى اليم ، وهى تلعن أولئك النصارى  
الذين أبوا أن يضيفوها أو يؤوها .

وفى الوقت نفسه الذى حدث فيه كل ذلك للصليبيين  
اللائذين بإخوانهم فى الطلة الواحدة ، كان صلاح الدين

---

( ١ ) عبد الله طوان : صلاح الدين الأيوبي ص ١٥٢ ، نقل عن المؤرخ  
الانجليزى " مل " .

يبدل عطاءه وكرمه واحسانه إلى الخارجيين من القدس من الصليبيين ، " وكانت " قيامه " ، وهي كنيستهم العظمى ، ومتعبدهم الذى يجمعون به الدين والدنيا مفروشة باليسط الرفاع ، مكسوة بالستور النسيج والحرير المزوج — سائر الأنواع ، والذى يذكرون أنه قبر عيسى عليه السلام محلى بصفائح الفضة والعين ( ١ ) ، وصفوات الذهب واللجين . مصفح بالنفار ، شقل من نفائس الحلى بالأرقام (٢) فأطاده " البطرك " منه طابلا ، وتركه طابلا ماعلا ، فقلت للسلطان هؤلاء! انما أخذوا الأمان على أموالهم ، فما بال هذا المال وهو مألوف يحملونه فى أثقالهم ؟ فقال : هم ما يعرفون هذا التأويل ، وينسبون إلينا لما حرمانه التحليل ، ويقولون إنهم لم يحفظوا العهد ولم يلاحظوا العقد ، ونحن نجريهم على ظاهر الأمان ، ونجريهم بذكر محاسن الإيمان ( ٣ ) . فصلاح الدين يفعل كل ذلك مع الصليبيين لكن " يجرىهم بذكر محاسن الإيمان " ، ومن هنا يتضح الهدف الذى كان يرمى إليه صلاح الدين الأيوبي دون افتراض أو تأويل ، وهو إفراة أعداء الاسلام عن طريق ذكر محاسن الإيمان .

فلا قدر عند صلاح الدين ولا خيانة لمن جاءه واخزون الإسلام فى عقر داره ، بل عدل واحسان وضو وعطاء لعله بذلك يجرى أعداء الإسلام بالإسلام عن طريق ذكر محاسن الإيمان ، ولذلك نجد صلاح الدين يقول لمن أشار عليه بالاستيلاء على الأموال الجبة التى خرج بها " البطرك " الكبير من القدس : لا أفدر به ، ولم يأخذ منه غير عشرة

( ١ ) العين : الذهب المضروب أو النفيس من المعادن بوجه عام .

( ٢ ) الأوتار : الأحمال الثقيلة ، مفردها وقر .

( ٣ ) أبو شامة : الروضتين ج ٢ ، ص ١١٤ ، ١١٥ .

دنانير ، وسير الجميع ومعهم من يحسبهم إلى مدينة  
" صور " ( ١ ) وهكذا يقدم صلاح الدين العدل والإحسان  
والعفو للصليبيين ، ولو أنه اكتفى بذلك لبلغ غاية العدل  
والإحسان والعفو ، لكن صلاح الدين يقدم فوق ذلك كله  
الحماية لهؤلاء حتى يهلبوا بأنفسهم كانوا . ثم  
يسأل بعض المتشككين في وجود إعلام إسلامي بعد كل  
هذا قائلين : أين ما يسمى بالإعلام الإسلامي ؟ ولم  
يسأل هؤلاء أنفسهم ولو للحظة واحدة : إذا لم يكن  
هناك ما يسمى بالإعلام الإسلامي فأى المصطلحات يمكن  
أن نطلقها على مثل هذه الأفعال التي قام بها  
صلاح الدين الأيوبي وأقرانه من حماة الإسلام ودعاته ؟

ومضى صلاح الدين في طريق العدل والإحسان  
ليغري أعداء الإسلام بالإسلام عن طريق ذكر محاسن  
الإيمان حين هرب موسى بن صهيون - الذي كان قد  
تظاهر بالدخول في الإسلام في عهد الموحدين ، الذين  
كان حكمهم ينطوي على التشدد في الدين - إلى مصر  
وأطن هنالك أمام الملأ أنه يهودي ، فاتهمه أحد فقهاء  
المسلمين من أسبانيا بالارتداد عن الإسلام ، وطلب بأن  
يوقع عليه أقصى عقوبة يقضى بها الشرع لهذا الجرم . ولكن  
القاضي الفاضل ، عبد الرحيم بن طي ، وهو من أشهر قضاة  
المسلمين ، وكبير وزراء صلاح الدين العظيم ، ألغى هذا  
الحكم ، وأطن بحقبة جازمة ، أن رجلا قد أرقم على الدخول  
في الإسلام ، لا يصح شرطا أن يعد مسلما ( ٢ ) .

---

( ١ ) ابن الأثير : الكامل ج ٩ ، ص ١٨٤ .  
( ٢ ) سير موماس ، و . آر نولد : الدعوة إلى الإسلام ص ٤٦٣ .

إن ذلك الحدث التاريخي ، وما ينطوي عليه — مدلول إعلامي يظهر لنا بوضوح الفرق بين موقفين إعلاميين كل منهما فاية في الخطورة :

الأول : إجبار هذا اليهودي على الدخول في الإسلام ومن ثم إهطاؤه وغيره فكرة سيئة ومنفرة عن الإسلام نفسه ، لا عن الرجل الذي أساء إلى الإسلام العظيم بإجباره هذا اليهودي على الدخول في الإسلام ، متجاهلا أن الإسلام ينص الكتاب قد حرم ذلك .

الثاني : تصحيح هذا الوضع غير الإسلامي ، وإصدار الحكم بأن من أجبر على الدخول في الإسلام لا يعد مسلما ، ومن ثم إهطاء هذا اليهودي وغيره فكرة حسنة ومحبة عن الإسلام .

وهذه حقا هي الدعوة الإسلامية كما يريدتها الإسلام أو الإعلام الإسلامي بلغة العصر .

ثم يسأل المتشككون بعد كل هذا : أين ما يسمى بالإعلام الإسلامي ؟

إن هؤلاء لا يعرفون سوى الإعلام الشرقي أو الإعلام الغربي ، أو ما يدور في فلكهما من أنواع الإعلام الأخرى .

أما الإعلام الإسلامي فليس له مكان في معاجمهم ومع ذلك أسوق لهؤلاء ولغيرهم هذا الحدث التاريخي الآخر الذي قام به صلاح الدين طهم يدركون ما فيه من مفاهيم إعلامية كان لها الأثر الفعال في النفوس المعاصرة والمتعاقبة .

" لقد تصادف أن هاجم صلاح الدين قلعة " الكرك " أثناء عقد قران الأميرة " ايزابيلا " التي بلغت وقتذاك عشرة من عمرها طلى " هنفري " سيد " تهنين " الذى كان يناهز سبع عشرة سنة من العمر . وهزم " رينالدشابتون " الطقب " بأرناط " طلى أن يهين كل ما يستطيع من مظاهر الفخامة والأبهة للاحتفال بالعرس فى قلعة الكرك التى تعتبر العروس وريثة لها . فحضر الحفل معظم الملوك والأمراء وتجمعهم أرباب الملاهى من الراقصات والحواة والموسيقيين من سائر أنحاء المشرق . ولما كان من أول الأهداف التى يتطلع إليها صلاح الدين هو أن يدمر حصن الكرك وسيد الجاحد . فقد عمل طلى حشد الوسائط والقوى الكافية للقتال . وكان ما يحفز صلاح الدين هو وقوع حصن " الكرك " الضخم طلى طريق القوافل التجارية ما بين الشام ومصر ، وتهديد " رينالد شابتون " لهذه القوافل بعد أن ظهر أنه ما من معاهدة كبرت جماعه . وهكذا فقد حشد صلاح الدين جيش مصر والشام أمام " الكرك " سنة ( ٥٧٩ هـ / ١١٨٣ م ) وادرك طلى الفجر إلى مهاجمة المدينة السفلى ، وشق لنفسه نفذا إليها . ولم يستطع " رينالد شابتون " أن يفلت إلى القلعة إلا بفضل بطولة أحد فرسانه الذى ظل يقاتل بفرده للدفاع عن الجسر المقام طلى الخندق الذى يفصل بين المدينة السفلى والقلعة ، حتى تم تدمير ما يقع من الجسر وراء ظهره . واستمرت احتفالات العرس تجرى داخل القلعة فلم ينقطع الرقص والغناء داخل القلعة بينما كانت الأسوار تتعرض للقذف بالأحجار . وأعدت " ستيفانى " والسيدة المرييس صحونا من طعام العرس ، وبعثت بها إلى

صلاح الدين . وأرسل صلاح الدين مقابل ذلك بمأل بمأى الأبراج ينزل المروسان ، ثم أصدر الأوامر بالألا يتمرض هذا البرج للقفذ من أدوات الحصار وفيها هذا ذلك لم يخفف جهوده ، فما زالت مجانيقه التسعة الضخمة تواصل قذف الحجارة ، وطم رجاله كل الخندق على وجه التقريب (١) .

ترى لماذا فعل صلاح الدين ذلك وأضاف إلى سجله الحافل بمواقف الدعوة إلى الإسلام هذا الموقف العظيم ؟ هل فعل ذلك خوفا من أعداءه ، وهو المهاجم القوي المنتصر ؟

إن لماذا فعل صلاح الدين هذا مع أعداء الإسلام ؟ ليس هناك جواب يشفى الصدور على هذا السؤال وأسأله ويقنع المنكرين للإعلام الإسلامي سوى ما سبق أن أظنه صلاح الدين نفسه حين قال :

" ونحن نجربهم على ظاهر الأمان ، ونغريهم بذكر محاسن الإيمان " .

٢ : إضاؤه من الفدية لأعداد ففيرة من الصليبيين غير القادرين على دفعها :

ونضى مع صلاح الدين فى سيرته الداعية الى الله وهو " يجرى أعداء الإسلام على ظاهر الأمان ، ونغريهم بذكر محاسن الإيمان " .

ويظهر ذلك الهدف الإعلامى بشكل أكثر فيما يرويه " العماد الكاتب الأصفهاني " على لسان صلاح الدين حين قال :

---

(١) بسام العسلى : الأيام الحاسمة فى الحروب الصليبية ، ص ٩٢ ، هامش رقم ٢ .



” ومن نجرهم على ظاهر الأمان ، ولا نتركهم  
يرمون أهل الإيمان بنكث الأيمان ، بل يتحدثون بما  
أفضناه من الإحسان (١) .

وهذا القول يتضح بما لا يدع مجالاً للشك أن  
صلاح الدين كان يهدف من وراء قوله هذا إلى أن يتحدث  
أعداء الإسلام عن محاسن الإسلام ، ومدى التزام أهله  
بتلك المحاسن ، وبأمل صلاح الدين أن تنتشر هذه المحاسن  
بين الصليبيين عن طريق نقل أخبارها من شخص إلى آخر  
وهذا يحدث التأثير الإيجابي الذي سوف أتناوله بشيء من  
التفصيل في نهاية هذا الفصل إن شاء الله .

ومن هذه المحاسن الإسلامية إغاثة صلاح الدين من  
الفدية للعديد من الصليبيين غير القادرين على دفعها  
ولقد ذكرت في بداية هذا الفصل أن صلاح الدين قد  
استجاب للضعفاء والمساكين ، وقبل أن يدفع ” باليان ” منهم  
جميعاً مبلغ ثلاثين ألف دينار ، ولكن عدد الأسرى بقي كبيراً  
فتظاهر ” باليان ” بعدم قدرته على جمع الفدية إلا لسبعة  
آلاف من الفقراء فقط ، مع العلم بأنه كان من الممكن تأمين  
الفدية لألوف عديدة من الصليبيين لو أن الكنيسة كانت  
أكثر وفاءً لرهايها من النصارى ، ولعل من التناقضات  
الطبيعية أن يكون قادة المسلمين أكثر رافة بالصليبيين من  
قادة الصليبيين أنفسهم . وعلى سبيل المثال ، فقد حدث  
أن طلب العادل إلى أخيه صلاح الدين إطلاق سراح ألف  
أسير على سبيل المكافأة عن خدماته له ، فوجههم لـ  
صلاح الدين ، فأطلق العادل على الفور سراحهم وإن ابتهج

---

(١) العباد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي عن ١٣٥ .

البطرك " هرقل " لأن يلتصق هذه الوسيلة الرخيصة لفعل الخير لم يسمعه إلا أن يطلب من صلاح الدين أن يهبه بمسـ~~ـ~~ الأرقاء ليعتقهم ، فبذل له صلاح الدين سبعمائة أسير وكسا جعل صلاح الدين لباليان خمسمائة أسير ، ثم أطبـ~~ـ~~ صلاح الدين أنه سوف يطلق سراح كل شيخ وكل امرأة مجوز ( ١ ) .

وأخلق بنا أن نسمع بلسان المؤرخ النصراني ستانلى لين هول " فى كتابه " السلطان صلاح الدين " ما ضرب به السلطان يوم فتحه بيت المقدس من أروع أمثلة الخلق الاسلامى العظيم ، من كرم الطبع ، ورحابة الصدر ، وسماحة النفس :

" لم يظهر فى يوم من الأيام من مروءة السلطان بعد هتته وكرم طبيعته ما ظهر يوم تسلم المسلمون مقاليد بيت المقدس ، فتولى جنده وهاله أمر البلد ، وكانوا يضمسون الناس من أى عدوان وصف ، فلم يصب أحدا من الصليبيين أذى ، وكان حرس الملك يحرسون جميع شوارع البلد الخارجية وكان طى باب " راوود " أحد العمال الأثماء ، لهاذن لكل من أدى الفدية من أهالى البلد بالخروج منه " ( ٢ ) .

وهذا المؤرخ النصراني بعد ذلك أن أخا السلطان العادل والبطرك ( هرقل ) و ( باليان ) أطلقوا العديـ~~ـ~~ من الأرقاء ، ثم يقول :

" ثم قال صلاح الدين لقواده : تصدق أخى من نفسه ، وتصدق ( باليان ) و " البطرك " كل من نفسه ، والآن

---

( ١ ) بنام العسلى : الأيام الحاسمة فى الحروب الصليبية ص ١٣٤ .  
( ٢ ) أبو الحسن الندوى : صلاح الدين الأيوبي ( البطل الناصر لدين الله ) ص ٣٤ دار القلم بيروت عام ١٤٠٠ هـ نقلا عن المرجع المذكور .

أتصدق أنا عن نفسي ، فلم يلبث أن أمر جنده لينادوا في جميع طرقات البلد وأزقته باطلاق سراح الشيوخ والضعفاء الذين لا يطيقون أداء الفدية ، فيذهبون حينما سألوا فبدأوا يخرجون من باب " المعازر " ، وما زالت تخرج جماعاتهم منذ طلوع الشمس إلى فروعها ، وذلك ما تصدق به صلاح الدين على فقراء وساكنين يتجاوز عددهم الحصر" (١) ومن المدهش أن تستمر هذه العناية من صلاح الدين على فقراء الصليبيين وساكنيهم حتى بعد أن أقامهم — الفدية .

حدث ذلك على سبيل المثال مع اللاجئين الصليبيين المتوجهين إلى " صقلان " حيث رفض قادة السفن — الإيطالية التجارية أن يحطوهم على سفنهم إلى الموانئ النصرانية إلا بعد أن يدفعوا أجورا باهظة ، فـ — أن الحكومة المصرية رفضت السماح للسفن الإيطالية بالإقلاع إلا إذا قبلت حطهم بدون أن يؤدوا أجورا" (٢) إنه إجراء صلاح الدين لأعداء الإسلام على ظاهر الأمان وافرأوهم بذكر محاسن الإيمان .

ثم نسمع بعد ذلك كله على لسان المنكرين والرجفين وهم يتسائلون : أين هو الإعلام الإسلامي ؟

ومتى كان له وجود في ماضي المسلمين وحاضرهم ؟

ونضيف — لهؤلاء أنه بعد أن تم صلح الرملة — بين صلاح الدين و ( ريتشارد قلب الأسد ) وفي أعقاب فشل الحملة الصليبية الثالثة في انتزاع بيت المقدس من أيدي المسلمين حدث أن فتح صلاح الدين الباب على مصراعيه لزيارة بيت المقدس

(١) المرجع السابق : ص ٣٤ ، ٣٥ .

(٢) المرجع السابق : ص ٣٥ .

أمام الصليبيين ، ودخل بيت المقدس من النصارى للزيارة  
ما لا يتصوره عقل ، ولا يحصيه رقيب ، ولما طم " ريتشارد  
قلب الأسد " كثرة من يزور بيت المقدس من حجاج النصارى  
خشى أن يغضب صلاح الدين لذلك " وسير إلى السلطان  
يسأله منع الزوار ، واقترح أن لا يؤذن لهم إلا بعد حضور علامة  
من جانبه أو كتاب منه " ، ولكن صلاح الدين أبى ذلك ،  
ورد عليه بأن أولئك الزوار " قد وصلوا من ذلك البعد لزيارة  
هذا المكان الشريف فلا أستحل منعهم " ، بل إن صلاح الدين  
بالغ في إكرام من يرد إلى بيت المقدس من الزوار النصارى " وشرع  
في مد الطعام لهم ومهاسطتهم ومهادنتهم " ( ١ ) .

كل ذلك من أجل إجراء صلاح الدين لأعداء الإسلام طى  
ظاهر الأمان ، واغرائهم بذكر محاسن الإيمان .

ثالثا : الآثار الإعلامية لمواقف صلاح الدين الإسلامية في الرأي العام الأوربي :

١ - إيقاف الرأي العام الأوربي على حقيقة الإسلام :

رأينا في بداية هذا الفصل كيف عمل صلاح الدين كل ما في  
وسعه لينغيّر ما طق بنفوس الصليبيين من أفكار خاطئة عن الإسلام  
والمسلمين .

ورأينا كيف جاهد الصليبيين بالتعبئة الإعلامية الإسلامية  
الكاملة عن طريق السلوك الحسن والقول اللين جنباً إلى جنب مع  
جهادهم لهم بالتعبئة العسكرية الإسلامية في ميدان القتال .

ورأينا كيف نجح صلاح الدين في كلا الميدانين على حد  
سواء ، ولكن النجاح الأكبر الذي تجلّى ، والذي ظهر بوضوح

---

( ١ ) عبدالله علوان : صلاح الدين الأيوبي ، ص ٩٣ .

قد تشل في نتيجة الحملة الصليبية الثالثة بعد أن كانت أفعال صلاح الدين الإسلامية قد انتقلت إلى الرأي العام الأوروبي ، وتناقل الصليبيون أخبارها فيما بينهم ، وأحدثت فيهم التأشير الذي كان يهدف إليه صلاح الدين ، والذي جنى المسلمون ثماره الطيبة في الحملة الصليبية الثالثة ، والحملة التي جاءت بعدها .

ولكى نتصور حجم هذه النتيجة ، علينا أن نتصور حجم تلك الحملة التي جاءت لتتأثر من صلاح الدين ، وتسترد بيت المقدس من أيدي المسلمين .

يقول ابن الأثير في الكامل :

" كان صلاح الدين كلما فتح مدينة أو قلعة أعطي أهلها الأمان ، وسيرهم بأموالهم ونسائهم وأولادهم إلى مدينة ( صور ) فاجتمع بها منهم عالم كثير لا يعد ولا يحصى ، ومن الأموال ، مالا يغني على كثرة الإنفاق في السنين الكثيرة ، ثم إن الرهبان والقسس ، وخلقاً كثيراً من مشهورهم وفرسانهم لبسوا السواد ، وأظهروا الحزن على خروج بيت المقدس من أيديهم ، وأخذهم البطريرك " الذي كان بالقدس ، ودخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعاً ، ويستجدون أهلها ، ويستجيرون بهم ، ويحثونهم على الأخذ بثأر البيت المقدس ، وصور المسيح عليه السلام ، وجعلوا صورة رجل عربي والعربي يضربه ، وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح عليه السلام ، وقالوا لهم : هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقد جرحه وقتله " ( ١ ) .

ولقد أراد دعاة الصليبيين من وراء تلك الدعوة الروحية الجديدة أن يستعيدوا ما تبدد من إيمان في نفوسهم ، وأن يعودوا كما بدأوا أول مرة عندما غزوا العالم الإسلامي في الحملة الصليبية الأولى .

ولقد طمس الله على قلوبهم فأنساهم أن ميزان القوى قد انقلب رأساً على عقب فيما بين الحملة الصليبية الأولى عام ٤٨٩هـ/١٠٩٦م ، والحملة الصليبية الثالثة عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م . ففي الحملة الصليبية الأولى استطاع الصليبيون أن يتغلبوا على المسلمين ، وأن يحتلوا بيت المقدس ، وما كان ذلك إلا بفضل ما أظهره الصليبيون من وحدة في الهدف ورفعة في النصر وقد ساعدتهم على ذلك تمزق العالم الإسلامي ، وتطاحنه فيما بينه وافتقاده إلى القائد المسلم الذي يأخذ بيده إلى النصر .

أما الآن ونحن في الحرب الصليبية الثالثة فقد تغير الوضع تماما على كلا الجانبين . فهذه الحملة قد نبعث من السلطنة الزمنية التي تحتلها الملكيات القوية الثلاث في ألمانيا وإنجلترا وفرنسا ، وهذه السلطة هي التي صار لها وقتذاك السيادة والسلطان في أوروبا . ولذلك اعتبرت هذه الحملة من الناحية الروحية أقل شأنًا من الحملة الصليبية الأولى التي نبعثت من البابوية ، وهي السلطة الفعلية للعالم النصراني آنذاك . وبالرغم من عامل الوحدة الذي ظهرت به القيادة الصليبية لتلك الحملة إلا أن الواقع كان عكس ذلك ، لأن ملكي فرنسا وإنجلترا بمسند أن تغيرت نواياهما ، نقلا ما بينهما من منازعات سياسية إلى الحركة الصليبية ( ١ ) .

كان ذلك يجري على الجانب الصليبي ، بينما على الجانب الإسلامي كانت الوحدة تزداد قوة بين المسلمين ، وكان الإيمان بالله ثم بالنصر يتغافف في قلوبهم ، والتسك بقائد هم صلاح الدين تشدد عراه وتقوى وشأجه .

---

( ١ ) أرنست هاركر : الحروب الصليبية ، ترجمة د . السيد الهاز العريني ، ص ٨٧ .



إنها نفس الدعائم التي تخلى عنها المسلمون في الحملة الصليبية الأولى فانهزموا ، وخرج بيت المقدس من أيديهم ، وهي نفس الدعائم التي تمسكوا بها فانتصروا ، واستعادوا بيت المقدس من أيدي الصليبيين ، وهي نفس الدعائم التي يتشبهون بها الآن لكي يستمر النصر بإذن الله تعالى .

لقد أدركت أوروبا النصرانية أثر العقيدة الدينية فسي أنفسهم بالأسر عندما بدأوا غزوهم للعالم الإسلامي فانتصروا ، وهم يدركونه اليوم في المسلمين عندما تمسكوا بعقيدتهم فقلبوا الهزيمة المتكررة نصرا مبهنا .

ومن هنا أرادت أوروبا أن تشحن الرأي العام النصرانسي بالعقيدة الصليبية مرة أخرى حتى يتمكنوا من غزو العالم الإسلامي ، واستعادة ما ذهب منهم على يدى صلاح الدين .

ولكن الوقت قد فات ، لأن الرأي العام الأوروبى لم يعد تنطلى عليه ادعائم قادتهم ودعاتهم الكاذبة ، وذلك بعد أن تأكدوا من زيفها بأنفسهم ، نتيجة لما رأوه من المسلمين وقادة المسلمين ودعاتهم ، وما رأوه كان عكس ما توهموه عن الإسلام والمسلمين فى الماضى .

والدليل على ذلك ، تلك العقوبات المالية التي فرضت على من لا يشترك فى هذه الحملة .

يقابل ذلك اللوائح التي أصدرها البابا لصالح الدنميين الذين انحازوا إلى الحملة .

ومن تعدد الوسائل التي اتخذها العالم الأوروبى للقيام بالحملة الصليبية الثالثة يمكن أن نتبين بوضوح ما كان لهذه الحملة من مظهر طمانى .

" إن أن مشروع فرض ضريبة - وهي المعروفة بعشـر صلاح الدين - على كل من لم ينهض إلى اتخاذ الصليب،





دفعت من جهة عدد اكبر إلى أن يتخذوا الصليب ويشاركوا في الحملة الصليبية حتى لا يقوموا بدفعها ، وصارت من جهة أخرى أساسا ماليا للعمليات الحربية \* (١) .

ولقد ازدادت قوة الدافع الاقتصادي للاشتراك في الحملة الثالثة ، بما أصدره البابا من لوائح لصالح الدينين الذين انحازوا إلى الحملة الصليبية ، فاشترك في الحملة الثالثة الألف حتى يتجنبوا دفع ما هو مقر عليهم من الضرائب أو الفوائد المتعلقة بما عليهم من ديون ، \* ولا شك أن ما قلب على الجيوش الصليبية الثالثة من صفة السعى وراء الربح والمادة أخذ يزداد منذ الحملة الصليبية الثالثة على سائر الحملات السابقة \* (٢) .

لماذا . . ؟ لأن تحولا هاما في الرأي العام الأوروبي قد حدث بفضل إيقافه على حقيقة الدين الإسلامي بما قدمه المسلمون من شفقة ورحمة وعدل واحسان إلى الصليبيين الذين جاءوا من بلادهم ليدمروا الإسلام ويبعدوا أهله .

وفندما سقط بيت المقدس في يد صلاح الدين ثارت ثورة أوروبا ، متناسية بذلك هذا التحول الذي حدث ، وعلى الفور كونت حملتها الصليبية الثالثة بالوعد والوهد ، وخرجت تهب القصاص من صلاح الدين واسترداد بيت المقدس ، وحشدت على رأسها أعظم ملوك أوروبا آنذاك :

إمبراطور ألمانيا \* فريدريك بربروسا \*

ملك فرنسا \* فيليب أوفسبس \*

ملك الانجليز \* ريتشارد قلب الأسد \*

واحتدم الموقف على الجانب الإسلامي وتأزم ، وأصبح حال المسلمين كما قال الله عز وجل :

---

(١) أرنست هاركر : الحروب الصليبية ، ص ٨٧ .  
(٢) المرجع السابق : ص ٨٧ ، هامش رقم (١) .

” إذ جاءكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار  
وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا . هنالك اهتسى  
المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا“ (١) ، وهنا تتلأأ شخصية  
صلاح الدين ، ويبرز منه السر الأعظم من تكوين شخصيته ، إنه  
لا يخشى أحدا إلا الله .

وهؤلاء الرجال قليل ، آحاد على مدى التاريخ البشرى ،  
وهم أقوى وأخطر صنف على الإطلاق في البشر .

إذا اجتمع على الرجل منهم الناس جميعا ، ازداد تصلبها ،  
واندفع يقاتلهم ، ولو كان وحده (٢) .

ولكن صلاح الدين لم يكن وحده ، لقد كان مع الله ، فكان  
الله معه .

إلتف المسلمون حوله يجاهدون في إيمان راسخ لا يتزعزع حتى  
جاءهم النصر من عند الله ، وآبت تلك الحملة الصليبية الثالثة  
بالخيبة والفشل ، حيث لم يتمكنوا من استرداد بيت المقدس  
أو القصاص من صلاح الدين ، الرجل الذي استصرخ به ، ووقف  
شامخا يقبل التحدي .

وهذا يفسر لنا السر الكامن وراء ” السعى المستمر لأعداء  
الإسلام حتى يبعدوا القادة المسلمين الأقوياء ” عن استلام الحكم في  
دول العالم الإسلامي حتى لا ينهضوه بالإسلام .

لذلك نجد معظم المستشرقين والكتاب النصري  
لا يستطيعون كتمان ذلك مهما حاولوا إخفاءه ، وسرهم  
ما تفضحهم أقوالهم بما تنطوى عليه نفوسهم من حقد على الإسلام  
والمسلمين .

(١) سورة الأحزاب : آية ١٠ ، ١١ .

(٢) محمود شلبي : حياة صلاح الدين ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

يقول فاردنر :

" ان الحروب الصليبية لم تكن لإنقاذ القدس ، إنها كانت لتدمير الإسلام " .

ويقول المستشرق البريطاني " مونتجومري وات " فى التايمز اللندنية فى مارس ١٩٦٨ م :

" اذا وجد القائد المناسب ، الذى يتكلم الكلام المناسب عن الإسلام ، فإن من الممكن لهذا الدين أن يظهر كأحدى القوى السياسية فى العالم مرة أخرى " ( ١ ) .

ويقول " جب " :

" إن الحركات الإسلامية تتطور عادة بصورة مذهلة تدعو إلى الدهشة ، فهى تنفجر انفجارا مفاجئا قبل أن يتبين الراقبون من أماراتها ما يدعوهم إلى الاسترابة فى أمرها . فالحركات الإسلامية لا ينقصها إلا وجود الزطاة . لا ينقصها إلا ظهور صلاح الدين جديد " ( ٢ ) .

ما تقدم يظهر جليا أن رأى العام الأوروبى قد تغيرت فكرته عن الإسلام إلى حد ما ، بحيث أثر هذا التغيير على نتيجة الحملة الصليبية الثالثة التى جاءت لتعيد للنصرانية ما كانت تتمتع به قبل صلاح الدين من نفوذ وسلطة إلا أنها وجدت من المسلمين بقيادة صلاح الدين جيشا مؤمنا كل ما يتناه أن ينال الشهادة فى سبيل الله .

هذالك تكون الحملة الصليبية الثالثة قد اصطدمت بتغييرين : أحدهما داخلى والآخر خارجى . ما جعل من نهايتها نموذجا فريدا فى القوة المادية والفشل الذريع .

---

( ١ ) جلال العالم : قادة الغرب يقولون : دمروا الإسلام أبيدا وأهله ص ٦٠

ط ٢ طام ١٣٩٥ هـ .

( ٢ ) المرجع السابق : ص ٦٠ .

٢ : اعتناق بعض الصليبيين الدين الإسلامي من اقتناع تام :

ظهر بوضوح كيف استطاع صلاح الدين بأفعاله وأقواله التي هزت من الإسلام أصدق تعبير ، وصححت إلى حد كبير تلك المفاهيم الخاطئة عن الإسلام ، والتي ترسبت في أذهان الرأي العام الأوربي ، ما كان له أكبر الأثر في إحجام العديد من النصارى عن المشاركة في الحملة الصليبية الثالثة ، لولا أن قادتها واطتها تداركوا الأمر فوعدوا وتوعدوا .

وعدوا كل من يحمل العليب ويخرج بالإفراوات والامتيازات ، وتوعدوا كل من يحجم عن الاشتراك في تلك الحملة بالحرمسان والخسارة .

كل ذلك كان نتيجة حتمية لجهاد صلاح الدين في ميدان الدعوة إلى الله عن طريق القدوة الحسنة والعدل والإحسان إلى أعداء الإسلام حتى يؤلف بين قلوبهم والإسلام ما استطاع السى ذلك سهيلا .

وأشرف فرس صلاح الدين في هذا الحقل أحسن الثمــــر وأطيبه حين هدى الله طى يديه العديد من النصارى إلى الإسلام من اقتناع تام بأنه الدين الحق .

من ذلك أن مجاعة حلت بالفرنج ، فأكلت منهم الأخضر واليابس حتى تضوروا من الضراء ، وبأوا بالهباء .

ويقول العماد الكاتب الأصفهاني :

" وهرب إلينا منهم صبة بعد صبة ، وقد بادوا مسن الضعف البادى ، وأهداهم الضرا العادى ، فمن سألتناه عن مقتضى فراره ، ومقتضى قراره ، يخبر أنه طواه الطوى ، فنوى النوى حين التوى وكانت الفرارة من الغلة قد بلغت أكثر من مائة دينار ،

والسعر من الزيادة لديهم في استعمار . فما جاء إلا كل  
ضعيف لا يقوى على النزاع والنزال ، ولا سكة لا تلاق رفقه  
من الاعتلال . فقبلناهم وأنفقنا فيهم ، وألغناهم بما يكف  
ضررهم ويكفيهم . فتقوتوا وتقووا ، وأثروا بعد ما أقسوا .  
فمنهم من أسلم وخدم ، ومنهم من ند وتندم . ومنهم من  
فدا بجزيرة وطاء ( ١ ) .

يقول العماد الأصفهاني : " ومنهم من أسلم وخدم "

هذا الذي أسلم وخدم لم يجبره أحد من المسلمين على  
اعتناق الإسلام ، لأن منهم من ند وتندم ، ومنهم من فدا  
بجزيرة وطاء .

لقد أسلم من أسلم منهم عن اقتناع تام بأن هؤلاء  
المسلمين هم أصحاب الدين الحق الذي يجب أن يتبع  
لأنهم لو لم يكونوا كذلك لما فعلوا معهم على الأقل ما  
فعلوه من برّ واحسان ورحمة ، خاصة إذا قارنوا بين ما  
يفعله الصليبيون مع من يقع تحت أيديهم من المسلمين ،  
وما فعله هؤلاء المسلمون معهم عندما آووا إليهم يطلبون  
منهم العون والرحمة ، فوجدوا عندهم فوق ما يطلبون .

لذلك نجد صلاح الدين لا يفرط في أية فرصة قد  
تسبح له من أجل تحقيق تلك الغاية التي تعتبر غاية  
الدعوة الإسلامية وقت نجاحها .

جاءه رجاله يوماً بتجار من الفرنج يحملون في المحر  
على مراكب للتجارة بعد أن سحب المسلمون مراكبهم إلى  
الشاطي ، وهي مشحونة بالأواني الذهبية ، والمصوغات

---

( ١ ) العماد الكاتب الأصفهاني : الفتح القسي في الفتح القدسي ص

النخارية والأواني الفضية ، وغير ذلك من النفائس الجميلة  
والكرائم النادرة .

ومع ذلك يقول الكاتب الأصفهاني :

" فوفّر السلطان عليهم هذه الأكساب ، ولم يحرمهم  
حيث حرموا الكفرهم الثواب . وأظهروا لهذه النبهة أنهم  
مناصحون ، وليمين الإيمان صافحون . فلما أكرموا بتلك  
المكرمة ، أثنوا على اليد النعمة . وأسلم منهم شطرهم  
وحسن بهننا ذكرهم . وبهركات الكرم السلطاني كرموا ،  
وأنسوا وأسلموا . وكانوا قد أحضروا برسم الهدية مائدة  
فضة عظيمة وطبيها مكة طاب ، ولها قيمة فالية . ومعها  
طبق مماثلها في الوزن ، ويتعذر وجود ذلك للملوك فسي  
الخرن . ولو وزنت تلك الفضيات قارت قطارا ، فما  
أطرها السلطان طرفه احتقارا . وقال لهم :

" خذوها فأنتم بها أولى " ، وكان أول من أسدى  
هذا المعروف وأولى " (١) .

هذا هو صلاح الدين الذي يخشى أهداء الإسلام  
أن يظهر في المسلمين رجل مثل صلاح الدين جديد ، رجل  
يجمع شمل المسلمين ويعيد لهم حطين والقدس ، رجل يوجه  
خلافت المسلمين إلى نحر أهدائهم .

وحالات التحول إلى الإسلام بين الصليبيين وإن كانت  
قد بلغت قمتها في عهد صلاح الدين إلا أنها بدأت منذ  
الحرب الصليبية الأولى . والمسلمون لا يزالون في حالة  
التزق والضعف .

---

(١) المصدر السابق : ص ٤٦١ .

يقول " سير توماس .و. أرنولد "

" وفي غضون هذه الفترة كانت تحدث من حين لآخر تحولات إلى الإسلام من بين هؤلاء المهاجرين الغربياء .  
ففي الحرب الصليبية الأولى مثلا ، إنشق على الطائفة الرئيسية جماعة من الألمان بزمامة فارس مشهور يدعى " رينود " وحاصروهم السلطان أرسلان السلجوقي في إحدى القلاع ، وتظاهر هو وخاصة أتباعه بالقيام بهجوم على محاصريهم في الخارج فتركسوا رفاقهم التمسعين وانتقلوا إلى الأتراك حيث اعتنقوا الإسلام بينهم " ( ١ ) .

وقبل صلاح الدين وفي عهد نور الدين محمود كانت تحدث مثل هذه الحالات نتيجة للمعاملة الأخلاقية الحسنة التي كان يلقاها الصليبيون من المسلمين أثناء الحملة الصليبية الثانية .

وفي ذلك يقول " سير توماس .و. أرنولد " :

" وبمثل لنا تاريخ الحرب الصليبية الثانية ، تلك الحرب المشنونة ، حادثة على جانب عظيم من الأهمية وهي شبهة بتلك الحادثة " .

والقصة تتلخص في أن جماعة من الصليبيين قد منوا بهزيمة نكراء على أيدي المسلمين حينما كان هؤلاء الصليبيون يشقون طريقهم بين الجبال إلى بيت المقدس من طريق آسيا الصغرى وقد تمكن عدد منهم من الإبحار إلى أنطاكية ، بينما خلفوا وراءهم العرضى والجرحى تحت رحمة الخونة من حلفائهم الإفريق الذين أخذوا مبلغ خمسمائة

---

( ١ ) سير توماس .و. أرنولد : الدعوة إلى الإسلام ص ١٠٨ .



مارك من "كوس" على شريطة أن يمدوا الحجيج بقوة من الحرس ، وأن يعنوا بالمرض ، إلا أن الإغريق أخسبروا المسلمين بموقف الحجيج الأزل حيث وقعوا في أيدي القوات الاسلامية ، التي أشفقت عليهم ، فواست المريفين ، وأغاثت الفقير والجائع الذي أشرف على الهلاك وبذلت لهم العطاء في كرم وسخاء ، بل لقد اشترى بعض المسلمين النقود الفرنسية التي أهتزها الإغريق من الحجاج بالقسوة والخداع ، ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم ، فكان البون شاشعا بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من المسلمين وما عانوه من قسوة إخوانهم النصارى من الإغريق .

ثم ينهى المؤلف النصراني هذه القصة بقوله :

" حتى ان كثيرا منهم دخلوا في دين منقذ يهيم بمحضر إرادتهم " (١) .

ويتساءل المؤلف النصراني بعد ذلك في حسرة مضمرة

فيقول :

" وقد لا يكون من المستع أن نعرف من هم هؤلاء المسلمون الذين توفرنا على كسب هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام ، ولكن يظهر أنهم لم يخلفوا سجلا بأعمالهم على أننا نعلم أن صلاح الدين العظيم نفسه ، كان طسى رأسهم ، وهو الذي وضعه كاتب سيرته "بهاء الدين بن شداد" بأنه قدم محاسن الإسلام بين يدي ضيفه المسيحي ، وحثه على اعتناقه " (٢) .

---

(١) المرجع السابق : ص ١٠٩ .

(٢) المرجع السابق : ص ١١٠ .

ولكن ما هو السر في أن صلاح الدين كان على رأس هؤلاء الذين حولوا الكثير من النصارى إلى الإسلام ؟

يجيبنا على ذلك نفس المؤلف فيقول :

• ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيرا سحرها خاصا ، حتى أن نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم إليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم ، وانضموا إلى المسلمين \* (١) .

لإنها دعوة من صلاح الدين ، ودعوة طاعة شاملة التي جميع الصليبيين - لو استطاع - أن يتركوا ديانتهم ويدخلوا في دين الله أفواجا .

حدث ذلك بعد أن أنزل صلاح الدين هزيمته المنكرة بالصليبيين في ( حطين ) حيث يقول \* سير توماس .و. أرنولد \* :

• وكان ملك بيت المقدس بين الأسرى ، وحدث في مساء المعركة أن ترك الملك ستة من فرسانه ، قد حلت فيهم روح شريفة (٢) وفروا إلى معسكر صلاح الدين

---

(١) المرجع السابق : ص ١١١ .

(٢) نص العبارة التي أوردها المؤلف النصراني ، وطبيعة الحال لا يستغرب على مثل هذا المؤلف وأمثاله مثل هذه العبارات لأنهم لا يستطيعون كتمان ما في أنفسهم من حقد على أحفاد صلاح الدين .

حيث أسلموا ببعض إرادتهم .

ويظهر أن صلاح الدين ، كان قد تفاهم في الوقت نفسه مع " ريموند الثالث " كونت طرابلس الشام ، طسى أن يوزع إلى أتباعه بترك العقيدة المسيحية والتحول إلى جانب المسلمين ، ولكن موت هذا " الكونت " المفاجئ قد وقف بصورة فعالة في سبيل هذه الخطة " (١) .

لم يكن صلاح الدين قانعا طى ما يبدو بالأعداء التي تعتنق الاسلام من وقت لآخر من الصليبيين ، ولم يكن في نفس الوقت راغبا في إكراههم طى الدخول فسى الاسلام ، فكان منه ما حدث بينه وبين " ريموند الثالث " .

رحم الله صلاح الدين الذى جاهد في الله حق جهاده ، وأثابه من أمته الإسلامية خيرا .

---

(١) المرجع السابق : ص ١١١ .

## ” خاتمة ”

ظلت فترة الحروب الصليبية التي استغرقت من عمر الأمة الإسلامية زمناً طويلاً تستحوذ على تفكيرى، وتدفعنى دافعاً إلى أن أبحث وأدقق وأعيش تلك الفترة من خلال البحث والتدقيق، لأقف على عوامل الضعف والهزيمة التي وقفت بالمرصاد وراء الهزائم الحادة التي ابتلى بها المسلمون أمام جحافل الصليبيين في بداية شن حملاتهم على الأمة الإسلامية.

ثم أقف مرة أخرى على تلك القوة الكامنة التي دفعت المسلمين إلى قسوة انتصارهم العسكري حين استردوا بيت المقدس من أيدي غاصبيه، ولست أقصد من وراء ذلك القوة المادية العسكرية في ميدان الطعن والنزال، فهذه القوة وحدها لا تساوى شيئاً أمام القوة التي كنت أبحث عنها وأدقق فيها، وأعنى بها قسوة العقيدة والإيمان والدعوة إلى الله على بصيرة، تلك القوة العقديّة التي تجلست في التعبئة الإعلامية الإسلامية الكاملة في عهد صلاح الدين.

ولقد أثبت في هذا البحث من خلال الأحداث والنصوص أن التعبئة الإعلامية ظاهرة كاملة متكاملة لا تنفك عراها، وقد تظهر في قرن أو قرنين من الزمان، وقد لا تظهر أبداً مهما طال الزمن إذا لم تتوفر لها العوامل الكاملة لحدوثها، ولذلك لم تحدث في تاريخ الحروب الصليبية إلا مرتين: الأولى حدثت على الجانب الصليبي عند بدء الحملات الصليبية، والثانية على الجانب الإسلامي في عهد صلاح الدين الأيوبي.

كما أثبت في البحث الأثر الذي تركته التعبئة الإعلامية في الرأي العام على كلا الجانبين عندما اكتمل صرحها، وأبرزت قيام كل وسيلة إعلامية من وسائل الدعوة والإعلام بوظيفتها كاملة في تناسق وتعاون تامين مع الوسائل الإعلامية الأخرى داخل الهيكل العام لهذه التعبئة، وبدون هذا التناسق والتعاون بين وسائل الإعلام المتعددة لا يمكن للتعبئة الإعلامية أن تحدث.

ولاشك أن البحث قد أسفر عن أهمية الجهاد في حياة المسلمين للدفاع عن عقيدتهم أمام جحافل الكفر والفسوق والعدوان، وأن هذه الجحافل الأثمة

قد تظنون من شكل إلى آخر لتختفى وراء أشكال أخرى أشد خبثاً ودهاءاً، ومن ذلك ما تنضح به كتابات العديد من المستشرقين النصارى وغيرهم من حقد على تلك الفترة الإسلامية المصيرية التي استرد فيها المسلمون حطين والقدس، ولقد فعلوا ذلك تحت أربة زيتها بدعوى البحث العلمي، وهم في الواقع أبعد ما يكونون عن البحث والعلم.

كما كشف هذا البحث عن أثر القدوة الحسنة، ومالها من مردود لا يمكن إغفاله على مصير الدعوة، كما لا يمكن الاستعاضة عنها بأية وسيلة إعلامية أخرى، وأن الأمة الإسلامية متى وجدت القائد القدوة الذي يوحد شتاتها، ويجمع شطبيها، فلا بد للنصر من أن يسير في ركابها، ومتى تعذر وجود مثل هذا القائد القدوة، وتمزقت الأمة، وشغلت بنفسها كانت الهزيمة والضياع.

ومن أهم النتائج التي كشف عنها البحث من خلال أحداث تلك الفترة ووثائقها أن الأمة الإسلامية لا يمكن لها أن تصل إلى مرحلة التعبئة الإعلامية الكاملة إلا إذا ارتكزت في وسائلها الإعلامية على الركائز الإسلامية الثابتة التي يوجد فيها صلاح المسلم في الدنيا والآخرة، وأن جحافل العقائد الضالة لا يهزمها إلا جحافل العقيدة الإسلامية الحققة.

وكشف البحث أيضاً من خلال الأحداث والنصوص أن الإعلام الإسلامي - بكل مقوماته وامكاناته، وبكل ما يريد رجال الإعلام المحدثون - موجود في تاريخ المسلمين لا ينكره أو يرتاب فيه إلا كل من في قلبه مرض.

هذه هي النتائج الرئيسية التي توصل إليها البحث، عدا النتائج الأخرى التي تخللت صفحات هذه الفصول، والتي أثبتتها في مكانها من هذه الدراسة التي لم أهدف من ورائها إلا وجه الله تعالى، ثم الحقيقة العلمية الخالصة، وعلى الله قصد السبيل.

"وقل اعلموا فسيري الله علمكم ورسوله والمؤمنون".

"مصادر البحث ومراجعته"

- أولا : القرآن الكريم  
ثانيا : المصادر والمراجع:
- ١ - د . ابراهيم إمام :  
الإعلام الإسلامي ( المرحلة الشفهية ) . . . مكتبة الأنجلو المصرية ( ١٤٠٠ هـ )
  - ٢ - ابراهيم مصطفى وآخرون :  
المعجم الوسيط . . . مجمع اللغة العربية القاهرة - ط ٢ ( بدون تاريخ )
  - ٣ - ابن الأثير :  
الكامل في التاريخ . . . دار الفكر بيروت ( ١٣٩٨ هـ )
  - ٤ - د . أحمد بدر :  
أ - الاعلام الدولى . . . مكتبة غريب - القاهرة ( ١٣٩٧ هـ )  
ب - الرأي العام . . . مكتبة غريب - القاهرة ( بدون تاريخ )
  - ٥ - أحمد بن عبد ربه :  
العقد الفريد - تحقيق محمد سعيد العريان - دار الفكر العربي  
بيروت ( بدون تاريخ )
  - ٦ - أرست باركر :  
الحروب الصليبية . . . ترجمة د . الباز العرينى - دار النهضة العربية  
بيروت ط ٢ ( ١٣٨٦ هـ )
  - ٧ - أمين سعيد :  
سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب . . . مطابع نجد التجارية  
الرياض ( ١٣٩٥ هـ )
  - ٨ - د . أنيس قاسم :  
تأملات في الاحتلالين الصليبي والصهيوني الدار العربية للكتاب  
ليبيا ( ١٤٠٠ هـ )
  - ٩ - بسام العسلى :  
أ - الأيام الحاسمة في الحروب الصليبية . . دار النفاث - بيروت ط ١ ( ١٣٩٨ هـ )  
ب - صلاح الدين الأيوبي . . . دار النفاث - بيروت ط ٢ ( ١٤٠٠ هـ )

- ١٠- الترمذى :  
الجامع الصحيح . . . تحقيق : ابراهيم عطوة - دار إحياء التراث العربى  
بيروت ( ١٣٨١ هـ )
- ١١- ابن تغرى بردى :  
النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة . . . المؤسسة المصرية العامة  
( بدون تاريخ )
- ١٢- توماش. وه. أرنولد :  
الدعوة إلى الإسلام . . . ترجمة حسن ابراهيم - مكتبة النهضة المصرية ( ١٣٩٠ هـ )
- ١٣- ابن جبير :  
رحلة ابن جبير . . . ط دار بيروت للطباعة والنشر ( ١٤٠١ هـ )  
ط دار صادر - بيروت ( ١٤٠٠ هـ )
- ١٤- ابن جرير الطبرى :  
تاريخ الطبرى . . . تحقيق أبو الفضل - دار المعارف بمصر ( بدون تاريخ )
- ١٥- جلال العالم :  
قادة الغرب يقولون : " مروا الإسلام أبداً وأهله " ط ٢ ( ١٣٩٥ هـ )
- ١٦- د . حسن حبشى :  
أ - أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس - دار الفكر العربى ( ١٣٧٨ هـ )  
ب - الحرب الصليبية الأولى . . . . . دار الفكر العربى ( ١٣٧٨ هـ )
- ١٧- أبو الحسن الندوى :  
أ - العافظ أحمد بن تيمية . . . تعريب : سعيد الأعظمى  
دار القلم - بيروت ( ١٣٩٥ هـ )  
ب - صلاح الدين الأيوبي . . . . . دار القلم - بيروت ( ١٤٠٠ هـ )
- ١٨- ابن خلكان :  
وفيات الأعيان . . . تحقيق : د . احسان عباس - مطبعة الثقافة  
بيروت ( بدون تاريخ )
- ١٩- د . سعيد سراج :  
الرأى العام . . . الهيئة المصرية العامة للكتاب . . . . . ( ١٣٩٨ هـ )
- ٢٠- سعيد عبد الفتاح عاشور :  
أ - أوروبا فى العصور الوسطى . . . مكتبة الأنجلو المصرية ( ١٣٩٨ هـ )  
ب - الحركة الصليبية . . . . . مكتبة الأنجلو المصرية ( ١٣٩٨ هـ )

- ٢١ - سيد قطب :  
فى ظلال القرآن . . . . . دار الشروق ط ٤ ( ١٣٩٧هـ )
- ٢٢ - شاكرا ابراهيم :  
الإعلام ووسائله . . . . . مؤسسة آدم للنشر والتوزيع ( ١٣٩٥هـ )
- ٢٣ - أبو شامه :  
الروضتين فى أخبار الدولتين . . . . . دار الجيل - بيروت ( بدون تاريخ )
- ٢٤ - عباس محمود العقاد :  
الإنسان فى القرآن الكريم . . . . . دار السلام - القاهرة ( بدون تاريخ )
- ٢٥ - د . عبد الحلیم عویس :  
أ - أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب فى الفكر الإسلامى  
الإصلاحى بالجزائر - مجلة كلية العلوم الاجتماعیة  
( العدد الخامس ) ( ١٤٠١هـ )  
ب - بیت المقدس فى ضوء الحق والتاریخ . . . . . دار المریخ ( ١٤٠١هـ )  
ج - المسلمون فى معركة البقاع . . . . . دار الاعتصام بمصر ( ١٣٩٩هـ )
- ٢٦ - عبد الله بلوان :  
صلاح الدين الأيوبي . . . . . مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ ( ١٣٩٤هـ )
- ٢٧ - أبو عبد الله محمد بن حماد :  
أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم . . . . . دار العلوم بالرياض ( ١٤٠١هـ )
- ٢٨ - د . عبد اللطيف حمزه :  
أ - الإعلام فى صدر الإسلام . . . . . دار الفكر العربى - القاهرة - ط ٢ ( ١٣٩٨هـ )  
ب - الإعلام له تاريخه ومذاهبه . . . . . دار الفكر العربى - القاهرة ( ١٣٩٨هـ )  
ج - الإعلام والدعاوية . . . . . دار الفكر العربى - القاهرة ( ١٣٩٨هـ )
- ٢٩ - د . على عبد الحلیم محمود :  
الغزو الصليبي والعالم الإسلامى . . . . . دار عكاظ - الرياض ( ١٣٩٩هـ )
- ٣٠ - ابن العماد :  
شذرات الذهب . . . . . دار المسيرة - بيروت - ط ٢ ( ١٣٩٩هـ )
- ٣١ - د . عماد الدين خليل :  
نور الدين محمود . . . . . دار العلم - بيروت - ط ١ ( ١٤٠٠هـ )



- ٣٢- العمدان الكاتب الأصفهاني :  
الفتح القس في الفتح القدسي . . تحقيق - محمد صبيح  
الدار القومية للطباعة والنشر ( بدون تاريخ )
- ٣٣- د . عمارة نجيب :  
الإعلام في ضوء الإسلام . . مكتبة المعارف - الرياض - ط ١ ( ١٤٠٠ هـ )
- ٣٤- د . فايد حماد عاشور :  
جهاد المسلمين في الحروب الصليبية . . مؤسسة الرسالة بيروت ط ١ ( ١٤٠١ هـ )
- ٣٥- د . فؤاد ديب :  
الرأي العام وطرق قياسه . . مطابع الدار القومية  
( ١٣٨٢ هـ )
- ٣٦- فيشر :  
تاريخ أوروبا في العصور الوسطى . . تعريب : محمد زيادة - دار المعارف  
بمصر ( ١٣٩٦ هـ )
- ٣٧- ابن كثير :  
البداية والنهاية . . . . . دار الفكر - بيروت ( ١٣٩٨ هـ )
- ٣٨- د . محمد أحمد أبو زيد :  
سيكولوجية الرأي العام ورسائله . . عالم الكتب ( بدون تاريخ )
- ٣٩- محمد بن أبي بكر الرازي :  
مختار الصحاح . . تحقيق لجنة من علماء العربية - دار المعارف بمصر ( ١٣٩٦ هـ )
- ٤٠- محمد رضا بك :  
الخفية الأدبية للسياسة الغربية في الشرق . . دار بوسلامة تونس - ط ٢ ( ١٣٩٧ هـ )
- ٤١- د . محمد زعلول سلام :  
الأدب في العصر الأيوبي . . دار المعارف - مصر ( ١٣٨٨ هـ )
- ٤٢- محمد أبوزهرة :  
الوحدة الإسلامية . . دار الفكر العربي - القاهرة - ط ٢ ( ١٣٩٧ هـ )
- ٤٣- محمد سيد كيلانسي :  
الحروب الصليبية وأثرها في الأدب العربي . . دار الكتاب العربي مصر ( ١٣٦٩ هـ )
- ٤٤- د . محمد عبد القادر حاتم :  
الإعلام والدعاية . . . . . مكتبة الأنجلو المصرية ( ١٣٩٢ هـ )

- ٤٥- محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي :  
مشكاة المصابيح - تحقيق : محمد الألباني - المكتب الاسلامي - بيروت - ط ٢ ( ١٣٩٩ هـ )
- ٤٦- د . محمد بن علي الهرفي :  
أ - الحروب الصليبية وأثرها في الشعر العربي . . . النادي الأدبي بالرياض ( ١٤٠٠ هـ )  
ب - شعر الجهاد في الحروب الصليبية . . . مؤسسة الرسالة - بيروت ( ١٤٠٠ هـ )
- ٤٧- د . محمد ماهر حمادة :  
وثائق الحروب الصليبية . . . مؤسسة الرسالة - بيروت - ط ١ ( ١٣٩٩ هـ )
- ٤٨- محمود شلبس :  
حياة صلاح الدين . . . دار الجيل - بيروت ( ١٤٠٠ هـ )
- ٤٩- محمود مهدي الاستانبولي :  
ابن تيمية . . . مكتبة دار المعرفة - دمشق - ط ٢ ( ١٣٩٧ هـ )
- ٥٠- د . محي الدين عبد الحلیم :  
الإعلام الإسلامي وتطبيقاته العملية . . . مكتبة الأنجلو المصرية ( ١٤٠٠ هـ )
- ٥١- د . مختار التهامي :  
الرأي العام والحرب النفسية . . . . . دار المعارف - مصر ( ١٣٩٤ هـ )
- ٥٢- الإمام مسلم :  
أ - الجامع الصحيح . . . المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ( بدون تاريخ )  
ب - صحيح مسلم بشرح النووي . . . دار الفكر - بيروت ط ٢ ( ١٣٩٢ هـ )
- ٥٣- د . مصطفى الشكعة :  
إسلام بلا مذاهب . . . دار النهضة العربية - بيروت ( ١٣٩٣ هـ )
- ٥٤- ابن منظور :  
لسان العرب . . . دار المصرية للتأليف والترجمة ( بدون تاريخ )
- ٥٥- ابن هشام :  
سيرة النبي صلى الله عليه وسلم . . . تحقيق : محي الدين  
عبد الحميد - دار الفكر - بيروت ( بدون تاريخ )

فهرس الموضوعات

<u>رقم الصفحة</u>	<u>الموضوع</u>
١٤-٣	المقدمة : تمهيد
٨١-١٧	" مبحث فى مصطلحات الدعوة والدعاية والإعلام والرأى العام
٣٣-١٧	أولا : الدعوة
٤١-٣٤	ثانيا : الدعاية
٥١-٤٢	ثالثا : الإعلام
٨١-٥٢	رابعا : الرأى العام الباب الأول :
١٧٩-٨٢	" التعبئة الإعلامية الأوربية وأثرها فى التمهد للحروب العلميه الفصل الأول :
١١٥-٨٣	تصور عام للحروب الصليبية التى شننها نكارى أوربا على الأمة الإسلامية
٨٤	١- حقيقة الحروب الصليبية
٨٥-٨٤	٢- من هم الصليبيون ؟
٨٩-٨٥	٣- دافع الحروب الصليبية
١١٥-٩٠	الحملات الصليبية التى تتالت على العالم الإسلامى
٩٢-٩٠	- الحملة الصليبية الأولى
٩٩-٩٤	- الحملة الصليبية الثانية
١٠٢-٩٩	- الحملة الصليبية الثالثة
١٠٥-١٠٢	- الحملة الصليبية الرابعة
١٠٨-١٠٥	- الحملة الصليبية الخامسة
١١١-١٠٨	- الحملة الصليبية السادسة
١١٥-١١١	- الحملة الصليبية السابعة
	الفصل الثانى :
١٥١-١١٦	" الدعاية للحملة من قبل الصليبيين

<u>الموضوع</u>	<u>رقم الصفحة</u>
١- البابا "أوربان الثاني" و إعلان الحرب الصليبية"	١١٦-١٥١
٢- حملات العامة التي تزعمها " بطرس الناسك" وغيره	١١٧-١٣٤
٣- الرؤى والتنبؤات وأثرها في بث الحماسة الجماهيرية	١٤٢-١٥١
الفصل الثالث :	
" وسائل الدعاية التي استغلها الصليبيون في حربهم ضد المسلمين"	١٥٢-١٧٩
١- إتخاذ الصليب رمزا إعلاميا لستر الأطماع الحقيقية للصليبيين	١٥٣-١٦٠
٢- رفع الشعار الإعلاني الصليبي القائل بإنقاذ بيت المقدس من أيدي المسلمين	١٦١-١٦٩
٣- إنتشار الشائعة التي تقول بظهور السيد المسيح في بيت المقدس على رأس ألف من التاريخ الميلادي	١٧٠-١٧٩
الباب الثاني :	
" التعمية الإعلامية في الجبهة الإسلامية"	١٨٠-٢٩٠
الفصل الأول :	
" حالة المجتمع الإسلامي في الشام ومصر عند بدء الحملات الصليبية"	١٨١-٢٠٨
١- تمزق الرأي العام الإسلامي نتيجة لما ساد الأمة الإسلامية من خلافات	١٨٢-١٩١
٢- الفرنج يحتلون القدس بينما محمد بن طلكشاه يحارب أخشاه بركياروق	١٩٢-٢٠٠
٣- الفاطميون في مصر يمزقون الرأي العام بعقائدهم الضالفة	٢٠١-٢٠٨
الفصل الثاني :	
" الركائز الإسلامية التي اعتمد عليها المسلمون في تعبئتهم الإعلامية ضد الصليبيين"	٢٠٩-٢٣٩
أولا : مرحلة عدم الرؤية وتمثل عدم الوضوح في الاعتماد على الركائز الإسلامية	٢١٠-٢١٣
١- التصوف والزهد في الدنيا هربا من المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين	٢١٠-٢١١
٢- ترك الجهاد والاستعاضة عنه بالاعتكاف في المساجد للعبادة وتلاوة القرآن دافعا للخطر الصليبي	٢١١-٢١٣

الموضوع	رقم الصفحة
ثانيا : بداية وضوح الرؤية والانطلاق من الركائز الإسلامية	
في عهد عماد الدين زنكي ، ونور الدين محمود . . . . .	٢١٨-٢١٤
ثالثا : مرحلة الوضوح الكامل للاعتماد على الركائز الإسلامية فسي	
التعبئة الإعلامية في عهد صلاح الدين . . . . .	٢٤٣-٢١٩
١- القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة . . . . .	٢٣١-٢١٩
٢- المسجد والعودة به إلى ما كان عليه في صدر الإسلام .	٢٣٦-٢٣١
٣- موسم الحج واستغلاله في الدعوة إلى الجهاد . . . . .	٢٤٣-٢٣٧
الفصل الثالث:	
" الوسائل الإعلامية التي استغلها المسلمون في تعبئتهم	
الإعلامية ضد الصليبيين " . . . . .	٢٩٠-٢٤٤
أولا : الوسائل الإعلامية في الجبهة الإسلامية قبيل صلاح الدين	
١- إنشاء المدارس . . . . .	٢٤٧-٢٤٥
٢- الرسائل وأثرها في نقل الأخبار . . . . .	٢٥٠-٢٤٨
٣- الشعر يتصدر التعبئة الإعلامية منذ البداية . . . . .	٢٥٢-٢٥١
ثانيا : الوسائل الإعلامية التي استغلها صلاح الدين ضد الصليبيين	
١- التوسع في إنشاء المدارس لنشر عقيدة الجهاد ضد الصليبيين	٢٥٩-٢٥٣
٢- مشاركة العلماء والأئمة بأنفسهم في المعارك حتى يصبحوا	
قوة إعلامية كبرى بين المجاهدين . . . . .	٢٦٤-٢٥٩
٣- تأليف الكتب التي تحث المسلمين على الجهاد والفروسية	٢٧٢-٢٦٥
٤- موازنة الشعر في خصائصه وموضوعاته مع مرحلة التعبئة الإعلامية	
ضد الصليبيين . . . . .	٢٨١-٢٧٢
٥- الرسائل تواصل وظيفتها الإعلامية . . . . .	٢٩٠-٢٨١
الباب الثالث:	
" الرأي العام الإسلامي في مرحلة التعبئة الإعلامية الكاطية "	٣٩٥-٢٩١

رقم الصفحة	الموضوع
	الفصل الأول :
٢٣٢-٢٩٢	" توحيد الرأي العام الإسلامى على يدى صلاح الدين الأيوبي "
٢٠٥-٢٩٢	أولا : القدوة الحسنة وسيلة من أقوى الوسائل الإعلامية
٢٩٨-٢٩٥	١- صلاح الدين القدوة الحسنة فى الجهاد فى سبيل الله
٢٠٢-٢٩٩	٢- صلاح الدين القدوة الحسنة فى التقوى والتواضع والسور
٢٠٥-٢٠٢	٣- صلاح الدين القدوة الحسنة فى البذل والعطاء "
٢١٩-٢٠٦	ثانيا : الإصلاح العقدي : . . . . .
٢١٠-٢٠٦	١- القضاء على الإلحاد ونسف قواعد الزندقة . . . . .
٢١٣-٢١٠	٢- القضاء على غلاة الشيعة ودعاة الاسماعيلية . . . . .
	٣- إنشاء المكتبات والمدارس لتدريس الدين على مذهب أهل
٢١٩-٢١٣	السنة والجماعة . . . . .
	ثالثا : الإصلاح الاجتماعى :
	١- القضاء على مظاهر الخلاعة والمجون فى عهد الفاطميين وخاصة
٢٢٢-٢١٩	فى المواسم والأعياد . . . . .
٢٢٥-٢٢٢	٢- القضاء على بدع المواسم كبدع يوم عاشورا " . . . . .
	٣- القضاء على العديد من الضرائب التى فرضت على مصر
٢٢٢-٢٢٦	والشام وحجاج بيت الله الحرام . . . . .
	الفصل الثانى :
٢٦٠-٢٢٣	" معركة حطين مفتاح القدس عسكريا وإعلاميا . . . . .
٢٤١-٢٢٤	أولا : تصور عام للمعركة . . . . .
٢٥٢-٢٤٢	ثانيا : النتائج العسكرية والإعلامية لمعركة حطين على كلا الجانبين
٢٦٠-٢٥٢	ثالثا : أثر معركة حطين فى استرداد بيت المقدس من أيدي الصليبيين
	" مواقف صلاح الدين الإسلامية وأثرها الإعلامى فى الرأي العام
٢٩٥-٢٦١	الأوروبى " . . . . .

رقم الصفحة	الموضوع
٣٧٢-٣٦٢	أولا : شفقة صلاح الدين ورحمته وبعض الأمثلة عليهما مثل :
٣٦٨-٣٦٢	١- استجابته الانسانية لما عانى منه المسنون الضعفاء من الصليبيين
٣٧٢-٣٦٨	٢- رحمته بالنساء والأطفال الصليبيين . . . . .
٣٨٢-٣٧٢	ثانيا : عدله واحسانه وبعض الأمثلة عليهما مثل : . . . . .
٣٧٨-٣٧٢	١- إن نه لرجال الدين النصارى بحمل ماشاءوا من متاعهم وأموالهم
	٢- إعفاؤه من الغدبة لأعداء غفيرة من الصليبيين غير القادرين
٣٨٢-٣٧٨	على دفعها . . . . .
	ثالثا : الآثار الإعلامية لمواقف صلاح الدين في الرأي العام
٣٩٥-٣٨٢	الأوربي . . . . .
٣٨٨-٣٨٢	١- إيقاف الرأي العام الأوربي على حقيقة الإسلام . . . . .
٣٩٥-٣٨٩	٢- إعتناق بعض الصليبيين الدين الإسلامي عن اقتناع تام
٣٩٧-٣٩٦	خاتمة . . . . .
٤٠٢-٣٩٨	مصادر البحث ومراجعته . . . . .
٤٠٧-٤٠٣	فهرس الموضوعات . . . . .

